كتاب الجنيات الأزرق

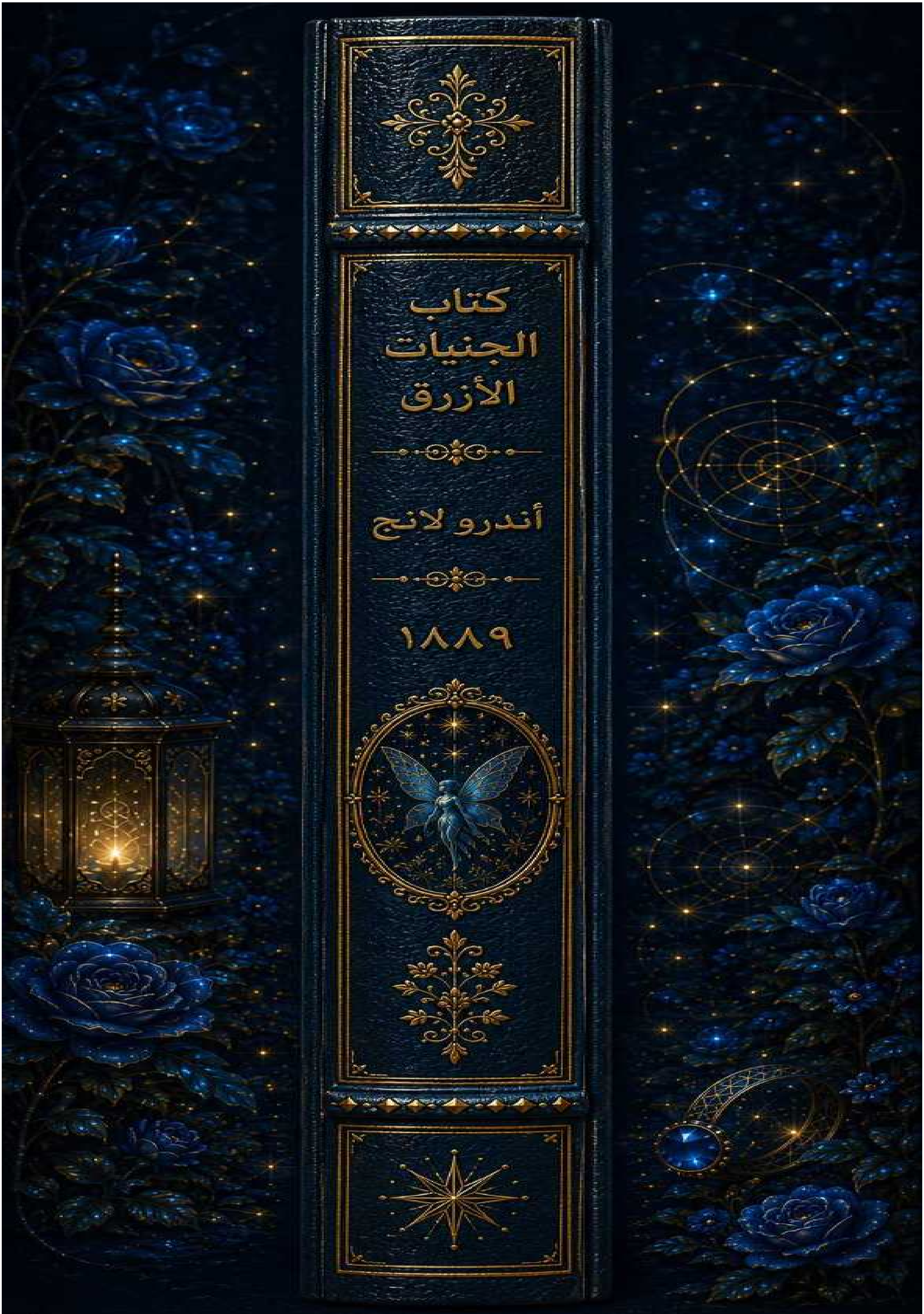
أندرو لانج

١٨٨٩



إلى كل طفل يحب أن يحلم،
وإلى كل قارئ ما زال يملك
شجاعة الإيمان بأن العالم يحوي
من السحر والمفاجآت أكثر مما
تراه العيون المجردة.
نضع بين أيديكم "الكتاب الأزرق"
ليكون مفتاحكم إلى أرض الجنيات،
حيث تنتصر الحقيقة، ويُكافأ النبل،
وتعيش الأحلام إلى الأبد.

أندرو لانج.


كتاب
الجنيات
الأزرق
أندرو لانج
١٨٨٩

Email: mohamedelzoghpe905@gmail.com

مقدمة

نتأمل بين يدينا صفحات "كتاب الجنيات الأزرق" الذي خطّه أندرو لانج لأول مرة عام 1889، فإننا لا نفتح مجرد كتاب أطفال كلاسيكي، بل ندخل إلى متحف حيّ للذاكرة البشرية المشتركة. لقد تجاوزت هذه الحكايات حاجز الزمن لأكثر من قرن من الزمان، لا لأنها تحتوي على تعويذات سحرية فحسب، بل لأنها تلتقط ببراعة نبض الشعور الإنساني الخالد: الشوق للعدالة، رهبة المجهول، والبحث الدائم عن الحقيقة وسط العجائب.

عصرنا الحالي، الذي بات محكوماً بالسرعة المادية والأرقام الباردة، تصبح العودة إلى هذه الحكايات ضرورة إنسانية وفنية ملحة. إن جماليات عمل أندرو لانج تكمن في قدرته الفريدة على توحيد خيوط الحكاية الشعبية العابرة للقارات، لنرى كيف تتشابه حكايات الشرق والغرب في جوهرها الأخلاقي والجمالي.

خلال هذه الصفحات واللوحات البصرية المصاحبة لها، نُعيد إحياء ذلك الشغف الطازج بالعجائب الذي تحدث عنه لانج، لنمنح العين والروح مساحة للتأمل في سحر الحكاية قبل أن نخوض معاً في أعماق الأبعاد النقدية التي تنتظركم في خاتمة هذا العمل.





الخاتم البرونزي

حديقةُ الملكِ كانت واسعةً تَحيطُ بقصرِهِ،
لكنَّها كانت قاحلةً جرداءَ، لا تُنبتُ زَهرًا ولا تُظلّلُ شجرًا،
ولا يُغطّي أرضَها عشبٌ. حزنَ الملكُ حزنًا عميقاً،
حتى أتاهُ شيخٌ حكيمٌ وقال له: "يا مولاي،
إنَّ بستانِيـيك لا يفقهونَ صناعةَ البستانِ، فكانوا آباؤُهم إسكافِيِّينَ
ونجارين. ابحثْ عن بستانيٍّ كانَ أبوهُ وجدُّه بستانيَّيْن مِن قبلِه،
وعندَها ترى حديقتَكَ تَخضَرُ وتَزهُرُ".



أرسلَ الملكُ رُسلَه في كلِّ مدينةٍ وقريةٍ، وبعد أربعينَ يوماً وجدوا الرجلَ المنشودَ. جاء البستانيُّ مع زَوجته وابنِه الوسيم، وأقامَ في خدمةِ الملك. وكانَ الابنُ كلَّ يومٍ يُحملُ أجملَ الثمارِ للملكَ، وأعطرَ الأزهارَ لابنَته الأميرةَ. تلكَ الأميرةُ كانت في السادسة عشرةَ من عمرها، جمِيلةٌ كالقمرِ، وما إنْ رأت الفتى حتى وقعَ حُبُّه في قَلبِها.



قالت لأبيها بصراحةٍ: "يا أبتِ، لن أتَزوَّجَ ابنَ الوزير، إنَّما أحبُّ ابنَ البستانيَّ". غضبَ الملكُ، وبكى، وتنهَّدَ، لكنَّ الأميرةَ لم تتراجعْ. استشارَ وزراءَه، فقالوا له: "أرسلِ الخاطبينَ في سفرٍ بعيدٍ، ومن يُعدْ أولاً فله ابنَتُك".



سافرَ الخاطبانِ معًا، لكنَّ ابنَ الوزيرَ انطلق على جوادهِ الأصيلِ ومحفظتِه المليئةَ بالذهب وسرَعانَ ما اختفى خلفَ التلالِ البعيدةِ. أما ابنُ البستَانيِّ فرَكِبَ فرَسًا عجوزًا أعرَج، وَمعه محفظَةٌ من النحاسِ الأصفر، وكلُّ الناسِ ظنوا أنّه لن يَعودَ أبَداً. وَفي يومِ الرحيلِ، همستِ الأميرَةُ في أذنِ حبيبِها:



"كُنْ شجاعاً، وَتذكَرُ أني أحبُك، خُذْ هَذه المحفظَةَ المليئة بالجواهِرِ واستَعِنْ بهاً مِنَ أجلي، وعُدْ سريعًا لتَطلُب يدي". انطلق الفتى، وبَينما هوَ في الطريقِ، بلغ نافورَةً رَأى عندها عجوزًا هَزيلَةً باليةً جالسةً على حجرِ، فقالتَ له: "أيُّها المسافرُ، ارحمني، فَإني أموتُ جوعًا، وَمنذُ ثلاثة أيامِ لم يرَحَمْني أحَدٌ". أمّا ابنُ البستَانيِّ فقالَ لها بلطفٍ: "خُذي محفظَتي، واركبي خلَفي، فقد تِعِبتْ رَجلاكِ". حملها على ظهر فِرسِه، وانطلقا إلى مدينةِ عَظيمةِ.



نزلَ ابنُ الوزيرَ في فندقِ فخمِ، أما هو والعجوزُ فنزلا في نُزُلِ الفقراءِ.







عجوزُ تلكَ كانت جنِيةٌ في ثيابٍ رثَّةٍ. وفي اليومِ التالي، سمع الفتى ضجَّةً في الشوارعِ، فإذا منادِيدُ الملكُ يُنادونَ: "إنَّ ملكنا قد هرمَ ومرضَ، ومن يَعالِجه ويُعيدُ له شبابَه فله جَزاءٌ عظيمٌ"



همسَت العجوزُ في أذنِ الفتى: "افعلْ ما أقولُه لك: اخرُجْ من البابِ الجنوبِيِّ، ستجدُ ثلاثةَ كلابٍ صغيرةٍ: أبيضَ، وأسودَ، وأحمرَ. اقتُلْها، واحرِقها كلَّ واحدةٍ على حِدَةٍ، واجْمعْ رمادَها في ثلاثة أكياسٍ حَسبَ ألوانها. ثُمَّ امضِ إلى قصرِ الملك، وقُلْ: 'جَاءَ طبيبٌ مشهورٌ من ألبانيا، وهو وحدَه القادرُ على شفاءِ الملك'. سيُكذِّبُكَ الأطباءُ، لكنَّكَ ستتغلَّبُ عليهم، وستدخلُ على الملك. اطلُبْ حطَبًا كثيرًا وقِدرًا ضخمًا، واحبِسْ نفسك معَ الملك، وعندما يَغلي القدرُ، ألقِ الملك فيه حتى ينفَصِلَ لحمُهُ عن عظامِه. ثُم رتِّبْ عظامه في أماكنِها، وانثُرْ عليها الرمادَ مِن الأكياسِ الثلاثةِ، وسيَعودُ الملكُ شابًا كما كانَ في العشرينَ من عمرِه. وعندما يسألك عن مكافأتِك، اطلُبْ منه الخاتمَ البرونزيَّ الذي يُحقِّقُ كلَّ ما تتمنَّاه".



فَفعلَ الفتى كلَّ ما أمرتْ بهِ العجوزُ، وعادَ الملكُ شابًا نَضرًا. عرضَ عليهِ الملكُ نصفَ كنوزِه وابنته ونصف مملكته. لكنَّ الفتى رفضَ كلَّ ذلك وقال: "لا أريدُ سوى الخاتمِ البرونزيِّ". فأعطاه إياه الملكُ، مع أن قلبه كانَ يتألَّمُ لفراقه.



أبحرَ الفتى بعد أنْ ودّعَ العجوزَ، ورفعَ الخاتمَ إلى فمِهِ وقال: "أيُها الخاتمُ، هيِّءْ لي سفينةً عظيمةً أكملُ بها رحلتي، اجعلْ هيكلها منْ ذهبٍ خالصٍ، وصواريَها منْ فضةٍ، وشراعَها من ديباجٍ مطرَّزٍ، وليكنْ طاقمُها اثني عشرَ فتى كالأمراء، والقديسُ نيكولاسُ على دَفَّتِها، وحمولتُها من الألماسِ والياقوتِ والزمردِ". وفي الحلم، ظهرتْ كالسمنةِ كالحلم، فركبها وأبحرَ حتى بلغَ مدينةً عظيمةً.

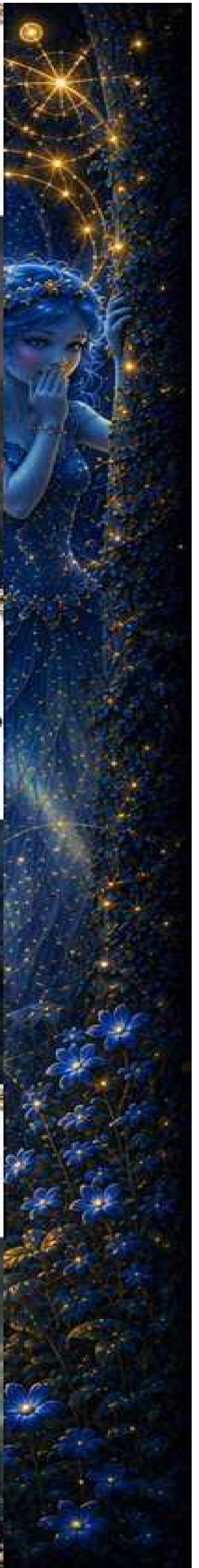


وهناك، التقى بابنِ الوزيرِ الذي كان قد أنفقَ كلَّ مالِه، وصارَ يعملُ حمّالاً للأتربةِ والرمال. قال له الفتى: "مَن أنتَ؟"، فحكى له قصّتَه، فقال الفتى: "سأساعدُك، وسأعطيك سفينةً تُعيدُك إلى بلادك، ولكن بشرطٍ واحدٍ". وافق ابنُ الوزيرِ فرحًا، وتبعَه إلى القصرِ. عندها، أمر الفتى خدَمه بتجريد ابنِ الوزيرِ من ثيابه، وقال: وقال: "أحموا هذا الخاتمَ حتى يَحمرَّ، واكووا به ظهره". ففعلوا.



ثم أعطاه سفينةً باليةً، خشبُها مُتآكلٌ وطِلاؤُها أسودُ، وشراعُها مُمزّقٌ، وبحارتُها عُجزٌ ومرضى: أحدُهم مقطوعُ الرِّجلِ، وآخرُ مقطوعُ اليد، وثالثٌ أحدبُ، ورابعُ أعرجُ، وخامسٌ أعمى. ركبها ابنُ الوزيرِ وعادَ إلى بلادِه في حالةٍ يرثى لها.





فرحَ الملكُ بعودةِ ابن الوزيرِ وقال: "أنت أولُ العائدين، إذن سأُوفي بوعدي وأُزَوِّجك ابنتي". وأُعدَّتِ الاحتفالاتُ، لكنَّ الأميرةَ كانت حزينةً كئيبةً.



وفي فجرِ اليومِ التالي، رستْ في الميناءِ سفينةٌ عجيبةٌ، هيكلُها من ذهبٍ، وصواريها من فضةٍ، وشراعُها منْ ديباجٍ، وطاقمُها من الشُّبانِ الوسيمينَ. تعجَّبَ الملكُ ودعا قُبطانَها، فدخلَ القبطانُ، وإذا هو شابٌّ وسيمٌ يرتدي الحريرَ المزركشَ باللؤلؤِ والماسِ. قال له الملكُ: "مرحبًا بك، ابنتي ستُزفُّ اليومَ ألا تمنحها أنت؟" فوافقَ القبطانُ، لكنَّه لمَّا رأى العريسَ صرخ: "أتزوِّجون هذه الأميرةَ بمثلِ هذا الرجلِ؟ إنه خادمي! لقيتُه في مدينةٍ بعيدةٍ يحملُ الأتربةَ والرمالَ، فرحمتُه وأعطيتُه سفينتي الباليةَ ليعودَ بها". استنكرَ الملكُ، فقال القبطانُ: "أتريدُ البرهانَ؟ مُروهمْ بتجريدِه، وانظُروا علامةَ خاتمي المحمَى على ظهرِه".



خافَ ابنُ الوزيرِ واعترفَ بكلِّ شيءٍ، حينها، نظرَ القبطانُ إلى الأميرةِ وقال: "أما تعرفينني؟" صرخَتِ الفتاةُ باكيةً: "أنت حبيبي، أنت ابنُ البستانيِّ؟" وهتفَ الملكُ: "ستكونُ ابني اليومَ". وتزوَّجا فعلاً في ذلك اليوم بعينه.



مضتْ شهورٌ منَ الهَناءِ والسعادةِ، حتى اضطرَّ القبطانُ إلى رحلةٍ بَحريّةٍ طويلةٍ، فودَّعَ زَوجتَه بحرارةٍ. وفي أطرافِ العاصمةِ، كان يَعيشُ رجلٌ عجوزٌ أمضَى حياتَه في دراسة السحرِ الأسودِ والكيمياء، فعلِم أنَ الفتى نال الأميرةَ بفضلِ الخاتَمِ، فقرَّرَ أن يسرقَهُ.



نزل إلى شاطئِ البحر، وصاد سمكاتٍ حمراء صغيرةً جميلةً جدًا، وعادَ بها، ومرَّ أمامَ نافذةِ الأميرة يصرخُ: "مَنْ يشتري هذه السمكاتِ الحمراءَ الجميلةَ؟""سمعتْه الأميرةُ، وبَعثتْ خادمةً تسألُ عَن ثمنها، فقال العجوزُ: "خاتَمٌ بَرونزيٌ". قالت الخادمةُ: "وأينَ لنا بخاتَمٍ بَرونزيٍ؟"" قال: "تحتَ الوسادةِ في غرفةِ الأميرةِ".



عادتِ الخادمةُ وأخبرتْ سيدتَها، التي قالت بسذاجةٍ: "أبحثي عنه وأعطيه إياه". فوجدتِ الخادمةُ الخاتَمَ الذي نسيَه القبطانُ، وأعطته للعجوزِ الذي هربَ بَه كالرّيح. وما إنْ وصلَ إلى بيتِهِ حتى قال للخاتمِ: "حوّلِ السفينة الذهبيةِ إلى خشبٍ أسودَ، والطاقمَ إلى عبيدِ سدٍ بشعينَ، وليُغادرِ القديسُ نيكولاسَ الذقّةَ، واملأ السَفينةَ بقططٍ سوداءَ".





تاهَ القبطانُ في البحرِ مع طاقمِه والقططِ السوداء الجائعة، يأكلونَ الأعشابِ والجذور، حتى بلغوا جزيرةً غريبةً لا يسكنُها إلا الفئرانُ. وما إنْ نزلوا حتى افترستِ القططُ عددًا كبيرًا من الفئرانِ، فخافتْ ملكةُ الفئرانِ وجمعتْ مجلسها وقالتْ: "إنَ لم يُبعِدُ هذا قططهُ عنَّا، فسنفنى جميعًا".



بعثَتْ وفدًا من الفئران إلى القبطان، قالوا له: "ارحلْ عن جزيرتنا، وإلاَّ هلكْنا". فقالَ القبطانُ: "بشرطٍ واحدٍ: أنْ تُحضروا لي الخاتمَ البرونزيَّ الذي سرقَه ساحرٌ ماكرٌ، وإلاَّ أطلقتُ قططي عليكمْ". رجعتْ الفئرانُ مذعورةً، فجمعتِ الملكةُ فئرانَ الأرضِ كلها لكن لم يعرفْ أحدٌ مكانَ الخاتمِ.



وفجأةً، وصلتْ ثلاثُ فئرانٍ من بلادٍ بعيدةٍ جدًّا: واحدةٌ عمياءُ، والثانيةُ عرجاءُ، والثالثةُ مقطوعةُ الأذنينِ. صاحتِ العمياءُ: "نحنُ نعرفُ أينَ الخاتمَ، إنَّ الساحرَ يضعُه في جيبه جيبِه نهارًا، وفي فمِه ليلًا". فقالتَ الملكةُ: "اذهبن وأحضرْنَه".



لجأت الفئرانُ الثلاثةُ إلىَ حيلةٍ ذكيةٍ، فعملْنَ مركباً صغيرًا
وأبحرْنَ إلىَ بلادِ الساحر. .تَركْنَ الفارَ العمياءَ علىَ الشاطئ:
لتحرسَ المركبَ وتسلّلت العرجاءُ ومقطوعةُ الأذنينِ إلى القصر.



انتظرَتا حتى غفا الساحرُ ونامَ وفمُه مفتوحٌ، والخاتم بينَ أسنانِهِ.
قالت مقطوعةُ الأذنين: "سأفعلُها!" وغمستْ ذيلها في زيتٍ ثم في فلفلٍ،
ورفعتهُ إلىَ أنَفِ الساحرِ، فعطسَ عطسةً عنيفةً، وتطايرَ الخاتمُ من
فمه كالقذيفة، في طرفة عينٍ، التقطتِ الفارُ العرجاءُ الخاتمَ، وهربْنَ
إلىَ المركب وأبحرْنَ. استيقظَ الساحرُ مذعورًا، لكنَّ الفئرانَ كانت قَد
أبحرتْ بعيدًا.



وفي عرضِ البحرِ، بينما هنَّ فرحاتٌ بالنصرِ بدأنَ يتشاجرْن:
"مَن منَّا تستحِقُّ الفضل؟" قالت العمياءُ: "أنا التي حرستُ المركبَ!"
قالت مقطوعةُ الأذنين: "أنا التي جعلتهُ يعطسُ!" قالت العرجاءُ:
"أنا التي التقطتُ الخاتمَ!" واشتدَّ الخلافُ، وفي لحظة غضبٍ، سقطَ
الخاتمَ من بين أيديهنَّ في البحرِ العميق.







صرختِ الفئرانُ مذعورةً: "كيفَ نَعودُ إلى ملكِتِنا وقَد ضيَّعْنا الخَاتمَ؟ الفئران ستَهلِك بسببِنا". نزلْنَ في جزيرةٍ مقفرة ليُنهين حَياتهنَ، لكنَّ الفَارَ العمياءَ، بينما هي تبحثُ عن طعام، وجدتْ سمكَةً ميتةً، أكلها، شَعرتْ بجسم صلبٍ في جوفها، فصرختِ:"الخَاتَمُ! الخَاتَمُ!



هرولتْ رفيقَتاها والتقطتا الخَاتمَ، وعادتَا مسرعتينِ بالمركبِ إلى جزيرةِ الملكةِ. وصلْن في الوقت المناسبِ، فالقبطانُ كان على وشك أنْ يُطلق قططَه على الفئرانِ. سلَّمته الفئرانُ الخَاتمَ، فأمسكَه وقَال:"أَيُّها الخاتمُ، أعِدْ سفينتي كما كانت".



وفي الحَالِ، عادتِ السفينةُ الذهبيةُ تَلمعُ، وعادَ الطاقَمُ الشُّبَانُ الوسيمون، والقديِسُ نيكولاس على الدَّفةً، وأبحروا إلى العاصمةِ.



أَلقى القبطانُ بنفسِه إلى القصرِ، فوجِدَ الساحرَ العجوزَ نائمًا، فَأمسكهُ وربَطهُ بحبالٍ متينةٍ، واحتضَنَ الأَميرةَ واحتضنتْهُ.



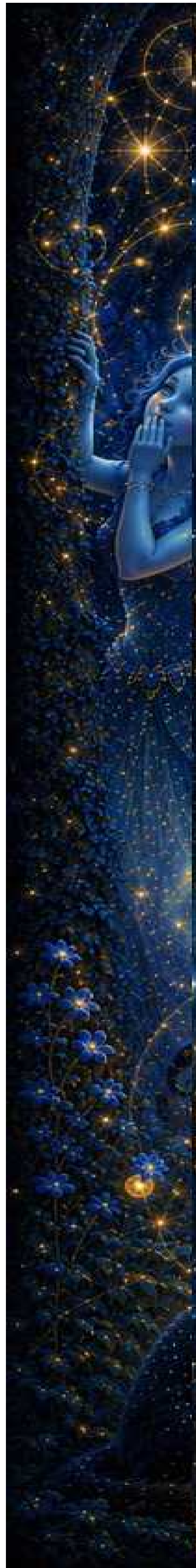
وفي اليوم التالي، ربطوا الساحرَ الشريرَ بذيلِ بِغلٍ وحشيٍّ محمَّلٍ بالجِوزِ، فانكسر الساحرُ إلى قطع صغَيَرةٍ بعدَدِ حبَاتِ الجوزِ على ظهرِ البَغلِ، وماتَ شَرَّ ميَتَةٍ.



وهكذا عاشَ ابنُ البستانيِّ والأميرةَ في سعادةٍ وهنَاء إلى آخرَ حياتهما، وعلِمنا أنَّ الطيبةَ تنتصرُ دائمًا، وأنَّ الحبَّ يكسرُ كَلَّ سحرٍ، وأنَّ الخَاتَمَ البرونزيَّ لا ينفعُ بِدُونِ قلبِ نقي يَستخدمُه..







انتهتِ الحَكَايةُ، وعاشَ ابنُ البستانيِّ والأميرةُ في مَمَلكتِهما،
لكنَّ القارئَ يبقَى معَ صورٍ متضاربةٍ عن بطلِها:
شابٌّ طموحٌ، ذكيٌّ، كريمٌ معَ الضعفاء، قاسٍ معَ أعدائِه،
يُهددُ الفئرانَ بالقَتلِ ليحصل على ما يريد،
ثُمَّ يَنسى جميلهم بعدَ أن يُحقِّق مراده، ويقتلُ كلاباً بريئةً
ليَستعمل رماد عظامِها.



هكذا هيَ الحكاياتُ القديمةُ:
لا تُقَدِّسُ أبطالَها، بلَ تعرضُهم كما هم،
بكُلِّ ما فيهم من نورٍ وظلٍّ:
وتتَركُ للقارئَ أن يُقرِّرَ أيَّ جزءٍ من قَلبهِ سيُعَطي للبطل،
وأيَّ جزءٍ سيُبقيه لنفسه.



وتبقى الحكايةُ مرآةً للقلب والعقلِ معًا،
تعلمنا أنّ القوةَ بلا رحمةٍ قد تُحَوّل البطل إلى ظلٍّ لنفسه،
بينما الحقُّ والخيرُ لا يكتملان إلا بالتواضع والوفاء،
فتظلُّ الحكاياتُ القَديمةُ تهمسُ لنا، جيلاً بعد جيلٍ:
اختَبِرْ نُورَكَ، واصنَعْ طريقَك، واحفَظ ما تبقَّى من قلبِكَ للرحمةَ.





الأمير سنبل والأميرة الصغيرة العزيزة

مملكَةٌ كان فيها ملكُ وقَع في حبّ أميرةٍ من أقصى بلاد الدنيا، لكنَّها كانت مسحورةٌ لا تستطيع الزواج من أحد. ذهبَ الملكُ إلى جنِيةٍ ليسألها عن الحلُ، فقالتْ له. الجنِيةُ: "أتعلمُ أنَّ للأميرة قطةً عظيمةً تحبُها حبًا شديداً؟ مَنْ استطاع أن يدوسَ على ذيلِ تلك القطةَ فهو رجلُها. ".



ظنَّ الملكُ الأمرَ سهلاً، ومضى ليفعلها، لكَنَّ القَطةُ كانت مراوغةً كالظلُ، تدورُ وتدورُ، فلا يطأُ ذيلَها. استمرَّ ثمانيةَ أيامٍ، حتى نامَتِ القَطةُ يومًا وذيلُها منبسطٌ، فداسَ عليه الملكُ بقَوةٍ. صرخت القَطةُ صرخةَ رهيبةً، وتحوَلتْ في الحال إلى رجَلٍ طويلٍ. حدَّق في الملكَ بعينينِ غاضبتين وقَال: "ستتزَّوجُ الأميرةَ لأنكُ كسَرتَ السحرَ، لكنَّني سأنتقَمُ منكُ.".



سيكونُ لكَ ابنُ، ولن يكونَ سعيداً حتى يكتشفَ أنَّ أنفه طويلُ جداً. وإنْ أخبرَتَ أحداً بما قُلتُهُ لكَ. ستختفي في لحظةٍ، ولن يراكَ أحدُ أبداً. " ضحكَ الملكُ من التهديدِ. لكنَّ الساحرَ اختفى، ومضى الملكُ ليتزَوج الأميرةَ.



طفلٌ وُلِدَ للملك بعدَ سنَواتٍ، اسَمُه "سنَبلُ"، وكانتَ عيناهُ زرقاوينِ وفَمُه كالياقوتة، لكَنَّ أنفَه كانَ ضخَمَاً يغطى نصفَ وجهه، حزنتِ الملكةُ حزَنَاً شديداً، لكَنَّ حاشيتَهَا طمأنُوهَا وقالوا: "هذَا أنفٌ رومانيٌّ، وكلُّ الأبطَال في التَارَيخِ لهمِ أنوفٌ كبيرَة".



صَدَّقَتِ الملكةُ، ونَشأَ الأميرُ سنَبلُ على حبِّ أنفِه، بل إنَّ المُربِينَ كانوا يروون له قصصاً عنِ عَظمَاءِ التَاريخ ذوي الأنوفِ الطويلَةَ حتَى صَارَ مقتَنعاً بِأنَّ جمال الرجُل في طولِ أنفهِ..



وفي يومِ من الأيام، بلغَ العشرينَ من عمره، فقالتْ له الملكة: "حَانَ وقَتُ الزواج". وعرضَتْ عليه صَورَ أميراتٍ، وكانتَ من بينهنَّ صَورةُ "الأميرَةِ الصغَيرةِ العَزيزَة".





حبٍّ عارمٌ اجتاحَ قَلبَ سنَبلِ حيْنَ رأى صورتَها، فقد كانتْ جميلةً كَالقمر، لكَنَّ أنفَها كانَ صَغيراً دَقيقاً، مَمًا أزعجَ حاشِيتَه الذَين تَعودوا على منَ الأنوفَ الصغيرة.



لكَنَّ الأميرِ كانَ مفتَوناً بها، ونفى اثنينِ من حاشِيته لأنهمٍ جروُوا على السخريِة من أنفها. بل إنَّ أحدَ المُقَرَّبِينَ أخبرَهُ أنَّ كليوباترا الجميلةَ أنفُها "مُفَلْطَّحَ الطُّرفِ" فكافأهَ الأميرُ بكرمٍ.



قَرَرَ أنْ يبعَثُ برسالةَ زواجِ إلى أَبيها، فوافقَ الملكُ. خَرجَ الأميرُ سنَبلُ ليقَابَلها، وكانَ قَلبهُ يَخفقُ كالطيرِ، لكَنَّه ما إنْ مدَّ يدَهَ ليقَبَلَ يدها حتى ظهرَ الساحرُ الشريرُ كالبرق، وخطف الأميرةِ الصغيرةِ من بينِ يديه، واختفى بها في لحظَةِ، تَاركَاً الأميرَ واقفاً مذهولاً مكسور القلب.



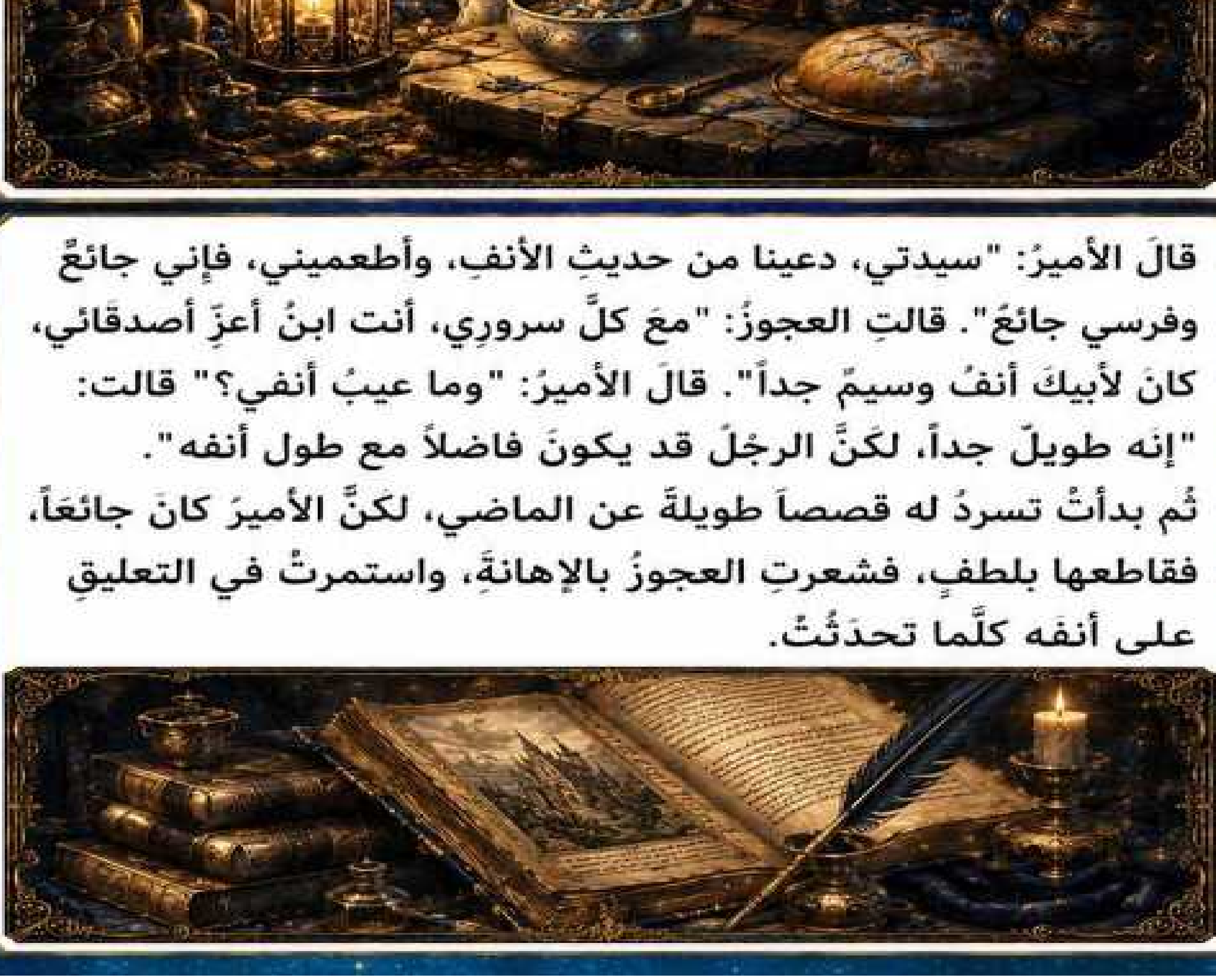
سفرَ بدأهُ الأميرُ سنبلُ حزيناً، ركبَ جوادَه وتركَ مملكتَه خلفَه، رافضاً أنَ يتبعهُ أحدُ. سارَ أياماً في سهولِ قاحلةِ، حتى اشتدَّ عليه الجوعُ والتعبُ، وفي المساءِ، رأى نوراً يخرجُ من كهفٍ، فاتجه إليه.



وجدَ عجوزاً صغيرةً في غايةِ القدِمِ، أنفُها قصيرٌ جداً، وما إنْ نَظرَ كلٌّ منَهما إلى الأخرِ حتى انفَجرا ضاحكينِ، وصاحا معاً:
"يا له من أنفِ مضحكِ!"



قالَ الأميرُ: "سيدتي، دعينا من حديثِ الأنفِ، وأطعميني، فإني جائعٌ وفرسي جائعٌ". قالتِ العجوزُ: "معَ كلِّ سرورِي، أنت ابنُ أعزِّ أصدقائي، كانَ لأبيكَ أنفُ وسيمٌ جداً". قالَ الأميرُ: "وما عيبُ أنفي؟" قالت: "إنه طويلٌ جداً، لكَنَّ الرجُلَ قد يكونَ فاضلاً مع طول أنفه".
ثُم بدأتْ تسردُ له قصصاً طويلةَ عن الماضي، لكنَّ الأميرَ كانَ جائعاً، فقاطعها بلطفٍ، فشعرتِ العجوزُ بالإهانةِ، واستمرتْ في التعليقِ على أنفَه كلَّما تحدَثتْ.



غضبَ ملأ قلب الأمير من كثرة تعليقات العجوز على أنفِه، وركبَ جوادَه ومضى في طرقات الدنيا، لكنَّهُ في كلِّ مكانٍ يذهبُ إليه، كانَ الناسُ يتحدثُون عن أنفِه، فيظنُّ أنهمِ مجانِين، لأنَه اعتادَ طوال حياتِه أنَ يسَمعَ أنَّ أنفَه وسيمٌ.



أما العجوزُ الجنَيةُ، فرأتْ أنَّ الحلَّ الوحيدَ لإسعادهِ هو أنْ تضعَ الأميرة الصغيرة في قصرٍ من كريستالِ شفافٍ، وتضعَ القصر في طريقِ الأميرِ. وعندما رآهَا، فرحَ فرحًا شديداً، وحاول بكلِّ قوتِه أنَ يكسر القصر، لكنَّهَ فشلَ.



حاولَ أنْ يُقَرِّب يده لتقبيلِ يدها، لكنَّ أنفَه الطويلَ كانَ يمنعهُ من الوصولِ إلِيَها. للمرةِ الأولى في حياتِه، أدركَ حقيقةُ أنفَه، وصرخَ باكياً: " حقاً، أنفَي طويلٌ جدَاً !"



تحطمَّ في تَلكَّ اللحظَةِ، تطايرَ قصرُ الكَرِيستَالِ شَظايا،
وظهرتِ العجوزُ الجنَيةُ وأَمسكتْ بِيدِ الأميرةِ وقالتْ للأميرِ:
"ألستَ الآنَ مدينًا لي بالشكر؟"



لقد حدَثَّتُك عن أنفكِ مرَاراً، لكَنَّكَ لم تُصدَقّ،
حتى وجدته عائقاً أمامَ ما تُحبُّ. هكذا حبُّ الذاتِ
يُعمي عيونَنا عن عيوبِنا، ولا نراها إلَا حينَ تعتَرضُ
طريقَ مصالحنا."



وعادَ أنفُ الأمير إلى حجمه الطبيعيَّ، وتزوَّج منَ الأميرةِ الصغَيرةِ،
وعاشا في سعادةٍ، بعدَ أنَ تعلمَ أنَّ الجمالَ ليسَ في طولِ الأنفِ،
بل في التواضعِ وقبولِ الحقيقةِ، وأنَّ الحبَّ لا يُقَاسُ بمسافاتِ العيوبِ،
بل بعمق القلوب.





شرقَ الشَمسِ وِغربَ القَمرِ

عائلةَ فقيرةَ، كان رَبُّها رجلاً كادحاً، له أولادٌ كثيرون، وطعامٌ قليلٌ، وثيابٌ باليةَ. كانوا جميعاً جميلين، لكنّ أصغرَ بناته كانتْ أجملَ منهُنّ جميعاً، جمالاً لا حدود له. وفي مساء خميسٍ خريفيٍّ عاصفٍ، بينما كانوا مجتمعين حولَ المدفأة، وإذا بثلاثِ بثلاث طَرَقاتٍ على زُجاجِ النافذةِ. خرجَ الرجلُ ليرى، فإذا بِدُبٍّ أبيضَ ضخمٍ واقفٍ هناك.



قالَ الدُّبُّ: "مساءَ الخيرِ". رَدَّ الرجلُ: "مساءَ الخير". قالَ الدُّبُّ: "هلْ تُعطيني ابنتكَ الصُّغرى؟. إنْ فعلتَ، فستُصبحُ غنيّاً كما أنْتَ فقيرُ الآن". تردّدَ الرجلُ، ودخلَ وَدخلَ ابنتَه، فقالتْ: "لا"!" لكنَّ الأب ألَحَّ عليها، وتحدّث عن الغنى الذي سيعودُ عليهم حتّى وافقتْ في النهايةِ، وَجهّزتْ نفسها، وغَسلتْ ثيابَها الرَّثّة، وركَبتْ على ظَهر الدّبِّ الأبيضِ، وانطَلقا.



سارا طويلاً، حتى قالَ لها الدُّبُّ: "أخائفة أنت؟" قالتْ: "لا". قال: "تمسكَي بفروي جيدا، فلن يمسّك سوء ". وصلا إلى جبلٍ عظيم، ضرَب الدُّبُّ عليه، فانفتح بابٌ، ودخلا قلعةً مضاءةً بالذهب والفضّة. أعطاها الدُّبُّ جرساً فضيّاً، وقال: "إنْ احتجتِ شيئاً، فاقرعِي هذا الجرس، سيحضُر ما تريدين". أكلَتْ. ونعستْ. وقرعت الجرسَ. فوجدتْ نفسها في غرفةٍ بسرير من حرير مذهَب. لكنّها لماّ أطفات الضوء، جاءَ رجلٌ ونَام بَجانبها، وكانَ هو الدُّبُّ الأبيضَ الذي يخلعُ هيئتَه ليلاً، لكنّها لمْ ترهُ قطّ، لأنه كان يأتي بعد إطفاء الضوء الضوءِ ويذهبَ قبلَ الفجر.



شوَقٌ غمَر قلبَ الفتَاةَ، فالحياةُ في الجبلِ كانتْ وحيدةً، واشتَاقتْ إلى أبيها وأمُّهَا وإخوتها. سألها الدُّبُ عن حزنِها، فأخبرتهُ، فقال: "هناكَ علاجٌ لذلكِ، إنْ وعدتني ألاّ تتحدَّثي معَ أمِّكِ وحدكِ، بل بحضرة الآخرين، فإنَّها ستُمسكُ يدك وتريدُ أنْ تُدخلَك غرفةً لتتحدَّثَ معكِ وحدكِ، لكنَّك لا تفعليِ ذلك أبداً، وإلاَّ جلبتِ الشقَاء علينا".



وفي أحدِ الأحدِ، حملَها الدُّبُ إلى بيتِ أبيها، وكَانَ المنزلُ قد تحوّلَ إلى مزرعة جميلةٍ لكنْ الأ الأمُ، كَما تنبأَ الدُّبُ، أصرّتْ على التحدُّثْ معَ ابنتها وحدها، وأقنعتْها أنْ تحمل معها شمعةً، وتنظر إلى الرجل الذي يأتيها ليلاً، محذِّرةً إيّاها من أنَّها قد تكونُ نائمةً معَ "ترول" (غول).



حملَتِ الفتاةُ الشمعةَ، ورجعتْ إلى القلعة، وفي الليلِ، لمَّا نامَ الرجلُ، أشعلتِ الشمعةَ، ونظرَتْ إليه، فإذا هو أميرٌ وسيمٌ كالقمر، أحبّتْهُ حبّاً جارفاً، حتى أنّها قبّلتْهُ، لكنَّ ثلاثُ قطراتٍ من الشمع الساخِن سقطتْ على قميصه، فاستيقظَ مذعوراً وقال: "ماذا فعلتِ؟ لوْ انتظرتِ عاماً واحداً لكنتُ تحرّرتُ. لكنْ زوجةَ أبي الساحرة سحرتني، فأنا دُبٌ أبيض نهاراً، وإنسانٌ ليلاً. والآنَ، كلُّ شيءِ انتهى بيننا، وسأضطرُ للذهابِ إلى قلعتِها، التي تقعُ شرقَ الشمسِ وغربَ القمر، وهناكَ أميرةٌ أنفُها طولُه ثلاثةُ أذرعٍ، وهي التي سأتزوَّجها". بكتِ الفتاةُ، لكنَّ مضى.





بحثُ بدأتْه الفتاةُ بعد أن استيقظَتْ في الصباح لتَجد القَلعة قد اختفتْ، وهي وحدها في غابَة كثيفةٍ، ومعها حُزمةُ خرقها القديمة. سارتْ أياماً طوالاً، حتى بلغتْ جبلاً، وإذا بعجوزٍ تجلسُ وتلعبُ بتفاحةٍ ذهبيَة. سألَتْها الفتاةُ عن الأمير، فقالت العجوزُ: "أنتِ التي كان من حقِّها أنْ تتزوَّجَه؟ هاكِ تفاحتي الذهبية، واركبي فَرسي حتى تَصلي إلى أختي".



ركبت الفتاةُ، ووصلتْ إلى عجوزٍ أخرىٍ بمشْطٍ ذهبيٍّ، فأعطَتْها إياهُ وأرسلَتْها إلى ثالثةٍ بمغزلٍ ذهبِيٍّ. وبعد أنْ أعطَتْها الثالثةُ المغزل، أرسلَتْها إلى رَيح الشرق، وقالتْ: "اسأليه عنِ القلعة".



ركبت الفتاةُ ريحَ الشرق، ثمَّ ريح الغرب، ثمَّ ريح الجنوب، وكلُّهُم يُرسلُها إلى الذي يليه، حتى بلغتْ ريح الشمالِ، أقواهم جميعاً. قالِ ريحُ الشمالِ: "أنا أعرفُ الطريق، لكُنَّكَ ستخافينَ من سرعتي". قالتْ: "لا أخافُ، خذني.". حملها ريحُ الشمالِ على ظهرهِ، وطارَ بها، حتى كادتِ الأمواجُ تلمسُ كعبيَها من شدَّةِ التعبِ، ثمَّ ألقى بها على الشاطئِ تحتَ نوافذِ القلعة التي تقعُ شرق الشمس وغرب القمر.



قَلعةً كَانَتْ تَلكَ القَلعةُ، وهَنَاك رَأَتِ الفتَاةُ الأميرَةَ ذَات الأنف الطويل. القتَاةُ تحتَ النَوافذِ، وبَدَأتْ تلعبُ بالتفاحةِ الذُهبيَةِ. فتحَتِ الأمِيَرَة النَافذةَ وَقالتْ: "بَكمُ هذه التفاحةُ؟" قَتالت الفتَاةُ: "لا تُباعُ بَذهبِ وَلا فضَة، لكنَّ إن سمَحْتِ لي بالدَخوَلِ إلى الأميرِ هذهِ الليلة، فَأنَا أعطيكَ إيَّاها".



وافقَتِ الأميرَةُ، لكنَّها أعطتِ الأميرَ شراباً مُنوِّماً، فنام ولم يَستيقَظْ طوَال الليلِ، مهما نَادَتْهُ القتَاةُ وَبَكتْ. وفي الليلة الثانَيةِ، أعطتِ القتَاةُ المُشط المُشط الذهِبيَّ، لكنَّ الأميرِةَ كرَرَتِ الحيلة، ونامِ الأميرُ مجدَداً.



وفي اليومِ الثَالث، صارَ هناك مسيحيُّونَ أسرى في القَلعةِ، سمعوا بكاءَ الفتَاة، فَأخبروا الأمير بما حدثَ. وفي المساء، حينَ جاءَت الأميرَةَ بَالشرابِ المُنوِمِ، تظاهرَ الأميرَ بالشربِ، لكنَه ألقى بهِ خلفهَ. وعندَما دَخلتِ الفتَاةُ، كان مستيقظًا، فتعرَّفَ عليها، واتَّفقا على خُطَةِ.





قميصٌ كانَ هو الحلُ" قالَ الأميرُ للفتاة : "غداً، سأطلبُ منَ العر وسَ أنْ تغسِلَ القميصَ الذي عليهِ ثلاثُ قطراتِ الشمعَ. ولنْ تستطيعَ فعَلهَا لأنَّها تروَلٌ فستغسلَينَهُ لأنَّنكِ منْ بني البشرِ".
وفي الصباح، طلبَ الأميرُ من الأميرة ذاتِ الأنفِ الطويلِ أنْ تغسلَ القميصَ، فغسلَتْ هي وأمُها وكلُ الترولات، لكنَّ البقَعَ كانتْ تكَبرُ وتسودُ كُلَّما غسلَن.



عندَها، نادى الأميرُ الفتاةَ التي كانتْ جالسةً تحتَ النافذة: وقَالَ: "تعالي أنتِ".
أخذَتِ الفتاةُ القميصَ، وغمستْه في الماء، فعاد أبيضَ كالثَّلج.
صرَخَ الأميرُ : "سأتزَوجُكَ أنَت.".
وهنا، غضبُت الأمُ الترولةُ غضباً شديداً حتى انفجرَتْ، وانفجرَت الأميرةُ ذاتُ الأنَفِ الطوِيل وكلَ الترولاتَ الصغار، ولم يَرَ لهم أثرٌ منذُ ذلكَ الحين.



وتزَوَجَ الأميرُ والفتاةُ، وأطلقَا سراحَ كَلُ الأسرى المسيحيين،
وحملا معهما كَلَّ الذهبِ والفضة التي استطاعا حمَلهَا،
ورحلا بعيدَاً عن تلكَ القَلعةَ التي كانتْ تقَعُ شرق الشمس وغربَ القَمر،
وعاشَا في هناء لَم ينقطعْ، بعد أنْ علَمَتْنا الحكايَةُ أنَّ الحبَّ الحقيقيَّ
لا يَهابُ السفرَ إلِى أقَاصي الدنيا، ولا يَخاف رياحَا عاتيةً،
ولا يترَدَدُ في إجتياز المستحيل، ما دامَ هناكَ قَلبٌ ينتظرُ
وروحُ تؤمنُ باللقَاء.



القزمُ الأصفرُ

عائلةً فَقَيرة، كانَ ربُّها رجلاً كادحاً، له أولادٌ كَثيرون، وطعامٌ قليلٌ، وَثيابٌ باليةٌ. كانوا جميعاً جميلينِ، لكَنَّ أصغرَ بِناتِه كانتْ أجملَ منهنَّ جميعاً، مُلكَةٌ عجوزٌ كَانتْ تَعيشُ في قصرٍ شاهقٍ، وقد رزِقَتْ بِبنتٍ وحيدةٍ هي كَلُّ ما تبقَّى لها منْ ذريَّةٍ.





كانتِ الأميرةُ تُدعى "بِيلِسبِيما" (أي الجميلةُ جداً)، وقد نشأتْ على حبِّ الذاتِ والغُرورِ، حتّى صارتْ تزدري كَلَّ خاطبٍ يتقدَّمُ إليها، وتَستصغِرُ كَلَّ ملكٍ أو أميرٍ يُبدي إعجابَه بها. لم تكُنْ ترضى إلاَّ بنفسها، وكانتِ المَلكةُ تَدلِّلُها وتُشجِّعها على هذا الغرورِ، حتّى أرسلَتْ صورتها إلى مُلوكِ الجوارِ، فافتُتِنوا بها جميعاً، لكنَّها لم تلتفتْ إلى أحد منهم.



وفي يومٍ من الأيامِ، ألَحَّتِ الملكَةُ على ابنتها أنْ تَختارَ زوجاً، فقالتِ الأميرةُ ببرودٍ: "أنا سعيدةٌ كما أنا، يا أماه، دعيني في حالي". يئستِ الملكةُ، وقرَرتْ أنْ تَستشيرَ جنيةً عجوزاً تُعرف بـ"جنيةِ الصحراءِ" ، لكنَّ الطريقَ إليها كَانَ محفوفاً بالمخاطرِ، إذ كَانتْ تَحرسُها سباعٌ ضاريةٌ لاَ تَعبأ إلاَّ بكَعكَةٍ مَعيَّنةٍ تُصنعُ منَ دقيقِ الدخن والسكَّرِ وبيض التماسيح.



كعكة صنَعتْها الملكة بيديها، وخرجتْ تَبحث عن الجنيةِ في الصحراء لكنَّ التعب غلَبها، فنامتْ تحت شَجرة برتقالٍ، وعندما استيقظَتْ، وجدتِ الكعكةَ قد اختفَتْ! وفي تَلكِ اللحظة، سَمعتْ زئير السباع تقترَبُ، فخافتْ خوفاً شديداً.



وإذ بصوتِ صغيرٍ يأتي من فوق الشجرةِ، فرفعتْ رأسها ورأت قزماً أصفرَ الوجه، صغيرَ الجسم، طويلَ الأذنين، يأكلُ البرتقالَ. قالَ لها القزمُ: "أنا أعرفُكِ يا ملكةُ، وأعرفُ أنَّ السباعَ ستأكُلكِ لأنّك فقدتِ الكعكةَ، لكنْ إنْ وعدتني بأنْ تُزَوِّجيني ابنتَكِ الجميلةَ، فسأنقذُكِ". تردَّدتِ الملكةُ، لكنَّها لمَا رأتِ السّباعَ تقترَبُ، صرختْ: "نعم، نعم، سأزَوِّجَكِ إيَاها!"



فَفتحَ القزمُ باباً في جذعِ الشجرةِ، ودخلتِ الملكةَ، ووجدتْ نفسها في كوخٍ صَغيرٍ، حيثُ أخذَها القزمُ إلى حَقلٍ من الشوكِ والقراصِ، وأخبرَها أنَّ ابنتَها ستَعيشُ معه هناك، تأكلُ الضفادعَ وتشرَبُ من الجدولِ. صَعقَتِ الملكةُ وغشيَ عليها.



عودةً إلى القصرِ، وحينَ أفَاقتِ الملكةُ، وجدتْ نفَسها في سريرها، ترتدي أطيب ثيابِها، وتتَذكرُ وعدها الرهيب. حزنتْ حزَناً شديداً، وذابَ جسدُها، ولمَاً سألَتْها الأميرةُ عن سببِ حزنِها، تملَصتِ الملكةُ من الإجابةِ.



لكنَّ الأميرةَ، التي كانتْ ذكيةً رغمَ غرورِها، قرَّرتِ أن تذهب بنفسها إلى جنية الصحراء لتستشيرها. صنعتْ كعكةً، وَخرجتْ في الليلِ، لكَنَّها عند شجرةِ البرتقال، توقَّفَتْ لتأكلَ بعضَ الثمارِ، وفَقدتْ كعكتَّها كما فَقدتْها



وإذْ بالقزمِ الأصفَر يظهرُ أمامها، وتكرَّرَ المشهدُ: عرضَ عليها إنقاذَها من السباعِ بشرطِ الزواجِ، لكَن الأميرةَ رفضَتْ بسخَريةِ. وعندما اقتربَتِ السباعُ، خافتْ ووافَقتْ على مَضضٍ، ثمَّ غشَي عليها. وعندما أَفَاقَتْ، وجدتْ في إصبعها خاتمَاً من شعرةٍ حمراء، لا تَستطيعُ نزعه.



يأسَ وقلق عمَ القصر، والأميرةُ صامتةٌ حزينةٌ. وفي هذهِ الأثناءِ، جَاء وفدٌ منَ كبارِ المملكة يطلبِون من الملكة أنَ تُزَوِّج الأميـرةَ كي تَستقرَّ المملكةُ.



وافقتِ الملكةُ، واختارتِ الأميرةَ - بعدَ تردُّدٍ – ملك مناجِم الذهب، شاباً وسيماً غنيَّاً قوياً، كان يحبُّها من بعيدٍ. فرِح الملكُ الشابُ، وبِدأت الاستعداداتُ لعرسٍ لم يرَ التاريخُ له مثْيلاً.



أرسِلتِ السُفُنُ لجِلب الجواهرِ، وصنِعتِ الثِّيابُ من الفضة والذهب، وكان الملكُ يكتبُ الأشعارَ لأميرتِه، ويعزِفُ لها على أوتارِ القلوب. وفي ليلةِ العرسِ، كان الجميعُ في أبهى حَلّةٍ، والملكةُ تضعُ التاج على رأسِ ابنتِها، والملكُ الشّابُّ ينتظرَها بفارِغِ الصبر.





فاجعةٌ هَزَّت القصرَ حينَ ظهرَتْ جنيةُ الصحراء، راكبةٌ على غريفينٍ مجنح، وبجانبها بازيليسقان ضخمانِ يجرّان صندوقاً مُقفلاً. صرَخت الجنيةُ: "هو، هو! أيتها الملكة! هو، هو! أيتها الأميرة! أتَظُنّان أنكما ستخرجان من هذا بلا عقاب، بعد أن نقضتما الوعد الذي قطعته الملكة لصديقي القزم الأصفر؟ دونه وشجرته البرتقالية، كانت أسودي العظيمة ستأكلكما. وفي أرض الجنيات، لا نسمح بالإهانةِ"؛ ثم أضافت: "قرّرا الآنَ ما ستفعلانه، فأنا أقسم أنَّ الأميرة ستتزوج القزم الأصفر، وإلاّ فسأحرق عصاي!"



غضبَ الملكُ الشابُ، وسحبَ سيفَه، وقالَ للجَنيَةِ:
"ابتعدي عنَ بلادي أيها المخلوق البائس،
وإلاّ سأقتلكَ وأتخَلص منَ شركِ".



لكنَّ الصندوقَ انفتح، وخرجَ منه القزمُ الأصفرُ راكباً على قطةٍ إسبانيةٍ ضخمةٍ، وصرخَ في وجهِ الملكِ: "أنتَ منافسي! الأميرَةُ لي!"



سخرَ المَلكُ منه وقال: "أيُها القزمُ البشعُ، أتَجرؤ على المَطالبةِ بهذِه الأميرة؟ أتعَلم أنّكَ قبيحٌ لَدرجة أنّ النّظر إليكَ يُقزّزُ النفس؟" فاشتبكا في مبارزة عنيفةٍ، وما إنْ بدَأ القتالَ حتى اشتعلتِ السماءُ حمراءَ كالدم، وأظلمَ النهارُ حتى كادتِ العيونُ لا تُبصرُ، وتشقّقَ الجَوُّ بالرعودِ الهَائلة، وتطايرَ البرَق كأنّهُ يُريدُ إحراقَ العالمَ.



وإذْ بالبازيليسقينِ العملاَقين يظهرانِ عن يمينِ القزمِ وشمالِه، كالجبلين الشاهقينِ تنفثُ أفواهُهما وآذانُهما ناراً متأججةً كأفران الجحِيم. لكنَّ المَلكُ الشابُ لم يخفْ لهيبَها، بل ثَبتَ ببسالةٍ جعَلتِ الحاضرَينَ يَطمئنون، وربما أربكتِ القزمَ الأصفرَ نفسَه.



وفي تلكَ الأثناءِ، انقضّتِ الجَنيةُ على الأميرةِ، وطَعَنتْها برمحِهَا، فسقطتْ غائبَةً عَنِ الوعي في أحضانِ المَلكة، وانشغل المَلكُ بها، فانتهزَ القزمُ الفرَصة، وَخطَفَ الأميرة الأميرة وطارَ بها فوق سطحِ القصر.





أسرٌ وقَع فيهِ الملكُ الشابُ، إذْ حملتْه الجنيةُ بعيدًا إلى كهفٍ مظلمٍ، وقيَّدَتْه بالسلاسلِ. لكنَّ الجنيةُ، التي كانتْ قَد وقَعتْ في حبِّ الملكَ تزَيَنَتْ لَه وأظهرتْ لَه حبَّها، فخدعتّها الملكُ بِإظهار الاهتمامِ بِها ، حتى حتى أطلَقَتْ سراحه وركَبتْ معه في مركبةِ البجعِ.



وفي أثناءِ تحليقهمِ، رأى الملكَ الأميرةَ محبوسةً في قلعةٍ من الفولاذَ اللامعِ، تبكي وحدَها، ورأته الجنيةُ ينظرُ إليها بحسرةٍ، فغارتْ منه.



لكَنَّ الملكَ تظاهرَ بأنَّه لَم يَعدُ يَهتمُ بالأميرةِ، وقَالَ للجنية: "إنَّها مجرَّدُ ذكرى عابرةٍ، أماَ أنَتِ فأنَتِ كَلُّ حياتي". صدَّقتْه الجنيةُ، ودخلَتْ به قصرَها الزُجاجيَّ.



فرارً منَ قصرِ الجنيةِ، بمساعدةِ حوريةِ البحرِ التي أشفقَتْ على الملكِ، وأعطتْهَ سيفًاً سحرياً من الألماسِ، وأخذتْهُ إلى قلعةِ الفولاذِ حيثُ الأميرةُ.



وهناكَ، واجهَ الملكُ وحوشا كَثيِرةً، وقطعها بسيفِهِ، حتى بلغَ الأميرةَ. لكَنَّهُ في لحظةِ لقائهَا، أسقطَ السيفَ السحريَّ، فانقضَ عليه القَزمُ الأصفرُ وسرقَهُ، وأمرَ عمالقَتَهُ بتقييدِ الملكِ.



وعندَما رفَضتِ الأميرةُ الزواجَ من القزمِ، طعنَ القزمُ الملكَ في قلبِه بالسيفِ المسروقِ، فسقطَ الملكُ ميتاً. وما إنْ رأتِ الأميرةُ حبيبَها يموتُ حتى انهارتْ عليه، وماتتْ فوق جسدِهِ، وهي تهمسُ باسِمهِ.



نخيلتَانِ طويلتانِ نبتَتَا مكان العاشِقِينِ، تتداعبانِ بأغصانِهما، وتهمسانِ بسِرِّ الحبِّ الذي لا يموتُ. أَمَا القزمُ الأصفَرُ، فَقد فَضَّلَ أنْ يَرَى الأميرةَ ميتَةً على أنْ يَرَاها في أحضانِ غيرِهِ.



وأمَّا جنيةُ الصحراء، فَلَمَّا علِمَتْ بخيانةِ الملك لها، هدَمتْ ضريحه، واندَلَعتْ غضبًا، لكنَّ الحوريةَ الطيِّبةَ حوَّلَتِ العاشِقِينِ إلى نخيلينِ متلاصِقينِ، يَشهدانِ على عِظَمِ الحبِّ الذي لا تُطفِئُهُ النارُ، ولا يَكسِرُهِ السيف، ولا يمحوهُ الموتُ.



وهكذا انتهتْ حكايةُ القزمِ الأصفَر، حكايةُ الحبِّ الذي يَعلُو على السحر، والوفَاء الذي يَنتصر على الموتِ، وإنْ كان الانتصارُ في شكلِ نخلةٍ تهزُّ أغصانَها للريح.



ذاتُ الرداءِ الأحمرِ

قريةٌ صغيرةٌ في أطرافِ الغابة، كانتْ تسكُنها فتاةٌ صغيرةٌ هي أَجملِ ما رآتْ عين في تلك النواحي. كانتْ أَمُّها تُحبُّها حبًّا شديداً، وجدَّتها تُحبُّها أكثرَ.



وفي أحدِ الأيامِ، صنعَتْ لها جدَّتُها رداءَ أحمرَ قانيًاَ من قماشِ ناعِمِ، فأصبحَ يُلائِمُها لدرجةِ أنَّ الجميعَ صاروا يُنَادونَها "ذاتَ الرداءِ الأحَمرِ".



وفي يومِ من الأيامِ، قالتْ لها أمُّها: "اذهبي يا صغيرتِي، وتفقَّدي جِدَّتَكِ، فقد سمعُنا أنَها مريضةٌ، خُذي معكِ هذَه الكعكةَ، وهذا الإنَاء الصغيرَ من الزبدةِ".





انَطلقتْ الفَتاةُ مسرعةً نحوَ منزل جدَّتها في القريةِ المجاورة. وفي طريقها، عبِرَتِ الغابةَ الكثيفةَ، حيثُ كانتِ الأشجارُ تُظلّلُ الطريق، والطيورُ تُغرُدُ فوقَ رأسها.



وبينما هي تَسيرُ، إذا بِذَئبٍ كبِيرٍ يخرجُ من بين، الشجيراتِ، ويقفُ أمامَها. كان الذَئبُ يَنظرُ إلَيها بعينينِ لأمعتين، وَيلَهثُ بشغفٍ، فَقدُ كان يتَمنَّى أن يأكلَها لكنَّهَ لمَ يجروُ بسبِبِ وَجودِ الحطّابِينَ في الجوار.



ابتَسمَ الذَئبُ ابتَسامةً عريضَةً، وقَالَ لها بصوتِ ناعمِ:
"أينَ تذهبِيَنَ يا صغيرتي؟"



أجابتْ الفتاةُ ببراءةٍ، وهيَ لا تدري أَنَّ التَحدُّثَ معَ الذِئبِ خَطرٌ:
"أناَ ذاهِبةٌ إلى منزل جدَّتي، لأُعطيها كعكةً وإناءَ من الزبدةِ أرسَلَتُها لِي أمي."



سألُها الذِئبُ: "هلْ منزلُها بعيدٌ؟" قالتْ: "نَعم، إنَّهَ خَلفَ تلكَ الطاحونةِ، أوَّلُ بيتٍ في القريةِ، تحتَ شَجرةِ البلوطِ الكبيرةِ."



قال الذِئبُ في نفسِه: "هذهِ الفتاةُ الصغيرةُ ستكونُ وجبَةً شهيةً، لكنَّ الجدَّةُ أيضاً ستكونُ طعاماً طيباً، لا بأسَ سأكلُهما معاً".
ثُمَّ قَال لها بصوتٍ هادي: "حسناً، سأَذْهبُ أنا أَيضاَ لزيارتِها. سأسلكُ هذا الطريق، وأنتِ ستسلكينَ ذاك، وسنرى منْ يَصِلُ أوَّلاً".





بَدأَ الذِّئبُ يركضُ بأسرعِ ما يستطيعُ في أقصر طريقٍ، بينما توقَّفَتْ الفَتاةُ في الطريقِ لتَلتقط بعضَ البندقِ، وتطارِد الفراشاتِ الزَّرقاءَ، وتقطفَ باقاتٍ من الأزهار البريَّةِ لتُهْدِيها لجدَّتها.



وصلَ الذِّئبُ إلى منزل الجدَّة قَبلَها بوقتٍ طويلٍ، وطرقَ البابَ بهدوءٍ.
قالتِ الجدَّةُ من الداخلِ بصوتٍ ضعيفٍ: "مَنَ هناك؟" أجابَ الذِّئبُ مُقلِّدًا صوتَ الفَتاةِ الناعم: "أَنا حفيدتُكِ، ذات الرداءِ الأحمر، جئتُكِ بكعكةٍ وإناءٍ من الزبدةِ أرسَلَتْها لك أميّ". قالتِ الجدَّةُ: "اسحبي المزلاجَ، سيفتحُ البابُ".



سحبَ الذِّئبُ المزلاجَ، وانفتحَ البابُ، فدَخلَ الذِّئبُ مسرعًا، وانقضَّ على الجدَّة المسكينة التي كانتْ راقدَةً في سريرِها، والتهمها في لحظةٍ، فقدْ كانَ جائعاً منذُ ثَلاثة أيامٍ. ثُمَّ أغلقَ البابَ، وارتدى ثيابَ الجدَّةِ، وارتدَى قبعتَها الكبيرةَ، وارتمى في سريرها ينتظرُ الفتاةَ.



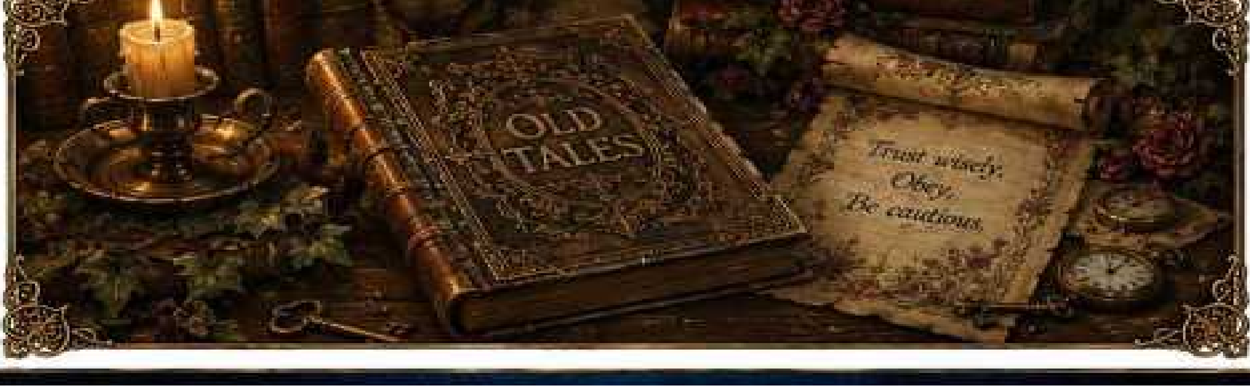
وصلتِ الفتاة إلى المنزِلِ بعدَ حينٍ، وطرقتِ البابَ. قالَ الذئبُ من الداخلِ بِصوتِ خفيضٍ متعبٍ يُقلّدُ الجدّة: "اسحبِي المزلاجَ، سيفتحُ البابُ". سحبَتِ الفتاةُ المزلاجَ، ودخلتْ، ووضعتِ الكعكةَ والزبدةَ على المائدة: ثمَّ اقترَبَتْ من السريرِ، فنظرتْ إلى جدتها فاستغربَتْ من مظهرها، فقالتْ بحيرةٍ:"،
" يا جدّتي، ما أطوَلَ ذراعيْكِ! ": قالَ" قالَ الذئبُ: "لأحضُنكِ بها يا صغيتي".
"يا جدّتي، ما أطولَ أذنيكِ" "لأسمعكِ بها". قالتْ" يا جدّتي، ما أوسعَ عَينيكِ."
"عَينيكِ". قال: "لأراكِ بها". قالتْ: " يا جدّتي، ما أضخمَ أسنانكِ"



هنا، زأرَ الذئبُ زأرةً مدويّةً وقال: "لأأكلك بها!". وقفزَ منَ السريرِ، وانقضَّ على الفتاة المسكينة، والتهمها في لحظةٍ، ولمَ يَبقَ منها سوى ردائِها الأحمرِ الأحمرِ الذي كانَ ملقًى على الأرضِ.



وانتهت الحكايةُ كما انتهتْ، دونَ نجاةٍ، ودونَ حطّاب ينقذُها في تلكَ الروايةِ القديمة.
. إنّها حكايةٌ تُذكّرنا بأنَّ الثقةَ بالغرباء قد تكونُ قاتلةً، وأنَّ الطاعةَ للوالدينِ ليستْ مجرّدَ كلمةٍ، بل درعٌ يحمي من الوحوشِ التي تتخفّى خلفَ الألفاظِ الناعمة. هكذا الحكاياتُ القديمةُ: لا تُجمّلُ الواقعَ، بل تعرضُه بعريِهِ، وتتركُ للقارئِ أنْ يستخرجَ يستخرجَ العبرةَ بنفسه.





الجمالُ النّائمُ في الغابةِ

أمنيةٌ راودتْ ملكاً وملكةً، فَلمْ يرْزُقا بطفلٍ، وسافرا إلى كلِّ الينابيع المقدَّسةِ،
ونَذرا النذُورَ، وفَعلا كلَّ ما يفعلةُ العاشقون المحرومونَ،
لكنَّ الأقدار تأبّتْ طويلاً.
وفي النهايةِ، رُزِقا بابنَةِ، كانتْ كالقمرِ في ليلة تَمامهِ.



أُقيمتْ حفلةُ تعميدٍ فخمَةٌ، ودُعيتْ إليها كلُّ الجنياتِ اللواتي وُجِدْنَ
في المملكةِ، وكنَّ سبعاً، لكي تُهديَ كلُّ واحدةٍ منهنَّ هديةً للطفلةِ،
كما كانَ عادةُ الجنيات في ذلك الزمانِ.



وبعدَ انتهاءِ حفلِ التعميدِ، عادَ الجميعُ إلى قصرِ الملك،
حيثُ أُعِدّتْ مأدبةٌ عظيمَةٌ، ووُضع أمام كلِّ جنيةٍ صحنٌ من الذَهب الخالصِ،
وفيهِ ملعقةٌ وسكِينٌ وشوكةٌ من ذَهب مُرصَّعٍ بالألماسِ والياقوت.



وليمةً كَانتْ عَلَى وشَكِ أَنْ تَبدَأ، لكَنَّ بابَ القاعةِ انفتَحَ فجْأةً، ودخَلَتْ جنيةٌ عَجوزٌ لم تُدَعَ إلى الحفلِ، لأَنَّها لم تَخرُجْ مِن برجِها منذُ أَكْثَرَ من خمسينَ سَنةً، وَكَانَ الجميعُ يَظنُّونِها ميتةً أَوَ مسحورَةً.



أَمرَ الملكُ بأَنْ يُوضَعَ لها صَحنٌ، لكَنَّه لمَ يستطِعُ أَنْ يُقدِمَ لهَا صَحَنًا من الذُهبِ كَما قَدَّمَ للجنياتِ السَبعِ، لأَنَّه لم يُصَنعْ سوى سَبعةٍ. شَعرتِ العجوزُ بِالإِهانةِ، وَأَخذَتْ تُتمتمُ بتِهديداتِ بينَ أَسَنانِها.



سمعتْها إِحِدى الجنياتِ الصغيراتِ، وَخافتْ أَنْ تُهدَيَ العجوزُ هديَةَ شَريرةً للأَمِيرةِ، فاختبأَتْ خلف ستائِرِ القاعةِ لتَكون آخرَ من يتحدَّثُ، وَتُصلِحَ ما قَدْ تُفسِدُهَ العجوزُ.





هدايا بدأتِ الجنياتُ تُقدِّمُها للأميرةِ الوضيعةِ: الأولَى وهبتْها أنْ تَكونَ أَجملَ إنسَانةٍ في العالم، والثانيةُ وَهبتْها عقلَ ملاكٍ، وَالثالثةُ وَهبتْها رشَاقةً لاَ تُقَاومُ في كلِّ ما تُفعلُ، والرابعةُ وهبَتْها رقَصًا مثالياً، والخامسَةُ وَهبتْها صوتاً كالبلبلِ، وَالسَادسَةُ وَهبتْها موهبةُ العَزفِ علَى كَلِّ الآلاتِ الموسيقيةِ.



وحانَ دورُ العجوزِ، فَهزَّتْ رأَسَها هزَّةً مليئةً بالحقدِ، وقالتْ بصوتٍ أجشَّ: "ستطْعنُ الأميرةُ يدَها بمغزلٍ، وتموتُ منَ الجرحِ". ارتجَّتِ القاعةُ، وانفجرَ الجميعُ في البكَاءِ.



لكنَّ الجنيةَ الصغيرةَ قَفزَتْ من خَلفِ الستارةَ وقالَتْ: "لا تخافوا، لن تموتَ الأميرةُ، بلَ ستغفو في نومٍ عَميقٍ يدومُ مائةَ عامٍ، وفي نهايتهِ يأتي ابنُ ملكٍ ويُوَقِظُها".



أمرَّ أصدرَهُ الملكُ فوراً، فنهي كُلّ الناس في مملكته عنِ الغزلِ باستخدامِ المغازِلِ، بل عنِ امتلاكِ أيِّ مغزلٍ في بيوتهم، تحتَ طائلةِ الموتِ.



ومضتْ خمس عشرةَ سنةً، والأميرةُ تنمو في حمايتِها. وفي يومٍ منَ الأيامِ، بينما كانَ الملكُ والملكةُ في أحد قُصورِهما البعيدةَ، صعدتِ الأميرةُ إلى أعلى بَرجِ في القصرِ، ودخَلَتْ غرفةً صغيرةً، فوجدتْ عجوزاً طاعنَةً في السنّ تجلسُ وحدها وتَغزلُ بَمغزلها، لأنّها لَم تسمعْ قَطُّ بمرسومِ الملك.



قالتِ الأميرةُ: "ما هذَا الذي تفعلينَه يا جدتي؟" قالتِ العجوزُ: "أنَا أغزِلُ ياَ صغيرتي". قالتِ الأميرةُ: "كَم هذا جميلٌ! دَعيني أُجرِّب". وما إنْ أمسكَتِ المغزَلَ حتى وخَزَتْ يدَها، وسقَطَتْ مغشيّاً عليها.





نومٌ عَميقٌ حَلّ بالأميرةِ، وحملها الحراسَ إلى أجمل غرفة.
في القصر، ووضعوها على سريرٍ من ذُهبٍ وفضة، وكانتْ
كالملاكِ في جمالها، خذاها ورديَّان، وشفتاها ياقوتيتان،
لكنَّ عيتيها مغمضتان.



أمرَ الملكُ ألا يَزعِجَها أحدٌ، بل تنامُ حتى يحين وقتُ يقظتِها.
وفي تلكَ الأثناءِ، كانت الجنيةُ الطيبةُ التي أنقذتَ حياتَها
بعيدةً في مملكة "ماتاكين"، على بُعد اثنتَي عشرة ألفَ فرسخ.



لكنَ قزما صغيراً يرتدي حذاءَ سبع فراسخ أخبَرَها بما حدثَ،
فأتَتْ مسرعة في مركبةٍ من نارٍ تجرُّها تنانينُ.



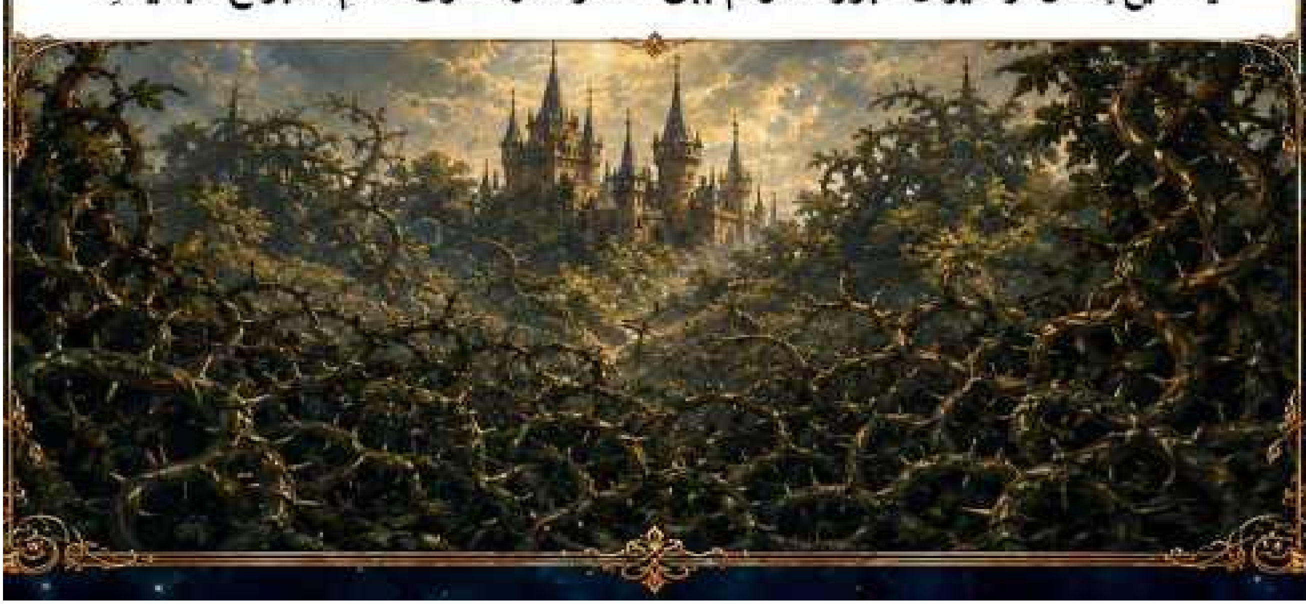
سكَونٌ شاملٌ عَمَّ القصر، إذْ لمستِ الجنيةُ بعصاها السحرية كلَّ شيءٍ القصر، ما عدا الملكَ والملكَةُ: المربياتِ، وخادماتِ الشرفُ، والحراس، والطهاة، والخيولَ في الإسطبلات، والكلَابَ في الفنَاء، وحتى الكلبَ الصَغيرَ "موبَسي" الذي كان نائمَاً بجانبِ سيدتهِ.

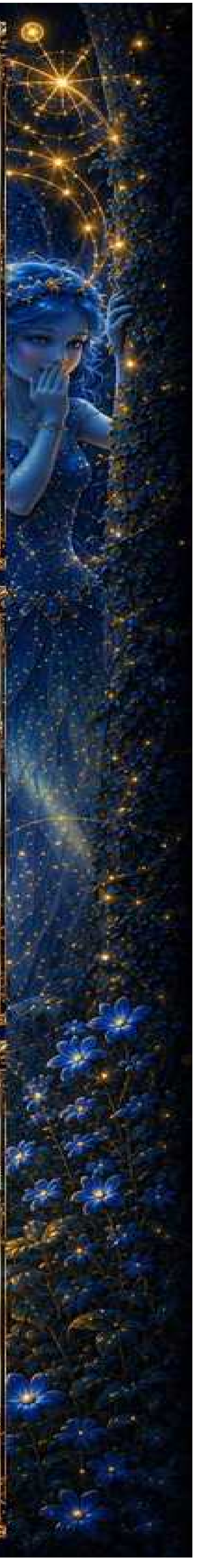


وفَي لحظَةٍ، نامَ الجميعُ، حتَى السيوفُ المشويةُ عَلى النارِ نامتْ أيضاً.



ثُمَّ نبتتْ حولَ القصرِ غابِةٌ كثيفةٌ من الأشجارِ والشوك، متَشابكَةٌ بحِيثُ لا يستطيعُ إنسان أو حيوانُ عبورَها، ولمَ يبقَ ظاهرا منها سوى قممِ الأبراج البعيدةِ.







قَرْنٌ من الزمانَ مضى، وماتَ الَملك والَملكةُ، وتوارثَ الُملوكُ العرشَ، ونسيَ الناسُ تلك القلْعةَ الُمسحورة.



وفي أحد الأيَامٍ، خرجَ ابْنُ الملك الحاليَّ للصيد في تلك النواحي، فرأى أبراجاً تظلُّ من وسط الغابةِ الكثّيفةِ، فسأَلَ عنْها، فقال له فلاحٌ عجوزٌ: "يا مولاي، سمعتُ من أبِي، الذي سمعَ من جدّي، أنَّ في هذه القلعة أميرةً نَائمةً منذُ مائةِ عامٍ، وأنَّها ستُوقظُ على يِد ابْن ملك."



اشتعلَ قَلبُ الأميرِ شغفاً، ومضى نحو الغَابةِ، فانفَرجتْ له الأشجارُ والشوكُ من تلقَاء نفسها، ومشى في ممشىً واسعٍ، ودخلَ القصر، حيثُ رأى حراساً نائمينَ وهم يحملونَ رماحَهم، وخدماً نائمينَ في أوضاعٍ غريبةٍ، حتى بلغ غرفة الأميرِة.



لقاءً كان كالحلمِ، فقدْ رأى الأميرةَ نائمةً على سريرٍ من ذَهبٍ، منها مرتعشاً، وخرَّ على ركبتَيه أمامها.



وفي تلكَ اللحظة، انقضى سحرُ المائة عامٍ، ففتَحتِ الأميرةُ عينَيها ونظرَتْ إليهِ بنظرةٍ أعمق من الحياةِ نفسها، وقالتْ: "هل أنَت أنَت يا أميري؟ لقد انتَظرتُكَ طويلاً".



تحدثا اربعَ ساعاتٍ متَواصلةٍ، دون أنْ يَشعُرا بالوقتِ، وفي النهايةِ، تزَوجا في كنَيسة القصرِ، دون أنْ يَعلمَ أحد، وعاشاَ معاً سنتينِ كاملتينِ، رُزَقا خلالها بطفلينِ: ابنةٌ أسمها "الصباحُ"، وابنٌ اسمهُ "النهارُ"، لأنَهُ كان أجمل منَ أختهِ.





خطرٌ محَدقٌ بالأسرةِ السعيدةِ، فقدْ كانَ لأميرِنا أمٌّ من نسلٍ آكلي البشرِ (أوجريس)، وَكانَ الملكُ قد تزوَّجها طمعاً في ثروتِها، وَكانتْ تشتَهي أكلَ اللحم البشريِّ الطازجِ.



وَلمَّا ماتَ الملكُ، عادَ الأميرُ وزَوجتُه إلى العاصمةِ، لكَنَّه سرعَانَ ما اَضطرَّ إلى الذهابِ للحربِ، تاركَاً المملكةَ في يِدَ أَمِهَ الشريرةِ، ومُوصياً إيَّاها خيرَاً بزَوجتَهِ وطفليه.



وما إنْ غادرَ حتى أرسلَت الأمُّ الآكلةُ للبشَرِ زَوجةَ ابنها وأطَفاَلَها إلى كوخٍ في الغابةِ، ثُمَّ أَمرَتْ طبَّاخ القصرِ أنْ يَخضرُ لها الطفلةَ "الصَباح" لتأكُلها في العَشاء.



خداعٌ كانَّ سلاخَ الطبّاخ المسكينِ، فقدْ ذَهبَ إلى الطفلة الصغيرة التي كانَتْ تَلعبُ وتضحكُ، لِكنَّه لم يِستطعْ أنْ يُمسك سكينَه، فَذبحَ حملًا صغَيراً وطهاهُ بصلصِةِ شهيةِ، وأكلَتِ الملكةُ بِشراهةٍ، وظَنَتْ أنَها أكلتِ الطفلةَ.



وبعدَ أَسبوعٍ، طلَبتْ "النهارَ"، فكرَّرَ الطَبّاخُ خديعتَهُ بجِدٍّ صغيرٍ، وفي المساء الثالثِ، طلَبت الملكةُ أنْ تأكلَ زَوجة ابنِها الشَابةَ، فوقف الطبّاخُ حائرَاَ، لكنَّه ذهبَ إليِها وأخبَرها بالأمرِ، فقالتِ الأميرةَ: "افعلْ ما أمرتْ أمرِتَ بِه، لألحقَ بأطفالي".



لكنَّ الطَبّاخَ كشف لها أنَّ أطفالها أحياءٌ، فاختبأوا جميعاً في غَرفَتهِ، الطبّاخُ ظَبْيةً صغيرةً وأطعمها للملكةِ.



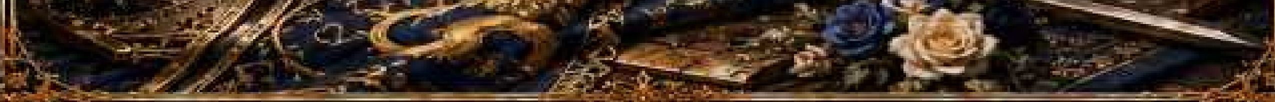




فضيحةٌ انكشفَتْ في إحدى الليالي، بينما كانتِ الملكةُ الأَمُّ تتَجوّلُ في أفنِيةِ القصرِ، إذْ سمعتْ صوتَ "النهار" يبكي لأنَّ أمَّه تُريدُ أن تُجلدَه، وصوتَ "الصباحِ" تَستعطفُ لأخيها، فعرفَتْ الأصواتَ، وصرختْ غضبَاً، وأمرتْ بإحضارِ حوضٍ ضخمٍ مملوءٍ بالضفادعِ والثَعابِينِ والصلُ، ليُلْقَى الأميرةَ وأطفالُها والطبّاخُ وزَوجتُه.



وقفوا جميعاً على حافّةِ الحوضِ، والأيدي مُقيَدَةٌ خلفَ ظهورِهم، لكنَّ في تلكَ اللحظةِ، عادَ الملكُ من الحربِ على حصانِه مسرِعَاً، ورأى المشهدَ المرعِبِ، فَسألَ عن الأمرِ، ولمّا عرفَ الحقيقةَ، اندَفعَتْ أمُهُ الأَكلةُ للبشَرِ نحوَ الحوض غضبَاً، وسقطَتْ فيه، فالتهمتَها الوحِوشُ في لحظةِ.



خلاصٌ عَمّ القصر، واحتضنَ الملكُ زَوجته وأطفالَه، وعاشوا جميعاً في هناءِ بعدَ أنْ علّمتنا الحكايةُ أنَّ السحرَ قدْ يكونُ نعمةً مَؤجّلةً، وأنَّ الحبَّ ينتصرُ علىَ الزمنِ، وأنَّ الشرَّ يأكُلُ نفسه في النهايةِ. هكذا تنتهي حكايةُ الجمال النائم، تاركةً في القلبِ أملَ اليقظة بعدَ كلُ نوم، وفرحةَ اللقاءِ بعدَ كلُ انتظارِ.



سندريلا

أَرَمَلَ كانَ نَبَيلاً ثرِيًا، تَزوَجَ من امرأةٍ متكَبرةٍ متعجرَفةٍ، كانتْ أَرملةً قَبلَهُ،
وَلَهَا ابنتانِ تِشَبهانِها فيَ الكِبَرِ والغُرِورِ.
وكان لِهذَا النبيلِ إبنَةً من زوجَتِهِ الأوَلىَ، فتاةً في غايةِ اللطفِ والحَسَنِ،
وَرَثَتْ أخلاَقَ أمُها الطَيبَةِ التيَ كانتْ ألطفَ مخلوقةً فيَ الدنيا.



وما إنِ انتهتْ مراسمُ الزِفافِ حتىَ أظهرتْ زوجةُ الأب حقَيقتها،
فلمَ تستَطِعْ أنَ تَتحمَلَ فضائلَ الفَتاةِ الجميلةِ، لأنَها كانتْ تُبرِزُ عيوبَ
ابنتيها، فأنزلتَها إلىَ أقَسىَ الأعمالِ، غسل الأطباقِ، وتنظيفِ الغُرفِ،
وصقلِ الأَرَضيات.



كانتْ الفَتاةُ تَنامُ فيَ علَيّةٍ حقَيرةٍ علىَ فراشٍ من القَشِ،
بيَنما كانتْ أختاها تَنامانِ فيَ غُرفِ فخَمةٍ، بمرايا تُرَيهما صَورَهُما
من الرأسِ إلىَ القَدمِ.





صبرٌ عجيبٌ كانَ للفتاةِ، فقدْ تحمّلتْ كلَّ هذا دونَ شكوى، ولم تجرؤْ على أبيها، لأنَّ زوجتَه كانتْ تتحكّمُ فيه تماماً.

وبعْدَ الانتهاءِ من الأعمالِ، كانتْ تجلسُ في زاويةِ المدفأةِ بينَ الرمادِ والغبارِ، فسُميتْ "سندريلا" (أي الفتاةُ الرماديَّة).

لكنَّ أختَها الصغرى كانتْ تُناديها بهذا الاسم برِفقٍ، بينما كانتِ الكبرى تسخرُ منها.

ورغم ثيابِها الرَّثَّةِ، كانتْ سندريلا أجملَ مئةَ مرةٍ من أختيها اللتينِ كانتا كانتا ترتديانِ أفخرَ الثيابِ.



حفل أقامَه ابنُ المَلكِ، ودُعيَتْ إليه كلُّ شخصياتِ المجتمعِ الراقيةِ، ومن بينهم أختا سندريلا، اللتانِ كانتا تختارانِ الثيابَ والإكسسواراتِ بحماسٍ شديدٍ. طلبتا من سندريلاَ أنْ تساعدَهما في كيِّ الملابسِ وتصفيفِ الشَّعرِ، فوافقتْ رغم كلِّ شيءٍ. ظلّتا يومينِ دونَ طعامٍ من شدةِ الحماسِ، وكسرتا أكثرَ من اثني عشرَ شريطاً في محاولةِ شدِّ الخصرِ، وظلّتا أمامَ المرآةِ طوالَ الوقتِ. وفي يومِ الحَفلِ، انطلقتا إلىَ القصرِ، وبقيتْ سندريلا وحدَها تبكي بحُرقةٍ.



وفي يومِ الحفلِ، انطلقتا إلى القصرِ، وبقيتْ سندريلا وحدَها تبكي بحُرقةٍ.



عَجوزٌ ظهرتْ فجأةً، كَانتْ عَرَّابَتُها الجنيةَ، فسألَتْهاَ عن سَببِ بكَائها.
قالَتْ سَندريلا: "أتَمَنَّى لو أستَطيعُ الذَّهابَ إلى الحفل".
قالتِ الجنيةُ: "كَوني فتاةً صالحةً، وسَأدبِّرُ لكِ ذلكَ".



ثُمَّ طَلبتْ منها أنْ تُحضرَ لها يقطينةً من الحديقة، فأَحضَرتْها،
فضَربَتْها الجنيةُ بعصَاهَا، فتَحوَّلَتْ إلى عربةٍ ذَهَبيةٍ رائعةٍ.
ثُمَّ نظرتْ إلى مَصيدةِ الفئرانِ، فوجدتْ ستَّةَ فئرانٍ حيَّةٍ،
فضَربَتْ كَلَّ واحدٍ منها بعصَاها، فتَحوَّلَ إلى حصَانٍ جميل،
فصَارَ لديها سَتَّةَ خيولٍ رماديَّةٍ مُرَقَّطَةٍ.



وبَحثَتْ عن جرذٍ في المَصيدةِ، فوجدتْ ثلاثةً، اختارتْ أكَبرَهُمَ ذَقَناً،
فضَربَتْهُ فعصَاهَا، فتَحوَّلَ إلى مدربٍ سَمِين جذوعَ.
ثُمَّ طَلبتْ سَتَّةَ سَحاليَّ من خلفِ إبريقِ الماء،
فضَربَتْها فتَحوَّلَتْ إلى سَتَّةِ خدَمٍ يرتدون الزيَّ المذهَبَ.





حذاءً زجاجيٌّ أعطتْه الجنيّةُ لسندريلا،
وكان أجمل حَذاءٍ في العالمِ.
ثُمَّ حذَّرتْها: "لاَ تَبقي بعدَ منتصفِ الليلِ ولو لدقيقةٍ واحدةٍ،
وإلاَّ تحَوَّلتِ العربةُ إلى يقطينةٍ، والخيولُ إلى فئرانٍ، والخَدَمُ إلى سحالِيٍّ،
وثيابكِ إلى خرَقٍ".



وعَدتْ سَندريلا، وانطلَقَتْ إلى القصرَ.
ومَا إنْ دخلَتِ القاعَةَ حتّى ساد الصَمتْ،
وتوقّفتِ الموسيقى، وهُمسَ الجمِيعُ:
"ما أجمَلَ هَذَهِ الغريبةَ!"
حتى الملكُ العجوزَ لم يستطِعُ أنْ يرفعُ عَينيَّهَ عَنها.



قدَمها ابنُ الملك إلى أرقى مقعدٍ،
ثُمَّ دَعاها إِللرقص،
فرقصَتْ برشاقةٍ لم يرَ لها الجمهورُ مثَيلاً.



هروبٌ عندما سمعتْ سندريلا الساعةَ تدقُّ الحاديةَ عشرةَ والثلاثةَ أرباعَ، انطلَقَتْ مسرعةً إلى العربةِ، لكُنَّها شعرتْ بالحنين إلى أختَيْها، فجلستْ معهما وأعطتْهما برَتقالاً وليموناً منَ هدايا الأميرِ، فاندهشَتا من كرمِ هذهِ الغريبةِ دونَ أنْ تَعرِفاها.



وعندَما عادتْ إلى المنزلِ، وجدتِ الجنيَةُ تَنتظرُها، فطلَبتْ منها الإذنَ بالذَهابِ في اليومِ التالي. وفي اليومِ التالي، ذهبتْ سندريلا إلى الحفل بثيابٍ أفخم من سابقَتَها، ونسِيتْ وصيَّةَ الجنيةِ، وعندَما دقَّتِ الساعةُ الثانيةَ عشرةَ، هَربتْ مسرعةً، لكُنَّها أسقَطتْ أحدَ حذائيْها الزجاجيَّيْنِ على الدرجِ.



التقَطَه الأميرُ بحرصٍ، وأمرَ الجنودَ بالبحثِ عن صاحبتِهِ.







بحثْ عَمَّ المملكَةِ، فجَرِبَ الحذاءَ على كلَّ أميرةٍ ودوقةٍ،
لكُنهُ لم يَلقْ بِأيَّ قدمٍ.
وعندما وصَلَ إلى منزل سندريلا، هرعَتْ أختاها لتُجَرِّبا الحذاءِ،
لكُنَّ أقدامَهما كانتْ كبيرةَ جدًّا.



نظرتْ سندريلا إلى الحذاءِ وقاَلَتْ بضحكَةٍ:
"دعيني أُجَرِّبُ". ضحكَتْ أختاها وسخَرتَا منها،
لكنَّ المبعَوثْ الملكَيَّ أصَرَّ على أنْ تُجَرِبَ كلَّ فتَاةٍ.



جلَستْ سندريلا، وضعَتْ قَدمَها في الحذاءِ، فلاَمَسَها كأنُه صُنِعَ لها.
وهنَا، أخرَجتْ من جيبها الحذاءِ الأخرَ، وارتَدتُه،
وفي تَلكَ اللحظةِ، ظهرتِ الجنيَةُ وضربتًها بعصَاها،
فعادتْ ثيابُها أفخمَ من أيَّ وقتٍ مضى.



اعتَرافٌ منَ الأختينِ، فِسقطَتِا عندَ قدمَيَّها
تطلبانِ العفَوَ، فضمَتَّهما سندريلا وقَبَلَّتُهما، وقَالتْ:
"أنا أسامحَكَما من كلِّ قلبي".



ثُمَّ ذهبتْ إلى الأميرِ، وتزوَّجا في حفلٍ باذجٍ،
وسامحتْ أختيَّها، بلَ زوَّجتُهما من رَجُلينِ نبيلينِ
في القَصرِ.



وانتَهتِ الحكَايَةُ، تَاركةً في القَلب أمل أنَّ اللطفً يَنتَصرُ على
القسَوةِ، وأنَّ الحلمَ يَخَلِقُ منَ الرمادِ عالَماً جديدًاً،
وأنَّ الحذاءِ الزجاجيِّ قد يكونُ أصلبَ من الفَولاذِ
إذا كانَ يَحَملُ حُلَماً.





علاءُ الدينُ والمصباحُ السحريُ

خياطٌ فقيرٌ كانَ يدعى مصطفى، يعيشُ في إحدى مدنِ الصينِ، وله ابنٌ اسمُه علاءُ الدين، كانَ فتىً مُهملًا كسولًا، لا يُحبُّ إلّا اللعبَ في الشوارعِ مع أمثالِه منَ الأولادِ العاطلينَ. حزنَ الأبُ على ابنهِ حزناً شديداً حتى مات، لكنْ علاءُ الدينِ لمْ يتغيّرْ رغمَ دموعِ أمِّه وتوسُّلاتها، وفي يومٍ من الأيامِ، بينما كانَ يلعبُ في الشارعِ، تقدَّمَ منه غريبٌ يرتدي ثياباً فاخرةً، وسألَه عنْ عمرِه وعنْ اسمِ أبيه. قالَ علاءُ الدينُ: "أنا ابنُ مصطفى الخياطِ لكنَّه ماتَ منذُ زمنٍ". عندها، احتضنَ الغريبُ علاءَ الدينِ وقبَّلَه، وقالَ له: "أنا عمُّك، لقدْ عرفتُكَ منْ شبهِكَ بأخي مصطفى. اذهبْ إلى أمِّكَ وأخبرْها أنّي قادمٌ".



ساحرٌ كانَ ذلكَ الغريبُ في الحقيقةِ، ساحرًا أفريقياً ماهراً، قرأَ في كتبِه السحريةِ عنْ مصباحٍ عجيبٍ يمنحُ صاحبهُ قوةً لا تُقاومُ، وكانَ يعلمُ أنَّ هذا المِصباحَ لا يُستخرجُ منَ الكهفِ إلّا على يدِ فتىً معيَّنٍ، فاختارَ علاءَ الدينَ لهذهِ المُهمةِ. ذهبَ علاءُ الدينِ إلى أمِّه وأخبرَها، فتعجَّبتْ وقالتْ: "كانَ لأبيكَ أخٌ، لكنّي ظننتُه ميتاً". ومعَ ذلكَ، أعدَّتِ العشاءَ، وجاءَ الساحرُ ومعهُ النبيذُ والفاكهةُ، وأخذَ يُحدِّثُ علاءَ الدينَ عنِ التجارةِ، وعرضَ عليهِ أنْ يفتحَ لهُ محلًا ويُزوِّدَه بالبضائعِ، ففرحَ الفتى.



وفي اليومِ التالي، اشترى لهُ الساحرُ ثياباً فاخرةً، وطافَ بهِ في أنحاءِ المدينةِ يُريه معالمَها، ثمَّ عادَ بهِ إلى أمِّه التي فرحتْ فرحاً شديداً.



رحلةً إلى الجبالِ، حيثُ قادَ الساحرُ علاء الدينَ إلى وادٍ ضيِّق بينَ جبلينِ، وأشعلَ ناراً، وألقى فيها بخوراً، وتلاَ كلماتٍ سحريَةً، فانفَتحَتِ الأرضُ، وانكشَف حجرُ مربَّعُ عليهِ حلقةٌ نحاسيةٌ. قال الساحرُ لعلاء الدينَ: "انزلْ إلى هذا الكهف، ستَجِدُ ثلاثَ قاعاتٍ كبِيرةٍ، لا تلَمسْ شيئاً وإلاَّ مُتَّ. ثُمَّ تمضِي إلى بستانِ منَ الأشجار المثمرةِ، وفي آخرهِ مشكَاةٌ يَعلوها مصباحُ، اصرفَ الزيتَ الذي فيِهِ، وائتني بهِ". وأعطاهُ خاتَماً وقالَ:" هذا يحميك ".



نزَلَ علاءُ الدينُ، وفعلَ كلَّ ما طُلِبَ منه، وجمعَ بعضَ الثِمارِ التَي كانتَ في الحقيقةِ جواهرُ مُبينةٌ. ثُمَّ عادَ حاملاً المصباحَ. لكنَّ الساحرَ صرخَ فيهِ: "ناولنِي المصباحَ!"



رفضَ علاءُ الدينُ أنْ يُعطِيَهُ إيَّاَهُ قبلَ أنْ يخرجَ منَ الكهف، فغضَبَ الساحرُ وألقى بخوراً آخرَ وأغَلق الحجرَ على علاءِ الدينَ، تاركاً إيَّاهُ في الظلامِ.



وحدةً عاشها علاءُ الدينُ في الكهفِ يومينِ باكياً، حتَى فركَ الخَاتمَ الَذي نَسِيَ أنْ يأخذَهُ منه، فظهرَ جنِيٌّ هائلَ وقَال: "أنا عبدُ الخَاتمِ، أمْرُكَ بيَنَ يِديَ". صرخَ علاءُ الدينُ: "أخرِجنيَ منْ هنَا!" فانفَتَحَتِ الأرضُ، وخرجَ إلى النورِ.



وعندَما عادَ إلى أمِّه، أخبرَها بما جرى، وأرَاها المصباحَ والثِمارَ التي كانتْ جواهرَ. طلَبَ منها طعاماً فَقَالَتْ: "ليسَ في البيتِ شيءٌ، لكنِّي سأبيعُ القُطنُ الَذي غزَلْتُه". قَالَ علاءُ الدينُ: "دَعيَه، سأبيعُ المصباحَ بِدلاً منهُ". ولأنَّ المصباحَ كان مُتَّسِخاً، أخذَتْ أمُه لتُمسحَهِ، فظهرَ جنِيٌّ هائلٌ آخرَ، هو عبدُ المصباحِ، وقَالَ: "أمرُكَ بيَنَ يديَ ". خافتِ الأمُّ وغشيَ عليها، لكنَّ علاءَ الدينَ أمسك المصباحَ وقالَ بجرأةٍ: "أحضرِ لنا طعاماً".



فأحضرَ الجنِيُّ صحونًا منَ الذُهبِ والفضةِ مملوءةً بأطيبِ المأكولاتِ. عاشَ علاءُ الدينُ وأمُه منَ المالِ الذي حصلَ عليه ببيع الصحونِ، سنواتِ طويلةً.



حبَّ نَشأَ في قلبِ علاءُ الدينِ حِينَ سمَعَ أنَّ ابنةَ السلطانِ ستَخْرُجُ للَحمَّامِ، فأمرُ السلطانُ الجميعَ بالبقاء في منازِلِهمِ وإغلاقِ المَصاريعِ. اَختَبأ علاءُ الدينُ خَلفَ بابِ الحمَّامِ، ورَأَى الأُميرةَ ترَفَعَ نقَابها، فَكاَنَتْ كالقَمرِ في تمامِه، فوقعَ في حبِّها منَ اللحظَةِ الأولَى.



عادَ إلى أمه وهوَ متُغَيرُ الوجهِ، وأَخبرَها أنَّهَ يرَيدُ الزواجَ منَ الأَميرةِ، فضحكتْ، لكَنَّهُ أصَرَّ، ودَفع أُمَّه لتَذهبَ إلى السلطانِ ومعها الجواهَرَ التيَ جلبها منَ الكهفِ.



ذهبتِ الأمُ إلى القصر أياماً متتاليةَ، حتى لاحظَها السلطانُ وسأَلَها عَمَا تُرَيدُ، فأخبرتْه عن اَبِنْها، فعرضتِ الجواهرَ، فأنبهرَ السلطانُ واستَشارَ وزيَره، فقَالَ الوزيرُ: "أمهلهُ ثلاثَةَ أَشهرٍ، لعَلَّ اِبنيَ يحضرُ ما هو أفضلَ". وافقَ السلطانُ، وعادتِ الأمُ بخبرِ سارَّ .





انتَظارٌ طويلٌ مضى، لكَنَّ عَلاء الدينَ لمَّا علِمَ أنَّ ابنَ الوزيرِ سيتزوجُ الأميرةَ بعدَ شهرينِ، استدعى جنيَّ المصباحِ وقالَ: "أحَضرُ لي الليلةَ الأميرةَ وابنَ الوزيرِ".



وفي الَليلِ، نُقلَ السريرُ بمنْ فَيه إلى غَرفةَ علاءِ الدينِ، فأخرجَ الَعريس إلى الَبرد، وبات إلى جوار الأميرة دونَ أنْ يُؤْذيها. وفي الَصباح، عادَ بهما الجنيُّ إلى الَقصرِ.



تكَرَّرَ الأَمرُ في الليلة الثانية، فشكا ابنُ الوزيرِ للأميرة، وطلبَ فسخ الخطبة، فوافقَ السلطانْ.



بناءُ قصر فخَم لعَلاءِ الدين بأمرِ الجنيّ، حيّنَ حَانَ موعدُ الزَواج، بنَى لهُ قصراً من الرخَام الأبيَض، مُزّيَنًا بالياقوَت والزَمرد، وأعطاهَ ثياباً ملَكيّةً، وخيولاً، وعبيدا، وأمر الجنيّ بأنْ يَفرِشْ طريقاً منَ المخملِ بين قصره وقصرِ السلطان.



وعنَدما رأى السلطانُ هَذا البهاءَ، أذْهَلَهُ، وزَوَّجَ ابنتَه منْ علاءِ في حَفلِ لم يرَ التاريخُ لهُ نَظَيراً.



مكرُ ساحرُ أفريقيٍّ، وهوَ أخوَ الساحر الأول، سمعَ بقصة عَلاء الدين، وعرفَ أنَ المصباحَ هو سرُ نجاحه، فجاء إلى المدينة متَنكّرا، وصاحَ في الشوارعِ: "مصباحُ جديدٌ بقديم!" وكانَ المصباحُ السحريُّ قدَ نَسيه علاء الدين في القصر، فأرسلت الأميرةَ خادمة لتُبادله، فَأعطتَه المصباحَ القديمَ، وأخذتْ جديدًا. عندَهَا، أمر الساحرُ جنيَّ المصباحَ أنَ ينقَل القصر والأميرةَ إلى افريقيا.





ألَم عظيمُ أصابَ السلطانَ حينَ رأى قصر ابنته قد اختفى، واتَّهم علاء الدين، وأمر بالقبض عليه، وكاد أنْ يقطعَ رأسه لولا تَدخُلَ الوزير. عاشَ علاءُ الدينَ، أيامِ يبحثُ عن الأميرة باكياً، حتى فَركَ الخاتَم الذي كانَ لا يزالُ في إصبعه فَظهر جنيُّ الخاتم، وأخبره أنَّ المصباحَ في افريقيا، لكنَّه لا يستطيعُ ردَّ القصر بل يستطيعُ أنْ ينقلَه إلى هناك. نقلَه الجنيُّ إلى أفريقيا، ووجدَ الأميرة تبكي في القصر، فاتَّفقا على خدعةٍ: أنْ ترتَديَ الأميرة أجملَ ثيابها، وتستقبلَ الساحرَ بترحابٍ، وتطلُبَ منه أنْ يشربَ معها خمراً مُسمَّما.



انتصارٌ جاءِ الساحرُ، وشربَ الخمر المسمومَ، فَسقطَ ميتاً. أخذَ علاء الدين، المصباحَ منْ جيبه، وأمرَ الجنيَّ أنْ يُعيدَ القصْرِ والأميرة إلى الصين. وعندَما استيقظَ السلطان ورأى القصرَ عادَ، هرَعَ إليه، وضمَّ ابنَتَهُ وحَفيدَه، وعاشَ الجميعُ في هنَاءِ، وتَسلَّمَ علاءُ الدينُ الحكمَ بعدَ السلطان، وحكَمَ بالعدل سنواتِ طويلةً.



هكَذا علَمتنَا حكَايةُ علاء الدين أنَّ الحظَّ قدْ يأتي منْ حيثُ لا نَدري، لكنَّ الذكاء والشجاعةَ هما منْ يُبقيان النعمةَ، وأنّ المصباحَ السحريَّ لا يصنعُ المعجزاتَ وحدَه، بل القَلبَ الطموحُ هوَ منْ يُضيءُ الطريق.



حِكَايَةُ الفَتَى الَّذِي انطَلَقَ لِيَتَعلَّمَ مَا هُوَ الخَوفُ

أَخوانَ كانا لِرَجلٍ، أكبرُهما كانَ ذَكياً فطِناً، يعَرفُ ما يَفعَلُ في كلِّ أمرٍ، وأمَّا الأصغرُ فكانَ بَلِيداً، لا يَستطيعُ أنْ يَتعلَّمَ أو يفهُمَ شَيئًا. حتَّى إنَّ منَ رآهُ قالوا: "ما أثقَلَ هذَا على أبيه!"



وكانَ إذا احَتاجَ الأبُ إلى شيءٍ في الليلِ، وطريقُهُ يَمرُّ بالمقَبرِة أو بموضعِ موحشٍ، قالَ الأكبرُ: "لا، يا أبتِ، لا شَيء يَحملِني على الذَهابِ، إنَّهُ يُقَشْعِرُ بَدَني!"



وَأمَّا الأصغرُ فكانَ يَسمعُهُم يقَولونَ: "يُقَشْعِرُ بَدَني!" ولا يَدرِي ما معَناهُ، ويقَولُ في نَفْسِهِ: "كلُّهُم يَقولونَ يُقَشْعِرُ ! يُقشْعِرُ ! وأنا لا أشَعُرُ بشَيءٍ! لعلَّها موهبَةُ لا أستَطيعُ إدراكَها!"







عتابٌ وجّهَهُ الأبُ لابنِهِ ذاتَ يومٍ، فَقَالَ لَهُ: "أَنتَ تَكبُرُ وَتقَوى، وعَليكَ أَنْ تَكسِبَ قَوتَكَ. انظُرْ إلى أَخيكَ كُيفَ يَجْعَلُ جِهدُهُ، أَمَّا أَنا فَقَدَ أَضَعتُ كُلَّ مَا أَنْفَقْتَهُ على تَعليمِكَ."



فَأَجابَ الفَتَى: "سأَتعَلَّمُ بِكَلِّ سرَورٍ، بَلْ لو أَستَطيعَ أَنْ أَتَعَلَّمَ ما هُوَ الخَوفُ! فَهذَا مَا لا أَفْهُمَهُ البتَّةَ."



فَضَحِكَ أَخوهُ وقالَ في نَفْسِهِ: "ما أَحمقَ أَخي!" وتَنَهَّدَ الأبُ وقالَ: "ستَتَعَلَّمُ الخَوفَ قَرَيباً، لكَنّ ذَلكَ لنْ يُكسِبَكَ رِزقاً."



حيلةُ ساكنِ الكنيسةِ، فَقَدْ جاء لزيارتهم، فَشكَا لهُ الأَبُ حَال ابِنهِ، وقَالَ: "إِنَّهُ طَلبَ مني أنْ أَعَلِّمَهُ الخَوفَ!" فَقَالَ ساكنُ الكنيسةِ: "إنْ كانَ هذَا كلَّ ما يرِيدُ، فسأُعَلِّمُهُ ذَلكَ، أرسلَهُ إليَّ". فأَرسلَهُ الأَبُ، وكانَ منَ المُطلوبِ مِنهُ أنْ يقَرَعَ النَاقوس.



وفي ليَلةِ، أيقَظَهُ ساكنُ الكنيسةِ في مُنتَصفِ الليلِ، وقالُ لهُ: "قُم إلى البُرجِ واضرِبِ النَاقوس، وسأُعَلِّمُكَ الخَوفَ". ثُمَّ سبِقَهُ خُفْيَةً وصَعِدَ إِلى البُرجِ، وتَخَبأ على هيئةِ طيفِ أبِيض. فَلمَّا رآهُ الفتَى، صَاحَ بِهِ: "منْ أَنْتَ؟" فَلم يُجبهُ، فَصَاحَ بِهِ ثانيةً: "تَكَلَّم، وإلاَ أُلقَيتُكَ منَ الذَرج!" وظَلَّ ساكنُ الكنيسةِ صَامتاً، فَاندَفَعَ الفَتى نحوهُ ودَفَعَهُ منَ الذَرجِ، فَسقطَ وكُسِرتْ رِجِلُهُ.



فَجاءَتْ زوجتُه إلى أبِيه تَشَكو، فَأَخرَجهُ الأَبُ منَ المنزلِ وأعطاهُ خمسَنَ دَولاراً، وقَالَ لهُ: "انَطلِقْ إلى الدنَيا، ولا تُخبرُ أحدَاً منَ أينَ أتَيتَ".





طَرِيقُ الفتى، فَانطَلَقَ يُرِدِّدَ: "يا لَيتني أَعلَمُ ما هَو الخوفُ"! فمرَّ رَجُلُ، وقَالَ لَهُ: "انظُرُ إلى شجرةِ المشَنَقَة، حيثُ عُلِّقَ سبعةُ رِجالٍ، اجلِسْ تحتَها حتى اللَّيلِ، وسَتُعلَمُ الخوفَ."-



فَجلِسَ الفَتى تَحتَها، وأَشعَلَ نارًا، ولَمَّا هَبْتِ الريحُ وأَمالَتِ الجُثَثُ، قالَ في نَفْسِهِ: "ما أَبردَ هَؤلاءِ المساكينَ!" فَأنزَلَهُم وأَدار وجوهَهُم نَحوَ النَارِ، فَاحترَقتْ ثَيابِهم، فَغضِبَ وأَعاهَـهُم إلى مكانِهم.



وفِي الصَباحِ، قالَ لَهُ الرجُلُ: "أَتعَلَمْتَ الخوفَ؟" قالَ: "لا، هؤلاءِ الحمقَى لَم يَتَكلَّموا، وتَرَكَوا ثَيابُهُمْ تَشتَعِلُ!"



نَزْلٌ بَلَغَهُ الْفَتى مَعَ سائِقِ عَرَبةِ، فَلَمَّا سَمِعَ صَاحِبُ النُّزْلِ الْفَتى يَقُولُ:
"يَا ليتَني أَعلَمُ الخوفَ!" قَالَ: "هُنَا سَتُتَاحُ لَكَ الْفُرْصَةَ."
وَلَكِنَّ زَوجَتَهُ حَذَّرَتْهُ، فَقَالَ الْفَتى: "سأَفْعَلُ، فَهَذَا ما جِئْتُ مِنْ أَجْلِهِ."



فَدَلَّهُ صَاحِبُ النُّزُل عَلَى قَصرٍ مسكونِ، حَيثُ يُمكِنُ تَعَلُّمُ الخَوفِ
في ثَلاثِ لَيَالٍ، وَمنَ يَفْعَلُ ذلِكَ يَتزَوَّجُ بابِنَة المَلِكِ.



فَذَهَبَ الفَتَى إلى المَلِكِ، وَطَلَبَ ثَلاثَةَ أَشيَاءَ: نَاراً، وَمِخرَطَةً، وَمِنضَدَةَ نَحَاتٍ.



الليلَةَ الأُولَى: أَشَعَلَ الفتى ناراً في القَصرِ، وإذا بِقطَّيْنِ أَسودينِ ضَخمينِ يَظَهُرانِ ويَطلَبانِ لَعب الوَرقِ، فَقَطَّعَ أَظفارَهُم وسَحَقَهُما.



ثُمَّ تَزاحَمتْ عَليهِ قَططٌ وكلابٌ سَوداءُ تُلَقي سَلاسِلَ نارِيَةً، فَطارَدَها بِسكِّينِه.



ثُمَّ نامَ علَى سَريرٍ، فَانطلَق بِهِ السَّريرُ يَجرِيَ في أَرجاءِ القَصرِ، ثُمَّ انقلَب بِهِ، فَنهَضَ ونامَ عندَ النار.
وفي الصِباحِ، قَالَ للمَلِكِ: "نِعم الليلَةُ كانتْ! ولكِنَّني لَمْ أَتعَلَّمِ الخوفَ بعَدُ."



اللِيلَةُ الثَّانِيةُ: جَلسَ الفتى عندَ النارِ، وإذْ بِنَصِفِ رجُلٍ يَسَقُطُ منَ المَدَخَنَةِ، فَقَالَ: "نَاقَصٌ! هَنَاكَ نِصَفُ آخَرُ!! فَسَقَطَ النِّصَف الأخرُ، والتَأما، وجَلَسَ علَى مقعَدِ الفَتَى، فدَفَعَهُ الفَتَى.



ثُمَّ سَقَطَ رِجالٌ آخَرُونَ، وأَحَضَرَوا أرجُلَ هَيْكَلٍ عظَمِيٍّ وجُجُمَتَيْنِ، ولَعِبوا بِها لُعبَةَ البولينُغ، فَانَضمَّ إليهم الفَتَى وخَسِرَ بعَض نُقَودِهِ.



وفي الصَباحِ، قَالَ للمَلِكِ: "لعِبَتُ البولينَغ وخسِرتُ"!





اللّيلَةُ الثالِثةُ: جَاءَ سَتَّةُ رجَالٍ يَحِملونَ نَعشًاً، فَظنَّ الفَتى أَنَّهُ ابنُ عمِّهِ الميِّتِ، فَفتَح النَّعش وأَخرَجَ الجُثَّةَ، وأَدفأَها عندَ النارِ، ثُمَّ وضعَها في سَرِيِره واستلقى بجانبِها، فعادَتِ الجُثَّةُ إِلى الحياةِ وكادَتْ تَخنُقُهُ، فأَعادَها إِلى النَّعش.



ثُمَّ دَخلَ رَجُلٌ عجَوزٌ هَائِلٌ، وتَبارزَا، فَشُقَّ الفَتَى السَّندانَ وأَمسَكَ بَلحيةِ العَجَوزِ، فَضرَبَهُ بقَضِيبٍ حَدَيديٍّ حَتَّى استَغاثَ وَأَرَشَدَهُ إِلى ثَلَاثَةِ صَناديق منَ الذَّهَب.





صبَاحٌ جديدٌ أشْرقَ عَلى القَصر، ودخَلَ الملكُ وسَألَ الفتى:
"الآنَ، لا بِدَّ أَنَّكَ تَعَلَّمْتُ ما هوَ الخَوفَ!"



هزَّ الفتى رأسَهُ وَقالَ: "لا، ما عَساهُ أنْ يكونَ؟ لَقدْ كانَ ابنُ عَمّي الميّتُ هنا، وجَاءَ رجلٌ عَجوزٌ ذو لِحية وأَرانَي مالاً كثيراً في الأَسفَلِ، لكَنْ لَمْ يُخبِرْني أحدٌّ ما هوَ الخَوف."



فقَالَ الملكُ: "حسناً، لَقدْ خَلَّصتُ القَلعَةَ، وسَتَتزوَّجُ ابنتي".
قَالَ الفَتى: "هذا كلُّ شَيءٍ طيِّبِ، لكَنَّني
ما زِلْتُ لا أَعلَمُ ما هوَ الخَوف."





ذَهبٌ أُحضِر منَ القبوِ، وأُقَيمَ حَفلُ الزَفافِ، لكنَّ الملكُ الشَابُّ كانَ لا يَزالُ يقولُ: "يا لَيتَني أَعلَمُ الخَوفَ! يا ليتَني أَعلَمُ الخَوفَ!"



غَضِبَتْ زَوجتُهُ مِنَ ذِلكَ، قَالتْ خَادِمتَهُا: "سَأَجِدُ لَهِ عِلاجاً: سيتَعُلَمُ قَرِيباً ما هَو الخَوفَ."



خرجِتْ إلى الجَدوُلِ الذَي كانَ يَجرِي عبرَ الحديَقةَ، أحَضرتْ دَلوَاً كامِلاً من الأَسَماكِ الصَغيرِةِ. وفي اللَيلِ، بِينما كانَ الملكُ الشَابُّ نَائمَاً، نَزعَتْ زَوجتُهُ عنَهُ ثَيابَهُ، صَبَّتْ علَيه دَلَو المَاءِ البَاردِ معُ الأَسَماكِ الصَغيرِة.





فَزَعٌ أَيقَظَ الملكَ الشَابَّ مِنْ نَومِه، فَصاحَ:
"آهٍ! كيفَ يُقَشْعَرُ بَدَني! كيفَ يُقَشْعَرُ بَدَني
يا زَوجتَي العَزيزَة! نعمُ، الآنَ عَرَفْتُ ما هَوَ الخَوفُ!"



تَنتَهِي حِكايَةُ "الفَتى الَّذي انطَلَقَ لِيَتَعَلَّمَ ما هُوَ الخَوْفُ"،
وَتَبْقَى في القَلْبِ عِبْرَةٌ.



أَنَّ الشَّجَاعَةَ لا تَعَني غِيابَ الخَوْفِ، بَلْ مُواجهَتَهُ،
وأَنَّ التَّجَارِبَ القَاسِيَةُ قَدْ تَكونُ أَفَضَلَ مُعَلِّمٍ،
وأَنَّ الحياةَ تَمنَحنَا ما نَستَحِقُّهُ عِندَما نَصْبِرُ ونَواصِلُ السَّعْيَ،
حتَّى ولو كانَ طَرِيقُنا مليَئاً بِالمخاوفِ والمغامِراتِ.





رامبيلستيلتسكين

طحَّانٌ فقيرٌ كانَ يسَكنُ في إحَدىَ قرَىَ مملكة بُعَيدةٍ، لهُ ابنَةٌ جمِيلةٌ كأنَّها قطعَةٌ منَ القمرِ، لكنَّها كانتْ بسيطةً لاَ تعَرفُ منَ الدنيا سوىَ بِيتِ أبيها ومغزَلِ أمِّها.



وفي يومٍ منَ الأيام، صادفَ الطحَّانُ أنْ يُقابلَ المَلكَ في أحد مجالسِه، فأرادَ أنْ يُظهِرَ أهميَّتَه أمام المَلأ، فقالَ لهُ بِكلِّ فخرٍ وتباهٍ: "يا مولاَيَ المَلكُ، إنَّ لي ابنَةً عجيبَةً، تستَطيعُ أنْ تَغزِلَ القشَّ اليابِس ذَهبًا لاَمعاً"!



وما إنْ سَمعَ المَلكُ هذهِ الكلمَةَ حَتى اشتعَلَ قلبُهُ طمعاً، فصاحَ قائلاً: "أحضِروا هذهِ الفتَاةَ إلى قصريَ الآنَ"!



وصلتِ القتاةُ إلى القصر خائفةً مرتعشةً، وما إنْ دخلَتْ حتى أغلقَ المَلك عليها بابَ غرفةٍ كبيرةٍ مملوءةٍ بالتبنِ والقشُ الجافُ إلى سقفها، وأعطاها مغزلاً خشبياً وقالَ لها بصوتِ حادٍ: "هاكِ هذا المغزل، إنْ لم تغزلِي هذا القشُ كلَهُ ذهباً خالصاً بحلولِ صباح الغدَ، فموتك محتوم، ولَنِ ولنْ ينجيَك مني أحدٌ". ثمّ أدار ظهره، وخرج وأغلق الباب خلفه بقوة، تاركاً القتاةُ وحدها في تلك الغرفةِ الباردةِ الموحشة.



جلستِ القتاةُ على كومةِ القشُ، وأخذتْ تبكي بحُرقةٍ وألمٍ، فهي لا تعرفُ كيف تُغزَلُ القشُ، ولا تملكُ أيّ حيلةٍ للنجاةِ منَ هذا الموت المحتومَ. وفجأةً، وبينما هيَ منهمكةٌ في بكائها، انفتحَ البابُ بهدوءٍ، ودخلَ رجُلٌ صغيرٌ عجيبٌ، كانَ في حجمِ إصبعِ اليدِ تقريباً، لهُ عينانِ لامعتانِ كالجمرِ، وأنفُ معقوفُ طويلٌ، ووَجهُ مُتَجَعِّدٌ كقشرِ الجوز.



نظرَ إليها بفضولٍ وقالَ بصوتٍ حادٍ لكنّهُ ليس شيغ: "مساءُ الخيرِ يا ابنةَ الطحّانِ، لماذا تبكينَ بهذهِ المرارة؟" رفعَتِ القتاةُ رأسَها ونظرَتْ إليهِ مذعورةً، لكنّها تمالكَتْ نفسها وقالتْ: "أوه، أيّها السيّدُ الصغيرُ لقدْ كلّفني المَلكُ أنْ أغزلَ هذا القشُ كلّهُ ذهباً بحلولَ الصباح، وأنا لا أملكُ هذهِ القدرة، فموتيَ محتومٌ". ابتسم القزمُ ابتسامةً ماكرةً: وقالَ: "وماذا تُعطيني إنْ غزلْتُ لكِ هذا القشَ كلَهُ كلّهُ ذهباً في ليلةٍ واحدة؟"



أمسكَتِ الفَتاةُ بعقدِها الذهبِيِّ الصغيرِ الذي كانتْ ترتديه حولَ رقبتِها، وقالتْ: "خُذْ هذَا العقدَ الذهبيَّ، فهو كلُّ ما أملكُ الآنَ" . أخذَ القزمُ العقدَ بيديه الصغيرَتينِ، ووضَعَه في جيبِهِ، ثمَّ جلسَ أمامَ المغزلِ، وبدَأ يَديرُه بسرعةٍ عَجيبَةٍ، فإذَا بالقَشِّ الجافِّ يتَحوَّلُ إلى خيوطٍ منْ ذهبٍ لامعٍ معَ كلِّ دورَةٍ للمغزَلِ.

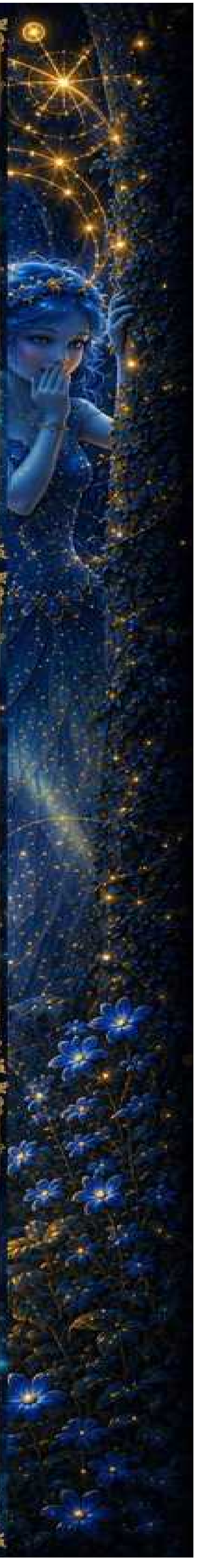


استمرَّ القزمُ في الغَزلِ حتى الصَباحِ، وحينَ أشرقَ الفَجرُ، كانتِ الغرفةُ قدَ امتلأتْ عنْ آخرِها بسبائِك الذهبِ المتلألئِ. جاءَ المَلكُ في الصَباحِ، وفتَحَ البابَ، فانبهرَ بما رأى، وازداد طمَعه، فأمرَ بنَقل الفتَاةِ إلى غُرفةٍ أخرى أكبرَ حجمًا، ومليئَةٍ بقَشٍ أكثَرَ، وقَالَ لَها:



"إنْ غزلْتِ هذَا كلَّه بحلولِ الغدِ، فسأكافئُكِ، وإلاَّ فسيكونُ مصيرُكِ الموت".





وحيدةً مرَّةً أخرى، جلست الفتاةُ في الغرفةِ الجديدة، وأخذَتْ تبكي مرَّةً أخرى،
لكنَّ الباب انفتحَ مجدَّدًا، ودخل القزمُ الصغيرُ وقال:
"ماذا تُعطيني هذه المرَّة إن غزَلْتُ لك هذا القشَّ كُلَّهُ ذهباً؟ "
خلَعَت الفتاةُ خاتمَـها من إصبعِها وقدَّمَتْه له،
فأخذَه القزمُ ووضعَه في جيبه.



جلس أمامَ المغزلِ، وغزل القَشَّ كَلَّهُ ذَهباً في ليلةٍ واحدةٍ.
وفي الصباح، جاءَ الملكُ فرأى الذَّهب، ففَرِحَ فرَحاً شَديداً،
لكنَّ طمعَه لمْ يكْتَفِ،
فنقل الفَتاةَ إلى غرفةٍ هائلةِ الحجمِ، لا تكادُ عينٌ تُحيطُ بقشِها.



وقال لَها: "إنْ غزلْتِ هذا كلَّهَ ذهباً هذهِ الليلةَ،
فستصيرَين زوجتي وملكةً على هذهِ المملكةِ،
وإنْ لمْ تفعَلي، فسأقْطَعُ رأْسَكِ بيديَّ".



يأسٌ عظيمٌ انتابَ الفتاةَ حينَ رأتْ كميَّةَ القشِّ الهائلةَ، لَكنَّ القزمَ جاء للمرَّة الثالثةِ وقَالَ: "ماذَا تُعطَيني هذه المَرةَ إنْ غزلْتُ لكِ هذا القشَّ كَلَّه ذَهباَ؟"

قالتِ الفتاةُ باكيةً: "لمْ يعدْ معي شيَءً لأُعطيَكَ إيَّاهُ."

فقالَ القزمُ بدَهاءٍ: "حسنًاَ، أعطيني وعدَاَ بأَنَّكَ إذا صرْتِ ملكةً؛ ستُعطيني أوَّلَ طفلٍ تلدِينه".



ترَدَّدتِ الفتاةُ طويلاً، لكنَّها رأتْ أنَّ الموتَ أمامَها ولا مفَرَّ منه؛ فوافقَتْ على مضضٍ شديدٍ، وأعطتْه وعدَها. جلسَ القزمُ أمامَ المغزلِ، وغزَّلَ القشَّ كلَّه ذَهباً في ليلةٍ واحدةٍ، حتى لمْ يبقَ في الغرفةِ ذرَّةُ قشٍ واحدةٍ.



وفي الصباحِ، دخلَ الملكُ ورأى الذَهبَ يتلألأُ، ففرِحَ فَرحاَ عظيماَ، وتزوَّجَ الفتاةَ في حفلٍ باذخٍ، وأصبحتْ ملكةً على المملكةِ كلُّها.



مضى عامٌ كاملٌ ، ورُزقتِ الملكةُ بطفلٍ جميلٍ كالقمر، كانتْ سعيدةً بِهِ جداً، ونسيتْ تماماً وعدَها للقزمِ الصغيرِ. لكنَّ في يوم من الأيام، بيَنما كانتْ تُهدهدُ طفلها في غرفَتِها، دخل القزمُ فجأةً وقالَ لها بصوتٍ حادٍّ: "هاتِ ما وعدتِني بِهِ، هاتِ الطّفلِ الذَيَ هوَ لي".

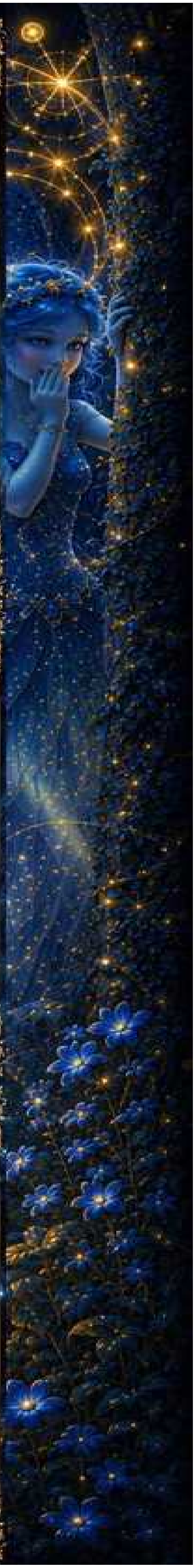


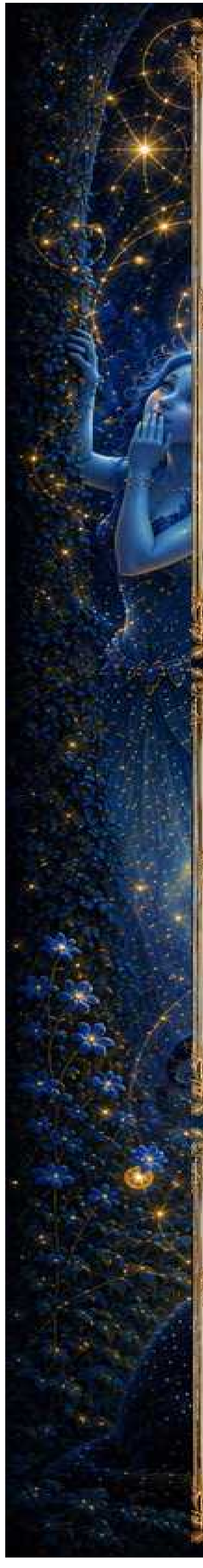
خافتِ الملكةُ خَوفاً شديداً، وارتعَدتْ فَرَائِصُها، وأخَذَتْ تَعرض علَيهِ كَلَّ كَنُوْزِ الْمملكَةِ منْ ذَهبٍ وجواهرَ، وقالَتْ : "خُذْ كَلَّ ما في خزَائِني، واَتْرَكْ لي طَفلَيِ". لكنَّ القَزمَ هزَّ رأَسهَ وِقَاَلَ بصرامةِ: "لاَ، الكَائنُ الحيُّ أغلَى عنَدي منْ كَلَّ كَنَوْز العالَمِ مجتَمعةٍ".



وانفجرتِ الملكةُ في البَكاَءِ والنحيبِ، حتى رقَّ قلَبُ القَزم لها وقالَ : "أعطِيكِ ثلاَثَةَ أيَاَمٍ لتَعَرفِي اسمِي، فإنْ عرَفْتَهِ خلاَلَ هذهِ المَدَة، فَلكِ طِفَلُكِ، وإلاَّ فأنَا آخذُه".







ويومَ الثالثِ، عادَ الجاسوسُ الملكيُّ مسرعَاً، وأَخبَرَ الملكة بخَبرٍ عجيبٍ، قالَ لها: "يا سيدتي، لقدْ تجوَلْتُ في الغاباتِ البعيدةَ حتى بلغتُ تَلّةً عاليةً مُحاطةً بالأشجارِ، وهناكَ رأيتُ كوخاً صغيراً، وأمامُه نارٌ مُشْتعلةٌ، وكانُ حولَ النارِ قَزَمٌ صغيرٌ يَرْقُصُ على رجلٍ واحدةٍ ويغني بأعلى صوتهِ هذه الأبيات العجيبةٌ:



'اليومَ أخبزُ، وغَداً أطبُخُ،
وبعدَ غدٍ أخطِفُ الطَّفلَ منَ الملكةِ،



فلا يدَري أحدٌ في الدنيا كَلُّها
أنَّ اسمي هوَ رامبيلستيلتسكينَ!"



قفزت الملكةُ منْ سريرِها فرحاً، وعانقَتْ طفلَها وهي تهمسُ بِاسمِ القزمِ مراراً.
وعندما جاءَ القزمُ في المساءِ وسألها مبتسمًا:
"حسنًاً، يا مولاتي الملكةُ، ما اسمَي؟"
قالتْ بثقةٍ: " أهو قاسمُ ؟"" قَالَ : "لا." قالتْ: " أهو كريمُ ؟" قالَ: "لا."
وهنا، وقفت الملكةُ وقالتْ بصوتٍ واضحٍ عالٍ: " أهو... رامبيلسليتسكين؟"



وما إنْ سمعَ القزمُ اسمه منْ فمِها حتى صرخَ صرخةً مدويّةً من الغضب:
"الشيطانُ أخبَركِ! الشيطانُ هو منَ كَشف لك سِرّي!" ثُمَّ قفزَ منَ الغضبِ،
وركَل الأرض بقدمِه اليمنى بكلِّ قوّةٍ، حتى غرقَتْ قدمه في التُّرابِ إلى خصره،
ثُمَّ أمسك بقدمِه اليسرَى بكلتا يديه، ومزّقَ قفسه إلى نصفينِ فى لحَظةٍ،
واختفى إلى الأبدِ، ولمْ يُرَ له أثرٌ منذُ ذلك الحينِ.



وهكذا نَجتِ الملكةُ وطفلُها، وعاشتْ معَ الملك في سعادةٍ وهناءٍ،
بعد أنْ علَّمتَنا الحكايةُ أنَّ المعرفة قد تكونُ أقوى منَ السحر،
وأنَّ الاسم قد يكونُ مفتاحَ الخَلاص، وأنَّ الجَشعَ والغرور
يأكُلانِ أصحابَهما في النهاية، حتى لوْ كانوا منَ الجنِّ الصغارِ.





الجميلةُ والوحشُ

تَاجرٌ ثَريٌّ كانَ يَسكنُ في بلدٍ بعيدٍ، وقدْ وفَّقَ اللّهُ في كلِّ تجاراته حتى صَارَ منْ أغنى أغنياءِ الدنيا. كانَ لهُ ستَّةُ أبناءٍ، وستُّ بناتٍ، وَكانَ يُنفِقُ عليهِمْ بلا حسابٍ، فلا يَطلُبونَ شَيئًا إلاَّ أعطاهم إيَّاهُ، فَهمْ يعيشُونَ في رَغَدٍ وَنَعيمٍ.



لكنَّ القدرَ كانَ لهُ رأيٌ آخرُ. ففي يوْمٍ منَ الأَيامِ، احترقَ قَصرُهم وَاحترقَتْ كلُّ ما فيهِ منْ أثَاثٍ ثمينٍ، وَصورٍ، وَكتبٍ، وَذهبٍ، وفضَةٍ، وَكانَتْ هذهِ بدايَةِ المصَائبِ.



فبَعدَ أيامٍ، خسِرَ التَاجرُ كُلَّ سَفنِهِ في البحرِ، إمَّا بسببِ القراصَنةِ، أو الغرقِ، أو الحريقِ، ثمَّ خانَهُ وَكلاؤهُ في البلادِ البعيدةِ الذَينَ كانَ يَثُقُ بِهمْ، فانتَقلَ منَ الغنى المدقَعِ إلى الفقرِ المدقَعِ في طرفةِ عينٍ.



كوخٌ صَغِيرٌ كان كُلَّ ما تَبقَّى لهُ، في مكانٍ مَقفرٍ على بُعدِ مئَةِ فِرسَخ المدينةِ التي كان يعيشُ فيها، فاضطرَّ أنْ يَعتَزلَّ فيهِ مع أولادهِ، الَذينَ الذينَ كانوا في غَايَةِ اليأسِ منْ هذهِ الحياةِ الجديدَة.



كانَتِ البنَاتُ في البَدايةِ يَأملَنَ أنْ يسَتضيفَفْنَ أصَدقاؤهُنَّ الأثَرياءَ، لكنَّهم سَرعانَ ما اكتَشفوا أنَّ أصدقاء الغُنى يتَخَلَّون عندَ الفقرِ، وَأنَّ وَأنَّ لا أحدَ يَرغبُ في مساعدتِهم.



فلمْ يَبقَ لهُمَ إلاَّ الكوخُ الصغيرِ في وسَطِ الغابَة المظلمة، الذيَ كان يَبدو كأكثرَ الأماكنِ كآبةً على وجهِ الأرض. وَهنا، بدأتِ الفتياتُ يَعملنَ كالفلاحاتِ، ويغْزلنَ ويربَينَ الماشية، بينما كانَ الأبناءُ يَحرثونَ الأرضَ ليكسَبوا قوتَ يومهم. كانتِ البَناتُ يندبنَ حَظَّهُنَّ باستَمرارِ، ويتَذَكَّرنَ رَفاهية الماضي، إلاَّ أصَغرهُنَّ، التي كانَتْ تُدعى "الجميلةَ".



جميلةً كانَتْ تَلكَ الفَتَاةُ، ليسَ فَقطْ فَي مَظهَرُهَا، بلْ فَيَ قَلبَهَا وَرَوُحهاٍ.
كانتِ قَدُ حزَنَتْ فَي البدايةَ مثُلَ أخواتها، لكنُّها سَرعانَ ما تعافَتْ،
وبدأَتْ تبَذَلُ جهدَها لإسعاد أبِيها وإخوتَها، وَمَحاولَةِ إقناعِ أخواتهَا
بالغَناءِ والرَقَصِ.



لكنَّهُنَّ رفضنَ وقَالَنَ: "هذهِ الحياةُ هُيَ ما تسَتحقَّيَنَ، يا جمَيلَة،
لأنَّكِ لستِ مِثْلنا": ورغمَ ذَلكَ، كانَتْ الجميلةُ أجملُ وأذَكى منهُنَّ
جميعاً.



ومضَتْ سنتانِ وهُم يعيشونَ هذهِ الحياةَ القَاسيَةَ، حتى جاءَ الْخبرُ الذيَ غيَّر
كُلَّ شَيءٍ: وردَتْ رسالةٌ بَأنَّ إحدى سَفنِ التَاجِر التَي كانَ يُظنُّها غَارقَةَ قَدْ
رسَتْ في الْمينَاءَ سالْمةُ، مَحمَّلةٌ بَبضَائِعَ ثمَينةٍ.





فرحةً عارمةٌ عمّتِ الكوخَ، وقَرَّرَ الأبنَاءِ والبنَاتُ أنّ فقرَهم قد أنتَهى، وأرادوا أنْ يذهَبُوا إلى المدينَة لِيشترِوا ما يشْتَهُونَ، لكنَّ التَاجرَ الحكيمَ طَلَبَ منْهمُ الصَبرَ، وقرَّرَ أنْ يذهبَ بنفسِهِ أولاً للتأكُدِ منَ الخَبر.



وما إنْ همَّ بالرحَيلِ حتَى تَزاحَم عليهِ أولاذُه بالطلباتِ: الأبنَاءُ طلبُوا خَيولاً وسَيوفَاً، والبَناتُ طَلبُوا فساتين منَ الحَريرِ والماسِ، إلاّ الجَميلةُ، التي وقفَتْ صَامتةَ.



قالَ لها أبوها: "وماذا تُريدَين أنتِ يا جميلةُ؟" قَالتْ: "يا أبَتِ، كَلُّ ما أتمنَّاهُ هو رَؤيتك عائداً سالمًا" . لكنَّ أباها أصرَ أنْ تَطلُبَ شَيئَا، فقالتْ: 'إذا أصرَتْ يا أبَتِ، فَأحضِرْ لَي وردةً، فقَد اشَتقْتُ لرَؤيةِ الورودِ منذُ أنْ جِئنَا إلى هذا الكوخِ".



سافر التَاجرُ إلى المدينةِ، لكنَّهُ وجَدَ أنَّ شركاءَهِ القدامى قَدْ تقاسَموا بضائعَ سَفينِتِهِ ظنّاً منهمْ أنّهُ ماتَ، ولمْ يبقَ لهُ سَوى ما يُكافيءُ نفقاتِ رحلتِهِ.



وفي طريقِ عودتِهِ، ضلَّ الطَريقَ في غابةٍ مظلمةٍ، واشتدَّ عليهِ البردُ والجَوعُ، حتى كادَ أنْ يموتَ. وفي أثناءِ بحثِهِ عنْ مأوىً، رأى نوراً يلمعُ منَ بعيدٍ، فاتَّجهِ نَحوهِ، وإذا بقصرٍ عظيمٍ مِنَ الرّخامِ الأبيض، بأبوابٍ منَ الذَهبِ، وحدائقَ تَغَصُّ بالأزْهارِ رغمَ أنَّهُ الشتاءُ. دخلَ القصر فلمْ يجدْ فيهِ أحداً، لكنَّهُ وجَدَ مائدَةً موضوعةً عليها طعامٌ شَهيٌّ، فجلسَ يأكلُ ويشربُ، ثُمّ نام في غرفةٍ فَخمةٍ.



وفي الصَباحِ: تجوَّلَ في القصرِ وحدائقهِ، وهناكَ في طريقِ الإسطَبلِ، رأى سياجاً منَ الورودِ يفوقُ في جمالَهِ كلَّ ما رآه في حياتهِ، فتذكَّرَ وعدَهُ للجَميلةِ، وقطفَ واحدةً منُها.



وَحشٌ ضخمٌ ظَهرَ فجَأةً منْ خلفِ الورودِ، بَنظراتٍ ملتهبةَ وَصوتٍ مُرعِبٍ، صرخ: "مَنْ سَمَحَ لَكَ أنْ تَقطِفَ ورِدَاتِي؟ ألمْ يَكفِكَ أنْ أذَنتُ لكَ بالبَقاءِ في قَصري؟ هَلْ هَكَذا تُكافئُ كَرمِي، بسَرَقةِ أزْهارِي؟ الآنَ ستدفعُ ثَمَنَ جرأَتِكَ!"



ارتَعدَ التّاجرُ خوفًا وارتَمَى على ركَبَتيهِ، يَرجوهُ العفوَ ويَروي لَهُ قصَّتَهُ وقصةَ ابنَتَهِ التي طَلبتْ وردَةَ. لكنَّ الوحَشَ لمْ يلِنْ، وقَالَ:"سأُعفيك من الموتِ، لكنْ بَشرطٍ واحدٍ: أنْ تُحضِرَ لي إحدى بنَاتِك طواعيةً، لتحلَّ مَحلَّك، وإلاَّ فمَوتُكَ محتومُ، وَلاَ تحاولِ الهربَ، فأَنا أراكَ حيثُما تكوُنِ".



أعطَاهُ الوَحشُ شَهرًا منَ الزمانِ، وأمرَهُ أنْ يَذهبَ ويُحضَرَ إحدى بناتِه، وإلاَّ عادَ ليأَخُذَهُ. ثُمَّ أعطَاهُ صَندوقاً مليئاً بِالذهبِ، وقَالَ لهُ: "خُذْ هذا، فهوَ هديَتي لكَ، وَخذْ ورِدتكَ إلى الجَميلةِ، ولاَ تَنسَ وعدَكَ."





رَحلةُ عَودةٍ حزِينة، عادَ التاجرُ إلى كوخِهِ، وأخبرَ أولادَه بِماَ حدثَ، فانفَجَرَ الجميعُ بالبكاءِ والنحيبِ.



لكنَّ الجَميلةُ وقَفتْ وقالتْ بثبَاتٍ: "لقدْ جلبتُ هذهِ المصيبةَ بطَلبِي الورِدَة، وأنا وحدي منُ يَجُبُ أنْ يُصلحَ ما أفسَدتُ. سأذهَبُ أنا إلى الوحشِ، لأنْقِذَ أباكم". رفض الجَميعُ في البدايةِ، لكَنُها أصرّتْ، وعندما حلَّ اليومُ الموعودُ، رَكبتْ معَ أبِيها على الحَصانِ السحريَّ الذي أعطاهُ الوحَشُ لها، وانطلقا إلى القصرِ.



وفي الطريقِ، كانتْ الجَميلةُ تُشجّعُ أبِاها رِغمُ خوفِها. وعندما وصَلا، استَقبلَهما القصرُ بأضوائِه وموسَيقاهُ، وكأنَّ الوحشَ كانَ يَنتظرُ وصَولَ فريسَتِه.



وحشٌ ظهرَ أمامَ الجميلةِ، فنَظرَتْ إليهِ بِثباتٍ، رَغمَ ارتِعاشِ قلبِها، وقالتْ لهُ بودَاعةٍ: "أنا هنا يا سيدَي، كما وعدتُ". نَظرَ الوحشُ إليها بإعِجابٍ وقالَ: "أهلاً بكِ يا جَميلةُ، لقَدْ جئتِ طواعِيةً، وسأكونُ لَكِ خادَماً مطيعَاً" .



ثُمَ التَفَتَ إلى التاجرِ وقالَ لهُ: "أمَّا أنَتَ، فستُغادرُ غدَاً عندَ الفَجرِ، ولنْ تعَودَ إلى هنا أبدًا". وفي المساءِ، طلبَ الوحشُ منَ الجَميلةِ أنْ تَذهبَ معَهُ إلى غرَفةِ الكنوزِ، لتَختارَ لِعائلَتِها ما تَشاءُ منَ الجَواهر.



وافقَتِ الجميلةُ، وملأَتْ صندوقين كبيرِين بِالذهبِ والمجوهراتِ، ثُمَ عادَتْ لَتُودّعَ أبَاها في الصباحِ، الذي غادرَ وهو يبكي.





أيامٌ مَضتْ، وكانَ الوحشُ يأتي كلَّ مساءٍ لِيتحدَّثَ معَ الجَميلةِ، وكانَ لطيفاً معَها، رغمَ مَظهرِهِ المرعِبِ. كانَتِ الجَميلةُ تَشعُرُ بالرَّاحةِ في حديثِه، وتَكتَشِفُ أنَّ لَهُ قَلباً طيِّباً وعقلاً راجحاً.



وفي كلِّ ليلةٍ، كانَ يسَألُها: "يا جَميلةُ، هلْ تُحبِّينني؟ هلْ ترْضينَ أنْ تكوني زوجتي؟ وكانَتْ ترفُضُ بلطفٍ، فيتنهَّدُ الوحشُ بحزنٍ ويَذهبُ. لكنَّ الجميلةَ بدأَتْ تَشعُرُ بالحنينِ إلى أبيها وعائلتِها، وحزنَتْ حزناً شديداً، حتى لاحظَ الوحشُ ذلك، وسألَها عنْ سببِ حزنِها، فقالَتْ: "أنا مشتاقةٌ لرؤيةِ عائلتي ".



تَنهَّدَ الوحشُ وقالَ: "سأسمحُ لكِ بالذَّهابِ لمدَّةِ شَهرينِ، لكنْ تذكَّري وعْدَكِ بالعَودةِ، وإلاَّ فسأموتُ حزناً". أعطاها خاتَماً وقالَ: "عندما تُريدينَ العَودةَ، ضَعي هذا الخاتمَ في إصبعِكِ وقولي: 'أتمنَّى العَودةَ إلى قصري'، وستجدينَ نفسَكِ هنا."



فرحةُ اللقَاءِ بِعائلتِها، احتَضَنتِ الجمِيلةُ أبِاهَا وإخوتَها، لكنَّها سرعَان ما شَعرتِ بالملَلِ منْ حياتِهمَ الجديدة، فقَدَ كانوا قدَ عادوا إلى الثَّراء بِفضَلِ الذَهبِ الذي جلَبتهِ، لكَنَّ أخواتها كنَّ يُغرِينَها بالبقَاء.



وفي إحدى اللّيالي، حلَمتْ بأنَّ الوحشُ مرِيضٌ يموتُ، فَصرخَتْ في حلمِها: "لقدَ نسيتُ وعدَي!" وعندما استيقظَتْ، وضَعتِ الخاتمَ في إصبعِها وقالَتْ: "أتمنَّى العودةَ إلى قَصري". وفي لحظَةٍ، وجدَتْ نَفسها في القَصرِ، وركَضَتْ إلى الحديقَةِ، فوجدتِ الوحشُ ملقًى على الأرضِ، شاحبًا هزِيلاً، يكادُ أنْ يموت. صرختْ باكيةً: "يا وحشي، لا تمتْ! لقدَ أدركتُ الآنَ أنَي أحبُّك!" وأخذتْ ترشُ الماء على وجههِ، ففتحَ عينيه وقالَ بصوتٍ ضَعيفِ: "أتحبِينني حقًا يا جمِيلةُ؟" قالتْ: "نَعم، يا وحشي، أحبُّك".



وفي تلك اللحظَة، انكَشفَ السحرُ، وتحوّلَ الوحشُ إلى أميرٍ وسيم، وأخبرهَا أنَّ جنيةً شريرةً سحرَتْه، وأنَّ حبَّها الصادق هوَ منْ حرَّره. وتزوجا في حفلٍ باذخٍ، وعاشا في سعادةٍ إلى آخر العمر، وعادَ التاجرَ وعائلتُه إلى القَصر، وعاشَ الجميعُ في هَناءٍ، وتعلّمنا منَ الحكاية أنَّ الجمالَ الحقيقي لا يُرى بالعينِ، بل يُحسُّ بالقَلبِ، وأنَّ الحبَّ الصادق يكَسرُ كلَّ سحرٍ، ويُحوّلُ الوحوشَ إلى أمراء، والقلوبَ القاسيةَ إلى ينابيع عذبة.





الخادِمةُ المُدَبِّرَةُ

ملكٌ كانَ لهُ أبناءٌ كثيرونَ، لا أذكرُ عددَهم بالضبطِ، لكنَّ أصغرَهمَ كانَ شاباً متمرِّدًا لا يَستطيعُ البقاءَ في القصرِ، وأصرَّ على الخروج إلى الدنيا لِيَبحثُ عنَ حظِّه. وبعدَ إلحاحِ طويلٍ، سمحَ لهُ الملكُ بالرحيل.



سافرَ الشابُ أياماً، حتى بلغ منزِلَ عملاقٍ هائلٍ، فعَرضَ عليهِ خدمته، فوافقَ العملاقُ. وفي صباح اليوم التالي، قالَ لهُ العملاقُ: "عليكَ أنْ تُنظِّفَ الإسطبلَ اليومَ، وبعدَها لا عملَ عليكَ. لكنْ احذَر! لا تدخُلَ أبداً الغرفَ التي تؤدِّي إليها غرفتُكَ، وإلاَّ فسأقتُلكَ". ابتسمَ الشابُ فِي نفسِه وقالَ: "يَبدو أنَّ سيدي لطيفَ"!



ثمَّ تجوَّلَ في القصرِ، وفتحَ البابَ الأولَ، فرأى قِدرًا ضخماً يغلي دونَ نا ر، فغمسَ خصلةً من شعرِه فِيها، فتحوَّلَ شعرُه إلى نحاسٍ، وفتحَ البابَ الثاني، فغمسَ خصلةً أخرى في قِدرٍ يغلي، فتحوَّلَ شعرُه إلى فضَهِ، وفتحَ البابَ الثالثَ، فغمسَ خصلةً أخرَى، فتحوَّلَ شعرُه إلى ذهبٍ لامعٍ.



دهشةٌ عمّتَ الشابُّ حينَ رأى هذه العجائبَ، ففتحَ البابَ الرابعَ، وإذا بفتاةٍ جميلةٍ كالقمر جالسةٍ على مقعدٍ، هيَ أجمل منَ رأى في حياتهِ. قالتْ لهَ الفتاةُ بلهفةٍ: "ما الذَي أتى بك إلى هنا؟" قال: "أنا خادمٌ جديدٌ عندَ العملاق". قالتْ: "لو تعلم ما ينتظرُك! لكنْ سأعلمك كيف تُنظِّفُ الإسطبلَ: اقلبِ المذراةَ رأساً على عقبٍ، واعملْ بمقبضِها، وستخرُجُ كلُّ الأوساخ وحدَها".



شكرَها الشابُّ، وجلسَ معها يتحدّثان طوال اليوم، وتواعدا على الزواج. وعندَ المساءِ، ذهبَ إلى الإسطبلِ ونفّذَ نصيحتها، فصارَ الإسطبل أنظَفَ منَ المرآةِ. عادَ العملاقُ وقال: "لقدْ حدّثتَ خادمتي"! تظاهرَ الشابُّ بالجهلِ وقال: "خادمة؟ أترى أنا أراها!" قال العملاقُ: "ستراها قريباً".



عادَ العملاقُ وقال: "لقدَ حدثتكَ خادمتي"! تظاهرَ الشابُّ بالجهلِ وقال: "خادمة؟ أترى أنا أراها!" قال العملاقُ: "ستراها قريباً".



حصانٌ كانَ هوَ المطلوبَ في اليوم الثاني، فقدْ قال العملاقُ للشاب: "أخضرْ لِي حصاني منَ الجيل". ذَهبَ الشابُّ إلى الخادمة، فأخبرَتْه: "احذَرْ! هذا الحصانُ يَلفِظُ النارَ منَ أنْفَه. لكنْ خَذْ هذهِ اللجامِ، وأنقــفْ في فمِه، وسيَذُلُّ لكَ". نَفَذَ الشابُّ، وأخضرَ الحصانَ مروَّضاً، لكنَّ العملاقَ قال بحنقٍ: "لقدَ حدثَتَ خادمتي!" تظاهرَ الشابُّ بالجهل مرَّةً أخرى.



مغَارة كانتْ وجهته في اليوم الثالثِ، حيثُ طلبَ العملاقُ منَ الشاب أنَ يذْهبَ إلى باطنِ الأرضِ لِيجلِبَ الضرائبَ المستَحقَّةَ. قالتْ لهُ الخادمةُ: "اذهبْ إلى الصخَرة، واضربها بهراوة، سيَخرُجُ لكَ



شيطانٌ يلمعُ كالنار، فقُلَ لهُ: 'أريدُ بقدر ما أحملَ.". ذهبَ الشابُّ، وأتى بكيسِ ضخمٍ منَ الذَهب، لكنَ العملاقَ ازداد غضباً وقال: "غداً سأريكَ الخادمةَ، لكنَ ستقَتلُها!".



هُروُبٌ كانَ هوَ الحلُّ الوَحيد، ففي اليوم الثالي، أمرَ العملاقُ الخادمة أنْ تَذبحَ الشابَّ وتُطْبِخَهَ في القَدْرِ. لكنَّ الخادمة قطَعتْ إصبعَ الشابِّ، وأسقطتْ ثلاث ثلاثَ قَطَرَاتٍ منْ دمه على كرسيٍّ خشبيٍّ، ثمَّ وضعَتْ في القدر خِرقاً ونَفاياتٍ، وحشتْ صندوقًا بالغُبارِ الذهبيِّ، وأخذتْ معها قَطْعة ملح، وقَارورةَ ماءٍ، وتفَاحةً، ذهبيةَ، ودجاجتين ذهبيتينَ، ثُمَّ هرَبتْ معَ الشابِّ إلى البحرِ، وركبا سفينةً.



غضبٌ عارمٌ انتابَ العملاقَ حينَ اكتَشف الخدعة، فطارَ وراءِهمَا كالريِح، حتّى بلغَ البحرِ، فاستدعى "ماصُّ الماءِ" لِيشربَ ماءِ البحرِ. خافتِ الخادمةُ، فأمرَت الشابَّ انْ يَلقي الملحَ في البحرِ. فتحوُّل الملحُ إلى جبِلِ شاهقِ حال دنَ وصن العملاقَ. لكنَّ العملاقَ استدعى "نقَّابَ الجبال" لِينقُبَ الجبِل، فألقت الخادم قطراتِ من الماءِ، فعاد البحرَ ملآنَ، وغرقَ العملاق، ونجا العاشقان.



نسيانٌ كانَ هوَ الخَطَرُ القادمُ، فعندما وصلا إلى شاطئ مملكةِ الشابِ، قال لها: "انتَظِرِني هنا، سآتي بخيول أبِي السبع لأُقلَك إلى القصرِ". قالتْ لهَ: "احذرْ! لا تأكلْ شيئاَ، ولا تُسلِّمْ على أحدِ، وإلاَّ ستَنساني". لكنَّهَ عند وصوله، وجدَ أخاهُ يتزَوَّجُ، وألَحّتْ عليه عروسُ أخيه أنْ يَأكلَ تفاحةً، فأكلها، ونسيَ الخادمةَ تماماً







كوخٌ صغيرٌ وجَدتُه الخادمةُ في الغابةِ، تَسكُنُه عجوزٌ شريرةٌ، استأذَنَتها في البقاءِ، ثمَّ أخرجَتْ صندوقَ الذهبِ، وألْقَتْ حفَنةً منه في النارِ، فغلَى الذهبُ وطلَى الكوخَ كلَّهُ بالذهبِ.

خافتِ العجوزُ وهربتْ، فاصطدمَتْ بالبابِ وماتَتْ.



خُطَّابٌ ثلاثةٌ تقدَّموا لخطبةِ الخادمة: قاضي المقاطعة، والمحامي، والمأمورُ. استقبلَتْهم بحيلةِ، فطلَبتْ منَ الأولِ أنْ يُمسكَ المجرفةَ، فقالَتْ: "أمسِكْها وستُمسكُكَ، واسكُبِ الجمرَ على رأسِكَ حتى الصباح". وفعلَتْ معَ الثاني أنْ أمسكَ مقبضَ البابِ، فقالَتْ: "أمسِكْه وسيُمسكُكَ، وتَعالجْ بينَ الجدرانِ حتى الفجرِ". ومع الثالث، طلَبتْ منه أنْ يُمسكَ ذَيلِ العجلِ، فَقالَتْ: "أمسِكْه وسيُمسكُكَ، وتَعالجَ معَه حولَ العالم حتى الصباح".



عانى الثلاثةُ طوالَ الليلِ، وهربوا في الصباحِ خائبين.



عرسٌ أُقيمَ في القصرِ، حيثُ كان الشابُّ سيتزوَّجُ من عروسِ أخيه، لكنَّ العربة تعطَّلَت، فاستعاروا مقبض المجرفةِ من الخادمةِ، ثمَّ تَعطَّلَ قاعُ العربةِ، فاستعاروا بابَ الكوخ، ثُمَّ تَعطَّلَت الخيولُ، فاستعاروا العجلَ الذي جرَّ العربةَ بِسرَعةٍ جنونيةٍ.



وعندَ العشاءِ، أَخرَجَتِ الخادمةُ التفاحةَ الذهبيةَ والدَجاجتَين، وتَشاجَرَت الدَجاجتَانِ على التفاحة، فقالَ الشابُ: "انظُروا إلى هاتِين الدجاجتَين!" قالت الخادمةُ: "نَعم، هكذا تَشاجرَنا نَحنُ عندما كُنّا في الجبلِ". وهنا، تذكَّرَ الشابُ كلَ شيءٍ، وعرفَ أنَّها حبيبتُه.



أُحرَقتِ العجوزُ الشريرةُ، وتزوَّج الشابُ من الخادمةِ، وعاشَا في هناءٍ، بعد أن علّمتْنَا الحكايَةُ أنَّ الحيلةَ قد تكونُ أبَلغَ من القوَةِ، وأنَّ الذاكرة قد تَخونُ، لِكنَّ الحبَّ الحقيقيَّ يَظَلُّ مُستيقظاً في الأعماق، يَنتظِرُ إشارةَ واحدةَ لِيَعودَ إلى الحياةِ.



لماذا البحرُ مالحٌ؟

أخوانِ كانا يعيشانِ في قديمِ الزمانِ، أحدُهُما غنِيٌّ ثريٌّ، والآخرُ فقيرُ معدمُ، لا يملكُ من الدنيا سوى كوُخٍ صغيرٍ وأولادٍ جياعٍ، وزوجةٍ منهكةٍ تَنتظرُ منه لقمة العيش.



وفي ليلةٍ عيد الميلادِ، لم يجِدِ الفقيرُ في بيتهِ لقمةَ خبز، ولا قطعةَ لحم، ولا حتى حفنةَ دَقيقٍ ليُعدَّ لعائلتِه عشاء العيد.



صرخ الأولادُ جوعاً، وبكتِ الزوجةَ، وأحسَ الرجلُ بمرارة العجزِ. فما كِان منهِ إلاَّ أنْ ذهبَ إلى أخيهِ الغنيِّ، وطرق بابهُ متوسّلاً، وهوَ يخافُ من ردِّ فعلِه: "يا أخي، باللّه عليكَ، أعطني شيئاً لِعشاءِ عيدِ الميلادِ، فالأولادُ يبكوُن جوعاً، والبيتُ فارغٌ، وأنا لا أملكُ إلاَ دموعهم".



نَظرةً باردةً ألقَاها عليهِ الأخُ الغنيِّ، وقالَ لهُ ببرودٍ وسخريةٍ: "سأعطيك لحمَ خَنزيرٍ كاملاً، لكنْ بَشرطٍ واحدٍ: أنْ تَـذهبَ بهِ إلى قاعةِ الموتى (Dead Man's Hall) الليلةَ، ولا تَرُدَّ لأحدٍ طلباً، وإلاّ فَستندم".



ارتَعدَ الفقيرُ خَوفًا، وارتَجفَتْ فَرائصهُ، لكنَّه لم يَجِدْ بدًّا منَ الموافقةِ، فَوافق بصوتٍ مرتعشٍ، وأخذَ لحمَ الخنزيرِ الثقَيلَ، وخَرَجَ في الليل الباردِ المُظلِمِ،



يَخطو بَخوفٍ نَحوَ تَلك القاعةِ المخيفةِ التي كَان الجميعُ يَخافونَ حتَّى الأقترابَ منها.



قَاعةُ مظلمةُ موحشةُ، وصلَ إليها الفقيرُ بعدَ مشقَّة وتعبِ، وإذا برجُلُ عجوزٍ ذي لحيةٍ بيضاءَ طويلةَ، واقفٍ في الخارج يَقطَعُ حطباً لعيد الميلادِ، وكانَ وجههُ مُشرُقًا كالقمر في ليلةَ تمامه.



قال لَهُ العجوزُ بلطفٍ: "مساءِ الخيرِ يا رجلُ، أينَ تذهبُ في هذهِ الساعة المتأخرةِ؟" قالَ الفقيرُ: "أنا ذاهبٌ إلى قاعة الموتى، كمُا وعدتُ أخي." قالَ العجوزُ: "أحسنتَ، لكنَ احذَرْ! حينَ تدخلُ، سيَحاولُ الجميعُ شراءَ لحمَ الخنزيرِ مِنْكَ، لأنَهمْ لا يَأكلون اللحم كثيرًا هنَاكَ. لا تبعْهُ إلاّ بمقابلَ المطحنةِ اليدويةِ التي خلفَ البابِ. وعندما تَخرُجَ، سأعلُمُكَ كيفَ تُوقفُها.".



شَكرَهُ الفقيرُ، ودخلَ القاعةَ المرعبَة، فوجدَ أمواتاً وأشباحاً يتهافتونَ عليه، كلٌّ يعرِضُ عليه ثمنًاً باهظًا للحمَ الخنزيرِ: ذهباً، فضة، جواهرَ، لكنَّهُ تذكَّرَ نصيحةَ العجوزِ، وقالَ بحزمٍ: "لاَ أبيعُ اللحمَ إلاَ بالمطحنة اليدوية التي خلفَ الباب" . تذمَّرَ الأمواتُ، لكنَّهمَ وافقوا، وأعطوهُ المطحنةَ، فخرجَ مسرعاً يجرُها



مطحنةٌ سحَريةٌ، حملَها الفقيرُ إلى العجوزِ، الذَي علَّمه كَيفَ يَوقِفُها، ثمَّ عادَ بها إلى كوخِهِ، حيَثُ كانتْ زوجتُه وأولادُه يَنتظرونَه بفارغِ الصبر. وضعَ المطحنةَ على الطاولةِ الخشبيةِ القديمةِ، وتنفَّسَ الصعداءَ، وقالَ لها بأملٍ:



"يا مطحنةُ، اطحني لي ضوءاً يَنيرُ الكوخَ، ومفرشاً يَسترُ الأرضَ، ولحماً يَشبعُ الجياعَ، وخبزاً يَسدُّ الرمق، وكلَّ ما يلزَمُ لعشاءِ عيدِ الميلادِ". وفعلتِ المطحنةُ ما أمرَتْ بِه في لحظةٍ، فامتلأ الكوخُ بالخيرات، وأكلَتِ العائلةُ حتى شبعتْ، وتهادى الأولادُ فرحينَ، وعاشوا في رغدٍ أياماً.



وفي اليومِ الثالثِ، دعا الفقيرُ جيرانه وأصدقاءَه إلى وليمة عظيمةٍ، فتعجَّبَ الجميعُ منْ هذا الغنى المفاجئ، وتساءلوا: "كيفَ أصبحَ هذا الفقيرُ بَهذا الثَراءِ في ليلةٍ واحدةٍ؟"



حسدً عَظيمً ملأ قلبَ الأخُ الغنيَ حين رأى ما صار إليه أخُوهُ الفقِير من ثراءٍ، وتخَيَّل نفسه مكانَهُ. جاءِ إليه متظاهراً بالفرج وقالَ لهُ: "أخبرني يا أخي، كَيفَ أصيحتَ غنيَّاً بهذهِ السرعةِ؟ هلْ وجدتُ كنزَاً؟ هلْ ورثْت مالاً" تَملَّصَ الفقيرُ في البدايةِ، لكنَّه بعدَ أنْ شرِبَ قليلاً من الخمرِ في نَهايةِ الوليمةِ، أفشى السرَّ، وأحضَرَ المطحنةَ، وأراها لأخِيهِ كيفَ تَطحنُ كَلَّ ما يُطلبُ منها: طحنتْ لهُ طعاماً، وشراباً، وذَهباً .



عندها، أَصرَّ الأخُ الغنيَّ على شراءِ المطحنةِ، ودَفعَ ثَلاثَ مِئَةِ دولارٍ، على أنْ يَحتفظَ بها الفقيرُ حتى موسمَ الحصادِ.



لكنَّ الفقيرَ، الذي كانَ قدْ نَسي في نشوتِهِ، لم يُعلِّمَ أخاهُ كيفَ يُوقِفُها، ونسي تماماً أنْ يَذْكُرَ لهُ هذه المعلومةَ الحيويةَ.



كارِثةٌ حلَّتْ ببيتِ الأخِ الغنيِّ في صباحِ اليومِ التالي، حينَ طلبَ منَ المطحنةِ أنْ تَطحنَ لهُ رنجةً وحساءَ حليبٍ، لأنَّهُ كانَ يَحبُّ هذا الطبق.



ففعلتِ المطحنةُ، لكنَّها استمرَّتْ في الطحن، وامتلأَ المطبخُ بالرنجة وحساءِ الحليب، ثمَّ البيتُ كلُّهُ، ثمَّ الحقولُ المجاوِرة، وغمر الحساءِ كلَّ شيءٍ. حاولَ الرجلُ إيقافَها بكلِّ الطرق: لفَّها، قَلبَها، صرخ فيها، لكنَّها لم تَتوقَّفْ للحظةٍ، وكادَ أنْ يغرقَ في بحرِ الحساءِ المتدفِّق.



فهربَ إلى أخيه يستغيثُ، وصرخ: "خذْها! خذْها! وإلاَّ غرِقْنا كلُّنا!" ودفعَ ودفِعَ لهُ ثلاثَ مئة دولارٍ أخرى ليأخُذ المطحنةَ ويستردِها.



وهكذا عادتِ المطحنةُ إلى الفقيرِ، وازْدادَ ثراءً، حتى بنى قصراً منَ الذهبِ الخالصِ على شاطئِ البحرِ، يَلمعُ كالشمسِ في عيونِ كلِّ منْ يراه.





بحَارٌ طَمَّاعٌ، كانَ يُبحرُ قريبًا من الشاطئِ، رأى القصرَ الذَّهبيَّ يتألأُ من بعيدٍ،
فاقتربَ وسألَ عنِ المطحنةِ، فعرفَ أنّها تَطحنُ الملحَ.
فكَرَّرَ في نفسِهِ: "لوْ امتلكتُ هذهِ المطحنةَ،
لما احتجتُ إلى الإبحار بعيدًا لِجلبِ الملحِ من البلادِ البعيدةِ."



فقَرَّرَ شراءَها، ودفعَ للفقيرِ آلافَ الدولاراتِ، وحملَ المطحنة
على ظهر سفينتِهِ، وأبحرَ بها مسرعًا، خوفاً منَ أنْ يتراجعَ البائعُ.
وفي منتصفِ البحرِ، طلبَ من المطحنة أنْ تطحنَ لهُ ملحًا، ففعلتْ،
وامتلأتِ السفينةُ بالملحِ في لحظةٍ، وحاولَ إيقافَها لكنَّهُ عجزَ.



وظَلَّتْ تَطحنُ حتى غَرقَتِ السفينةُ والملحُ في قاعِ البحرِ،
وغرقَ البحّار الطَّمّاعُ معَ كُلِّ ما كان يملكُ.



بَقاْءِ المَطحنةُ في قاعِ البحرِ، تطْحَنُ الملحَ إِلَى يَومنَا هذا، وهَذَا هُوَ سببُ ملوحةِ ماءِ البحْرِ الأَبدية.



وهكَذا عَلِمتِ البشريةُ أَنَّ الجشعَ قدْ يُغرِقُ صاحِبهَ، وأَنَّ بعضَ الكنُوز قَد تكونُ نقمةً إذَا لمَ يَحسنَ استخدامُها.



وأَنَّ البحرِ يحتفظُ بأسراره، ويُذكِّرنا كلَّ يومِ بِملحِ الحكايات. القديمةِ التي لا تموتُ، وتَبقى في الذَاكرةِ كما يبقى ماءُ البحرِ مالحَاً إلى آخر الزمان.





القط الأستاذ

مطحنةٌ عجوزٌ كانتْ آخرَ ما تركه طحَانٌ فقِيرٌ لأبنائِه الثلاثةِ بعدَ وفاتِه، إلى جانب حمارٍ وقطٍّ.



اقتسمَ الأبناءُ الميراثَ بسرعةٍ، دونَ الحاجة إلى كاتبٍ أو محامٍ، فأخذَ الأكبرُ الطاحونَة، وأخذَ الثانِي الحمارِ، وأمَّا الأصْغرُ فلمْ ينلْ سوى ذلكَ القَطِّ.



جلسَ الشابُ حزيناً يائساً، وأخذَ يُفكِّرُ في مسَتقبله البائسِ، وقالَ في نفسِه: "إخوتيْ يستطيعونَ العيشَ كريماً بفضلِ ما ورثوهِ، أمَّا آنا، فبعدَ أنْ آكلَ لحمَ هذا القَطُ، وأتخذَ منْ جلدِهِ قَفُازِين، سأموتُ جوعاً لا محالَةَ".



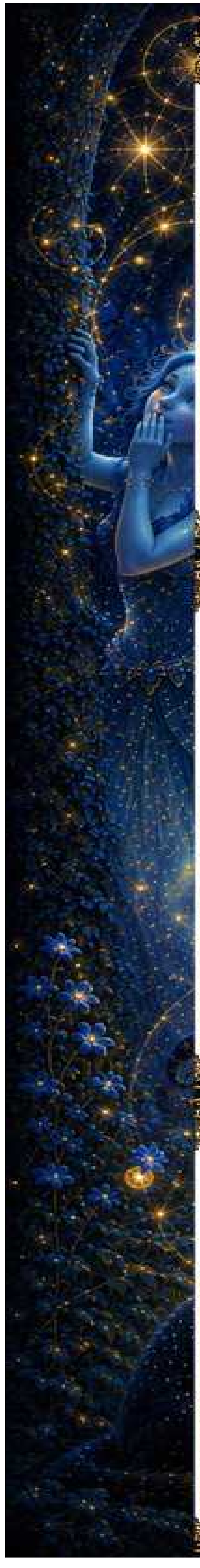
دَهشةٌ أَصابتِ الشابَّ حينَ سمعَ القطُّ يتَحدَّثُ إليهِ بوقارٍ وثقة، فقدْ قالَ له: "لا تحزنْ يا سيدي، ولا تيأسْ منْ رحمةِ اللَه. أعطني كيساً منَ القماشِ، واصنعْ لي حذاءً أَمشي بهِ بينَ الأشواكَ والوحلَ، وسترى أنَكَ لمْ تخسرْ كثيرًاَ بِهذا الميراثَ، بلْ ستَجِدُ فيهِ كنزاً لا يُقدَّرُ بثمنٍ".



كانَ الشابُ قدْ شاهدَ منَ قَبلُ هذا القطُّ يَحتالُ على الفنرانِ بدهاءِ، ويتظاهرُ بالموتِ ليصطادَها، فلمْ يَترَدَدْ كثيرًا في تصديقِ كلامهِ، وأعطاهُ ما طلبَ، وصنعَ لهُ حذاءً أنيقَاَ منَ الجلدِ الناعمِ.







انطَلقَ القطُّ بحَذائهِ الجديد، حاملا كيسهِ الفارغَ،
ومضى إلى غابةٍ كثيرة الأرانَب، حيثُ وضعَ في
الكيِس بعض الشعيرِ والأعَشابِ الطريةِ،



ثَمُ استلقى على الأرضِ كالميتِ، ماذًا رَجليه وذيَله
ببرِودِ، ينتظرُ أرنَباً ساذجاً يَقتربُ. وما هي إلا لَحظاتٌ
حتى قَفزَ أرنَبٌ صِغيرُ، لمُ يَختبرُ مكرُ الدنيا بَعدُ، فرأى
الكيس المفتوحَ وما فيه منْ طعامِ، فاندفعَ إليه بلهفةٍ،



وما إنْ دَخلَ حتى أمسك القطُّ بحبلِ الكيس وأغلقهُ بسرعَةٍ.
فِرحَ القطُّ بفريِستِه، وحملَ الكيسَ إلى قصَرِ الملكِ،
وطلبَ مَقابَلةَ جِلالتِه.



قصرٍ عظيمٍ دَخلَه القطُّ بانحناءَةٍ مهيبةٍ، وقَدَّمَ الأرنبُ للملك وقالَ بِصوتٍ واثقٍ: "ياَ مولاي الملكِ، إنَّ سيدي، الماركيزُ دي كاراَبِاسَ (وهو اللقَبُ الذَي اختارهُ القطُّ لسيدهِ، يَهدِهذَا الأرنبُ النُفيسَ منَ صيدهِ،راجياَ منَ جلالتك قَبولُه".



سرَّ الملكُ بِهذهِ الهديةِ، وأمرَ بأنْ يُعطى القطُّ مالاً وفيراً وأثنى على كرمِ الماركيزِ المجهولِ.



وفي الأيامِ التاليةِ، كرَّرَ القطُّ حيلته، فاصطادَ حَجلات وطيوراً بِرِّيَةٍ، وقدَّمها للملك بِاسمِ سيدهِ، حتى أصبحَ الملك يُذْكُرُ "الماركيزُ دَي كارِبِاسَ" بالخيرِ والثناء.





يَوْمٌ علِم فيهِ القطُّ أنَّ الملك سيَمُرُّ بجانبَ النهرِ معَ ابنَته، أجمَلَ أميراتِ المملكةِ، فهرعَ إلى سيده وقالَ له: "يا سيدي، إنْ أردتَ أنْ تصنعَ ثروتكَ وتُحقِّقَ حلمَكَ، فافعَلْ ما أقُولُه لكَ الآنَ: اذْهَبْ إلى النهرِ واغتَسَلْ في المكانِ الذي سأُرِيكَ إياهُ، ودَع الباقيَ عليَّ".



ذَهبَ الشابُّ إلى النهرِ، ونزَعَ ثيابَه واغتَسَلَ، وبينما هو في الماءِ، بدأَ القطُّ يَصرخُ بِأعلى صوتِهِ مذعورًا: "النَجدَةَ! النَجدَةَ! سيِدي الماركيزُ ذي كاراباسَ يَغرقُ! ساعدوني يا ناسُ!"



سمعَ الملكُ الصراخَ منَ بعيدٍ، وأمرَ حراسَه بالنزَولِ إلى النهَرِ لإخراجِ الشابِّ.



ثيابٌ فاخرةٌ من حريرٍ ودَيباجَ، أمَرَ بها الملكٌ
لـ "الماركيزُ" الذي أنَقذوهُ منَ الغرقِ،
وما إنِ ارَتدى الشابُّ تلكَ الثيابَ حتىَ بدا
كأحدِ أمراءِ الدنيا، وسيم الطلعةِ، أنَيقَ الهندامِ،



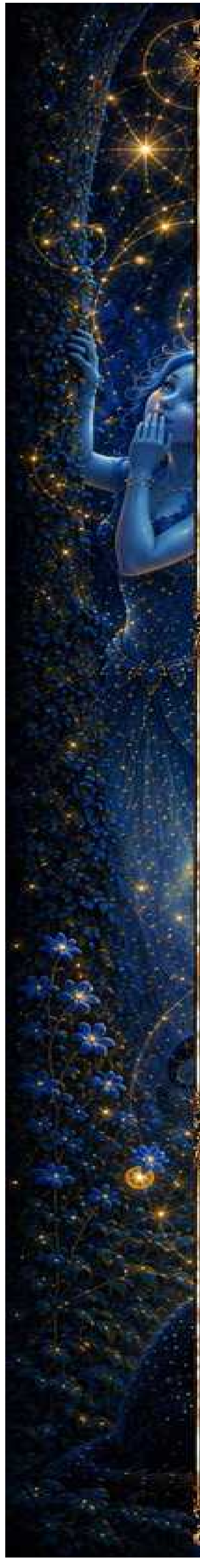
فوقعتْ فيهِ الأميرةُ منَ النظرةِ الأولى،
وأحسَّ قلبُها بَخفقَانٍ لمْ تِعهدهُ منَ قِبلَ.



ركبَ الشَابُّ معَ الملكَ وابنتِهِ في عرَبِتهما الملكيةِ،
بينما رَكضَ القطُّ أمامَ العربةِ، يَخططُ
لمكيدتِه التالية بذَكاءِ مُخيفِ.







مكرٌ جديدٌ، فقدْ وصلَ القطُّ إلى حقلٍ واسعٍ يَحصدُ فيهِ الفلاحون القمحَ، فقالَ لهمْ بِلهجةٍ آمرَةٍ: "أيُها الناسُ، إنْ سألكمُ الملك عمَّنْ تملكون هذهِ الأرضُ، فقولوا له: 'إنّها للماركيزُ دي كاراباسَ'، وإلاَّ فسأُقطِّعُكمْ إربَاً إربَاً".



خافَ الفلاحونَ منْ تهديد القطِّ، ووافقوا على ما طلبَ. وعندما مرَّتِ العربةُ الملكيَّةُ، توقَّفَ الملكُ وسألَ الفلاحينَ: "لمنْ هذهِ الحَقول الخضرَاءُ؟".



فأجابوا بِخوفٍ وارتعاشٍ: "إنَّها للماركيزُ دي كاراباس يا مولاَي". ابتسمَ الملكُ، وازداد إعجابُه بِالشابِّ.



اَستمرَّ القطُّ في سباقهِ أمامَ العربةِ، ووصلَ إلى حقولِ القمحِ والحنطةِ، وقالَ للحصادينَ ما قالَ للفلاحِينَ، فأجابوا الملكَ بالمثل: "إِنَّها للماركِيزَ دِي كارابِاس" .



وهكذا، في كلِّ مكانٍ يَمرُّونَ بِه، كانَ الفلاحون يَشهدونَ بِأَنَّ كلَّ هذهِ الأَراضي تعودُ للماركِيزَ المجهولِ،



حتى اندهشَ الملكُ منْ حجمِ ثَرَوتِه، وظنَّ أنَّه أحدُ أغنى نبلاءِ المملكةِ.



قلعَة عظيمَةٌ كانتْ آخرَ محطةٍ في رحلةِ القطِّ، قلعةُ غولٍ شريرٍ هائلٍ، كان يَمتلكُ كلَّ تلكَ الأراضي التي مرَّ بها الملكُ. طلبَ القطُّ مقابلة الغولِ، وقال لهُ بِدهاءٍ وحِيلةٍ: "لقدْ سمعْتُ يا سيدي أنَّ لكَ قدرةً خارقَةً على التحوّلَ إلى أيِّ حِيوانٍ تشاءُ، فَهلْ هذا صحِيحٌ؟"



قالَ الغولُ بفخرٍ: "نعم، إنَّني أستطيعُ أنْ أتحوَّلَ إلى أسدٍ، أو فيلٍ، أو أيِّ مخلوقٍ ترغبُ فيه". قال القطّ: "أرني إذن، تحوَّلْ إلى أسدٍ لأراك". تحوَّلَ الغولُ في الحال إلى أسدٍ ضخم مخيفٍ، فَقفزَ القطُّ خوفاً على الحائطِ، وارتعدتْ فَرائصُهُ.



وعندما عادَ الغولُ إلى هيئتهِ البشريةِ، قالَ القطُّ مبتسمًا: "وهلْ تستطيعُ أنْ تتحوّلَ إلى شيءٍ أصغرَ، كالفَأرِ مثلًا؟" استهانَ الغولُ بسؤال القطِّ، وقالَ بسخريةٍ: "بالطبعْ!" وتحوّلَ في لحظةٍ إلى فأرٍ صغيرٍ يَجري على الأرضِ، وهنا، انقضَ القطُّ عليه بسرعةِ البرقِ، والتهمهُ في لحظةٍ، ولم يَتركْ لهُ أثرًا.



فَرِحَ عارمُ عمَّ القصرَ، فعندما وصلَ الملكُ
إلى القلعةِ المهيبةِ، كانَ القطُّ ينتظرُهِ عندَ البوابةِ الذهبيَةِ،
وقالَ لهُ بانحناءةٍ: "أهلاً بكَ يا مولايَ في قلعةِ
المارِكيز دي كارابِاس".



دخلَ الملكُ القلعةِ، ورأي فخامتَها وجمالها،
فأعجبَ أيَّما إعجابٍ، والتفتَ إلى الشابِّ وقالَ له:
"يا ماركيزي العزيزُ، هل لي أن أخطُّ ابنتي هذهِ لكَ زوجةً؟"



لمْ يتردّدِ الشابُّ، وقبَلَ العرضَ بكلِّ سرورٍ، وأقيمَ حفلُ الزفافِ
في ذلكَ اليومِ بعينِه، وكان منَ أعظم الأفراحِ التي
شهدَتُها المملكة.





أمّا القطُّ الأَستاذُ، فقد أصبحَ نبِيلاً كبيرًا، يُعاملُ بِالاحترامِ والتقديرِ، ولمْ يَعُدْ يَصْطادُ الفَئرانَ إلّاَ منَ أجلِ المتعةِ والترفيهِ، تاركاً خَلفهُ حكايةً تُروى عنْ مكرِ القططِ، وذكاءِ المخلوقاتِ الصغيرةِ التي تُغيّرُ مصَائرَ البشَر.



وهكذَا عَلمتِ البشَرِيَةُ أنَّ العقلَ المدَبِّر قد يكونُ أعَظمُ منَ السيفِ، وأنَّ الصَورةِ الجمِيلةَ التي نبنِيها لأنفَسِنا قد تكونُ مفتاحَ نجاحِنا في عيونَ الأخرينَ،



وأنّ القطُّ، بِخذائِه الجديدِ، قد يَصنعُ منَ الفقرِ مِلكاً، ومنَ اليأَسِ أملًا.



"فيليسيا" أو "الجنيةَ ذاتِ الأصيصِ"
(Fortunée)

ميراثٌ كانَ كلُّ ما تركَه فلاحٌ فقيرٌ لابنتِه وابنِه بعدَ موتِه:
كَرسيانِ، وسريرٌ منَ القشِّ، ودجاجةٌ، وأصيصُ قرنفلٍ،
وخاتَمٌ فضيٌّ. كانَ الفلاحُ قدْ أوصى ابنتَه فيليسيا،
التي كانَتْ أصغرَ أولادِه وأجملَهم، أنْ تحتفظَ بالخاتمِ
والأصيصِ، وتُقدِّمَ لأخيها برونو ما تبقَّى.
وبعدَ أنْ ودَّعَهما، غادرَ الفلاحُ الدنيا، وتركَهما يواجِهان الحياة.



وفي صباحِ اليومِ التالي، جلسَ برونو على أحدِ الكرسيين،
وقالَ بغلظةٍ: "احتفظي بأصيصِ القرنفلِ وخاتمِك،
ودعيني وشأني، فأنا أحبُّ النظامَ في بيتي."
جلستْ فيليسيا باكيةً في الزاويةِ، لكنَّها لمْ تتجرأْ على الردِّ.



وعندَ المساءِ، أكلَ برونو بيضةً،
ورمى قشرتَها نحوها قائلاً:
" هذا كلُّ ما لك، فإنْ لمْ يعجبْك،
فاخرجي واصطادي الضفادعَ منَ المستنقعِ."





حزَنٌ غَمرَ قلَبَ فيليسيا، فصعَدتْ إلى غرفتَها الصغيرَةِ، ورأتْ أصيصَ القرنفلَ يَعبقُ عطرًا، فاقترَبَتْ منه وقالَتْ باكيَةً: "يا أزهارِي الجميلةَ، أنْتُنَّ عَزائيَ الوَحيدُ، سأَرويكُنَّ كلَّ يَومٍ، ولنَ أسَمحَ لأَيِّ يدٍ شريرةٍ أنْ تَقَتَلعكُنَّ".



وانحنتْ لتَسقيَها، فإذا بالأصيص بابسٌ، فحملَتْ إبريقَها وركَضَتْ إلى النافورةِ البعيدةِ في الغابةِ. ومَا إنْ جلستْ على حافّتها حتىَ رأتْ موكبًا مهيبًا، ملكةٌ جميلةٌ يحَفُّ بها عددٌ منَ الخادماتِ، فاختَبأَتْ خلفَ شجرةٍ. قالت الملكةُ: "أرى راعِيةً خلفَ تلِك الشجرةِ، ادعُها إليَّ".



تقدَمتُ فيليسيا بخوفٍ، وسجدَتْ للملكة، فسألَتها الملكةُ: "ما الذي تفعلينه هنا في هذهِ الساعة المتأخرةِ يا صغيرتي؟". أجابتْ فيليسيا بتَواضَعٍ: "جئتُ لأملأَ إبريقي لأزَهاري، يا سيدتي".



عطاءٍ لَمْ تَنْسَهُ الملكةُ، فقدْ أعطتْ فيليسيا إيريقاً سحريًا يَمْلأُ نفسه بِالماءِ العطرِيِّ، وقالتْ لها: "هَذا الإيريقُ لكِ، وسيذَكُرُكِ بِأنَّ ملكةَ الغابةِ صديقتُك."



شَكرَتْها فيليسيا، وركضَتْ إلى بِيتها، لكنَّها وجدتْ أنَّ برونو قدْ سرقَ أصيصَ القرنفل ووضعَ مكانه ملفوفةً .حزنتْ فيليسيا حزنًا عميقاً، ورجعتْ إلى الملكةِ باكيةً،



وقَدَمتْ لها خَاتَمها الفضيَّ قائلَةً: "خذَيه يا سَيدتي، إنَّه كلُّ ما أملَكُ الآنَ". ابتسمتِ الملكةُ وقالتْ: "سأحتفظُ بِه، وسَيكونُ دليلاً على صداقَتنا."



كَلَمةٌ عجيبَةٌ سمَعَتُها فيليسيا منَ الملفوفةِ التي أَلقَتُها مِنَ النافذَةِ، فقدْ صرخَتِ الملفوفةُ: "آه! لَقدْ كدْتِ تَقتُليني"! ارتعدَتْ فيليسيا، لكنَّ الملفوفةَ أخبرَتها أنَّ برونو أخفى أصيصَ القرنفل تحتَ سريرِهِ.



وعندَما حاولَتْ فيليسيا استعادتَه، هاجَمَها جيشٌ منَ الفئرانِ، لكنَّها استخدَمَتْ ماءَ الإبريقِ السحريِّ، فرشَّتْهُ عليهِمَ، ففَرَّتِ الفئرانُ مذْعورةً.



وعندَما لمستِ الأزهارَ، همستْ لها زَهرةٌ: "فيليسيا الجميلةُ، لقدْ جاءَ اليومُ الذي أستطيعُ فيهِ أنْ أقولَ لكِ إنَّ الأزهارَ تُحبُّك". صعِقَتْ فيليسيا، وغُشِيَ عليها.



مَلَكةُ الغَابةِ كانتْ تَنتَظرُها عِندَما أَفَاقتْ، وقالتْ لها: " لدَيكِ أخٌ شريرٌ، أتَريدِينَ أنْ أعاقبَهُ؟ " قالتْ فيليسيا: " لا، يا سيدَتي، لستُ غَاضبةً منه". قالتِ الملكةُ: " هلْ تَعلمينَ أنَّكِ أميرَةٌ؟ لقدْ أخبَرتَكِ الدجاجةُ بذَلَك.".



فَجأَةً، ظَهرَ شابٌ وسِيمٌ يرتدَيَ ثَوباً أخضرَ ، وعلى رأسِهِ تاجُ القُرنفَلِ، وسجدَ للملكةِ، فقالتْ: "ابني، ها هوَ أصيصُ القَرنفَلِ قدْ عادَ إلى شَكلهِ الطبيعيِّ يفضل فيليسيا ".



وعنْدَها عرَفَتْ فيليسيا أنَّ الأميرَ كانَ مسحَوراً، وأنّها حرَّرَتْهُ بحبِّها ورعايَتِها للأزهار.



زَواجٌ أُقيمَ فِي القصْرِ الجديد الذيَ حوَّلته المَلكَةُ مِنَ الكُوَح، وتزَوجُت فِيليسيا الأميرَ، وعاشوا فِي سعادةِ.



بينما أصبحَ برونَو نبيلاً بعدَ أنْ علَّمتَه المَلكةُ التوَّاضَع. وعَادَتِ الدجاجَةُ والمَلفوَفةُ إلى شَكلهما البشريَ، وعاشَ الجميعُ فِي سلامٍ.



وهكَذا عَلِمتِ البشَريةُ أنَّ الطَيبةُ تُكَافأ، وأنَّ الجمالَ الحَقيقيَ ينمو فِي القلُوبِ النقَّيةِ، وأنَّ الأزهارَ تحملُ أسَرارًا لا تُروىَ إلاَّ لمنْ يستحَقُّهَا.



القطةُ البيضاءُ

ملكَ عجوزٌ كانَ لهُ ثَلاثَةُ أبناء، كَلُّهم شُجعانٌ أذكياءُ، فَخَشيَ الملكُ أنْ يَطْمعَوا في عرْشِهِ قَبلَ أن يَموتَ، مِعَ أنه كانَ لا يزالُ قَادرَاَ على الحكم.



فَفَكَّرَ في حَيلةٍ، وجَمعَ أبناءَهَ وقَالَ لهم: "يا أبنائي، لقدْ كبِرتُ في السَّنِّ، وأريدُ أنْ أعتَزلَ الحكم، لكنْ قَبلَ أن أعَيَنَ أحدَكُم وريثَاَ، عليكُم أن تَذْهَبوا في رحلةٍ وتَجِينَوا لي بأجملَ كلبِ صِغيرِ، وَمَن يَحَضِرُ الأجملَ فلهُ العرْشُ".



وافقَ الأبناءُ، وتزَوَّدوا بالمالِ، وانطلقَوا في رحلتِهِم، مَتَّفقينَ على أنْ يَلتَقوا بعدَ عام في نَفْسِ المكانِ.



سَفرُ بدأهُ كلُّ أميرٍ فـي اتَّجاهِ مختَلفٍ، والأصَغرُ منهمْ، وَكانَ يُدعى الأمِيرُ، سارَ أياماً فـي غابةَ مَظلمةِ عاصَفةِ، حتى ضَلَّ الطريق، وأوشك عَلى الموت جَوعَاً وبرداً.



وفَجأةً، رَأى نَوراً يلَمعُ مِنْ بعَيدِ، فاتَّجَهَ نحوه، وإذا بقصَرٍ عَجِيبِ، أبوابُه منْ ذهبِ مُرصَّعِ بالياقوتِ، وجَدَرانُهِ مَنْ خزفِ مُلوَّنِ، وعليه صَورُ حكاياتِ القَطط المشهورَةِ.



شدَّ الأميرُ جرسَاً منَ الماسِ، فانفتحَ البابُ، وإذا بأيادِ طائرةٍ تَحمَلُ مَشاعلَ، وتُرشدُه إلى دَاخلِ القصَرِ. وفي قاعةِ العرشِ، وجد قَطَّةً بيضاءَ صغيرَةً، ترتدي جحاباً أسَودِ، وتجلسُ عَلى كرسِيِّ منَ العاجِ، وتُحيطُ بها قَططِ تحمَلُ السيوف وتَعزِفُ الموسيقى.



قَطةٌ بيضَاءَ نَطقَتْ بصوتِ ناعمَ،: "أهلاً بكَ يا أميرَ، أنا مَلكةُ القَططِ، وسأُكرِمُكَ ضَيفاً". تَعجَبَ الأميرُ، لكنَّهُ قَبِلَ الضيافةَ، وجلسَ مَعها على مائدةٍ منَ الذهبِ، حيثُ قُدِمَ لهُ طعامٌ شَهِيٌّ، بينما قُدِّمَ للقطةِ فِئرَانٌ، مَحمَّصَةٌ! ضَحكَ الأميرُ في سرِّه، لكنَّهُ تَذكَّرَ أنَّهُ في مَملكةِ القَططِ.



وبعدَ العشاءِ، أَقامتِ القَطَةُ حفَلاً موسيقيًّا، ثَمَّ أوصَدَتْ لهُ غرفَةَ نَومٍ منْ الحرِيرِ والرِيشِ.



وفي الصباحِ، صحا الأميرُ على ضجَةِ قططِ تَصَطادُ، فركبَ حصَاناَ خَشبِيّاَ أعطتْهُ إِيَّاهِ القَطَةُ، وانطلق معها في رحلةِ صيدِ عجيبةِ، حيثُ كانتِ القطةُ تَركَبُ قَرداَ، وتَصَطادُ النسورَ بِمَهارةٍ.





أَيَامٌ مَضتْ، وَكانَ الأَميرُ يَقضي وقتَهَ معَ القَطةِ البيضاءِ، يتَحدَّثَانِ ويَضحَكانِ، وقدْ نَسِيَ تمامًا مَهمَّتَه في البحثِ عنْ كلبٍ للملُك.



لكنَّ القَطةَ، التي كانتْ تعَرِفُ كلَّ شيءٍ، ذكرتُهَ ذاتَ يومٍ بالمَوْعدِ، وقَالتْ لهُ: "يا أميرُ، هلْ نسِيت وعدَكَ لأبيِكَ؟" تَذكَّرَ الأميرُ فجَأةً، وأخذ يَندَبُ حظَّه، لكنَّ القَطةَ قالتْ لهُ: "لاَ تَحزَنْ، ها هَيَ الجوَائرُ التَي تَحتاجُها".



وأعَطتُهُ بندقَةً، وقالتْ: "في هذهِ البندقِة كلبٌ صَغيرٌ، لا تَفتحُها إلاَّ أمامَ أبيكَ". فرحَ الأَميرُ، وَودَّعَ القَطةَ، وركبَ حصَانَهَ الخشبِيَّ الذي نقَلَه في لحظَةِ إلى مَوعدِ إخوتَه.



منافسةٌ كانتْ بينَ الإخوةِ، فَقَدْ أحضرَ كلٌّ منهمْ كلبًاَ صغيراً جميلاً،
لكنْ عندَما فتَحَ الأمِيرُ الأصغرُ بندقَتَهُ، خرجَ منها كلبٌ صَغيرٌ جدَاً،
لا يَزيدُ حَجمُه عنْ إصبعِ اليدِ، ورقَصَ عَلى الأرض بِبراعَةٍ،
فأُعجِبَ الملكُ بِهِ أيَّما إعجابٍ.



لكنَ الملكَ، الذي كانَ لا يريدُ التخلِّي عنْ عرشهِ، طلَبَ منهمَ رحلَةً ثانيةً:
أنْ يَبحثَوا عنْ قطعةِ قماشٍ رقيقةٍ تَمرُ منَ ثقبِ إبرةٍ.
عادَ الأمِيرُ إلى القطَةِ البيضاءِ، فأعطتْهُ جوزةً، وَعندَما فتَحَها
أمامَ الملكِ، وجدَ فيها قطعةَ قماشٍ طوَلُها أربعمِئةِ ذراعٍ،
تَمرُ منْ تقبِ الإبرةِ ستَّ مرَّاتِ!



لكنَ الملكَ طلَبَ رحلَةً ثالثةً: أنْ يُحَضرَ كلٌّ منهمْ أميرَةً جمَيلةً
ليتَزوَّجَها.





عَودةَ إلى القَطَة، لكنَّ هذهِ المرَةِ كانتْ مَختَلفة،
فَقَدْ طلَبتِ القَطةُ منَ الأمِيرِ أنْ يَضربَ عَنُقها بسيفِهِ،
فَتَرَدَّدَ بَشدَّةٍ، لكنُها أصَرَتْ، فَضرَبَها،
وإذا بها تَتَحوَلُّ إلى أميرةٍ جميلةِ، هي ابنَةُ ملكٍ عظيمٍ،
كانتْ قَدْ سُحرَتْ منَ قَبلِ جنيَّة شَريرَةِ.



فَرحَ الأميرُ، وَتَزوّجا في الحالِ، وعادا إلى الملكَ،
حيثُ أُعَلنَ الأميرُ الأصغرُ وريِثًا للعرشِ، وَتَزوَّجَ إخوَتَهُ منْ
أميراتٍ أخَريَاتٍ، وعَاشَ الجميعُ في سَعادةِ وهنَاءِ.



وهكذَا عَلمَتِ البَشريةُ أنَّ الجمَال قَدْ يَختبئُ تَحت قَناعِ
غريبٍ، وأنَّ الحبَّ الصادقَ يَكَسرُ كلَّ سحرِ، وأنَّ القَطةُ البيضاءَ
ستَظَلُّ تَذْكِرُنَا بأنَّ القَلوبَ النَقية هيَ وحدَها
مَنَ تَستَحِقُّ العروشَ.



ناسجات الذهب

كوخٌ صغيرٌ كانَ مُختبئاً في أعماقِ غابةٍ كثيفةٍ، لا يَصلُ إليهِ ضوءُ النهارِ إلاَّ منْ خلالِ أوراقِ الشجرِ المتشابكةِ. في ذلكَ الكوخِ، كانتْ تعيشُ عجوزٌ شريرةٌ معَ ثلاثِ فتياتٍ جميلاتٍ، كلٌّ منهن أجملُ منَ الأخرى، لكنَّ الصُغرى كانتْ تفوقُهنَّ جميعاً جمالاً وبهاءً.



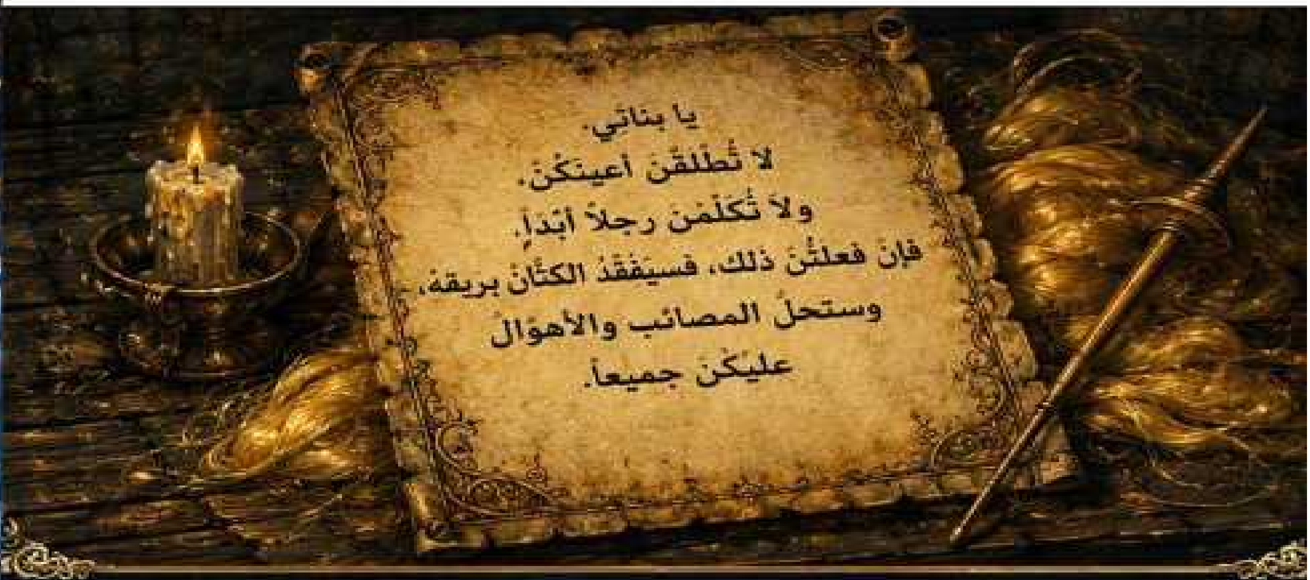
كانتِ العجوزُ تُشغلُ الفتياتِ منَ الفجرِ حتى المغيبِ في غزلِ كتَّانٍ ذهبيٍّ، وتحويلِهِ إلى خيوطٍ ثمينةٍ ناعمةٍ، وإذا فرغتْ مغزلٌ منْ يدٍ، أعطيتْ مغزلاً آخرَ، فلا راحةَ ولا هدوءَ، والعملُ لا يتوقَّفُ لحظةً.



وكانتِ الخيوطُ الذهبيةُ تُخزَّنُ في غرفةٍ سريةٍ، لا تدخلُها الفتياتُ ولا يَعرفنَ ما يُصنعُ بها. وكانتِ العجوزُ تَرحلُ بَينَ الحينِ والآخرِ في رحلاتٍ غامضةٍ طويلةٍ، ولا تُخبرُ الفتياتِ أبداً منْ أينَ تأتي بالكتَّانِ الذهبيِّ، ولا لِماذا يُغزلُ، ولا إلى أينَ تَذهبُ في رحلاتِها الغامضةِ.



تحذيرَ كانتِ العجوزُ تَكَرِّرُهُ كلّما غادرتَ، بصوتٍ حادٍّ وجادٍّ: "يا بناتي، لا تُطَلِّقْنَ أعينَكُنَّ، ولا تُكَلِّمْنَ رَجلاً أبداً، فإنْ فعلتُنَّ ذلك، فسيَفقِدُ الكتّانُ بريقَهُ، وستَحلُّ المصائبُ والأهوالُ عليْكُنَّ جميعاً".



كانتْ الفتياتِ يَضحَكْنَ منْ هذَا التَحذيرِ في سرِّهنَّ، ويتَساءُلْنَ بسخْريةٍ: "وكيفَ نُكَلّمُ رجلاً ونَحنُ في هذَا الكوخِ المنعَزلِ وسطَ الغَابةِ المظّلمةِ؟ لا يمُرُّ بنَا سوى الغَزلانَ والعصافيرِ".



لكنَّ القَدرَ كانَ لهُ رأيٌ آخرُ. ففي اليومِ الثالثِ منْ غيابِ العجوزِ، وبينما كانتْ الفتياتُ يَغزلْنَ في صمتٍ، ضلَّ أميرٌ شَابٌّ وسيمُ طريقهُ في الغَابةِ أثناءَ رحلةِ صيدٍ، وانقَطعَ عنْ رَفاقهِ وحاشيته. تعبَ الأميرُ وألقى بنفسه تَحتَ شجرةٍ عتيقةٍ، وغَطَّ في نَومٍ عميقٍ، حتى غابت الشمسُ. وعندَ الغرُوبِ، استيقظَ وشرعَ يبحثُ عنْ طريقٍ للخُروجِ، حتَى اهتدى إلى دربٍ ضيِّقٍ، قادهُ إلى الكوخِ الذي يَسكُنُه الفتيات.





لقاءً كانَ بينَ الأمير وأَصِغرَ الفتياتِ، تلكَ الحسناءِ التَي كانتْ تَجلس علىَ بابِ الكوخَ تَستَنشُقَ هواء الغابة البارِدَ.
وما إنْ رَأى الأَميرُ جمالَها حتى سُحِرَ قلبهُ، واقَترِبَ منها يُحدّثُها بصوتِ خَافتِ، فُأَخَبرتُهُ أَنَّهَا ورفَيقاتِها أَسيراتٌّ عندَ عجوزٍ شريرةٍ، ولا يَعَرفْنَ متى يأتي يومُ خَلاصِهِنَّ.



تحدَّثا طويلاً، ونسيتِ الفتاةُ تحذير العجوز، واستَغَرَقتْ في حديثها معَ الأمير حتى حلّ المساءُ وأرخَى سدوله.



وعندَما عادتْ إلى مغزِلها، تفاجأتْ بأَنَّ خَيوطَها الذهِبيةُ قَدْ فُقدَتْ بريقها، وأَصبحتْ باهتةُ كالرماد، فُأدركَتْ أَنَّ كارثةُ عظيمةُ ستحلُّ بها وبالأَمير، وبكَتْ بكاءً مريراً.





غضبُ العجوزِ كانَ مُفزِعاً عندَ عودتها، إذ رأتِ الخيوطَ الباهتة، وعرفتْ أنَّ الفتاةَ قدْ خالفتْ أوامرها وتحدَّثتْ معَ رجلٍ.
صرختْ في وجهها بصوتٍ مُرعبٍ: "يا نَاكرةَّ الجميلِ، لقدْ جلبَتِ الشقاء على نفسِكِ وعلى الأميرِ، وستدَفعانِ الثَّمنَ غاليَا".



حزنتِ الفتاةُ حزنَا شديِداً، وقَرَّرتْ في نفسِها أَنْ تبحثَ عن الأميرِ لتستعينَ بهِ وتنجِوِ منْ قبَضة العجوز. وكانتْ هذهِ الفتاةُ تفهمُ لغةَ الطيورِ وتُحادثُها، فاستعانتْ بِغرَابٍ أسود ليُخبرَ الأمير بما حلَّ بها.



حلَقَ الغرَابُ في الأفقِ، ووصلَ إلى الأميرِ، فأَخبرَه بالأمر، فقرَرَ الأميرُ أنْ يُنقِذَ الفتاةَ في الليلةِ التاسعةِ، بعدَ أنْ يَستعدَّ لذَلك.



فرارَ كان تحت جنح الظَّلامِ الدَامس، حيثُ هربَتِ الفتاةُ معَ الامير وجنوده
الذَينَ انتظروهُ في أطرافِ الغابةِ.



لكنَّ العجوزَ الساحرةَ، التي كانتْ تَراقِبُ كلَّ شيءٍ بعينِ سحرها،
أَرسلَتْ وراءَهمَ كَرَةً سحريةً صغيرةُ محمَّلةً باللعنةِ، أوقَفتْ حصانَ الأميرِ
على جسرٍ ضيِّقٍ يَعبرُ نهراً عميقاً. خافَ الحصانُ، وطاردَتِ الكرَةُ الفَرَسَ
حتى ألقَتْ بالفتاة في النهرِ الجارفِ.



غابَتِ الفتاةُ في الماءِ، وتَحوَّلَتْ إلى زَنبَقةِ ماءٍ صفراءِ جميلةٍ،
تَطفُو على سطحِ النهرِ وتُغنِّي أغنيةً حزينةً:
"آه، لقدَ سُحِرتُ وهُجِرتُ، هنا سأَبقى إلى الأَبدِ، حبيبِي لَمْ يُفكِّرُ فيَّ،
لِيحَرِّرَ عروسهُ التي كانتْ غاليةَ على قِلبِه."





حزنٌ عَميقٌ أصَابَ الأَميرِ، فغلقَ نفَسَهُ في غرَفُةِ مَظَلمةِ في قَصِرِهِ سَتُّةَ أسابِيعَ كاملةَ، رافضاً الطعامَ والشَرَابَ، حتَى كادَ أنْ يموتَ حزنًا على حبيبِتِهِ.



استدَعى الملكُ كلَّ سحرةِ المملكةِ وعَرَافِيها، لكنْ لم يِشْفِهِ أحدٌ، ولا استطاعَ أحدٌ تفسير ما جرى. عندَها، تقَدَّمَ ابنُ ساحِرِ الريحَ، وكانَ يفَهمُ لغةَ الطيورِ أيضاً، وقالَ: "استدعوا الساحرَ العجوزَ منْ فَنلنَدا، فَهو أعلَمُ منَ الجميعِ، وربَما يَعلَمُ سرَّ هذهِ الزَنبقَةَ".



جاءَ الساحرُ العجوزُ، ونفخَ الريحَ الباردةَ على الأميرِ، فتعافى قليلاً، لكَنُّهُ ظلَّ يحملُ في قَلبِه جرحَ حبيبتهِ الغائبة.



هدايَةٌ أَنتَ منَ الطيورِ التّي كانتْ تَتَحادثُ حولَ القصرِ. ففي يَومٍ، بينما كانَ الأَميرُ جالساً في حديَقتِهِ، سمعَ طائرَ عَقعَقٍ يَقُولُ لزَرزَورٍ: "ما أَغبَى البشَرَ! إنَّ الفتاةَ تَحوَّلتْ إلى زَنبقةِ ماءٍ، وهيَ تُغنّي بَحزنٍ على الجِسرِ. لكنَّ لا أَحدَ يَنقذُها، رغَمُ أَنَّ الحلَّ عندَ ساحرِ فنلندا".



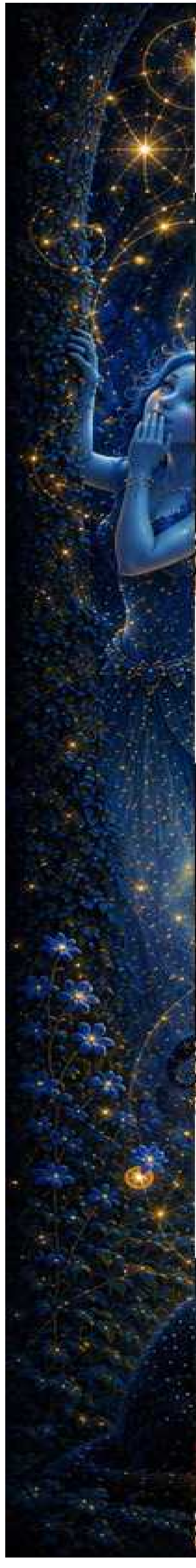


عرفَ الأَمير أَنَّ الحلَّ قريَبٌ، فَأَرسلَ رسالةً معَ سنونوٍ إلى ساحرِ فنلندا، فَجاءَ الردُّ على منَقارِ نسرٍ كبيرٍ:"اذهبْ إلى النهرِ، وتَحوَّلَ إلى سلطعونٍ، واقتَلعْ جذورَ الزَنبَقةِ منَ الوحَلِ، ثُمَّ أَسبَحْ معَ التيارِ حتى تَصِلَ إلى شَجرةِ روانٍ وحجرٍ كبيرٍ،



وعندَها عُدْ إلى شُكَلكَ الآدميَّ، وقَلْ: 'منَ سلطعَونٍ إلى إنَسانٍ، وَمنَ زَنَبقةِ ماءٍ إلى فَتَاةٍ".





تحريرها تَمَّ بنجاحَ، إذَ تحوَّل الأميرُ إلى سلطعونٍ، وظلَّ تحتَ الماءِ عشرَةَ أيامٍ وهو يَعملُ على اقتلاعِ الجذورِ، ثَمَّ حملَ الزَّنبقةَ وطفا معَ التيارِ حتى وصلَ إلى الشَّجرةِ والحجرِ. وعندما عادَ إلى شَكْلهِ، وإذا بالفتاةَ تعودُ إلى هيئِتَها، أَجملَ من قبلِ وأبْهى.



عدَا إلى القصرِ، وتزَوَّجا في حفلٍ باذخَ، وعاشا في سعادةٍ، لكنَّ غرابًا نَبَّهُ الأميرَ إلى أَنَّ أختَي الفتاةِ ما زَالتا في كوخِ العجوزَ. فعادَ الأميرُ ومعهُ الفتاةُ، وطعما العجوزَ كعكَةً مَسمُومةً، فماتتْ، وحرَّرا الأَختين، وعثَرا على خمسينَ حمولةَ عربةٍ منَ الكتَّانَ الذَهبيَّ،



وهكَذا انتهتِ الحكايةُ، بعدَ أنَ علَّمتَنا أنَّ الحبَّ الحقيقيَ لا يموتُ، وأنَّ الإصرارَ يكسرُ كلَّ سحرٍ، وأنَّ الأصواتَ الحزَينةَ قد تكونُ دليلاً على خلاصٍ قريبٍ، إذا ما أصغينا إليها بقلوبٍ واعيةٍ، وأنَّ العدلَ لا بُدَّ أنْ يأتي، ولو بعدَ حينٍ، فُيحرِّرُ المظلومينَ ويُعاقبُ الظالمين.



الرأسُ المُرعِبُ

مَلِكٌ كانتْ وريثَتُهُ الوَحيدةُ ابنةً، فتاقَتْ نَفسُه إلى حفيدٍ يُحمِلُ اسمَهِ منْ بَعدِه، لَكنَّ عرّافاً تنبّأَ لهُ بأنَّ ابنَ ابنتِهِ سَيقتُلُهُ. ارتعدتْ فرائصُ المَلكَ، فأمرَ بحفرِ بِئرٍ عميقةٍ، وبناءِ سَجنٍ منْ نُحاس في قاعِها، وسَجنَ ابنَتَهُ هناكَ، لا يَصلُها من الدنيا إلاَّ ضَوءُ الشَمس مِنْ نافذةٍ في سَقفِ السجنِ.



كانَت الأميرةُ تَجلِسُ هَناكَ، تُحدّقُ في السماءِ، وَتتساءَلُ هلْ ستخرجَ يَوماً منْ سجنِها النحاسيِّ. وفي يومٍ، انفَتَحَت السماءُ فوقها، وهطَلَ علَيها مطَرٌ منْ ذَهبٍ يتَلألأُ في غُرفتَها، وبعدَ أشهرٍ، وضَعَتْ طفلاً ذكَراً.



لكَنَّ الملَكَ، حَينَ عَلِمَ بِالأمرِ، خافَ وغَضِبَ، فأمرَ بوضَعِ ابنَتهِ ورضَيعها في صَندوقٍ ضَخمٍ مُقيَّدٍ بالنُّحاس، وَألقى بِهما في البحرِ لِيَغرقا أو يَموتا جوعَاً.



صندوقٌ منْ نُحاسٍ طافَ على وجهِ الماءِ، حاملًا الأميرةَ ورضيعَها، يَدفعُهما الموجُ ليَّلاً ونهارَاً. كان الطفلُ يَنامُ في هدوءٍ، لا يَخافُ الأمواجَ ولا الرياح، بَينما كَانتْ أمُهُ تُغني لهُ أغنيةً حزينةً:



"يا طِفلِي، يا نَوْمَ عَينيَّ،
كيَفَ تَنامُ وقلبِي يَخافُ؟
في صندوقِ النُّحَاسِ الضيِّقِ،
في الليلِ المُظلِمِ المُوحِش،
تَنَمْ ولا تَسمَعْ بُكاءَ أمِّكَ،
ولا صرير الأمواجِ العاتية."



وأخيرَاً، ألَقى البحرُ بِالصندوقِ على شاطئ جِزيرةٍ، فوجَدَه رَجُلٌ منْ سُكَّانِها، وفتَحَه، فإذَا بِأميرةٍ جميلةٍ وطفلٍ صغيرٍ، فأخذهما إلى بيتِهِ، ورعَى الطفلَ حَتى كبَر وشَبَّ.





مَلكُ الجَزيرةِ وقعَ في حبِّ والدةِ الفتى، وأرادَ الزواجَ بها، لكنَّهَا كَانتْ تَرفُض مفارقةَ ابنِها. فَتآمَرَ الملكُ على التَخلُّص منهُ، فدعا كَلَّ رعاياهُ إلى وليمةٍ، وطلبَ منهَمْ أنْ يَحضروا هدَايا لِمَلكَةٍ مجاورةٍ كَانتْ على وشَكَ الزواجِ. جلبَ الجميعُ هدَايا ثُمَينَةً: كَؤُوس ذهَبٍ، وعقُودَ لآلئ، وخيولاً أصيلَةً. أمَّا الفتى، فلَم يَملِكُ شَيئاً، فَضحِكَ منهُ الملأُ.



فَقالَ لهُ الملكُ بسخريةٍ: "إنْ لمَ تَجِدْ ما تُهديهِ، فاذْهَبْ وأحضِرْ لِي الرَّأسَ المُرعِبَ!" اغتاظَ الفتى، وقالَ باندَفاعٍ: "أقسَمُ أنْ آتي بالرَّأسِ المُرعِبِ، إنْ كانَ في إمكانِ بشَرٍ إحضارُهُ! لكَنْ أَخبِروني: أيَّ رَأسٍ هذَه."



فأخبِروهُ عنْ ثَلاثِ أخواتٍ مرَوِّعاتٍ، لهنَّ أجنِحةٌ منْ ذهَبٍ، ومخالبُ منْ نُحاسٍ، وفي رؤُوسِهنَّ حياتٌ بدَلاً منَ الشعرِ. من يَرَهُنَّ يَتحجَّرُ في الحَالِ. اثْنتانِ منهنَّ خالدتانِ لا تُقَتَلانِ، أمَا الصُّغرى، فوجهُها جميلٌ، لكنَّها الوحيدةُ التي يمكنُ قَتَلُها، ورأسُها هو المطلوبُ.







حَزِنَ الفتىَ على وَعدِهِ الطائشِ، لكَنَّه أصَرَّ على الوفاءِ بِه. خَرجَ منَ الوليمةِ، وجلسَ على صخَرَةٍ على شاطِئِ البحر، يُفَكِّرُ في كَيفيَّة إنجازِ مهمَّتِه.



وإذْ بشَابٌ وسيمٍ، كأنَّه ابنُ مَلِكٍ، وبِجانبِه سيدَةٌ جَميلةٌ، تَلمعُ عيناها كالنجومِ. كانا أطولَ منَ البشَرِ، وفي يَدِ الشَابِّ عَصاً عليها جناحانِ ذَهبِيَّانِ وحيَّتانِ منْ ذَهبٍ، وعلى قَبعتِه وحذائِه أجنحَةٌ.



سَألَهُ الشَابُ عنْ حُزْنِه، فحكَى لهُ قَصَّتَه. فقَالتِ السيدَةُ: "إنَّه وَعْدٌ طائشٌ، لكَنَّ الشُّجعانَ يصْنعونَ المستَحيلَ". وأخبرتُه أنَّه يَحتَاجُ إلى ثَلاثِ أدَواتٍ: قَبعَةُ الظلاَم التي تُخفي من يَرتَديها، سيفُ القَطْعِ الذي يَشُقُّ الحديدَ بَضربِةٍ واحدةٍ، وحذاءَ السُّرعَةِ الذي يَحمِلُ صاحبَه في الهواءِ كالطيرِ.



تَسلَّلَ الفتى إلى دَاخلِ المغارَةِ، وانتظرَ حتى تَداولَت العجائزُ عَينهنَّ الواحدَةَ، فاخَتلسَها منْ بَينَ أيديهنَّ بخفَّةٍ. صَرَخنَ في ذُعْرٍ: "أينَ العينَ؟ هلَ فَقدنَاها إلى الأَبدَ" بكَينَ بكاءً مرَيراً، وتجمَدَتْ دَموعَهُنَّ على وجوهِهنَّ كَحصى الجليد.



توَسَلَنَ إليه أنْ يُعيدَ العينَ، لكَنَّه اشترطَ أنْ يُخبِرنَهُ بطريقِ جنياتِ فأَخَبرنَهُ عَلى مضضٍ:

"اسلُكَ نحوَ الجنوبِ، واليابِسةُ عَنْ يَسارِكَ والبحرُ عَنْ يَمينِكَ، حتى تصَلَ إلى جزيرَةِ جنياتِ الحَدِيقة". رَدَّ إليهنَّ العينَ، وانطلقَ طائراً حتى بَلغَ الجزيرَة.



حيثُ وجدَ ثلاثَ جنياتٍ جميلاتٍ، إحداهنَّ بالثوبِ الأخضرِ، والثانيةُ بالأبيض، والثالثةُ بالأحمرِ، يَرقُصنَ حولَ شجرَةِ تفاحٍ مَنْ ذهبٍ وَيُغنِّينَ:

"دَوْرَةً دَوْرَةً حَوْلَ التُّفَّاحِ الذَّهَبيّ،
نَرْقُصُ منْ قِدَمِ الأَزَلِ،
حَوْلَ الشَّجَرَةِ المَسحُورَةِ،
حَتى تأْتي الأَزْمنةُ الجديدَة."







أعطتْ الجنياتُ الفَتى قَبعةَ الظلامِ وسيفَ القطعِ، وَدَرعاً لاَمعاً وَكيساً مَن
ووَضَعْنَ السيفَ ذا النَّصْلِ الماسي في حَزامه، وقبعةَ الظلامِ علىٍ رَأسِه،
وأخبرنَهُ إنَّهُ حتى هُنَّ لاَ يريَنهُ الآنَ.



طارَ الفَتى فوقَ النهرِ العظيمِ الذي يُحيطُ بالعالَمِ كالحنيَّة، وهناك، على ضفافِه، وجدَ الأخوات المُرعِباتِ الثلاثَ نائماتٍ تحت شجَرةٍ حورٍ، أجنحَتَهُنَّ الذَهبيَةُ مطويَةٌ، ومخالبُهُنَّ النحاسيةُ مُتَفاطِعَةُ، والحياتُ في شعرِهنَّ تَتلوَّى.



نامت الصُّغرى على ظَهرِها، ووجهُها الجميلُ الخزينُ مُتَّجِةٌ نَحو السماءِ، وعيناها مفَتوحتانِ على اتِّساعِهما رغمَ النَومِ.



رفَعَ الفَتى درعهُ كالمرآةِ، ونَظرَ إلى انعكاسِ المَخلوقاتِ المُرعبِة فيَه، دونَ أنْ ينظرَ إليها مباشرةً، وإلا لتَحجَّر. اقتربَ مِنَ الصُّغرى حتى صارَ على مَسافة ضَربة سيفٍ، وضَربها ضَربةً خلفَيةً قاطعَةً، فانفصلَ رأسُها المَرعبُ عنْ جسدها.



اندفعَ الدمُ كالسيلِ، لكنَّ الفتى أمسكَ الرأسَ ووضعه في كيسه، وطارَ مسرعاً. استيقظَتِ الأختانِ، وطارتا وراءَهُ كالطير، تَتَبعانِ رائحتَهُ خلال الغيومِ، رغْمَ أنَّ قبعَةَ الظَلامِ كانتْ تُخفيه عنْ أعينهما. سمعَ خَفْقَ أجنحتِهما الذَهبيَّة، وصراخَهما: "هنا! لا، هناكَ! هذا طريقُه!"



لكنَّ حذاءَ السُّرعة كانَ أسرعَ، فعبرَ النهرَ العظيمَ، وتلاشَتْ أصواتُهما في البُعدِ.





أثناءَ طيرَانِه، رأى منَ الأعلى فتاةً جَميلةً مُقَيَّدةً بسلسلةٍ منْ حدِيدٍ إلى وتَدٍ على شاطِئِ البحرِ، كادَتْ أنْ تَموتَ منَ الخوفِ والإرهاقِ.



نزَلَ إلِيَها، وقَطَعَ السلسلةَ بسيفِه، فشكَرَتْهُ وأخبرَتْه أنَّهَا ابنةُ مَلكَ تلكَ البلادِ، وأنَّهُم يتركُونَهَا هنَاكَ لتأْكُلَهَا وحوشُ البحرِ التي تأْتِي كُلَّ كُلَّ يومٍ لتَفتَرِسَ فتَاةً.



وفجأةً، برزَ رَأسُ وحشٍ بحريٍّ ضخمٍ منَ الأمواجِ، وانَقضَّ عليها، لكَنَّ الفتى أخرجَ الرَأسَ المُرعِبَ منْ كَيسِهِ ورفَعَه في وجه الوحشِ، فتَحجَّرَ الوحشُ في الحال، وما زَالَ ذَلكَ الحجرُ على الشاطئِ حتى اليومِ.



تزَوّج الفَتى منَ الفَتَاةِ في احتفالاتٍ باذخةٍ، وبَعد أنْ أمضيا وقتاً في قصرِ أبِيها، أبحرَا إلى بِلادِ الفَتى. لكنَّهُ لمْ يستَطِعْ أنْ يجمل عروسه في الهواءِ، فَتَرَك حذاءَ الـشُّرعةِ وقبعَةُ الظَلامِ وسيفَ القَّطعِ في مكَان منعزِلٍ على التلالِ، حيثُ وجدَها الرّجلُ والمرَأةُ اللّذانِ ساعدَاهُ في بدايةِ رحلتِهِ.



وعنِدَما وصلا إلى ميناءِ بلادِه، صادفَا أمّ الفَارَةِّ منَ الملِكِ الشّريرِ الذَي أرادَ قَتْلها، فاحتضَنها، وتصدَّى لِلملك. صرخ في وجهِه: "لقَّدْ أقسمتُ أنْ آتيكِ بالرَأسِ المُرَعِبَ، وها أنا أوفي بوعِدي!" وأخرج الرَأس منَ كيسِهِ، فنظرِ إليه الملكُ، فتحجَّر في الحال.









فرِجَ الشُعبُ، وعَرضوا على الفتى التاج، لكنَّه رفضَ،
وقرَّرَ أنْ يُعيدَ أمَّه إلى بِلادِ أَبِيها.



وفي الطريقِ، مَرُّوا بِبلدةٍ تُقيمُ ألعاباً رياضيةً، فاشْتركَ الفتى
في رميةِ القرَصِ، وألْقاهُ بقوَّةٍ فائقةٍ، فطارَ القَرَصُ بعيداً،
وأصابَ رجلاً في الحشْدِ فَماتَ.



وإذْ بِهُو جدُّ الفتى، ذلكَ الملكُ الذي تنبَّأَ العرَّافُ
بأنْ حفيدَهَ سيقْتُلُه، فكانَ ما كانَ، وتحقَّقَتِ النبوءةُ.
لكنَّ الفتى وزَوجتَه وأمَّه عادوا إلى مملكتِهم،
وعاشوا في سعادةٍ وهناءٍ بعدَ كلِّ تلكَ المحنِ.



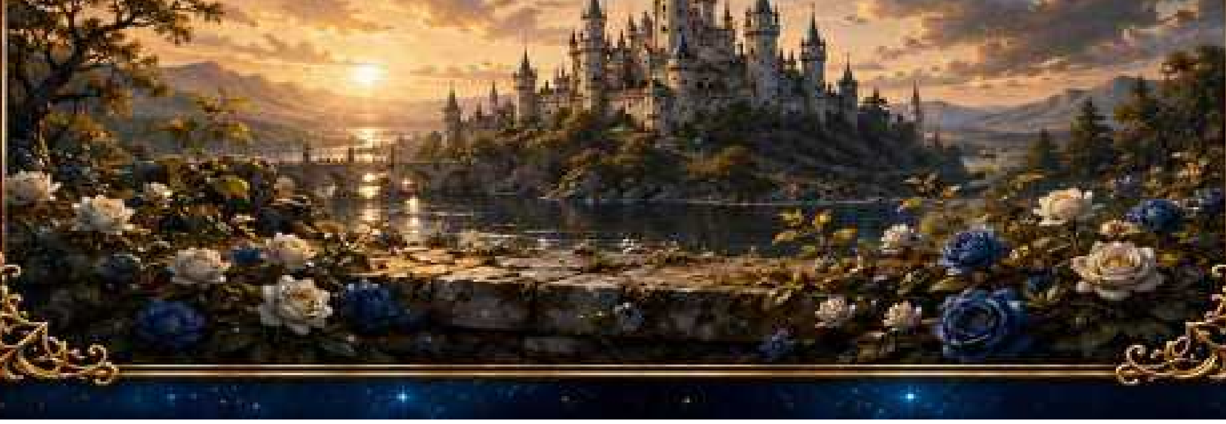
تنتهي حكايَةَ "الرأسِ المُرَعِب"، حكايَةَ الوعد الطائشِ الذي تحوَّلَ إلى ملحمة بَطولةٍ، وحكايَةَ الحبِّ الذي يَكسِرُ القيودَ، والوفاءِ الذي يَصنعُ المعجِزات، وَالرأسِ المَقطوعِ الذي يُصبحُ سلاحاً يَرُدُّ الشرَّ على أهله.



تاركةً في القلبِ عِبرَةً خالدَةً: أنَّ الشَجاعةَ لِيستْ في عدمِ الخوفِ، بلَ في مواجهتِهِ، وأنَّ الأقدارَ قَدْ تَختارُ طُرقًا غريبةً لِتُحقِّقَ نَفسها.



لكنَّ النوايا الطيبةَ والقلوبَ النقيَةَ هيَ وحدَها مَنْ تَنتصِرُ في النهَايَةِ.





الذَهبيةُ الْجميلةُ
(Pretty Goldilocks)

أميَرةُ كانتْ في قديمِ الزمانِ، هيَ أروعَ ما خَلَقَ اللهُ على وجهِ الأرضِ، وقد سُمَيتْ "الذَهبَيةُ الجميلةُ" لأنَّ شعَرها كانَ كالذهبِ الخالصِ، يَتَموَّجُ في جَدائلَ تكَادُ تَلمسَ الأرضَ، وكانتْ ترتدي تاجاً منَ الأزهارِ البريَةَ، وثيابِها مُطَرَّزةٌ بِالدُرَ والياقوتِ، وكلَّ منْ رآها وقعَ في حبِّها منْ أولَ نَظرةِ، فما بِالَكَ بِمنْ سمعَ عنها فقطْ؟



وفي جَوارِ مِملكتها، كانَ يَعَيشُ ملكٌ شابٌّ غنيٌّ وسيمٌ، لكَنُّهَ لمْ يَكُنْ قدْ رآها قَطُّ، ولمًا بلغهُ وصَفُ جمالها، اشتَعَلَ قلَبَهِ حبًا لها، حتى إنَّهَ لمْ يَعَدْ يَستطيعُ الأكلَ ولاِ الشربَ منْ شدَّةِ الشوقِ، فقَرَّرَ أنْ يُرسِلَ إليها سفَيراً في موكبٍ فخمٍ لا نَظيرَ لهُ.



ومعَ السفيرِ مئةُ حصَانٍ، ومِئةُ خَادمٍ، وصَناديقُ منَ الذهبِ والجَواهرِ، ليخطُبِها لهُ.



رفضٌ قاطعٌ جاءَ على لَسانِ الأميَرة، إذْ ردَّت السفيرَ خائبًا، وقالتْ: "أبلغْ ملكَكَ أنّي مُشكورةٌ على كَرمِه، لكنّي لا أرغبُ في الزّواج".
وعادَ السفيرُ بالهدايا كلِّها، إلاّ خمسةً وعشرينَ دبوساً إنكليزيّاً احتفظَتْ بهَا لئلاّ يُغضبَ الملكُ.



ولَمَّا بلغ الخبرُ الملكَ، بكى بكاءً مريرًا، وكادَ أنْ يمرضَ منَ الحزنِ، ولمْ يَجدْ مُعَزِّيًا. وفي بلاطِ الملك، كانَ هناكَ شابٌّ وسيمٌ ذكيٌّ اسمُهُ "شارمِينغ" (أي الفاتنْ)، وكانَ الملكُ يُحِبُّهُ ويُقرِّبُه، لكنَّ الحسَّاد كانوا يتربَّصُونَ بهِ.



وفي مجلسٍ دار فيهِ الحديثُ عنْ فشلِ السفيرِ، قالَ شارمِينغ بتهوُّرِ: "لوَ أرسلني الملكَ إلى الذهبية الجميلة، لَعادَتْ معي بكلِّ سرورٍ".
فأسرعَ الحسَّادُ إلى الملك، وأخبروهُ بما قالَ، فغضبَ الملكُ غضبًا شديدًا، وأمر بسجنِ شارمِينغ في برجٍ عالٍ ليموت جوعاً.



ندمٍ وألَمَ، لكنَّ القدَرَ كانَ لهُ رأيٌ آخَرُ. فبَينما كانَ شارمِينغُ في سجنِهِ، مرَّ الملكُ بالقرِبِ مِنَ البرجِ، فسمعَ صوتَهُ يشكو ويَندبُ حَظَّه، ويُكَرِّر أنَّه لم يَقصدْ إهانَةَ الملك، بلْ كانَ يثُقُ بقَدرتِهِ على تمثِيل ملكهِ بأحسنِ صورةٍ.



تأثَّرَ الملكُ بكلامِهِ، وأمرَ بإخراجِهِ منَ السجنِ، وقرَّر أنْ يُرسلَهُ في مهمَّةٍ رسميَّةٍ إلى الذهبيةَ الجميلَة، لكيْ يُقنِعها بالزواجِ منه.



فرِحَ شارمِينغُ، وانطلَقَ في صباح يومِ الأثنينِ، وحيداً على حصانٍ، يُفَكِّرُ في الخطاب البليغِ الذي سيُلْقيهِ على الأميرةِ، وكانَ ينزِلُ عنْ جوادِه كلَّما خطرتْ لهُ فكرةٌ، لِيُدَوِّنَها في كرَّاسِهِ.



مغامراتٌ ثلاثٌ اعترضَتْ طريقَ شارمِينغ قبْل أنْ يَصِلَ إلى قصر الذهبيَةِ، وكانتْ عجيبَةً غريبَةَ، كأنَّ القَدَرَ يُعدُّ لهُ مفاجآته. الأولى: أنَهُ رأى سمكةً ذَهبيَةً ضخمةً قدْ قذفَتْ بنفْسِهِا على ضفَةِ النهر، وهي تلْفظُ أنفاسِها الأخيرَةِ، فرحِمها، والتقطها برفقٍ وأعادَها إلى الماء. وما إنْ لامستِ السمكةُ الماءَ حتَى انطلَقتْ تسبَحُ فرحةً، ثمُ عادتْ إليه وقالتْ: "شكراً لكَ يا شارمِينغ، لقدْ أنقذتَ حياتي، وسأكافِئُكَ يَوماً".



الثَانيَةُ: أنَه رأى غرابًا يَفرُ منْ نسرٍ ضخمٍ يَكادُ يَفْتَرِسِه، فرمى بَسهمه فأصابَ النسرَ في مقتلٍ، فنجا الغرابُ، وقال لَه: "شكراً لكَ، سأكافِئُكَ".



الثَالثَةُ: أنَه سمعَ بومةً تَصرخُ في الغابةِ، فوجدَها عالقةً في شَباكِ صيّادٍ فقطعَ الشباكَ وأنقَذَها، فقالتْ لَهُ البومةُ: "شكراً لكَ، سأكَافِئُكَ".



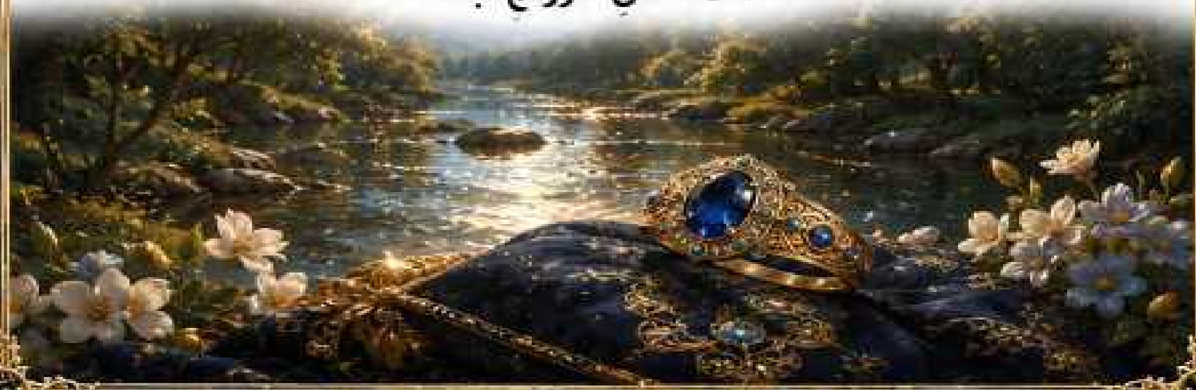




وصَلَ شارمِينَغُ إلى قصرِ الذَهبيَةِ الجميلةِ، فانبهِرَ بفخامتِهِ، وارتدَي أفخَرَ ثيابِهِ، وحملَ كلبًا صَغيرًا جميلًا اشتراهُ في الطريق، ودَخلَ على الأميرةِ التي كانَتْ قدْ استعدَتْ لهُ بأبهَى حُلَّةٍ، وجلَستْ على عرشِها من الذَهبِ والعَاجِ، تُحيطُ بها جِوارِيها. وما إنْ رآها حتى صُعِق بِجمالِها، لكنَّهُ استجمعَ قَواهُ، وألقَى عليها خطابًا بليغًا يصَفُ فيهِ حبَّ المَلِك لها، ويَطْلُبُ منها أنْ تَرافِقَهُ إلى بلادَهِ.



شرطٌ عجيبٌ وضعتَهُ الأميرةُ، إذْ قالت لهُ: "يَا شارمينغُ، إنَّ كلامك جميلٌ، لكنّي لنْ أذْهب معك حتى تُعيدَ إليَّ خاتمًا ثمينًا لي، سقَطَ منْ إصبعِي مَنذُ شهرٍ في النهرِ الذي يجْرِي قرب قصْري، إنْ جِئْتني بالخَاتمِ، وإلاَّ فلنْ أسمعَ كلامًا عنِ الزواجِ أبدًا".



يئسَ شارمينغُ منَ أمرِهِ، وعادَ إلى مَبيَتِهِ حزينًا، ولمْ يأكلْ طعامًا، هُوَ وكلبُهُ الصغيرُ "فرَيسك"، الذي قالَ لهُ: "لا تيأسْ يا سيدي، سنذْهبُ إلى النهرِ عندَ الفجرِ، ولعَلَّ اللّهُ يُيسّرُ لنا أمرًا".



فجرٌ جديدٌ أيقظ الأمَلَ في نفسِ شارمينغ، فنهضَ باكَرًا ومضى هو وكلَبُهُ "فريسَك" إلى النهرِ، يتطَّلعانَ إلى السماءِ ويَدْعوان اللَّهَ أنْ يُيسِّرَ لهُما أمراً.



وإذا بالسمكةِ الذهبية التي أنقذَها تَطفو على سطحِ الماءِ، وتَحمِلُ في فَمِها الخَاتمَ الثمِينَ، وقَالتْ لهُ: "خُذْ خَاتمَ الأميرةِ، ها أنَا أوفي بوعدي ".



فرحَ شارمِينَغُ فَرحاً شَديداً، وأخَذ الخاتمَ، وهرعَ إلى الأميرةِ وقَدَّمهُ إليها، فاندهشتْ وقَالَتْ :"لا بدّ أنْ لكَ حظّاً عظيماً يا شارمِينغُ، لكنِي لنْ أذْهبَ معكَ حتى تُؤَدّي لي خَدمةُ أخْرى: هناكَ عملاقٌ هائلُ اسمهُ جاليفرون، يَهدِدُ مملكتي، ويَقتُلُ رعايايَ، إنْ قَتَلتَهُ وأحضَرتَ لي رأسهُ، فَسألَبّي طلبَكَ".







تَوجهَ شارِمينَغُ إلى حيثُ يُقيمُ العملاقَ، وفي الطريق ، سمعَ العملاقَ
يُغنّي بِصوتِ مُرعبِ: "أخرِجوا لي صبيانَكم وبَناتكم، فسأكلُهمُ جميعًا ".
لكنَّ شارمِينَغُ رَدَّ عليهِ بِأغنية ساحِرَةِ:
"تعَال يا جاليفرونَ، فَها أنَا شارمِينَغُ، لنْ تقَتلني".



غضَب العملاقَ، ورَفَعَ هِراوتَهُ لِيضربَه،
لكنَّ الغراب الذي أنقَذَهُ شارمِينَغُ هجَمَ على وجهِ العملاقِ،
ونَقَرَ عينيهِ بشدَةِ، فأعماهُ، وانتهزَ شارمينَغُ الفرصةَ،
وطعَنَ العملاقَ في قَلبِهِ فَمات.



وقَطَعَ رأسهُ، وعادَ بِهِ إلى الأميرةِ.



دَهشةَ جديدةٌ أصابتَ الذهبيةَ، لكنَهَا وضعَتْ شرطًا ثالثاً:
"أُريدُ ماءً من المغارةِ المُظْلمةِ، حيثُ يَحرسُها تنيِنانِ
لهما عيْنانِ مِنَ نارٍ، وفي قاعِها تتَفجَّرُ ينبوعُ الصحةِ والجمال."



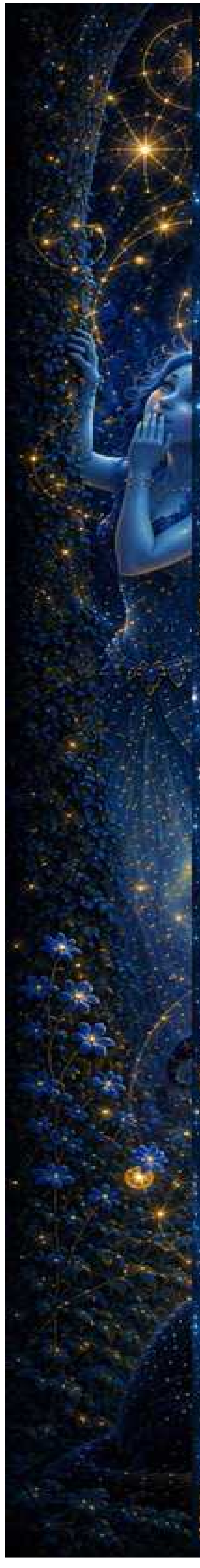
ذهبَ شارمينغُ إلى المغارةِ، وقَدَ كان يَظنُّ أنَّهُ لنَ يعودَ أبداً،
لكنَّ البومة التي أنقَذَها أتتْ إليهِ وقَالتْ:
"أنَا أعرفَ طرَقَ المغارةِ، سَأَخُذُ القارورةَ وأملأُها لكَ."



ففَعَلتْ، وعادَ شارمينغُ بالماءِ المقَدَّسِ إلى الأَميرةِ،
التي لمْ يبَق لها أيُّ عذرٍ بعدَ ذلك،
فوافقتْ على مرافقتهِ إلى الملك.







غَدرٌ كانَ يَنتظرُ شارمينغَ عندَ عَودتِهِ، فقدْ حَسدَهُ الحَسادُ لدَى الملك، وقالوا لهُ: "إنَّ الأَميرةَ تُحبُّ شارمينغَ أكثرَ منكَ، وهو يَستحقُّ الموت". فأمر الملكُ بسجنِ شارمينغَ في البرجِ مرَّةً أخرى.



لكنَّ الذهبيةَ الجميلةَ، لمَّا علِمَتْ بالأمر، ذَهبتْ إلى الملك وبَكتْ بينَ يديهِ، لكنَّهُ لَمْ يَرحمْها. وفي تلك الأثناءِ، كانَ الملكُ يَطمعُ في ماءِ اليَنبوعِ الذي أحضرهُ شارمينغَ ليُصبح جميلاً،



فأمسكَ بالقارورةِ التي على رفِّ غرفةِ الذَهبيةِ، ورَشَّ بها وجههَ، لكنَّ هذهِ القارورةَ كانت قدْ انكسرتْ واستُبدلتْ بأخرى تحتوي على ماءِ النومِ الأبديِّ، فسقطَ الملكُ ميتاً في الحال.



خَلَاصٌ جاءَ بعدَ موتِ المَلِك، فَقدْ هرعَتِ الذَّهبيَّةُ إلى البرج، وفَتَحتْ أقفالَه بيديها، وأخْرجتْ شارمينغ، ووضعَتْ تاجَ المملكةِ على رأسِهِ، وقَالتْ لهُ: "أنْتَ الأنَ ملكي وزَوجي".

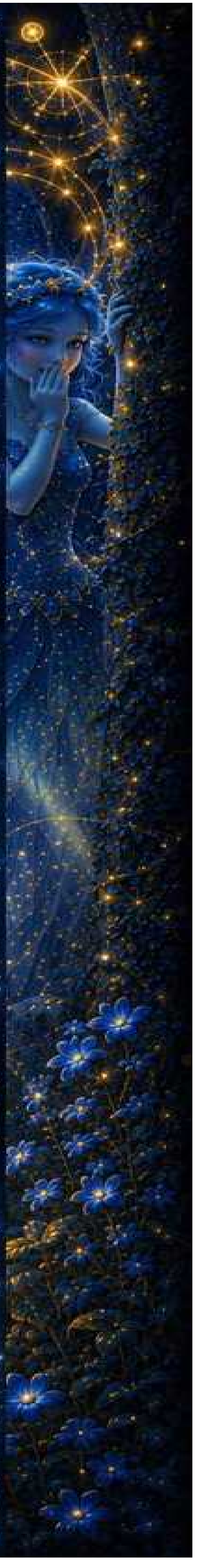


وتَزَوَّجا في حفَلٍ بِاذخٍ، وعاشا في سعادَةٍ وهناءٍ، بعدَ أنْ علَّمتَنا الحكايةُ أنَّ الطِيِبةَ لاَ تَضيعُ، وأنَّ الإِخلاصَ يفتَحُ كلَّ الأبوابِ، وأنَّ الحبَّ الحقيقيَّ ينْتصِرُ على كلِّ الغدرِ والمكائِدِ،



وأنَّ الجمالَ الحقيقيَّ لَيسَ في الشعرِ الذَهبِيِّ فقَطَ، بل في القَلوبِ التي تَعرِفُ كيفُ تُحبُّ وتُضحِّي.





حكايةُ ويتنغتونَ

يَتيمٌ صغيرٌ كانَ ديكُ ويتَنْغتُونَ حينَ ماتَ أبواهُ، فلمْ يَعرفْهما قَطُّ، ولا عرف المكانَ الذي وُلِدَ فيهِ، كانَ يتيهُ في البلادِ كالحيوانِ الضائعِ، ثيابُه باليَةٌ، وقدماهُ حافيتَانِ، حتى صادف عَرّاباً يَذهبُ إلى مدينةِ لندن، فأذِنَ لَهُ بالسّيرِ بِجانبِ عربتِهِ دونَ أجرٍ.



فرِحَ الصغيرُ بهذهِ الفرصةِ، فقدْ سمِعَ أنَّ شوارعَ لندنَ مُرصّعةٌ بالذهبِ، وحلِمَ أنْ يَجمعَ بُشْراً منهُ. لكنَّ خيبةَ الأملِ كانتْ عظيمةً حينَ وجدَ الشوارعَ مُغطّاةً بالوحلِ لا بالذهبِ، ووجدَ نفسَهُ في مدينةٍ غريبةٍ، بلا صديقٍ، بلا طعام، بلا مالٍ. تاهَ في الأزِقّة، جائعاً مرْعُوباً، يتمنّى لوْ كان في كوخٍ ريفيٍّ دافئٍ بدلًا منْ هذهِ المدينةِ الباردةِ القاسيةِ.



وفي يأسِهِ، جلسَ على عتبةِ بابِ تاجرٍ ثريٍّ يُدعى "السيدَ فيتزوارنَ"، وكانتِ الطّبّاخةُ، امرأةٌ شريرةٌ، تَطردُه وتهددُهُ بالحرقِ. ضَعُفَ الصغيرُ وسقطَ مغشيا عليهِ منَ الجوعِ والتعبِ، فخرجَ التاجرُ ورآهُ، فتأثّرَ بحالِه، وأمرَ خدَمَه أنْ يُدخِلوهُ ويُطعِموهُ، وأعطاهُ عملاً في المطبخِ.



مِحْنَةٌ اشْتَدَّتْ على الصغيرِ في بيتِ التاجر، فالطبَّاخَةُ الشريرةُ كانتْ تَضربُهُ وتُهينُهُ، وتُوقعُهُ في أَتونِ غضبها كلَّما أَخطأَ أو تأَخرَ.



وكانَ في عَلّيَته الضيِّقة، يُخاطِبُ الفئرانَ والجرذانَ الّتي تَتسلَّقُ عَلى وجههِ، ويقولُ لها باكياً: "أيتَّها الفئرانُ المسَكينةُ، أنتنَّ مثلي، لا مأْوىَ لنا ولا طعَام، لكنَّكُنَّ تَأْكُلْنَ خُبْزي وتَشربْنَ مائِي، فما ذنبي أَنَا؟" وكانتِ الفئرانُ تَجيءُ وتَذْهَبُ دونَ أَنْ تُجيبَهُ، فَتَزدَادُ وحدَتَه.



تدَخلَتْ "آليس"، ابنةُ التاجرِ، فأَوقَفَتِ الإِيذاءَ، وعاملتْهُ بلطفٍ، فَخَفَّفَتْ عنَ قَلبِه، لكنَّ الطبَّاخَةُ كانتَ تَضربُهُ كلَّما غابَتْ آليس.





هرَةٌ كانتْ هيَ الحلّ السحريَّ، فَفي أحدِ الأيّامِ، أعطاهُ رجُلٌ نبيلُ قَرشاً واحداً (بِنساً) مقابلَ تلْميعِ حذَائِهِ، فرِحَ الصغيرُ بهذا القرشِ،



وفي الطريقِ، رَأى امرأةً تَحملُ هُرّةً تَحتَ إبْطِها، فَسألَ عنْ ثُمنِها.
طلبتِ المرأةُ ثُمناً كبِيراً، لكَنَّ الصَغيرَ أخرجَ قَرشَهُ الوحيدَ وقالَ:
"هذا كلُّ ما أملكُ، أتُعطينَي الهرّةَ بِه ؟" رَقَّ قلبُ المرأةِ، وأعطَتُه إيّاها.



حملَ الصغيرُ الهُرّةَ إلى علّيْته، فأبادَتِ الفئرانَ والجرذانَ جميعاً،
وأصبحَ ينامُ هادئاً لأوَّلِ مرةٍ، وتَعَلَّقَ قَلبُه بهذهِ الهرّةِ التي
أنقَذَتْ نومهُ منَ الأفاتِ.



سَفينَةٌ كانتْ على وشك الإبحارِ، وقدْ اعتادَ التّاجرُ في كَلِّ رحلةٍ أنْ يُعطي كَلَّ خادمٍ فَرصةً ليُرسلَ شَيئًا مع السفَينة ليتَجرَ بِهِ، دون رسَومٍ أوَ ضَرَائبَ، ابتغْاء البَركة في تجارتهِ.



ابتَهجَ الخدمُ وأرسلوا بِضائعَهمِ، لكنَّ ديكاً وقفَ حزَيِنًا، لأنه لا يَملِكُ شَيئاً يُرسلُه. لاحَظتْ آليس حزنه، وأخَبرَتْ أباها، فَطَلبَ منَ الصغَيرَ أنْ يُرسلَ ما يمِلك.



قالَ ديكُ باكيَاً: "ليس لديَّ سَوى هرَّتي!" فضحِك الجمَيعُ منَ هذهِ الفكرةِ السخيفةِ، لكنَّ التاجرَ قال بِجدِّيَةٍ: "أرسلَها يا فتى، فلعلَّ اللّه يُجعلُ فيها برِكةً".



حملَ القبطانُ الهرُةَ إلى السفينة، وأبحرَ بها إلى شواطئ أفريقيا البعيدةِ.





هَرَبٌ كانَ هوَ القَرارُ الذي اتَّخذَهُ ديكٌ بعَد أَنِ اشتدَّتْ عليه ضرباتُ الطَّبَّاخة وإهاناتِها، حتَّى لَمْ يعُدْ يتحمَلُ الحَياةَ في ذلكَ البَيتِ.



ففَي صباح يَوم "عيدِ جميعِ القديسينَ"، خَزَمَ رَحلَه،
وخَرَجَ منَ المنَزلِ هارِبًا، والطَّبَّاخةُ تَرَكضُ خَلفَه تصيحُ:
"إليكَ يا أَيُّها الكسلانَ، إني سأُحَرِقُكَ إذا عدْتَ!"



لكنَّ ديكاً لَمْ يلْتَفِتْ، وسارَ في الطرِيق حتَى بلَغَ قرية "هولواي"
الطرِيق الغائرَ، وهناكَ جلسَ على حجرٍ كبيرٍ على جانبِ الطريقِ،
يُفَكّرُ في مستقبلهِ البائس، وَيَندبُ حظَّه العاثَرَ،
ويَتساءَلُ هلْ سيَجِدُ ملَجاً في مكانٍ آخَرَ.



أجَرَاسَ كانَتْ هي التي غَيَّرَتْ مصيرَه، فبينما هوَ جالِسٌ على الحجرِ، سمعَ أجرَاسَ كنَيِسةِ "باَو" القرِيبةِ (Bow Bells) تَقْرَعُ، وكانتْ سِتَّةَ أجراسٍ فَقطْ، لكنَّ صوتَها كانَ عذباً، وبدا لَه أنّها تُناغيه بأغنيةٍ عجيبةٍ تَقولُ:

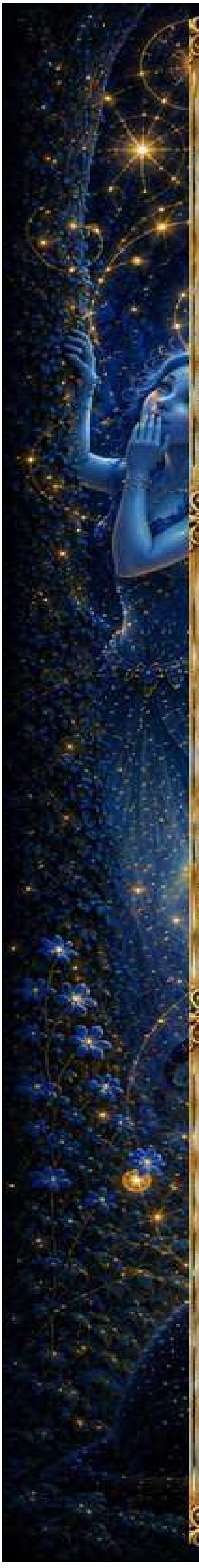


"عُدْ يا ويتنغتونُ، عُدْ يا ويتنُغتونُ،
ثَلاثَ مَرّاتٍ عمدةً لِلنُدَن،
عُدْ يا ويتنغتونُ، عدْ ياً ويتنُغتونُ،
ثَلاثَ مَرّاتٍ عمدةً لِلنُدن."



فَكَّرَ ديكُ في نفسِهِ: "ثَلاثَ مَرّاتٍ عمدةً لِلندنِ! ما الذي لا أتَحمَلُه لأَصيرَ عمدةَ لندن، وأَركَبَ في تلكَ العربِاتِ الفاخرَةِ؟ سأعودُ، سأعودُ، وسأصبرُ على قسَوةِ الطبَّاخة". وهكذا، قام منْ على حجرِهِ، وعادَ أدراجَهُ إلى بيت التاجرِ، قبلَ أنْ تعلمَ الطَّبّاخةُ بعودتِه.





بِلادٌ غَريبَةٌ هيَ مملكةُ "البَربر" عَلىٰ سواحِلِ أَفريقَيا،
حيثُ رستِ السفينةُ التَّي تَحملُ هرَّةَ ويتنُغتون.



استَقبلَ الملكُ البحَارَةَ بحفاوةٍ، لكنَّ ما إنْ وُضِعَ الطعامُ على المائدَةِ حتى هجمتْ جحافلُ منَ الفِئرَان والجرَذان، والتُهمتْ كلَّ ما على المائدَةِ في لحظةٍ. اندهش البحَارةُ، وسألوا علنْ هذهِ الآفاتِ، فقالَ الملكُ بحسرةٍ: "نحنُ نُعاني منها ليلَ نَهار، حتَى في غُرُفَةِ نومي، ولاَ نَستَطيعُ النَّومَ دونَ حرَاسةٍ."



هنا، قفزَ القبطانُ فرحاً، وقالَ للملك: "عندي هرَّةَ على السفينةِ، ستُبيدُها جميعَاً'!" فأمرَ الملكُ بإحضارها، وما إنْ رأتِ الفِئرانَ حتى انقضَتْ عليها وافتَرَستْ عددَاً كبيراً منها. فرِحَ الملكُ فرحاً عظيمَاً، وأمرَ زوجتَهُ الملكةَ أنْ تُداعبَ الهرَّةَ، فلمستْها بخوفٍ، ثُمَّ انبسطتْ لها، وفرحتْ بها، واشترى الملكُ الهرَّةَ بثمنٍ باهظٍ، ثُمَّ حمَّلَ السفينة بالذهبِ والجواهرِ، وعادَ البحارةُ إلى إنجلترِا.



بعَوْدَةٍّ كانتْ ميموَنة، فقدْ رستِ السفينةُ في الميناءِ، وأسرَع القبطانُ إلى التاجرِ يُبشرُه، وروى لهُ قصّةَ الهرّةِ، وقدَّمَ لهُ صندوقاً مليئاً بالجواهرِ قالَ إنّها لديكَ ويتنُغتونَ.



تعَجَّبَ التاجرُ، وأمرَ بإحضارِ الصغيرِ، لكنَّ ديكاً كان في المطبخِ يَغسِلُ القدورَ، فلمْ يُصدِّقْ أنَّ أحداً بطَلَبُه. وعندَما دخلَ على التاجرِ، قالَ لهُ: "يا سيدي ويتنغتون، لقدْ جعلَتْكَ هرَّتُك أغنى منّي!"



خرَّ ديكُ باكياً عندَ قدمَي التاجرِ، لكنَّ التاجرَ رفعَهُ وقال: "إنّها أمانتُكَ، خُذها ولا تخفْ". ثُمّ نصحَهُ أنْ يَلْبِسَ ثياباً فاخرَةً، ويَستثْمرِ مالَهُ بحكمةٍ.







مجْدٌ كانَ هو نَصيبُ ديكْ بعْدَ تلكَ الثَرْوةِ، فَلبسَ ثياباً أَنيقةً، وأصبحَ رَجُلًا وَسيمًا أنيقاً، يثِقُ بنفسهِ، ويُحسِنُ التحدَثَ، حتى وقَعَتْ في حُبِّهِ آليسَ، وتزوَّجا في حفلٍ باذخٍ.



ثُمَ انتَخَبَ عُمدَةً للندنَ ثلاثَ مرَّاتٍ متتاليةٍ، وفي آخرِ ولايتهِ، استقبَلَ الملكَ هنريَ الخامسَ بعدَ انتصارهِ على فرَنسا، فقالَ الملكُ مُعجبًا، "ما رَأيتُ أميراً لَهُ رعيَّةٌ مثلُ هذِه". فردَّ عليهِ ديْكُ بذكاءٍ:" ولا رَأيتُ رعيَةً لَها أميرٌ مثلَ هذَا".



ومن كرمِهِ، بنى سجونًا، ومستشفياتٍ، وكنائس، وأطعمَ الفقرَاءِ، حتى صارَ اسمُه رمزاً للكرَمِ والعدلِ في تاريخِ إنجلترَا، ودُفِنَ في كنيسةِ القديس ميخائيل التيَ كانَ قدْ قدَ بناها بنفسه. وهكذا تنتهي حكاية ويتنغتونَ، تاركةً في القلبِ عبرَةً خالدةً: أنَّ أنَّ الفقرِ ليس نهايةَ الطريقِ، وأنَّ الطيبةَ معَ المخلوقاتِ الصَغيرةِ قد تكونُ مفتاحاً للثَروةَ للكبيرةِ، وأنَّ الحلم، مهما بدا بعيدًا، يبقى حياً في قلوبِ الأيتامِ، وأنَّ الأجراسَ قد قد تُغني لمَن يستمعُ إليها بقلبٍ صادقٍ.



الخرافُ العجيبةُ

مَلِكٌ كانَ لهُ ثلاثُ بناتٍ، كُنَّ جميعاً شابَّاتٍ ذكياتٍ جميلاتٍ، لكنَّ الصُغرى منهُنَّ، التي سُميَتْ "ميراندا"، كانت أجملهُنَّ وأحَبّهُنَّ إلى قلبه. كان الملكُ يُعطيها منَ الثياب والجواهر في شهرٍ واحدٍ ما يُعطيه لأخواتها في سنةٍ كاملة، لكنّها كانتْ كريمةً سخيَةً، تُشاركُ أخواتها في كلِّ شيءٍ، فعاشوا في سعادةٍ ووئامٍ.



وفي يومٍ، نشبتْ حربٌ بينَ الملكَ وجيرانهِ المُشاكسينَ، فجمعَ جيشاً عرمرمَاً وخرجَ ليُقاتلهُم، تاركَاً بناته معَ مُربيَتهُنَّ في قلعةٍ، تُنقلُ إليهنَّ أخبارُ الحرب كلَّ يومٍ: انتصارٌ هنا، وهزيمةٌ هناك، حتى جاءَ الخبرُ بأنَّ الملك قدِ انتصر انتصاراً ساحقًا، وهوَ عائدٌ إلى القلعةِ مسرعاً لِيرى ميراندا الصغيرةَ التي يُحِبُّها كثيراً.



انتصارٌ هنا، وهزيمةٌ هناك، حتى جاءَ الخبرُ بأنَّ الملك قدِ انتصر انتصاراً ساحقًا، وهوَ عائدٌ إلى القلعةِ مسرعاً لِيرى ميراندا الصغيرةَ التي يُحِبُّها كثيراً.



أثوابٌ من الساتانِ ارتدتها الأميراتُ الثلاثُ في يومِ عودةِ الملك، إحداهُنّ باللونِ الأخضرِ، والثانيةُ بالأزرق، والثالثةُ بالأبيضِ، وتزيّنّ بالجواهرِ المُناسبة: الزُمُرّدُ للأولى، والفيروزُ للثانية، والألماسُ للصُغرى. خرجْنَ لاستقبالِ أبيهِنّ، وهُنّ يُنشِدْنَ أهازيجَ ألّفنها بأنفسِهنّ.

ضمّهُنّ الملكُ بحرارةٍ، لكنّهُ أطالَ العناقَ لميرندا أكثرَ من سواها. ثمّ أُقيمتْ وليمةٌ فاخرةٌ، وسألَ الملكُ كُلَّ ابنةٍ عن سببِ اختيارِها للَونِ ثوبِها، فأجابتِ الكبرى: "يا والدي، اخترتُ الأخضرَ تعبيرًا عن فرحتي بانتصاراتك، وأملاً في عَودتِك السريعة".

وأجابتِ الوسطى: "اخترتُ الأزرقَ لأظهرَ أنّ رؤيتَك عندي كالسماءِ بنجومِها"

أمّا ميرندا، فقالتْ ببراءةٍ: "اخترتُ الأبيضَ لأنّهُ يناسبني أكثر".

غضبَ الملكُ وقالَ: "أهذا كلُّ ما فكّرتِ فيه؟"قالتْ: "ظننتُ أنّك ستُسرُّ بي".



رضيَ الملكُ عنها، ثُمّ سألهُنّ عن أحلامِهنّ، فقالتِ الكبرى: " حلمْتُ أنّك ثوبًا مُرَصّعًا بالجواهر".

وقالتِ الوسطى: " حلمْتُ أنّك أهديتني مِغزَلاً لأغزِلَ لكَ قُمصانًا"

أمّا ميرندا، فقالتْ: " حلمْتُ أنّ أختي الوسطى تتزَوجُ، وفي يومِ زفافِها، أمسكْتَ أنت إبريقًا مِن ذهبٍ، وقلْتَ لي: 'تعالي يا ميرندا، لأصُبَّ المَاءَ على يديك'".



احمرّ وجهُ الملكِ غضبًا، وقامَ منَ المجلسِ مسرعًا، وهوَ يقولُ في نفسِه: "أتريدُ هذهِ القتاةُ المتكبرةُ أنْ تجعلني خادِمًا لها؟"



أمرٌ ملكيٌّ قَاسٍ صدَرَ في جنُحِ الظلامِ، إذ استدعى الملكُ قائدَ حرسِهِ، وقَالَ لَهُ: "لقدْ سمعْتَ حلْمَ ميراندا، وأنا أرى فيهِ تحدّياً لي .اذهَبْ بها إلى الغابةِ واقتُلْها، وائتِني بقلبِها ولسانِها كدليلٍ، وإلاّ فمَوْتُكَ". ذَهبَ القائدُ إلى غرفةِ ميراندا عندَ الفجرِ، وطلبَ منها أنْ تَخرُجَ معَهُ إلى الحديقةِ بحجّةِ أنَ المَلكَ ينتظرُها.



خرجتْ الأميرةُ معَ وصيفتها السوداءِ "باتاباتا"، وقردِهَا "غرابوجونَ" وكلبِها الصغيرِ "تانَ تانَ". وفي الغابةِ، اعترفَ القائدُ للأميرةِ بالأمرِ، فبكتْ؛ لكنَّ القائدَ رفضَ قَتْلَها، وقَالَ: "سأخاطِرُ بحياتِي لأنقذَكِ". وتطوَّعَ القردُ والوصيفَةُ والكلبُ للتَّضحيةِ بأنفسهما. قفزَ القردُ منْ أعلى شجرةٍ فماتَ، لكنَّ لسانَهُ كانَ صغيراً جدَاً. وقَطعَتِ الوصيفَةُ رأسها، لكنَّ لسانَها كانَ أسودَ. أمّا الكلبُ، فلمْ يَستطِعْ أحدٌ أنْ يُضَحِّيَ به.



دَفَنَتْ ميراندا جثثَ حيواناتها الأليفةِ باكيةً، وكتبَتْ أسماءَهم على لحاءِ شجرةٍ، ثُمَّ انطلقَتْ في الغابةِ وحدَها، تَخافُ منَ الوحوشِ، وتَخافُ منْ جنودِ أبيها.







خروفٌ عجيبٌ كانَ هو ما وجدتْهُ ميراندا بعدَ أنْ سمعَتْ ثُغاءً في الغابةِ، فاتَّجهتْ نَحوَ الصوتِ ، وإذا بخروفٍ ضخمٍ، صوفُه كالثَّلجِ، وقُرونُه كالذهبِ، يتوسَّدُ زهور البرتقال تحتَ مظلَّةٍ منَ قماشِ الذهبِ، ويَحمل في عنقِهِ إكليلاً منَ الأزهارِ، وفي قوائمِهِ سَلاسَل منَ اللؤلؤ، وطوقاً منَ الألماسِ. وحوله مئةُ خروفٍ أخرى، لا ترْعَى العشْب، بل تَشربُ القَهوةَ والشرابَ، وَتأكلُ المتلجاتِ والفواكِهَ، وَتلْعبُ ألعاباً.



تعجَّبَتْ ميراندا، فتقدَّم منها الخروفُ الجميل وقال لها: "اقتَربِي أيَّتها الأميرة الجميلةُ، لا تخافي". قالتْ: "يا للعجب! خروفٌ يتكلَّم!" قال: "وقردكِ وكَلبك كانا يتكلَّمان، أليس كذلك؟" قالتْ: "نَعَم، لكنَّ جنيَّةً منَحتهما تلك القُدرةَ". قال الخروفُ: "وربَّما منحتْني إيَّاها أيْضًا. لكن، ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟" حكت له ميراندا قُصتها، فعرضَ عليها مأوىً، وأمر بعربةٍ من اليقطينِ تجرُّها ستَّةُ ماعزٍ، فركبَتْ معهُ وانطلقا إلى كهفٍ.



دَخلتْ ميراندا الكهفَ رغمَ خوفها، وإذا بها في سهلٍ عجيبٍ، تَفيضُ فيهِ الأزهارُ، وتجري فيهِ أنهارُ ماءِ الزهرِ، وينْهمرُ منَ السماء مطرٌ منَ الفطائرِ واللحوم المَشويةِ والذهب والجَواهرِ أمَّا القَصرُ، فكانَ صفّاً منَ أشجارِ البرتقال والياسمِين، مُزيَّنًا بالشُّباكِ الذَهبيةِ والمرايا.



قصةٌ حزينةٌ رواها الخروفُ العجِيبُ لمِيراندا، فقَدْ كانَ ملكاً عظيًماً، لكنَّ جنيَةً بشعةً تُدَعى "راغوت" وَقَعتْ في حبِّهِ، ولَمَّا رفضَها، حوَّلَتْهُ إلى خروفٍ، وأخضَعَتْهُ لِستِّ سنواتٍ منَ السِّجن، معَ أمراءَ آخرِينَ مسحورِينَ على هُيئةِ خرافٍ.



كانَ الخروفُ يَخرجُ أحِياناً إلى الغابةِ، وَهُنَاك رأى ميراندا تُمتَطي جوادَها وتَصطادُ، فَوقعَ في حبِّها. وعندما سَمعَ قَصَّتَها، طَمأنها وقَال لَها: "أنتِ هُنَا آمنةٌ، وسأحْميكِ.". لكنَّ ميراندا، التي كانتْ ترى حولَها أشباحاً لا تَلمسُها، وأرواحاً لاَ تُحَسُّها، شعرتْ بِالخوفِ والوحشةِ، وطلبَتْ من الخروفِ أنْ يُعيدَها إلى العالَمِ العلويِّ.



طمأنَها الخروفُ، وطلبَ منها الصبرَ، وأخبرَها أنَّ سِحْرهُ سينتَهِي قريباً.







زواجٌ كان على الأُفُقِ، فقَدَ سمعتْ ميراندا أنَّ أختَها الكبرى ستَتَزَوَّجُ، فطَلَبتْ منَ الخروفِ أنْ تذْهبَ لحضورِ العرس، وافقَ الخروفُ، لكنَّهُ اشْتَرطَ علَيها العودةَ.



ذَهبتْ ميراندا إلى القصرِ متَنكِّرةً، وشَهدتِ العرس، لكنَّها هربتْ قبل انتهائِه، تاركةً وراءَها صندوقاً من المرجانِ مملوءاً بالجواهرِ مكتوباً عليه: "جواهرُ للعروسِ".

وفِي العرسِ الثّانِي لأختَها الوسطى، كرَّرَتِ الأمرَ، لكنَّ الملكَ أمَسك بها، وسألَها عنْ قَصَتِها.



فاعتَرفتْ لَهُ بأنَّها ابِنتُهُ، وأنَّ حلَمها تحقَّقَ، إذْ صبّ علَيها الماءَ بِيدَه كما رأَتْ فِي منامِها. فَرِحَ بِها الملكَ وأخواتُها، وأقاموا لها احتفالاً.



موتٌ كانَ هَو الثمنُ الذَي دفَعَهُ الخَروفُ العجيبُ، فقدْ انتَظرَ عودة ميراندا ، ثُمَّ خرجَ يِبَحَثُ عنَهاَ، وعنَدَ بَوابَةِ القصرِ، رفَضَ الحراس دُخولَهَ، فسقطَ ميتاَ منَ الحزنِ والأسى.



وعندماَ خرجتْ ميرانَداَ من القصرِ في اليومِ التالي، وجدَتْ خروفَها ميتاَ على الأرضِ، فبكتْ بكاءً مريرًا واحتَضنَتَهُ، ثُمَّ أخذتُهُ إلى القصرِ، ورفَضتْ أنْ تُفارِقَهَ.



وفي تَلك اللحظةِ، عادَ الخَروفِ إلى الحياةِ للحظاتِ، ونظَّرَ إليها بعينين مِليئَتينِ بالحُبِّ، وأخبرَهاَ أنْ حبَّها الصادقَ كسرَ السحرَ، وتَحوَّلَ في لحظَةِ إلى أميرِ وسيمِ، وتزوَّجاَ في احتفالِ باذخِ، وعاشاَ في سعادَةِ، بعدَ أنْ علَّمتناَ الحكايةُ أنَّ الوفاءَ قَدْ يُعيدُ الحياةَ إلى الموتى، وأنَّ الحبَّ الحقيقيَّ يَكسرُ كلَّ سحرِ، وأنَّ القلوبَ النقَيةَ هي وحدَهاَ منَ تَستَحقُّ الخلودَ في مملكةِ الخرافِ العجيبَةَ.





الأُصْبَع الصَّغِير
(Little Thumb)

عائلةٌ فقِيرةٌ كانتْ تَسكنُ في كوخٍ صغيرٍ على أطرافِ قريةٍ،
ربُّها رجُل يعمَل في قطعِ الحطَبِ، وزوجته امرأةٌ بائِسةٌ،
وكانَ لهما سبعةُ أبناءٍ، كلّهمْ ذكورٌ، أكبرُهم في العاشرةِ
منَ عمره، وأصغرُهمَ في السابِعة.
كانَ الفقرُ مُدقعاً، فالأوْلادُ لا يَستطيعونَ كسبَ قوتهِم،
وكانَ الأصغرُ، الذي سُمِّيَ " الأُصبُعَ الصَّغيرَ" لأنَّهُ
لمْ يَكُنْ أكبرَ منْ إبهامِ اليدِ عندَ ولادتِه، ضعيفَ البنية،
قليلَ الكلامِ، لكنَّهُ كانَ أذكاهمْ جميعاً، وأكثرُهمْ
إصغاءً وتَفكِيراً، وأعمقَهمْ نظراً في الأمورِ.
كانَ الأبوانِ يَلومانه على كلِّ خَطأٍ في البيتِ،
رغمَ أنّهُ لمْ يَكنْ مُذنباً، وكانَ يَتحمَّلُ الظُلمَ بصمتٍ،
ويَفكِّرُ أكثرَ مما يتكلّمُ، ويَسمعُ أكثرَ مما يقولُ.



كانَ الفقرُ مُدقعاً، فالأوْلادُ لا يَستطيعونَ كسبَ قوتِهمْ،
وكانَ الأصغرُ، الذي سُمِّيَ " الأُصبُعَ الصَّغيرَ" لأنَّهُ
لمْ يَكُنْ أكبرَ منْ إبهامِ اليدِ عندَ ولادتِه، ضعيفَ البنية،
قليلَ الكلامِ، لكنَّهُ كانَ أذكاهمْ جميعاً، وأكثرُهمْ
إصغاءً وتَفكيراً، وأعمقَهمْ نظراً في الأمورِ.



كانَ الأبوانِ يَلومانه على كلِّ خَطأٍ في البيتِ،
رغمَ أنّهُ لمْ يَكنْ مُذنباً، وكانَ يَتحمَّلُ الظُلمَ بصمتٍ،
ويَفكِّرُ أكثرَ مما يتكلّمُ، ويَسمعُ أكثرَ مما يقولُ.



سنةٌ عجافٌ حلَّتْ بالقرِيةِ، فاشتدَّ الجوعُ، وامحِتِ الحقولَ بابِسَةً، ولَمْ يجِدِ الحطَّابَ طعاماً لأولادِهِ، فأمسَى يفكُرَ في الليلِ كيف يُطعمُهمَ، وقلبَهُ يتفتَّتُ ألَما.



وفي إحدى الليالي، جلسَ الحَطَّاب معَ زوجتِهِ على النارِ، وقدْ غلبَهُ الحزنُ، وقالَ لها بصوتٍ مبحوح: "نَحنُ لا نستطيعُ إطعامَ أولادنا، وسأذْهَبُ بهمْ غَدًا إلى الغابةِ، وسأتْرُكُهمَ هَناكَ، بينما هَمْ يَجمعونَ الحطبَ، وسنَهربُ منهمْ دونَ أنْ يشعروا" . صرَخَتِ الأمُ باكيةً،، وقالتْ: "أتُرِيدُ أنْ تُقتَلَ أبناءَكَ؟" لكنَّ الفقرَ كانَ أقسَى منْ دموعها، والحاجةُ أبَلغ منْ عطفِها، فوافقَتْ في النهايةِ بعدُ صراعٍ طويلٍ، وذَهَبا إلى النومَ باكينَ على مستقبلِ أطفالِهمَ.



كانَ الأصْبعُ الصَّغيرُ قدْ سمِعَ كلَّ كلمةٍ منْ تَحتِ كرسِيِّ أبِيهِ حيثُ كانَ مُختَبِئاً، فنهضَ هَادئاً بعدَ أنْ نامَ الجمِيعُ، وخَرجَ إلى النهرِ المُتجمِّدِ في ليلةٍ مقمرةٍ، وملأَ جيوبَهُ بحصى بيضاءَ لامعةٍ كالدُّرِ، ثُمَّ عاد إلى فراشِه، وفكَّرَ في خَطَّتَهِ طوالَ الليلِ دونَ أن يغلبَه النومُ.







غابةٍ كثيفةٍ مَظلمةً، كانَ الحطّابُ قدْ قادَ أبناءَهِ إليها في صباح اليوم التالي، وقدْ أعطى كَلَّ واحدٍ منْهمْ قطعة خبزٍ صغيرةً، وطلبَ منْهمْ جمعَ الحطبَ، وبيَنَما هُمْ مشَغولونَ في ربطِ الخُزَمِ، انسلَّ هُو وزَوجتُهِ بعيداً، وتوارِيا بِينَ الأشَجارِ المتَشابكةِ، وسارا في طَرِيقٍ جانبِيٍّ ضيّق.



صرَخ الأَولادُ حين شعروا بالوحدةِ، وبكوا بأعلى أصواتِهم، لكَنَّ الأَصْبَعَ الصَغيرَ هدَأهَم، وقالَ لهمْ: "لا تخافوا، أنا سأعيدُكَمْ إلى البيتِ، اتبعونِي". وأخذُهَم في طريقِ العودةِ بِفضلِ الحصى الأبيض الذي كانَ يزَرَعه خَلفَه كلَّ خَطوةٍ، فتَلألأت الحصى في ضوءِ القمرِ كالنجوم، وَقادَتْهم إلى الكَوخِ عندَ الغسق.



وصلوا إلى الباب، فسمعوا أمّهم تبكِي وتندبُ حظّها، وتَلومُ أباهُم على التخلّصِ منْهمَ، وتقولُ: "أينَ أبنَائي الآنَ؟ لقدْ أكلَتْهمَ الذئابُ، ويلَتي!" وفجأةً، طرقوا البابَ، ففتحتِ الأمُ مسرعةً، واحتَضَنَتْهمَ باكيةً، وأطعمتْهم عشاءً دسما، لأنَّ صاحبَ الأرض كان قدْ دفَعَ للحطّاب عشرةَ نقودٍ كانَ يدينُ بها، فاشتَروا لحماً كثيرا، وأكلوا حتَى شَبعوا.



نفادَ سريعُ للنقود، فما إنْ مضتْ أيامُ حتَى عَادَ الجوعُ أشدَّ منْ قبلُ، واشتدَّ القَحطُ، فقرَرَ الوالدانِ التخلّصَ منَ الأولادِ في غابةً أبعدِ وأكثر كثافَةً، لئلاً يَجدوا طريَق العودةِ. تكلَما في الليلِ، والأُصبعُ الصَغير يَسمعُ، لكنَّه هذهِ المرَةَ لمْ يَستَطِعُ الخرَوجَ لجمعِ الحصى، لأنّ الباب كانَ مُقفلاً بإحكامٍ، فكَّرَ طويلاً، ثمُ اهتدي إلى فكرةٍ جديدةٍ: أنْ أنْ يَستَخدِمِ فَتاتَ الخَبزِ الذي سَيُعطَى لَهم في الصباحِ.

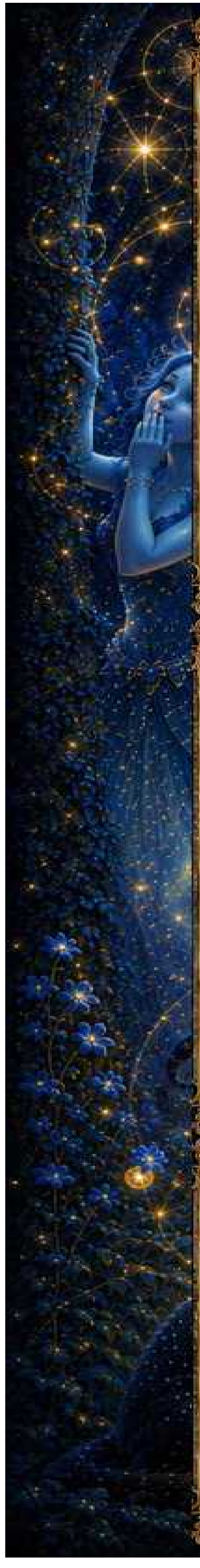


وفي صباحِ اليومِ التالي، أخذَ كلُّ ولدِ قطعةَ خبَزٍ، والأصبَعُ الصَغيرَ فَتّتَ خَبزَهُ على طولِ الطريقِ، وذرَّهُ كالبذور خلفهُ. لكنّ الطيور، التَي كانَتْ جائعةً مَثلَهم، أكَلَتِ الفتاتَ كَلّهِ، فلمْ يَبقَ أثرُ واحدٌ، وهنا بدأتْ المأسَاةُ: ضاعَ الأولادُ في الغابةِ المظلمة، وصاروا يتيهون بينَ الأشجارِ، كَلَما ساروا ازدادوا ضلَالاً، وكثُر خوفُهم. خافوا منْ عواءِ الذئاب، وبلَلَهم المطر الغَزير، وتوحَلَوا في الوحلِ، وأصبَحوا جائعينَ مُرتعشينَ.



تسَلَّق الأصْبعُ الصَغيرَ شجرةً عَاليةً، ونظرَ حولَه، فرأى ضوءاً صغيراً كالنَّجمَةِ يتلألأُ منْ بعيدِ فقادَ إخَوتَه نحوهُ، ومشوا طويلاً حتى بلَغُوا كوخاً يُضيءُ منَ دَاخلَهِ شمعةُ.





كوخُ الغَولِ (آكلِ البشرِ) الشهيرِ، حيثُ فتحتْ لهم زوجتَه الباب،
وهيَ امرأةٌ طيبةُ القلبِ، لكنّها خافتْ عليهم وقالتْ لهم باكيةً:
"أيُّها المساكينُ، أتَدرونَ أنَّ هذا البيتَ لِغولِ شريرٍ يأكلُ الأطفال؟"
ارتعد الأولادُ، لكنَّ الأَصبعَ الصّغيرَ قالَ لها بذكاءٍ:
"يا سيدتي، الذئابِ، الذئابُ ستَأكلُنا في الغابةِ، فالأولى أنْ نَموتَ
على يد زَوجِكَ، فلعلَّهُ يَرْحَمُنا."



أخَفَتْهم تحتَ السريرِ، ثُمَّ سمعوا قَرَقَعةَ باب عنيفةً، وإذا بالَغولِ يدخلُ،
وقَد شمَّ رَائحة "اللحمِ الطازَجِ" بأنَفَهَ الحادً، وصرج: "أشَمُّ رَائحةَ إنَسانِ!"
وفَتشَ الغُرَفةَ حتَى وجدَهم، وأخرَجَهم منُ تحتُ السريرِ واحداً واحداً،
وقَررَ أكَلهم معَ ضيِوفه الغَولِ الأخرينَ في اليِوم التاليِ، لكنَّ



زَوجتُه طلَبَتُ تَأجيِلَ الأمرِ إلى الغَدِ، فوافقَ، وأعطاهم عشاءً وفيرَاً منَ
اللحم، لكنَهم منَ الخوفِ لمْ يأكلوا إلاّ القليلَ، ثمَّ نام الغولُ وهو
ثملٌ منَ الخمر.



ليلةَ كانتْ هيَ الفَارقةَ في مصيرَ الأولادِ، فَقدْ كانَ للغُولِ سبعُ بِنَاتٍ صغَيرَاتٍ، نيامٌ في غَرفةٍ مجاورةٍ، على رؤُوسِهَنَّ تَيجانٌ منْ ذَهبٍ خَالصٍ، وكانَ الأُصَبعُ الصَّغيرُ قَدْ لاَحَظَ ذَلكَ.

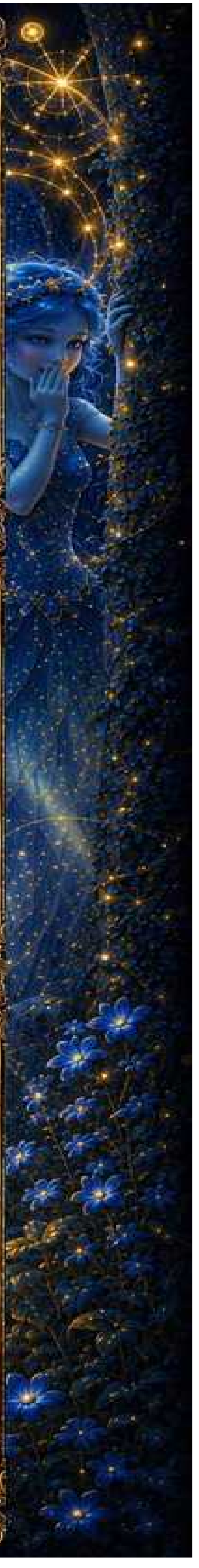


خافَ أنْ يَندَم الغَولُ في منتَصفِ الليلِ ويقَتلهم، فنُهضَ هادئاً في الظلَامِ، ونَزَعَ قَبعاتِ إخَوتهِ الصوفيةَ الخشنَةَ، ووضعَها برفقٍ على رؤُوسِ بناتِ الغولِ، وأخذَ التَيجَانَ الذهبيةَ ووضعَها على رؤُوسِ إخَوتهِ، ثُمَ عادَ إلى فراشِه مُتظاهرًا بالنومِ.



وفي مَنتَصفِ الليلِ، استَيقَظَ الغَولُ، وتَذَكَرَ أنَهُ نَسيَ أنْ يذَبحَ الأولادَ، فَأمسَكَ سكينَه الكبيرةِ، وصَعدَ إلى الغرفةِ في الظلَام، ولمسَ رؤوسَ الأولادِ فوجدَ التيجَانَ الذهبيةِ، فَظنَّهم بناته، ومضى إلى غَرفةِ بناته، ولمسَ القبعاتِ الصوفيةِ الخشنَةَ، فَظنُهم الأولادَ، وذبحَ بناته السبعَ في لحظةٍ، دونَ أنْ يُدركَ ما يفعلُ.





هروبٌ كانَ هَو الخلاصُ، فقدْ أيقظ الأصْبَعُ الصَّغيرُ إخوتِه في هدوءٍ، وأخذَهُم يَهْرُبونَ عبرَ الحديقَةَ، ثُمَّ عبرَ الجدرانِ، وساروا طوالَ الليلِ يَرَكضونَ دونَ أنْ يَعرفُوا إلَى أينَ.



وفي الصباحِ، استيقظِ الغُولُ، وذَهبَ إلى غرْفَةَ بناتِهِ لِيَلْيسهنَّ ثِيابَ العرسِ فوجِدَهُنَّ مذبوحاتٍ في بِركةٍ منَ الدماءِ، فصرخَ صرخةً مُدَوِّيَةً، وارتَدَى حذاءَ السَّبع فَرَاسَخ (وهو حذاءٌ سحِريٌّ يقطَعُ سبعةَ فَرَاسَخ في خَطوَةٍ واحَدَةٍ) وانطَلَقَ يَتَبعُ الأولادَ، وهو يَصرخُ: "سأَلحقَ بِهم، سأَقتُلُهم!"



ولحَق بِهم بعدَ أنْ قَطعَ الجبالَ والأنهارَ، لكنَّ الأصبعَ الصَّغيرَ، وهَو يَنظُرِ منْ بعيدِ، رَأى الغولَ يَقترِبُ، فَأخبَأ إخوته في صخرةٍ مُحوَّفةِ على جانِب الطرِيقِ، واختَبأ هُو أيضاً بداخَلها. تعبَ الغُولُ منَ الجرِي، وجلسَ على الصخرةِلِمحِلة لِيستريِحَ، وَغَطِ في نومٍ عميقِ، وصارَ يَشخرُ شخيرًا مُرعباً. هنا، همسَ الاصْبعُ الصَّغيرَ لإخوتِه أنْ يَهْرِبوا إلى البيتِ بسرعةٍ، ثمُّ اقترِبُ منَ الغولِ بهدوءٍ، وخلَعَ حذاءَ السَّبع فَراسَخَ بِرَفقٍ شدِيدٍ، وارتَداهُ علَى قَدَمِيهِ الصَغيرتَين.



مَكسبُ عَظيمُ كَان بانتظارِ الأُصْبعْ الصَغيرِ بعدَ أن ارتَدى الحداء السحرِيّ، فَقد انطلَقَ بِه إلى كوخِ الغُولِ، ودَخلَ على زَوجِته وهي تبكي على بناتِها، وقالَ لها بثُقةِ: "زوجَكِ في خَطرِ عظيمِ، فقدْ وقَع في أيدي لصوص، وظَلبُ مني أَنْ آخذَ كلَّ كنوزه وذَهبِه لِفدائَه، وإلاَّ فسيقَتلونَه".



خافتِ الزَوجةُ، وأعطَتْهُ كَلَّ ما في البيتِ منْ ذُهبٍ وفضةٍ وجواهرِ، دونَ أنْ تَسألَ كثيرًاَ. ثُمَ عاد الأَصبعُ الصَغيرُ إلى بيتِ أبيهِ مَسرعًا، حيثُ استقبلَهُ الجميعُ بفرَجِ عارمٍ، وذرفَتْ أُمهُ دموعَ الفرَجِ.



ويفضل الحذاءِ السحريَ، أصبحَ رسولاً للملكِ، يَنقلُ أخبار الجيوش في لمح البصرِ، وينالُ أجراً وفيراً. حتَى صارِ منْ أغنى أغنياءِ المملكة، وأشترى مناصب لإخوَته، وأسعد عَائلتَه كَلها. وهكذا تنتَهي حكايةُ "الأَصبعَ الصَغيرِ"، تارَكةً في القلبِ عبرَةً خالدَةَ: أنَ الذكاء قَدْ يكونُ أعظَم منَ القوَةِ، وأنَ الصَغر في الجسدِ لا يغني الصَغر في العَقلِ، وأنَّ الفقر قدْ يَنبتِ أذكى الحلولِ، وأنَّ المكر الحقيقَي يُصبحُ سلاَحاً يحمي الضُعفاء، ويُحوّلُ الخطرَ إلى نعَمةِ، إذا ما صاحبَه قلبُ لا يخاف، وعَقلُ لاَ يَهدَأ.





عليٌّ بابا والأربعونَ لصًّا

أخَوان كانا يسكنانِ في بلدةٍ مِنْ بلادِ فارسَ، أحدَهُما اسمُه "قاسم" والآخرُ "عليٌّ بابَا". كانَ قاسمُ قدْ تَزوّجَ مِنْ امرأةٍ غنيّةٍ، فَعاشَ في رَغد ونعيم، أمّاَ عليٌّ بَابَا فكانَ رَجُلاً فقيراً، لَحَطبَ مِنَ الغابةِ المجاورَةِ، وَيَحمله على حَمارهِ إلى المدينةِ لِيَبيعَه، ويكفيهِ هوَ وَأسرَتَه.



وفي يَومٍ مِنَ الأيامِ، بينما كانَ عليٌّ بابا في الغَابةِ يَقطعُ الحطَبِ، رَأى مِنْ بعيدٍ غباراً كثيفاً يَتصَاعدُ، ثُمَ انكشف لَهُ موَكبٌ منَ الفرسَانِ، عددُهُم أربعونَ فارسَاً، يَقودُهُم رَجُلٌ طويلُ القَامةِ، يبدو أنّه رَئيسهُم. خافَ عليٌّ باباً، وَتَسلّقَ شَجرَةً عاليةً لَيَختَفيَ عَنْ أعينِهم، فنَزلَ فنَزلَ الفَرسانُ عنْ خيولِهم، ورَبطوها بالأشجارِ،



ثُمَ تقَدّمَ رئيسُهم إلى صخرَةٍ عاليةٍ، وقَالَ بكلماتٍ واضحة: "إفتَحْ يا سِمسمْ!" وفي الحالَ. انفَتَحَ بابٌ صخريٌّ ضخمٌ، ودَخل الفرسَانُ واحدَاً تَلو الآخرَ، ثُمَ أغلق البابَ خَلفهم. انتَظر عليٌّ بابا طويلاً حتَى خرجوا، فقَال الرئيسَ: "أَغلق يا سَمسمْ!" فانطبقَ البابُ، وركَبوا خيولَهم وانطلقوا.



فضولَ دفَعَ عليُّ بابا إلى النّزول مَن الشجرَةِ، والتوجُّه إلى الصخرَة، وقال كمَا سَمعَ: "إِفَتَحْ يا سِمسمُ!" فانفتَحَ البابُ، ودخلَ، فإذا بهِ في كهْفٍ واسعِ مضاءٍ بفتَحةٍ في سَقفهِ، وفيهِ أكوامٌ مِنَ الذّهب والفضةِ، والحريرِ والديباجِ، والبَضَائعَ الثَمينةِ، والأكياسِ المَليئةَ بالنقود.



لمْ يَلمَسِ الفضةَ، بلْ حمل أكبرَ عددٍ مِنَ أكياسِ الذهب التي تستطيعُ حميرُه حملَها، وأخرَجَها، وقال: "أُغَلقَ يا سِمسمُ!" فانطبقَ البابُ، وعادَ إلى بيتهِ مسرَعاً، أفرَغَ الأكياسَ أمامَ زوجِته، وأخبَرَها بالسرِّ، وطلبَ منَها كتمانَه.



لكنَّ الزوجةَ، التي كانتْ تَفضَلُ معرفةَ مقدارِ الذهبِ، ذَهبَتْ إلى زوجِة قاسم تَستعيرُ مكيالاً، دونَ أنْ تُخبَرَها بالسببِ. وضعتْ زوجةُ قاسمَ شحمةَ في قاعِ المكيالِ بدافعِ الفضَولِ، وعندَما أعادتُه زوجةُ عليّ بابا، وجِدتْ قطعةَ ذَهبٍ عالقةً بالشحمةِ، فأخبرَتْ زوجها قاسِمَا.





طمعٌ عظيمٌ ملأ قلب قاسمٍ، فذهبَ إلى أخيه متُّهما إياه بإخفاءِ الثَروة، وطلب منه أنْ يُعلِمُه مكانَ الكنزِ. أخبرَهُ عليٌّ بابا بالكهفِ والكلماتِ السحرية، فخرَجَ قاسم في صباح اليومِ التالي معَ عشرِ بغالٍ محمَّلَةٍ بصناديق كبيرةٍ، ووصل إلى وقالِ: "إفَتَحْ يا سمسمُ!"! فانفتح البابُ، ودخل، ورَأى الكنوزِ، فأخذَ يَجمَعُ ما يستطيعُ منَ الذهب، لكنَّه لمَا أراد الخروج، نَسيَ الكلَمة السحرية، فصرَخ: "إفَتح يا شَسِيَرْ"!



فلَم يَفتَحْ، وكرَّرَ أسماءَ حبوبٍ مختلفةٍ، لكنَّ البابُ ظلَّ مُغلقًا. خافَ قاسمُ خوفاً شديدًا، وندمَ على طمعِه، وفي تلكَ الأثناءِ، عاد اللصوصُ إلى الكهفِ، فوجدوا البغالَ والصندوقَ، وعلموا أنَّ أحداً قدْ اكتَشفَ سرَّهم، فدخلوا، فدخلَوا، ووجدوا قاسماً، فقتَلوهِ،



وقطّعَوا جسده إلى أربعِ قطعٍ، وعلَّقوَها داخلَ الكهفِ لِترهِبَ أيَ مُتطفِلٍ آخرَ.





خوفٌ أصابَ عليَّ بابا حينَ لمْ يَعُدْ أَخوُهُ، فذَهبَ إلى الكهفِ، ووجدَ جثَّتَهُ،
فحملها على حمارِهِ، وأخفاها تحتَ الحطبِ، وعاد بها إلى منزلِ قاسم.



هناك، استعانَ بالخادمةِ الذكيَّةِ "مرجانةَ"، التي كانتْ تُدبِّرُ الأمورَ بحكمةٍ،
وقال لَها: "هَذا جسدُ سيِّدِكِ، وَقدْ قُتِل، لَكنْ يَجبُ أَنْ نَدفِنَه كما لوْ ماتَ في فَراشه".
ذهبَتْ مرجانةُ إلى صيدليٍّ، وطلَبتْ منهُ أدوِيةً، وقالتْ: "سيِّدي مريضٌ لا يَستطيعُ الكلامَ".
ثُمَّ عادَتْ في اليومِ التالي باكيةً، وطلَبتْ دواءَ للموتى، فَشَاعَ خبرُ موتِ قاسمٍ في الحيِّ.



ثُمَّ استعانتْ مرجانةُ بإسكافيٍّ عجوزٍ، وأعطتْه قطعةَ ذهبٍ، وربطَتْ عينيْهِ،
وقادتُه إلى بيتِ قاسم، وطلَبتْ منه أنْ يَخيطَ الجسدَ المقطَّعَ.
بَعد أنْ خاطه، أعادتْ ربطَ عينيْهِ وقادتُه إلى دكَّانهِ، ثُمَّ دُفِنَ قاسمَ في سرِّيَّةٍ.







حقدٌ كانَ في قلوبِ اللصوصِ، فقَدْ عادوا إلى الكهفِ فوجدوا الجثَّةَ قدِ اِختفَتْ، وعلموا أنْ هنَاكَ منْ يعرفُ سِرَّهم، فَقَرَرَ رئيسُهم أنْ يُرسِلَ أحدَ رجالِه إلى المدينةِ لِيتَجسَّس.



تَنَكَّرَ أحدُ اللصوص في هيئةِ تاجرِ، ووصَلَ إلى المدينةِ عندَ الفَجرِ، فَرَأى الإسكافيَّ العجوزَ يعملُ في دكّانِه، فسألَهُ: "كيفَ تستطيعُ أنْ تَخيطَ في هِذهِ السِّنِّ؟"

قال الإسكافيَّ: "لدِيَّ عَينَانِ قويتَانِ، وقَدْ خطْتُ جسدَ رجلِ ميتِ في مكانِ مظلمِ". فَرِحَ اللصُّ، وأعطاهُ قَطعَةَ ذَهبِ، وطلبَ منَه أنْ يَدلَّه على بيتِ الميت.



لكنَّ الإسكافيَّ قال: "كنتُ معصوب العينَينِ". فأعطاهُ اللصُّ قطعةً أخرَى، فوافقَ الإسكافيُّ، ورَبطَ عينيهِ، وقادهُ إلى بيتِ قاسمِ، وعلَّمَ اللصُّ الباب بِعلامةِ منَ الطباشيرِ الأبيضِ. لكنَّ مرجانةَ، التي كانَتْ تَشعرُ بالخطرِ، رأتِ العلامةَ، وأسرَعتْ إلى وضع علاماتٍ مماثلةٍ على أبوابِ الجيرانِ، فأحبطَتِ الخُطَّةَ.



فشلَ ثانٍ للصوصِ، فأَرسلَ الرَّئيسُ لصًّا آخرَ، فَعَّلمَ البَّابَ بِعلامةٍ حمراءَ، لكنَّ مرجانةَ كرَّرَتْ حيْلتَها، فأُحَبطِ الأمرُ مجددًا.



عندَها، قرَّرَ الرئيسُ أنْ يذهَبَ بنفسِهِ، وتَذكَّرَ البيْتَ دونَ أنْ يُعلِّمَه، وجاءَ إلى عليٌّ بابًا متَنكرًا في هيْئة تاجِر زيتٍ، وقالَ لهُ: "أنا تاجرُ زيتٍ، وقدْ حلَّ الليْلُ، فَهلْ تَأذَنُ لي بِالمبِيتِ عندَكَ؟". رحَّبَ عليٌّ بابا، وأمرَ مرجانةَ بإعدادِ العشَاء.



وفي الفناءِ، كانَ هناكَ تسعةٌ وثلاثُونَ جَرَّةَ زيتٍ، وفي كلِّ جَرَّةٍ لصٌّ مسلَّحٌ، والجَرَّةُ الأربعونَ تحتوي على الزيتِ الحَقيقيِّ. أخبرَ الرئيسُ رجالَه أن يَخرَجوا عندَ إشَارتِه، ودخلَ إلى البيت.





ذَكاءُ مرجانةَ كانَ هُوَ البطلَ الحَقيقيَّ، فَقدْ نِفِدَ زيتُ المصباحِ في المطبَخِ، فَقالَ لَها زمِيلُها: "اذهَبي إلى الفناءِ وخَذي زيتاً منَ الجرارِ"



ذَهَبتْ مرجانةُ إلى الجَرَّةِ الأولَى، فَسمعَتْ صوتاً يَهمسُ: "هلْ حانَ الوقتُ؟" أدركتْ مرجانةُ الخطر في الحالِ، لكنَّها تمالَكَتْ نفسِها وقالَتْ: "لِيسَ بعدُ". وكَرَّرَتْ ذلكَ مع كلِّ الجرارِ، ثمَّ عادتْ إلى الجَرَّةِ الأربعينَ، وَملأتْ قِدراً كبيراً بالزَيتِ، وَأشعَلَتْ النارَ تحتَهُ حتَى غلَى، ثمَّ صبَّتْ الزيَتَ المغليَّ في كلِّ جرَّةٍ، فماتَ اللصوصُ جميعَاً دونَ أنْ يُصدرِوا صوتاً.



وعَندَما ألَقى الرئيسُ حصاةً كإشارةٍ، لَمْ يَستَجِبُ أحدٌ، فنزَلَ إلى الفناءِ، فوجدَ رَجالَهُ موتى، وَهَربَ عبرَ الحديقةِ.



مكافأةً كانتْ من عليٍّ بابا، فقدْ حرَّرَ مرجانةَ وأعطاها حريَّتَها، ودَفنَ الجثثَ في حديقتهِ، وباع البِغالَ في السوقِ. لكنَّ الرئيسَ لَمْ يَيأس، وعاد إلى المدينةِ متنكِّراً في هيئةِ تاجرٍ يُدعى "حسنٌ"، وفتَحَ دكَّاناً مقابلَ دكَّان ابنِ عليٍّ بابا، وتقرَّبَ منه حتى دُعِيَ إلى بيتِ عليٍّ بابا.



لكنَّ مرجانةَ عرفَتْه، وأعدَّتْ خُطَّةً: ارتدَتْ ثيابَ راقصةٍ، ورقَصتْ بسيفٍ، وفاجأَتْهُ وطعنتْه في قلبِهِ، فماتَ. وهكَذا انتَهى خَطَرُ اللصوصِ، وأصبحَ عليٌّ بابا سيِّدَ الكنزِ، وعلَّمَ أولادَه سرَّ الكهفِ، فعاشُوا في غِنًى وهناءٍ،



وعلَّمتْنا الحكايةُ أنَّ الذَكاءَ والفطنةَ قدْ ينتَصرانِ على القوَّةِ والعدد، وأنَّ الطمع يُهلكُ صاحبه، وأنَّ الخادمةَ المخلصةَ قدْ تَكونُ أعظَمَ منْ جيشٍ بأكملِهِ.





هانسيل وغريتيل

أخوةٌ كانا اثنينِ، هانسيلُ وغرِيتيلُ، يعيشان مع أبِيهما الحطَّابُ وزوجتهِ الثانيةِ (زوجةِ الأَبُ) على حافةِ غابةٍ كبيرةٍ. كانَ الفقرُ مُدَقعاً، والجوعُ يُنهكُ الجميعَ، وفي إحدى الليالي، قالَ الحطّابُ لزوجتهِ وهوَ يتقلّبُ في فراشهِ منَ القلقِ: "ماذا سَيَحدُثُ لنا؟ كيف سَنُطعِمُ أولادَنا وقدْ أصبحَ البيتُ خَاليًا منَ الخَبَزِ؟"



قالتِ الزوجةُ بقسوةٍ: "سَأُخبِرُكَ بالحلِّ: بأكراً غَداً، سَنَأخذُ الأطفال إلى أعمقِ الغابةِ، ونُشعِلُ لهمْ ناراً، ونُعطيهِمْ كلَّ واحِدٍ قطعَةَ خبزٍ، ثُمَّ نَترُكُهمْ وحدَهمْ، ولنْ يجِدوا طرِيق العودةِ، ونَتخلّصُ منهمْ إلى الأبدِ".



قالَ الحطَّابُ: "لا، كيف أترُكُ أطفالي للوحوش؟" لكنَّ الزوجةَ أصرَّتْ، وقالتْ: "إمَّا همْ، وإمَّا نموتُ كُلُّنا جوعاً" .لمْ يجِدِ الحطَّابُ بدَّاً منَ الموافقةِ، لكنَّ قلبهُ كان يتفتَّتُ ألماً، ونامَ وهوَ يئنُّ.



سمعَ هانسيلُ وغرِيتيلُ كلَّ ما دارَ بين أبيهما وزوجته، فبَكتْ غَريتيلُ باكيةً بحرقةٍ، وقالتْ: "ويلنَا! لقدْ هلكْنَا." لكنَّ هانسيلُ هدَّأَهاَ وقالَ: "لا تَخافِي يا أختَي، سأجِدُ حيلةَ نَنجو بِها "..



وعندما نَامَ الجميعُ، نهضَ هانسيلُ بهدوءٍ، وارتَدى معطفَه الصغيرَ، وخرجَ منَ البابِ الخلفيِّ إلى الحديقةِ تحتَ ضوءِ القمر الساطعِ، حيثُ كانَ الحصى الأبيضُ يَتَلألأُ كقطع الفضَّة النَقية،



فملأَ جيوبِه بِها حتَى امتَلأَتْ، ثُمَّ عادَ إلى فراشه وقالَ لِغريتيلُ: "نَامي يا أَختَي، فاللّهُ لنَ يَترُكَنَا، وسيُعَينُنَا على ما نُقابِلُ".



غَابةٍ كثيفةٍ مظَلمةٍ، كانَ الحطَّابُ قدَ قادَ أطفَاله إليها في صباح اليومِ التّالي، وَقدَ أعطتْ زَوجةُ الأبِ لكَلًّ منُهما قطعَةَ خبزٍ صغيرَةَ، وقالتْ بِحدةٍ: "هذَا طعامُكُمْ، لا تَأكُلوهُ قَبلَ الظهرِ، وإلاَّ فَستجِوعونَ".



بِينما كانَ هانسيلُ يَمشي فِي الطريِقِ، كانَ يَتوقَّفُ كلَّ لحظةٍ ويَلتِفتُ خلفَه، ويِرمي حصاةً بِيضاءَ على الأرضِ بِخفَةٍ، كأنُها بذرةُ نجاةٍ.



قالَ لهُ أبِوهُ: "إلى ماذا تَنظَرُ يا هانسيلُ، وتَتُخلَّفُ عنَا؟"
قالَ هانسيلُ بِبراءَةٍ: "أنظَرُ إلى قطّتي البِيضاءِ التي تَجلِسُ على السَّطحِ وتُودِّعني". لكنُه كانَ في الحقيقةٍ يُلقي الحصى لتكونَ دليلاً على طريِقِ العودةِ، وهوَ يَضحكُ في سرَهِ منَ دهائِه.



نَارَ أَشعِلتْ في وسطِ الغابةِ، وطلبَ الأَبُ منَ الأَطفالِ أنْ يَجمعوا حطبًا كثيرًا حتَى كوَّموا كومةً كالجبلَ الصغيرَ. أشعَلوا النارَ، وقالتْ زَوجةُ الأبِ: "اجلِسا هنا يا أطفالُ، وناما قليلاً، فنحنُ سنذِهبُ لِنقطعَ حطبًا أخرَ، وسنَعودُ لِنَأخَذَكُما عند الغُروبِ".



جلسَ الأطفالَ ينتظِرونَ، وسمعوا صوتَ الفأسِ، فظنُّوا أنَّ أباهما لا يزالُ قريبًا، لكنَّ الصوتَ كانَ غصناً يابِساً يتحرَّكُ بالريحِ. غلبهُمْ النومُ، وعندما استيقظوا، كانَ الظلامُ قدْ حلَّ، فبكتْ غريتيلُ باكيةً، وقالتْ: "كيفَ سنجدُ طريقَ العودةِ؟" فقالَ هانسيلُ: "انتظِري حتَى يَطلَعَ القمرُ، ثُمَّ نَتبعُ الحصى". وعندما أشرقَ القمرُ، تَلألَأتِ الحصى البيضاءُ كالنقودِ الفضيةِ على الأرضِ، وقادَتْهمْ خطوةً خطوةً حتى بلغا بابَ المنزلِ عندَ الفجرِ.



طرقا البابَ، وفتَحتْ لهُمْ زَوجةُ الأبِ بتعجُّبٍ وغضبٍ، وقالتْ: "أيُ أطفالٍ مُشاغبينَ! ظنَنَّا أنَّكما لنْ تعَودا". أمَّا الأَبُ ففرِحَ فرحاً شدِيداً، لأنَّ ضميرَهُ كانَ يُعاتِبهُ على ما فعَلَ.





جوعَ عادَ يَشتدُّ في البيتِ بعدَ أيَامٍ، ونفدَ الخبزُ تمامًا، وَفي ليلةٍ أخري، سمعَ الأطفالُ زَوجةَ الأَبِ تقولُ لأَبِيهم بصوتٍ حادٍ: "لقدَ نفدَ الخبزُ، ولا شيءِ في البيتِ سوى نصْفِ رغَيفٍ، سنذهبُ بهم إلى غَابةٍ أبعدَ وأكثر كثَافَةً. حتى لا يَجدوا طريق العودةِ أبدًا".



حاولَ الحطَّابُ الاعتراضَ، لكنَّ الزَوجةَ صَرخَتْ فيهِ حتى أسكتَ، فوافق على مضضٍ. حاولَ هانسيلُ أنْ يخَرُجَ لِيَجمعَ حصىً، لكنَّ زَوجةَ الأَبِ أغلَقتِ البابَ بإحكامٍ، فعجزَ عنِ الخروجِ، فعادَ إلى غريتيلُ وقالَ لها: "لا تحزَني، سأفْتتُ خبزَي على الطريقِ ليكونَ دليلاً".



وفي الصباحِ، أعطتُهم زوجةُ الأبِ قطعةَ خبزٍ أصْغر منَ السَابقةِ، وانطلقوا إلى الغابةِ. كان هانسيلُ يَفُتتُ خبزَه ويُلَقيهِ على الطريقِ كالفتاتِ الذهبِيِّ، لكنَّ الطيور الجائعةَ التي تملأ الغابةَ أكَلتِ الفتاتَ كلَّه، ولمْ يبق أثرُ واحدُ.



ضَياعٌ تَامٌّ في الغابةِ، فَقدْ تاهَ الأطفالُ طوالَ الليلِ والنهارِ، ولمْ يجِدوا طرِيقاً للخروجِ، وجاعوا جوعاً شديدًا، فلمْ يَجِدوا سوى بعضِ التوتِ البريِّ الذي نادرًا ما يُشْبِعُ. تعبوا حتى سقطوا تَحتَ شجرةٍ، وناموا نومةً ثَقِيلةً. وفي وفي اليومِ الثالث، بينما همْ يَتَيهونَ، رأيا طائرًا أبيضَ جميلاً كالثلجِ، يُغَرِّدُ بأعذَبِ الألحانِ على غُصنٍ، فأتْبعاهُ حتى وصلا إلى كوخٍ صغيرٍ، وإذا بهِ مصنوعٌ منَ الخبْزِ الطازجِ، وسقْفُه منَ الكعكِ الملَونِ، ونوافِذُه منَ السّكّرِ الشفافِ



فرِح الأطفالُ وقال هانسيل: "هذهِ وجبةٌ من السَماءِ! سأكلُ منَ السقْفِ وأنتِ يا غرِيتيلُ كُلي من النافذةِ". ومدَّ يدهُ وكسرَ قطعَةً منَ السقْفِ وبدأتْ غريتيلُ تَنْهشُ النافذةَ، وإذ بصوتٍ رقيقٍ يخُرجُ منَ الداخل:

"يا صغيري، يا صغيرتي،

مَنَ يأكُلُ بيتي؟"

فأجابا بجرأةٍ:

"الرِّيحُ يا جدَّتي، الرِّيحُ العاتيةُ".

واستمرّا في الأَكل دونَ اكتراثٍ، لكنَّ



البابَ انفتح فجأةً، وخرجت عجوزٌ هَرِمَةٌ، تتوكَأُ على عكّازٍ من العاج. ارتعبَ الأطفالُ وأسقطوا ما في أيديهم، لكنَّ العجوزَ قالتْ بلطفٍ مُخادِعٍ: "ادخلا يا يا أطفالي، لا تخافا، فلنَ أؤذيَكما". وأدخلتْهم، وقدَّمتْ لهم طعامًا شهيًّا من اللبن والفطائرِ والتفاح، وأعطتْهم سريرينِ ناعمينِ كالحريرِ، فناما وكأنَّهما في الجنة.





ساحرَةً كانتْ تَلكَ العجَوزُ في الحَقيقةِ، ساحرَةً شَريرةً خَبيثَةً، بَنَت الكوَخ منَ الخبْزِ والحلوى لتصطادَ الأطفال، وتأكُلُهم بعدَ أنْ تُسَمِّنُهم. كانتْ تَرى بِعَينِي حمراوينِ ضعيفتِينِ، لكَنَّ حاسَّةَ الشَمِّ لديها قَويةَ كالوحوشِ، وقدْ شَمَتْ رائحةَ البشرِ منَ بعيدِ.



وفي الصباحِ، بينما كانَ الأطفالُ نائمينَ، أمْسكتْ هانسيلَ بيدِها العظمِيَة، وسجنَته في حظيرةٍ صغيرةِ خلف الكَوخِ، وأغلَقتِ البابَ عليهِ بإحكامٍ، وقالتْ لِغريتيلَ باستهزاءٍ: "استيقظي يا كسولةُ، اذهبِي واطبخِي لأخيكِ طعاماً وفيراً حتى يسَمَنَ، ثُمَ سأَكُلُهُ ". بَكتْ غريتيلُ باكيةً، لكنَّها أطاعتْ خوفاً.



وكانت الساحرةُ تُطعمُ هانسيل أطيب الطعامِ كلَّ يومٍ: اللحمَ، والكعك، والحليب، أمَّا غريتيلُ فكانتْ لا تأكلُ سوى قشور السرطانِ الجافة. وكلَّ صباحٍ، كانت الساحرةُ تلمسُ إصِبع هانسيلَ لتَتأكَدَ منَ سِمنهِ، لكَنَّ هانسيلَ الذَكيَّ كانَ يَمدُّ لها عظماً صغيراً منَ العظامِ التي ترميها غريتيلُ، فكَانتْ تظُنُّ أنَّه لا يَسمنُ، وتتعجَّبُ منَ بطءِ سِمَنه.



صبرٌ طويلٌ، حتى فقَدَتِ الساحرةُ صبرها بعدَ أربعة أسابيعَ، وقالتْ لِغرِيتيلَ بغضبٍ: "هانسيلُ قَدْ يسَمْنُ أو لا، لكِنّي سأَكُلُه غَداً، اذهبي واملأِيَ الفرنَ بالماءِ واشعلي النار". صرختْ غريتيلُ باكيةً: "يا إلهي، ساعدْنا!"



لكنَّ الساحرةَ صرختْ فيها: "لا تَبكي، تعالِي وانظرِي هلِ الفرنُ ساخنٌ بما يكفِي لِلخبزِ؟" وعندما اقتَربتْ غريتيلُ منَ الفرنِ المُشتعلِ، دفَعَتِ الساحرةُ غرِيتيلَ نحو النارِ لتَحرِقَها وتأكُلَها، لكنَّ غريتيلَ تملَّصتْ بذكاءٍ، ودفعَتِ الساحرةَ بقوَّةٍ إلى داخلِ الفرن، وأغلَقَتِ البابَ الحديدَيَّ بإِحكامٍ، فصَرخَتِ الساحرةُ صرخَةً مُدَوِّيَةً رهيبَةً وماتَتْ محترقَةً.



هرعتْ غريتيلُ إلى هانسيلَ، وفتَحتِ الحظيرةَ، وصرختْ باكيَةً من الفرحِ: "لقدْ ماتتِ الساحرةُ، نحنُ أحرارٌ يا أخي!" قفزَ هانسيلُ كالعصفورِ منَ القفصِ، واحتضَنتْ غريتيلُ أخاها، وتقَاسَما القبلاتِ والدُموعَ.



ذَهبٌ وجواهرُ كانتْ هي مكَافأةُ شَجاعتِهما. فَقَدْ دَخلا كوخَ الساحرةِ، وفَتَشَا في كلِّ زَاويةٍ، فَوجدَا صناديقَ مليئةً باللُّؤلؤِ والجواهِرِ والذهبِ الخالِصِ، ملأَ هَانسيلُ جيوبَهُ بالجواهرِ، وملَأَتْ غريتيلُ مئزَرَها باللُّؤلؤِ، ثُمَّ خرجا منَ الكوخِ



يَبحثانِ عنْ طريقِ العودةِ. وبعدَ ساعاتٍ منَ السيرِ، وصلا إلى بحيرةٍ كبيرةٍ، فقال هانسيلُ: "لا نستطيعُ عَبورَها". فصرَختْ غريتيلُ بذكاءٍ: "انظري، هناكَ بطةٌ بيضاءُ، سَنَطْلُبُ منها أنْ تُعَبِّرَنا".



نادَتْها بصوتٍ عَذبٍ:
"أيتها البطةُ البيضاءُ،
خُذينَا على ظهْرِكِ،
فَلا جسرَ هنا، ولا قَاربَ،
وقَدْ تَعبْنا منَ السيرِ.".



عودةً إلى جذورَ الحياة، فما إنْ وطِئَتْ قدماهما الأرضَ اليابسة حتى عرفا معالمَ الطريقِ، وراحا يعدِوانِ كالغزْلاَنِ التي أفلتَتْ منَ الأفخاخِ. كانَتْ أشجارَ الغابة التي كانَتْ تُخيفُهما تَبدو الآنَ كأصدقاءَ يستقْبلونهُما، والطيورُ تُغَرِدُ بفرحٍ كَأنَّها تُباركُ لهما النجاةَ. وأخيرَاً، بدا منزلُ أبيهما في الأُفقِ، يتَلأْلأُ بينَ أغصانِ الأشجار.



اندفعا نحوَ البابِ، ودخلاَ مسرعينَ، فإذا بأبِيهما الحطَّابِ جالسٍ على الأرضِ يَبكِي بحُرقةٍ على فقدهما، وقدٍ انهارَ جسدُة منَ الأَسى، وناحتْ نفسُهُ على ما فعَلَ. أمَّا زوجةُ الأبَ الشريرةُ، فقدْ ماتتْ في غيابِهما؛ وكأنَّ الشرَّ لمْ يستطِعْ أنْ يَبقَى حيثُ يسكُنُ الحبُّ.



احتضَن الأبُ طفليهِ باكياً، وقَبّلَ جبامهُما، وكأنَّ الحياة عادَتْ إلى قَلبه النابض الذي كادَ أنْ يتوقَّفَ.



سعادةٌ غَمرَتِ الكوخَ الصَغيرَ حينَ أفرغَ الطفلانِ جيوبهُما ومآززُهما على الأرَضِ، فَتراصَفتِ الجواهرُ واللؤلؤُ والذهبُ في كوماتٍ تتلألأُ كالنجومِ التي تساقطَتْ منَ السَماءِ.



لَمْ يَعُدْ هناكَ جوعٌ، وَلمْ يَعُدْ هَناكَ خوفٌ، بَلْ أصبَحَ البيتُ يَفيضُ بالرَخاءِ، وَعاشَ الأبُ وأبَناؤه في هناءٍ لا يَنقطعُ، وأكلوا وَشرَبوا، ونسوا آلامَ الماضِي كأنَّهَا حلَمُ ثُقيَلٌ انقَشعَ بضَوءِ الفَجرِ.



وهكذا تنتهي الحكايةُ، كما ترويها الجدَّاتُ، بقوَلِ الراوي الخاتِمِ:
"انتهتْ حَكايتي، ها هو فأرٌ صغيرٌ يَمرُّ، منْ يسَتطِعْ أنْ يَمسَكهُ يصنعْ لنفسِهِ قُبَعَةً منْ فَرْوه".
وهي إشارةٌ لطيفةٌ منَ القُدماءِ إلى أنَّ الحكاياتَ لا تموتُ، بلْ تتوارثُها الأجيالُ كالكنوزِ التي لا تفنِي.



يظلُ العبرةُ باقيةً: نعم، تتكرَرُ الأنماطُ في الحكاياتِ، وتتشابهُ الحبكات كما تشَابُهتْ في "الأصْبع الصَّغيرِ" و"هانسيلَ وغَريتَيلَ".
لكُنَّ الجوهرَ الذَي يَصِلُ إلى القلبِ هو ذَلكَ النورُ الذَي يَشعُّ في عيونَ الأطفالِ حينَ يَنتصَرونَ على الخوفِ، وتَلكَ القَدْرةُ التي تمنحَنا إيَّاها الحكاياتُ على تذكُّر أنَّ الألَم قَدْ يكونُ طرِيقًا نحو الكَنزِ،



وأنَّ الحبَّ بينَ الإخوةِ أَقَسى منَ سحِرِ الساحرات، وأنَّ الفقرَ ليس نهايةَ الدَربِ إذا ما صحبهُ الأملُ.



القَلبُ يَشعُرُ بالحقَيقَةِ العميقَةِ التي لا تتغيَرُ: أنَّ الشرَّ يَأكُلُ نفَسهَ في النهايةِ، وأنَّ الطيبةَ، مهما طالَ بِها الطريقَ، تصِلُ إلى ديارِ الأمان.





سَنُووَايُتَ وُرَوَزرَيَدُ

(Snow-White and Rose-Red)

أَرملةٌ فقيرةٌ، كانتْ تَسكُنُ فِي كوخٍ صَغيرٍ مُتَواضِع، يِتقدَّمُهُ حديقةٌ غَنَّاءُ تَفيضُ بِالعُشبِ والأَزْهارِ، وفِي وسَطِ تلكَ الحديقةِ، نَبَتَتْ سنَجر تَا وَردٍ عَجيبتَانِ: إِحداهُما تَتَفَجْرُ وَرداً أبيضَ ناصِعاً كَالثُلْجِ الذائب، والأَخْرى تَتَفَتَّحُ وَرداً أحمَرَ قانِياً كَأَتُمَدِ الشفَّق.



وقدُ رزَقَ اللّهُ تِلكَ الأَرملَةَ بِابْنتيْن، كانَتا كشجرَتي الوَرْدِ تَمَامُاً: الكُبْرى، وكَانَتْ أَكْثَرَ هُدوءاً ورِقَّةً، سُمَيَتْ "سنُووايُتَ" (أي الثَّلْجِيَةَ البَيْضاء)، لِشَدَّةِ بَياض بشَرَتِها، والصُغْرى، وكَانتْ أَكْثرَ مَرَحاً وَنَشاطْاً، سُمَيَتْ "رُوزِيدَ" (أَي الوَرِدةً الحمراء)، لِتَورُدِ خَدَّيْها.





وَكانتَا مِنْ أَلطفِ الأَطفالِ وأَبرِهِمْ فَي الدُّنيَا، دَؤُوبتيْنِ، مَرِحتَيْنِ، تَشْتَملانِ على قُلوبٍ نَقَيَةٍ كماء النَبعِ.



رابِطةٌ وثيقةٌ كانتْ تَجمعُ الأُختيْنِ، فَكلَّما خرَجَتِا تَمشَيَتا يداً بِيدٍ، وكلَّما قالَتْ سَنَيُوايتُ: "لَنْ نَتفارق أبداً"، أجابتَهَا رُوزريدُ: "أبداً، ما حيَينا". وكانتْ أُمهَما تُضيفُ: "وما تَملِكُ واحِدةٌ، فَلِلأُخرى نَصيبٌ مِنْهُ".



كَانَتا تَغُوصانِ في الغَاباتِ لِقَطْفِ التُّوتِ، فَلا يُؤْذيهما حيَوانٌ، بلْ كانتِ الوُحوشُ تأْتِيهما بِثقةٍ: الأرْنبُ الصَّغيرُ يَرْتاحُ في حُجُورِهِما، والغَزَالَةُ تَرْعى بجِوارِهِما، واليحْمُورُ يَمُرُّ مُرحِّبًا، والأَطْيارُ تُغَرِّدُ تُغَرِّدُ لَهُما علَى الأَغْصانِ.

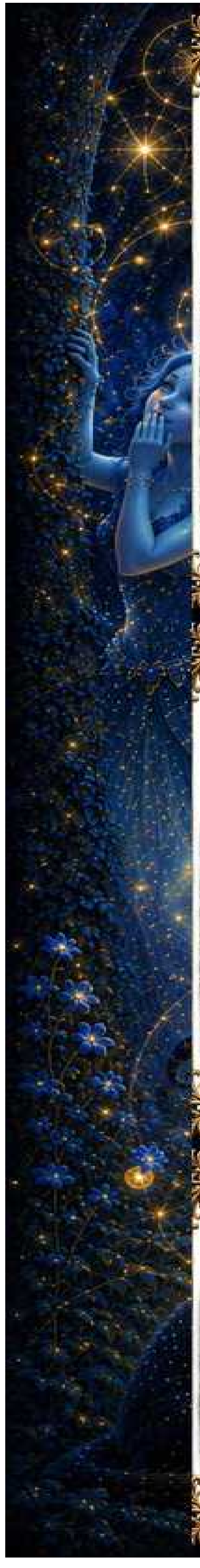


وإذا ما أَبطَأَتا حتَّى حلَّ الظَّلامُ، كانَتا تَضْطَجِعانِ معاً على طَحْلبِ الغَابةِ النَاعمِ، وتَنامانِ حتَّى يُوقِظَهُما ضوءُ الصَّباحِ، وأُمهُما لا تَخاف علَيْهما، لِعلْمِها بطَهارةِ قُلوبِهما.





رؤَيا عَجِيبةٌ رَأَتاها ذَاتَ فَجْرٍ، فَقَدِ اسْتَيْقَظتَا علَى مَنْظَرِ طِفْلَةٍ بَدِيعَةٍ،
تَرْتَدي ثُوبًا أَبْيضَ كالنُّورِ، تَجْلِسُ بِالقُرْبِ مِنْ مضْجعِهِما.
نَهضَتِ الطُّفْلَةُ، وأَلْقَتْ علَيْهِما نَظْرَةً حانِيَةً مليئَةً بِالحُبِّ،
ثُمَّ انْطَلَقتْ تَخْتَرِقُ أَشْجارَ الغابةِ حتَّى تلاشَتْ كَسَرابٍ.





وعِنْدُما نَظْرَتا حَوْلَهُما، وجَدْتَا أَنَهُما كانَتا نائمَتَيْنِ
علَى حافَةِ هاوِيَةٍ سَحِيقَةٍ، لَوْ تَقَدَّمَتا خُطُواتٍ في الظَّلامِ لَسَقَطَتا.
فَلَمَّا حكَتا لِأُمِهما ما رأَتَاهُ ، قَالَتْ لَهُما:



"لَقَدْ كانَ ذَلِكَ مَلكًا مِنَ السَّماءِ يَحْرُسُ الأَطفال الصَّالِحِيَن".



حياةٌ بَسيطَةَ وادِعةً كانَتْ تَعيشُها الأُسْرَةُ في كوْخِها، فَتُنَظِّفانه بِإِتْقانِ، وتُبْقِيانِهِ أَنيقَ ما يَكُونُ، حَتَّى كانَ دُخَوْلهُ متْعَةٌ لِلنَّفس. وفي الصَّيْفِ، كَانَتْ رُوزرِيدُ تَقومُ علَى شُؤونِ البَيْتِ، وَتَضَعُ كُلَّ صَباحِ بَاقَةَ وَرْدٍ علَى سَرِيرِ أُمِّها، مُشْتَمِلةً علَى وَرْدةٍ مِنْ كُلِّ شَجرَةٍ.



وفي الشِّتَاءِ، كانَتْ سْنووايتُ تُشْعِلُ النَّارَ في الموْقِدِ، وتَضَعُ الغَلّايَةَ النَّحاسِيَةَ الَّتِي تَلْمعُ كالذَّهبِ مِنْ شَدَّةِ الصَّقْلِ.



وفي المَسَاءِ، حينَ تَتَساقَطُ رُقَاقاتُ الثَّلْجِ كَالرِّيشِ الأَبْيَضِ، كانَتِ الأُمُّ تَقولُ: "سَنووايتُ، أَغْلِقِي المَصارِيعَ". ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ حَوْلَ المَدْفَأَةِ المُشْتَعِلةِ، وتَرْتَدي الأُمُّ نَظّارَاتِها الكَبِيرَةَ، وتَقْرأُ لهُما مِنْ كِتابٍ ضَخْمٍ، بَيْنما تَسْتَمِعانِ بِشَغَفٍ وَتَغْزِلانِ الخُيُوطَ بأَيدِيهما الصَغيرَتَيْنِ، وإلى جانِبِهما خَرُوفٌ صَغيرٌ يَثْغُو، وَخَلْفهُما حَمامةٌ بَيْضاءُ تَخْبِئُ رَأْسَها تَحْتَ جَناحِها.





دَبٌّ هائِلٌ أَسَودُ كانَ طارِقَ بابهِنَّ ذاتَ مَساءٍ، إذْ سَمِعْنَ خَبطاً عَنيفاً،
قالَتِ الأُمُّ: "رُوزريدُ، إفْتَحي البابَ، فَلَعَلَّهُ مُسافرٌ يَبْتَغي المَبيتَ".
فَتَحَتْ رُوزريدُ البابَ، فَإِذَا بِرأس دُبٌّ ضَخمٍ، جِسَمُهُ كالجَبَل،
يَندَفِعُ بِرفْقٍ إلى الدَّاخِل.



صَرَخَتْ رُوزرِيدُ وارْتَدَّتْ إلى الوَراءِ فَزَعَةً،
وثُغَاَ الخَرُوف ورَفْرَفَتِ الحَمامَةُ،
واختبَأَتْ سنُووايتُ خلْف سريرِ أمّها،
لَكِنَّ الدُّبُّ نَطق بِصَوْتٍ خَشنٍ حانٍ:
"لا تخَفْن، لَنَ أُوذِيكُنَّ، أَنا مُتَجمِّدٌ، وأَرْغبُ في التَّدَفُّئ قلِيلاً،
فَقدْ كادَ البَرْدُ يُقْصِمُ عظامِي".



فقَالَتِ الأُمُّ: "تَعالَ يا دُبِّي المَسكين، إستَلْقِ بِجانبِ النَّارِ،
لكِنِ احذرْ أَن تحْرِقَ فَروكَ الثَمِين".
ثُمّ نادَتِ الفَتاتيْن: "أخْرُجا، لَن يَضُرَكُما هذا الدُّبُّ،
إنَّهُ مَخْلوقٌ صالِحٌ".





أُنسَّ غَمْرَ القَلْبِ، فَقدْ خَرَجَتِ الفتاتانِ مِنْ مَخْبَأَيْهما، ودَنَتْ مِنْهُ الحَمامةُ والخُروفُ أَيضًا، وتَلأَشَى الخَوْفُ كَسحابةٍ صَيفيَّةٍ. وسُرْعانَ ما ائتَلَفَتْ معهُ، وصارَ الدُّبُّ صديقَهُما المُفَضَّلَ، فَأَخَذَتا تلْعبانِ معهُ بِشَغَفٍ: تجْذِبانِ فَرْوهُ الكَثيفَ، وتضعانِ أَقْدامهُما الصَّغيرَةَ على ظَهْرِهِ وتَتدحْرَجانِ فَوقَهُ، وتَأْخُذانِ قَضيبَ البُنْدُقِ وتَضْرِبانِهِ بِه، وإنْ هَمْهَمَ منَ الأَلَمِ ضَحِكَتا بِمرحٍ.



وكانَ الدُّبُّ يَتَحَمَلُ كُلَّ ذَلِكَ بِحُسْنِ نِيَّةٍ، حتَّى إذَا ما أَفْرَطَتا في المَزَاحِ، قالَ بِصَوْتٍ رَقيقٍ: "آه! أَيُها الأَطْفَالُ الصِغار، اِرْحَموني، ولا تَضْرِبا حبيبَكُما حتَّى المَماتِ". وعِنْدَما حانَ وقْتُ النَّومِ، قالَتْ الأُمُ لَهُ: "اسْتَلْقِ على مدْفَأَةِ المَوقِدِ، فَهي مأْوىَ لَكَ مِنَ البَرْدِ والمَطَر".



وفي الصَّباحِ، كانَ يَخْرجُ يَعْدُو في الثُّلوجِ عائداً إلى الغابةِ، حتَّى صار لاَ يأْتي إلاَّ عِنْدَ المَساءِ، وتَعوَّدْنَ على وُجودِه، فَما كُنَّ يُغْلِقْنَ البابَ قَبلَ أَنْ يحْضُرَ.



رَبِيعٌ أَزْهَرتْ فيهِ الأَرضُ، وَذابَ الثَّلْجُ، فقال الدّبُّ ذَاتَ صَباح لِسَنُوايتُ: "الآنَ يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ، وَلَنْ أَعُودَ طَوالَ الصّيْفِ، فَعَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ إلى الغَابةِ لِأَحْمي كَنْزي مِنَ الأَقْزامِ الأَشرَارِ، ففي الشِّتَاءِ يَضْطَرُّونَ للبَقاءِ تَحَتَ الأَرْضُ، أَمّا الآنَ قَقِدِ انْفَتَحَتِ الأَرْضُ، وسيَخَرجُون لِيَسرِقوا".

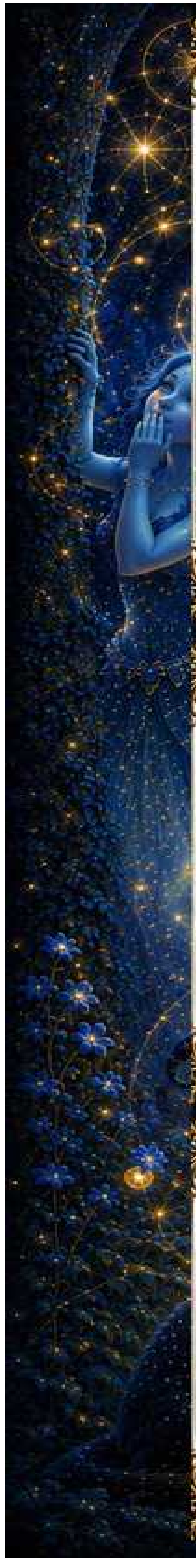


حَزنَتْ سَنُووايِتُ، وعِنْدَما فَتَحَتْ لَهَ البَابَ لِيَخْرجَ، عَلِقَ جُزءٌ مِنْ فرَوهِ بِمقَبَضِ البَابِ، فَلمَحَتْ سنُووايتُ لَمعَةَ ذَهَبِ تَحتَهُ، لكُنُها لَمْ تُولِها اهتِماما.



وأَسرَعَ الدُّبُّ في هُرُوبِهِ حَتَّى توارَى خلْف الأَشجارِ.





قِزْمٌ عُجوزٌ يَشَعُ المَنظَرِ، لَهُ لِحْيَةٌ طَوِيلَةٌ كأَنَّها ذِرَاعُ إِنسانٍ،
كانَ ما وَجَدَتاهُ بَعْدَ أَيَّامٍ حينَ أَرْسلَتْهُمَا الأَمُّ لِجمْعِ الحَطَبِ.
رَأَتا شجَرَةً مقطوعةً، وَعلَى جِذْعِها شيءٌ يقفزُ ويثْبُ كالكَلْبِ المرْبُوطِ،
فاقْتَربَتا، وإذا بِقزْمٍ وجْهُهُ مُتجعِّدٌ كقِشْرِ الجَوزِ،
ولِحْيَتُهُ مَحْشُورَةٌ في شَقِّ الجذْعِ.



حَذَّقَ فيهما بِعَيْنَيْنِ حمْرَاوَيْنِ مُلْتَهِبَتَيْنِ،
وصاحَ بِغَضبٍ: "ما ذا تَفْعَلانِ هُناكَ؟ ألاَ تُساعِدانِني بِسُرْعَةٍ؟!"
سألتْهُ رُوزرِيدُ بِوداعةٍ: "ما الذِي كُنْتَ تَفْعَلُهُ أَيُّها الرَّجُلُ الصَّغيرُ؟"
صَرَخَ بِسُخْرِيَةٍ: "أَيَّتُها الإِوَزَّةُ الغَبِيَّةُ"!



كُنْتُ أَشُقُّ الجذْعَ لأَحْصلَ عَلَى رُقَاقاتِ خَشبٍ لِمَطْبَخِنَا،
لِكِنَّ الخَشَبَ كانَ زَلِقًا، فانْفَلَتَ الإسْفِينُ، وانْضمَّ الجذْعُ،
وعَلِقَتْ لِحْيَتي الجَمِيلَةُ، وأَنتُماَ تَقِفانِ وَتَضْحكانَ كالأَغْبِياءِ!"





مسَاعدَةً بَادَرتَا بِها القَتاتَانِ، لكُنَّهَما عَجَزتا عَنْ تَحْرِيرِ اللَّحْيَةَ، فَقالتْ رَوزرِيدُ: "سأَذْهَبُ لِأَجَلِبَ أحَدًاً يَنجِدُنا". صَرَخَ القَزْمُ: "أَتُرسِلِينَ أَحَدَاً؟ أَنْتُما اثْنَتانِ كَثِيرَتانِ عَلَيَّ!" فقالتْ سَنُووايْتْ بِرِقَّةِ: "لا تَضْجَرْ، سأُساعِدُكَ". وأَخْرَجَتْ مقَصَّها الصَّغيرَ مِنْ جَيّبِها، وَقَطَعتْ بِهِ طَرَف لِحْيَتِه بِحذَرٍ.



وَما إنْ شَعَرَ القَزْمُ بِالحُرِيَةِ حتَّى أَمْسكَ كِيسَاً ملِيئَاً بالذَّهَبَ كانَ مَخْبَأً بَيّنَ جُذَورِ الشَّجَرَةِ، ووضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، وقَالَ بِغَضَبِ مُتَذَمِّرًا: "لَعْنَةُ اللهِ على هٰذِهِ الوَقاحَةِ! لَقَدْ قَطَعْتُنَّ جُزءَاً مِنْ لِحْيَتِي الرَّائِعةِ!"



ثُمَ انْطَلَقَ يَجُرُّ رِجلَيَه، وتَوارى عَنْ أَنْظارِهما دَونَ أَنْ يُلْقي كِلِمَة شُكْرٍ.



نَهرٌ كانَ مسَرَحَ المُصادفَةِ الثَّانيَةَ، فَبَيْنَما كَانت الفتَاتَانِ تَصْطَادَانَ السَّمك، رأَتا شَيْئاً كاَلْجنْدُبِ العِمْلاقِ يَقْفزُ نَحْوَ الماءِ، فَعَرَفَتا القَزَمِ.



سَأَلَتْهُ رُوزرِيدُ بِدَهْشَةِ: "أَتُرِيدُ أن تَقْفزَ في الماءِ؟" صَرَخَ يَخَوْفِ: "لَسَتُ بِأَحْمَقَ! ألا تَرَيَنَ أَنَّ السَّمكَةَ تَحاولُ جرِّيَ إلى العُمْق؟" كانَتْ لحْيَتُهُ قَدْ تَشَابكَتْ في خيْط الصَيْد، وعِنْدَما عَضَتْ سمَكةٌ كَبيرَةٌ الخَيْطَ، جرَتْهُ بِقُوْةٍ نَحْو الماءِ، وهُو يَتَشَبَّتُ بِكَلِّ عُشْبِ وقَصبَةِ عَلى ضِفَةِ النَّهْرِ، لِكنُهُ كانَ يَنْجرُ لا محَالَةَ.



أنقَدَتَاهُ مَرَةً أُخرى، لِكَنُهُما اضْطَرتا إِلى قَطعِ جُزْءِ آخَرَ مِنْ لحَيَتهِ لِفَكِّ الاِشْتبَاكِ. فَغَضِب غَضباً شَدِيداً، وصَرَخَ: "هَلْ هَذِهِ أخْلاَقُكَنْ؟ لَقَدْ قَصَرْتُنَّ لحِيَتي المَرَّتَينِ! كَيفَ سَأَظهرُ أمام قَومِي بِهُذا المَنْظر المَشِينِ؟؟" ثُمَ حَمَلَ كيساً مِن اللُّؤْلُؤِ وانْطلَقَ يَشْتمُ وهُو يَخْتفي خلْفَ الصُّخور.



نَسَرٌ هائِلُ الَجناحَيْنِ كانَ هُوَ الخُطَرَ الثَّالِثَّ، فَبَيْنَما كانتِ الفَتَاتانِ في طَرِيقِهِما إلى المَدينةِ لِشراءِ الخُيُوطِ، رأَتا نَسْرًا يَحُومُ في السَماءِ، ثُمَّ انقَضَّ كالَصاعِقة لِيخَطِفَ القزْم.

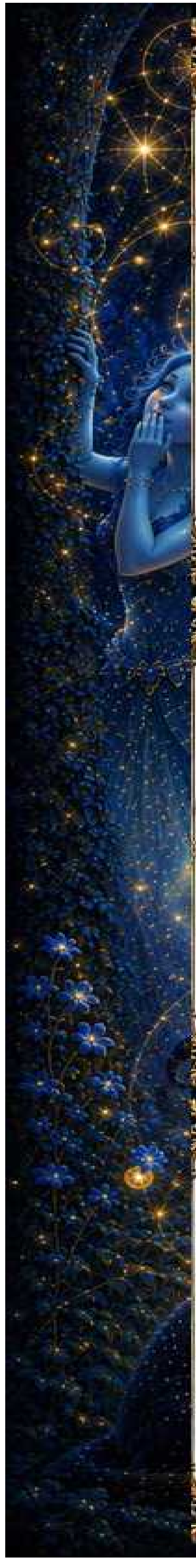


اَمْسكَتَا بِالَقَزْمِ بِشَجَاعةٍ، وِصارِعَتَا النَّسْرَ طَوِيلاً حتَّى أَفْلَتهُ مِنْ مَخَالِبِهِ. لَكِنَّ القزْمُ، بَدَلَ أَنْ يَشْكُرَهُما، صَرَخَ بِغَضبٍ: "لَقدْ مَزَّقْتُنَّ مِعْطَفِيَ الجمِيلَ إِرَبًّا إِرَبًّا!' أَيٌّ فَتياتٍ غَبَيَّاتٍ وَخرَقَاتٍ أَنْتُنَّ"!



ثُمَّ حَمَل كِيساً مِنَ الَجَواهِرِ الثَّمِينَة وانْدَسَّ تَحْت الصُّخَورِ، تارِكاً الفَتاتيْنِ في حَيْرَةٍ مِنْ جُحَودِهِ.





غُروبُ الشَمْسِ كانَ شاهِداً علَى اللِّقاءِ الأَخيرِ، فَفِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِما،
مرَّتَا بِالقَزَمِ وهُو يصُبُّ جواهِرهُ الثَّمِينةَ على أرْضٍ مُكْشَتَفةٍ، يَظُنُّ أنَّ لا أَحد
سَيَمُرُّ في تِلْكَ السَاعَةِ المُتأخِّرةِ.



توَقَّفتا لِتُعايِنَا تَلأْلُؤَ الجَواهِرِ تَحْتَ أَشعَّةِ الشَمْسِ العَصِيَّةِ، فصَرَخَ فيهِما بِشدَّةٍ:
"ما ذا تَفِفانِ تُحدِّقانِ؟!" واحْمَرَّ وجْهُهُ غيْظًا، لَكِنَّ زَئيراً مُدوِّياً قَطَع كلامَهُ،
وإذَا بِالدُّبِّ الأَسْوَدِ الضَّخْمِ يَخْرجُ مِنْ بَيْنِ الأَشْجارِ، يَهُزُّ رأْسَهُ بقُوَّةٍ.



فَزِعَ القَزَمُ فزَعًا شَديدًا، وصَرخَ مُسْتَغيثاً: "أَيُّهَا الدُّبُّ العَظِيمُ، إرْحَمْنِي!
سأُعْطِيكَ كلَّ كُنوزِي! خُذْ هاتَيْنِ الفَتاتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَلاحَقانِنِي فَهُما طُعْمٌ شَهِيٌّ لَكَ!"
لَكِنَّ الدُّبَّ، دُونَ أيِّ تَرَدُّدٍ، رفَع مخْلَبَهُ الهَائِلَ، وضَرَبَ القَزَمَ ضَرْبَةً واحِدَةً
فصَرعَهُ، فلَمْ يَتَحَرَّكْ بعْدَها.







تحرُرٌ كانَ هُوَ المَكْسَبَ العَظِيمَ، فَقَدْ هَربَتِ الفتاتان خائِفَتَيْن، لكَنَّ الدُبَّ ناداهُما بِصَوْتٍ مَألُوفٍ: "سَنُووايْتُ، رُوزرِيدُ، لا تَخافا، إنْتَظِراني". عَرَفَتا صَوْتَ صديقِهما، فَوَقَفَتا، وعِنْدما اقْتَرَبَ الدُبُّ، انْسَلَخَ جِلْدُهُ كَثَوْبٍ، وإذا بِأميرٍ وَسِيمٍ يَقِفُ أمامَهُما، يَرْتَدِي ثِياباً مِنَ الذَّهَبِ الخالِص، تَتَلألأُ كَالنُّجوم.



قالَ لَهُما بِصَوْتٍ دافِئٍ: "أنا ابْنُ مَلِكٍ، قَدْ سَحرني هذا القِزْمُ الشِّرِيرُ، وَسَرَقَ كُنوزِي، وأَجْبَرَني عَلى التَّجَوُّلِ فِي الغابَةِ كَدُبٍّ وَحْشِيٍّ، حَتَّى يَمُوتَ فَيَزُولَ السِّحْرُ، والآنَ، لقَدْ نالَ جزاءَهُ العادِلَ، وأنا حُرٌّ بِفَضْلِكُمَا".



تَزَوَّجتْ سَنُووايْتُ مِنَ الأَمِيرِ، وتَزَوَّجتْ رُوزرِيدُ مِنْ أخِيهِ، وقَسَما كُنوزَ القِزْمِ بَيْنَهُما، وعَاشَتِ الأُمُّ العَجُوزُ مَعَ ابْنَتَيْها في قَصْرٍ جَدِيدٍ، وَحَمَلتْ مَعَهَا شَجَرَتَي الوَرْدِ، فَكانَتا تَزْهُرانِ كُلَّ عَامٍ بِأَجْمَلِ ما يَكُونُ مِنَ الوُرودِ البَيْضاءِ والحَمْرَاءِ، شاهِدَتَيْنِ عَلى حُبٍّ لا يَزُولُ، وقَلْبَيْنِ نَقِيَّيْنِ اسْتَحَقَّا السَّعادَةَ.



تَنْتَهِي حِكَايةُ "سَنُووايْتَ وَرُوَزِرِيدَ"، تَارِكَةً في القَلْبِ عَبْرةً خَالِدَةً:
أَنَّ اللُّطْفَ وَالتَّواضُعَ هُمَا مِفْتَاحُ القُلُوبِ، وَأَنَّ الصَّبْرَ عَلى الأَذَى
يُثْمِرُ خَيْرَاً، وَأَنَّ الشَّرَّ لَا بُدَّ أَنْ يَأْكُلَ نَفْسَهُ في النَّهايَةِ.



وَأَنَّ الحُبَّ بَيْنَ الإِخْوَةِ أَقْوى مِنْ سِحَرِ الأَقْزَامِ،
وَأَنَّ الوُرودَ، بَيضَاءَ كَانتْ أَمْ حَمْراءَ، تَظَلُّ تُزْهِرُ
في حَدائِقِ النُّفُوسِ الطَّيِّبَةِ، مَا دَام في الدُّنْيا
مَنْ يَرْعَاها بِحُبٍّ صَادقٍ.



وَقَلْبٍ يُؤْمِنُ بِأَنَّ الجَمَالَ الحَقِيقيَّ يَسْكُنُ في الدَّاخِلِ،
لَا في المَظْهرِ.





فتاةُ الإوزِّ

ملكةٌ عجوزٌ كانتْ قدْ فقدَتْ زَوجها منذُ سَنواتٍ، وكانَ لها ابنةٌ وحيدةٌ جميلةٌ، خَطَبَها أميرٌ مِنْ مملكةٍ بعيدةٍ. وحانَ وقتُ رحيلِ الفتاةِ إلى بلاد زوجها، فجهَّزتها أمُها بكلِّ ما يليقُ بأميرةٍ: جواهرَ، وثياباً، وذهباً، وفضةً، وكلُّ ما تحتاجُ إليه عروسٌ في رحلتها. وأعطتْها وصيفةً ترافقُها، وخَصَصَتْ لكلٍّ منهما حصانًا. كانَ حصانُ الأميرةِ يُدعى "فالأدا" (Falada)، وكانَ يتكلَّمُ.



دمعةٌ مِنَ الأمُ، حينَ ودَّعَتِ ابنتها، فأخذَتْ سَكيناً صغيرةً، وشقَّتْ إصبعِها حتى نزَف الدمُ، ثمَّ وضعَتْ قطعةَ قماشٍ بيضاءَ تحتَ الجرحِ، وترَكتْ ثلاثَ قطراتٍ مِنَ الدماءِ تسقُطُ عليها، وأعطتْها لابنتِها وقالَتْ: "احْفَظي هذهِ القَطعةَ يا صغيرتي، فقدْ تَكونُ لكِ عوناً في الشدائد".



ركبَتِ الأميرةُ جوادَها، وانطلقَتْ مع وصيفتها في رحلتها الطويلة.



عطشٌ ألحَّ على الأميرةِ بعدَ ساعةٍ منَ السيرِ، فقالتْ لوصيفَتِها: "انْزِلي يا أختي، وائْتيني بماءٍ منْ هذا النهر لأشربَ في كَأسي الذهبيةِ". لكنَّ الوصيفةَ ردَّتْ بوقاحةٍ: "إنْ كُنتِ عطشي، فانْزلي بنفْسك واشربي، فلنْ أخْدمَك بعدَ اليوم". نزلت الأميرة باكيةً، وانحنتْ على النهر لتَشرب، وسقطتْ قَطعة القماش الملطخةِ بالدماءِ منْ صدرها، وانحرفَتْ مع التيارِ، دونَ أنْ تلحظها. همستِ القطراتُ الثلاثُ وهيَ تغيبُ في الماءِ: "لوْ علِمتْ أمُكِ بما جرى، لانْكَسر قَلبُها أسى".



خيانةٌ كانتْ هي الخطوةِ التالية، فقدْ رأتِ الوصيفةُ سقوطَ القطعةِ، وعلمتْ أنَّ الأميرةَ فقدَتْ حمايتها، فصرختْ فيها: "انْزِلي عنْ حصانكِ فَالادا، واركبي حصانيَ الأعرجَ، واخلعي ثيابكِ الملكية، والبسي ثيابيَ الرثَّةَ". وأجبرتِ الأميرةَ على أنْ تُقسم ألاَّ تقول لأحدٍ ما حدَثَ، وإلاَّ قتلتْها.



ركبتِ الوصيفةُ حصانَ "فالادا"، وركبتِ الأميرةُ الحقيقيةُ الحصانَ الأعرجَ، وانطلقَتا إلى القصر.



بلاطٌ ملكيٌّ، استقبل الأميرُ الوصيفةَ وهي راكبةٌ على "قالادا"، وظنَّها عروسَه فأدخلَها إلى القصر، بَينما تُركتِ الأميرةَ الحقيقيَّةُ واقفةً في الفناءِ.

رأى الملكُ العجوزُ، والدُ الأمير، الفتاةَ الواقفةَ، فأعجبَهُ جمالُها وحُزْنُها، وسألَ الوصيفةَ عنها، فقالت: "إنَّها وصيفتي، إمنحْهَا عملاً لا يُبْقيها كسوله i dle.

فَفكَّرَ الملكُ، وقالَ: "ستُساعِدُ الفتى الذي يَرعى الإوَزَّ". وكان أسمُ الفتى "كوردِكن" (Curdken)، فأصبحتِ الأميرةُ الحقيقيَّةُ راعيةَ إوَزٍ.



خوفٌ كان في قلبِ الوصيفة منْ أنْ يُفشيَ حصانَ "قالادا" السرَّ، فأمرتِ الأميرِ بأنْ يَذْبحَ الحصانَ، بَحجَّةَ إنَّهُ كانَ عَنيداً في الرحلةَ. ذُبِحَ "قالادا"، لكنَّ الأميرةُ الحقيقيَّةُ تَوسَلَتْ إلى الجزارِ أنْ يُعَلِّقَ رأسَ الحصانِ على البوابةِ الكبيرة التي تمُرَ منها كلَّ صباحٍ ومساءٍ معَ قَطيع الإوزَ. فَفعَلَ.



علَّقَ الجَزارُ رأسَ "قالادا" على البوابةِ الكبيرةِ،
فكانَ كلَّ صباحٍ ومساءٍ يَراهُ الجميعُ.
وأمَّا الأميرةُ الحقيقيَّةُ، فكانتْ تَمرُّ منْ تَحتهُ مع قطيعِ الإوَزِ،
ويَشْهدُ رأسُ الحصانِ على الظُلْمِ والخيانةَ.



بوابةٌ كَبيرةٌ، مرّتْ منْ تحتها الأميرةُ مع "كوردكن" في صباحِ اليوم،
فَنظرَتْ إلى رَأس "فالادا" وقالتْ:
"آه، يا فالادا، هلْ أنتَ هناك؟
فَأجابَ الرَّأسُ:
"آه، يا أميرتي، هلْ أنتِ هنا؟
لوْ عِلمتْ أمُّكِ بما جرى،
لانْكَسر قَلبها أسى".



مرجٌ أخضرُ، حيثُ كانتِ الأميرةُ تَرعى الإوَزَ،
فجلستْ تَحلُّ شَعرها الذهبيَ، فَأرادَ "كوردكن" أنْ يَلْمسهُ، فنادتْ:
"أيَّتها الريحُ، هُبّي بلطفٍ،
وخُذي قُبَّعَةَ كوردكنَ بعيدًا،
ليركُضَ وراءها فِي الحقولِ،
حتى أُسرّحَ شعري الذهبيَ".



فهبّتْ ريحُ، وطارتْ قُبّعَةُ كوردِكنَ،
وركَضَ وراءَها، وعادَ وقدْ فرَغتْ منْ تسريحِ شعرها.
وحزنَ كوردكنُ، وذهبَ إلى المُلك يَشكو.



ملكُ عَجوزٌ سمعَ القصَّةَ، فاختبأ خلفَ البوابةِ في اليومِ التالي، وسمعَ الحوارَ بينَ الأميرة ورأس الحصان، ثُمَّ تَبعَها إلى المَرجِ، ورَأى شعرَها الذَهبيَّ، وسَمعَ دعاءَها للرِيح، فَأيقَنَ أنَّ هذه الفَتاةَ ليستْ وصيفةً، بلَ أميرةٌ حقيقيَّةٌ.



استدعاها الملكُ في المساءِ، وسألَها عنْ حقيقتِها، لكنَّها رفضَتْ أنْ تقولَ شَيئًا بسببِ القسم، فقالَ لها المَلكُ: "إنَّ كنتِ لا تستطِيعينَ البوح لي، فابثي سِرَّكِ لهذا الموقدِ الحديديَ".



فاقترَبتْ منَ الموقدِ، وأجهشَتْ بالبكاءِ، وروتْ قَصَّتَها كُلَّها، وهي تَظُنُّ أنَّ الموقدَ لاَ يَسمعُها، لكَنَّ الملكَ كانَ واقفاً خلفَ المدخنةِ يَسمعُ كَلَّ كلمةِ.



وضعَ الملكُ خُطَّتَه، فدعا الوصيفةَ الخائنةَ إلى وليمةٍ عظيمةٍ، وأجلس الأمير بجانبِها، والأميرةُ الحقيقيَّةَ إلى الجانبِ الآخر. وفي خَضَمِّ الوليمةِ، سألَ الملكُ الوصيفةَ: "ما رَأيُك في عقوبةِ منْ يخونُ ويَغْدُرُ بصاحِبتِها، ويَسرِقُ مكانَها؟"

فأجابتِ الوصيفة بِكُلِ جرأةٍ وقسوةٍ: "مثلَ هذه الخائنةَ تستحقُّ أنْ تُوضعَ عاريَةً في برميلٍ مليءٍ بالمساميرِ الحادَّة، وأنْ تُجرَّ في الشوارعِ حتى تَموتَ".

فقالَ لها الملكُ: "لقدْ حَكَمْتِ على نفسكِ، فأنتِ تِلكَ الخائنةُ".

وأمرَ الجنود ففعلوا بها ما قالَتْ.



وتزَوَجَ الأميرُ الشابُّ منَ الأميرةِ الحقيقيَةِ، وعاشا معاً في سعادةٍ وهناءٍ، وحكمَا المملكةَ بالعدْلِ والحبِّ.



وانتهتِ الحكايةُ، تارِكةً في القلوبِ عِبرةً أبديَةً: أنَّ الشَّرَّ لا بُدَّ أنْ يأكُلَ نفسه، وأنَّ الحقيقةَ، مهما طال كتمانُها، لا بُدَ أنْ تَظْهرَ، وأنَّ الأمانةَ والصبرَ هُما مفتاحُ الخلاصِ، وأنَّ الجزاءَ منْ جنسِ العملِ، فمنْ يَزرَع الريح يَحصُدُ العاصفةَ.





الضفادعُ والألماسُ

أرملةٌ كانتْ في سالفِ الزمانِ، لها ابنتانِ.
كانتِ الكبرى شبِيهاً بأُمِها في الوجّه والطبعِ،
حتى إنَّ الناظرَ إِلِيها كانَ يرى الأمّ في البنتِ.



كانتَا كلتَاهمَا بَغيضَتَيْنِ مُتَكَبِّرتيْنِ،
لا طاقةَ لأَحدِ بصُحبتهمَا.



أمّا الصُغرى، فكانتْ صورةَ أبيها البارُّ في اللُّطفِ وحلاوُةِ الخُلُقِ، وكانتْ مَع ذلكَ منْ أجمَلِ الفَتياتِ اللّاتي رَآهُنَّ أَحدٌ. وكمَا يَطبُعُ الناسُ على حُبّ منْ يُشَبِهُهم، كانتِ الأَمُّ تُفرطُ في حبّ الكُبَرى، وتُبغضُ الصُغرى بُغضَاً شديداً، حتى جعَلتْها تَأكُلُ في المَطبَخ، وتَعمَلُ بلا انقطاعِ.



مشقَةٌ عظيمةٌ كانتْ على الفتاةِ المسكينةِ، إذْ كانَ منْ واجبِها مَرَّتين في اليَومِ أنْ تَذهبَ إلى نافورةٍ بعيدةِ، على بُعدِ ميلٍ ونَصفٍ من المنزلِ، وتعودَ بإبريقٍ مَملُوءٍ ماءً.



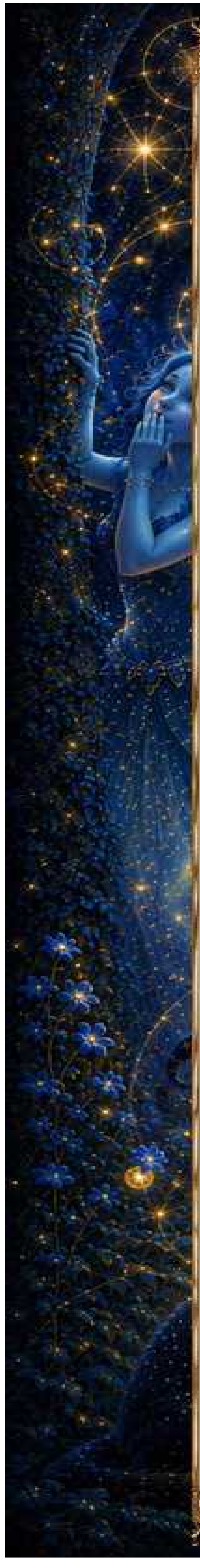
وفي يومٍ مِنْ الأَيَامِ، بينما هيَ واقفةٌ عندَ النَافورةِ، أَقبلتْ عليَها امرأَةٌ فقيرةٌ، تَسألُها أنْ تَسقيها. فقالتِ الفتاةُ بلُطفٍ:
"بِكلِّ سرورٍ، يا خالتي".



وغسلتِ الإبريقِ حالاً، وجمَعَتْ بهِ ماءً منْ أصفى موضعٍ في النافورةِ، ورفعَتْهُ لتَشربَ منها المرأةُ بِسهولةٍ. ولمًا شربَتِ المرأةُ، قالتْ لِها.
"أنتِ جمِيلةٌ جدًا يا صغيرتي، وطيبةٌ ومُهذَّبَةٌ، فلا بدَّ لي مِن أنْ أهديكِ هديَّةً".
وكانتْ هذهِ المرأةُ في الحقيقةِ جِنِّيةً، تخفَّتْ في هيئَةِ امرأةٍ فَقَيرةٍ، لتَختبرَ مبلغَ أدَبِ الفتاةِ وكرمِها. ثُمَ أضافتِ الجنِّيةُ:
"سأجعلُ هديَّتي لكِ أنَهُ كَلَما نطَقتِ بكلمةٍ، يخَرجُ منْ فمكِ إمَّا زَهرةٌ وإمَّا جوهرة"







دهشةَ الأَمِّ حِينَ عادتْ الفتاةُ إلى المنزلِ، فقدْ بَدَأَتْ تُعاتِبُها علَى طَوْلِ غيابِها، لكنَّ الفتاةَ اعتذَرَتْ، وإذا بِوردتينِ، ولؤلؤتينِ، وألْماستَينِ تَخرجانِ منْ فمِها معَ كلماتِها.



فإنْ دَهَشُت الأمُّ وقالتْ: "ما هذا الذي أرى؟ أَلْؤلؤُ وألْماسّ يَخرجانِ من فمِ الفتاةِ؟ كيفَ حدَثَ هذا يا بُنَيَّتي؟" وكانتْ هذهِ أوَلَ مرَّةَ تُناديها فيَها "بُنَيَّتي". فَحكتْ لها الفتاةُ القصَةَ كاملةَ، وفي أَثَناءِ كلامها، تَساقطَت جواهرُ لا تُحصَى.



فعَجبَتِ الأُمُّ مجدداً وقالتْ: "حقاً، لا بَدَّ أنْ أُرسِلَ ابنتيَّ الأُخرى إلى النافورةِ .تعَاليَّ يا فانيِ، انظري ما يَخرجُ من فمِ، أَخْتكِ حينَ تَتكَلّمُ، ألا تُحبينَ أنْ تُحصَلي على مثل هذهِ الهبَةِ؟ ما عليكِ إلاَّ أنْ تَذهبِي إلى النافورةِ، وعندَما تَطَلبُ منكِ امرأةُ فقيرةُ ماءَ، .تُعَطينَها إيَّاهُ بأدَبِ"،.



استهْزاءً من الابنَةَ الكبرى، فَقدُ قَالَتْ بوقاحةِ: "يا لَلرُّؤيةِ الجمِيلةِ! أَتُّصوَّرينَني أذْهبُ لأجلبَ الماءَ؟" فَأجابَت الأُمُّ بِحزْمٍ: "ستذْهبِين يا وقحةُ، وفي الحالِ". فانطَلقَت الفتاةَ تَتَذَمُّرُ طَوالَ الطريق، وحمَلتْ مَعَها معُها أَفَضَلَ إبريق فُضَّةٍ في المنزِلِ. ولَمّا



وصلتْ إلى النافورةِ، رَأَتْ سيِّدَةً تَخرجُ منَ الغَابةِ، ترتدي أبهى الثياب، تقتَربُ منها وتَطَلّبُ ماءَ. وكانتْ هذهِ هيَ الجنِّيَّةُ نَفسُها التي ظَهَرتْ لأَختِها، لكنُها هذهِ المرَّةَ تَنَكُرتْ في هيئةِ أمِيرةٍ، لِترى إلى أيِّ حدِّ سَيبلَغُ وقَاحةُ هذهِ الفتاة.



غطرسةً ورَدَتْ بها الكبَرى، فَقالَتْ بفخرٍ: "هلْ جئتُ إلى هنَا لأَخْدمكِ بالماء؟ أَظَنُّ أنَّ هذا الإبريق الفضّيَّ قدْ أحضرَ خصيصاً منْ أجلِ سيادَتكِ؟ لكنْ، اشربي منهُ إنْ كانَ لكِ رغبةٌ". فأجابَتِ الجنِّيَّةُ دون غضبٍ: "أنْتِ لست مُهذَّبَةً بما يكفي. حسنَاً، بما أنَكِ قليلةُ إلتربيةِ، فسأجعَلُ هديّتي لكِ أنَهُ كلَّما نَطقْتِ بكلمةٍ، يَخرجُ منْ فَمِكِ أفعَى أو ضفْدَعَةٌ".







رعبَ الأمُّ حينَ رأتِ ابنتَها تَعودُ، فصرَختَ: "حسنًاً يا ابنتي؟"
فردَّتِ الفتاةُ بوقاحَةٍ: "حسنًاً يا أماهِ"؟ وإذا بأفعيينِ
وضفَدَعَتَينَ تَخرَجانَ منْ فمها. فصاحَتِ الأمُّ مذعورَةَ:
"يا لِلهولِ! ما هذا الذي أرى؟



لابدَّ أنّ تلكِ الوغده -أختَكِ- هيَ التي سبَّبَتْ هذا كُلَّهُ،
ولكُنَّها ستَدَفَعُ الثُمنَ". وهَجَمتْ على الصُغرى لِتَضرِبها،
فَهَرَبَت الفتاةُ المسكينَةُ، واختَبَأتْ في الغَابة.



لقَاءً كانَ معَ ابنِ الملكِ، الذي كانَ عائداً منَ الصيدِ، فرَآها
وهيَ تبكي، فسألَها عمَّا بها. فأخبَرَتْهُ أنّ أمَّها قدْ طردَتْها.
ورأى ابنُ الملكِ خمس أو ستَّ لؤلؤاتٍ، ومثلُهُنَّ منَ الألماس،
تَخرجُ منْ فَمِها معَ كلماتِها، فسألَها عنَ القصَة. فحكتْ لهُ
كُلَّ ما جرى، فوقعَ في حبِّها، ورأى أنَّ هذهِ الهبَة أثْمنُ
منْ أيِّ مهرِ زواجٍ. فاصطحَبَها إلى قَصرِ الملكِ أبِيه، وتَزَوَّجَها.



أَمَّا الأختُ الكَبَرى، فَأَصْبَحَتْ مكَروهَةً حتى منْ أمُها، فَطردَتها أَيضًا. وظلّتِ المسكينةُ تَتَيهُ فِي الأَرْضِ طويلاً، لا يَأويها أَحدً، حتى لجَأتْ إِلى زَاويةٍ منَ الغَابةِ، وماتَتْ هناك وحدَها.



تَنتَهي حِكايةُ "الضَّفادِعِ والأَلْماسِ"، تارِكَةً في القَلْبِ عبَرَةً خالدَةً: أَنَّ الطِّيِّبَةَ واللُّطْفَ هُما طريقَ البَرَكةِ، وأَنَّ الكَبِرَ والغَلِظَةَ يَجْلبانِ الخَسْرانَ، وأَنَّ الجَزَاءَ منْ جنَسِ العَمَلِ، فَمَنَ



يَزْرعُ لُطْفَاً يَحصُدُ جَواهرَ، وَمَنَ يَزْرعْ قَسْوةً يَحَصُدُ أَفَاعِي.



الأمير المحبوب

مَلِكٌ كانَ فِي سَالفِ الزمانِ، عادلاً رحيماً ، حتَّى لَقَّبَهُ رعاياهُ بـ "المَلكَ الطَّيِّبِ".
وفِي يومٍ مِنَ الأيامِ، بينَما كانَ يَصطادُ فِي الغابةِ، إذْ بأرنبٍ أبيضَ صَغيرٍ تطارِدُهُ كلابُ الصيدِ..
فوثَبَ الأرنبُ إلى أحضانِ المَلكِ مُستجيراً. ضَمَّهُ المَلكُ بلطفٍ، وَقالَ لَهُ: "لا تَخفْ، فلَنْ يُؤذيَكَ أحدٌ".
وأخَذَهُ إلى قصرِهِ، وأودعَهُ فِي بيتٍ لطيفٍ، وأطعَمَهُ مِنَ أطيبِ الطعامِ.



وفي تلكَ الليلةِ، بينَما كانَ الملكُ وحيداً في غُرفته، إذْ بامرأةٍ جميلةٍ تَظْهَرُ أمامَهُ فجأةً.
ثوبَها أبيضُ كالثلجِ، وعلى رأسِها إكليلٌ من الوردِ الأبيضِ. ذُعِرَ المَلكُ، لأَنَّ بابَهُ كانَ مُغلَقًا بإحكام،
ولَمْ يدرِ كيفَ دَخلَتْ. لكنَّهَا قالتْ لَهُ:



"أنا الجنّيةُ الحَقُّ. مررْتُ بالغابةِ وأنت تصطادُ، فأردتُ أنْ أختبِرَ طيبَتكَ، فتشكَّلتُ بهيئةِ أرنبٍ،
وجئتُ إليكَ طلبًا للحمايةِ، لأنَّ منْ يرحمُ الحيَوانَ يكونُ أرحمَ بالبشرِ. لوْ رفضتَ مساعدتِي،
لعلمْتُ أنَّكَ شريرٌ. والآنَ، لأنَّكَ كُنتَ طيبًا، سأكونُ صديقتَكَ إلى الأبدِ. اطلُبْ مني ما تشاءُ".



رَغْبةٌ كانتْ في قلبِ الملكِ، فطلَبَ منَ الْجنّيَةَ أنْ تكَوْنَ صَديقةً لابنه الوحيدِ. "الأمير المحبوبِ".
الذي كانَ يُحبُهُ أكثرَ منْ روجِهُ. فقالتِ الجنّيةُ: "سأفعَلُ، لكنّي لا أستطيعُ أنْ أجعَلهُ
صالَحاً إلاّ بمساعَدتِهِ لنفسهِ. سأعطيهِ النصيحةَ، وأوبّخُهُ على أخطائِهِ، وأعاقبُهُ إنْ لمْ يُصلحْ نفسَهُ" .



فرَضيَ المَلكُ بذلكَ، وَما لبثَ أنْ تُوفِّيَ فحزنَ الأميرُ حزناً شَديداً، وكانَ سيّتّان عندهُ كلُّ
كنوزِ الأرضِ لوْ أنّها تعيدُ إليه أباهُ. وبعدَ يومينِ، ظهرتِ الجنّيةُ للأميرِ، وأهدتْهُ خاتماً ذهبياً،
وقالَتْ لَهُ: "احتَفظْ بهذا الخَاتمِ، فهوَ أثمنُ منَ الجواهرِ".



كلّمَا ارتكبْتَ سيّئةً، لسعَك هذا الخاتمُ، فإنْ تَماديْتَ في غيِّك رَغم لسعَتِهِ، فقدْ فقدتَ
صَداقتي، وصَرْتَ عَدوِّيَ."





حَياةٌ جَديدَةٌ بدأها الأميرُ، فتَحسَّنَ سلوكُهُ في البدايةِ، حتّى لقّبوهُ "الأميرَ المَحبوبَ السَعيدً".



لكَنّهُ غضبَ ذاتَ يومٍ لأنَّ الصيدَ لمْ يَكُنْ موفقّاً، فرَكبَ جوادهُ عائدَاً، وفِي الطريقِ، استقبلهُ كلْبُهُ الصغيرُ "بيبي" بقفزاتِ الفرحِ، فرفسهُ بقَسوةٍ. وفِي الحالِ، لسَعَهُ الخاتمُ لسعةً مؤلمةً، فجلسَ في زاويةِ الغرَفةِ خَجلاً.



وهنا، سمعَ صوتاً يُعاتبهُ: "لقدْ أخطأتَ ثلاثَ مراتٍ: أولاً، غضبتَ لأنكَ لمْ تحصلْ على ما تُريدُ، ثانياً ، استسلمْتَ للغضب نفسه، ثالثاً، كُنْتَ قاسياً على حيوانٍ صغيرٍ لا يستحقُّ الإيذاءَ. أتدرِي أنَّ الجثْيَةَ أعظمُ من الإنسانِ، ولوْ كانَ منَ الحقَ أنْ يُؤذِي الكبيرُ الصغيرَ، لكَنْتُ سحقْتُكَ الآنَ؟ إنَّ الملكَ الحقيقيَّ ليسَ منْ يفعَلُ الشرَّ، بلْ منْ يفعلُ الخَيرَ".



ذِكَرَى الطُفولَةِ، حيثُ رِبَّتْهُ مُرَبِّيةٌ حَمقاء، كَانَتْ تُعَطيهِ كُلَّ ما يطلُبَهُ بِالْبكاءِ والْصَراخِ، حتَى صارَ عَنيداً. وكانَتْ تُخَبِرُهُ كُلَّ يومٍ أَنَّ الْمَلوكَ سَعَدَاءُ لأَنَّ الْجَميعَ يَطَيعَونَهُمْ.



وعَندَما كبُرَ، حاولُ أنْ يتَخَلَّصَ منْ عَادَاتِهِ السَيِّئةِ، لكنَّها تَحَوَّلَتْ إلى طباعٍ راسَخةٍ. كانَ الخَاتمُ يلَسعُهُ كَلَّمَا أخطأَ، فَألْقى بهِ فِي أحدِ الأيامِ، وتَحرَّرَ منْ رقابتَهِ، فَأصبَحَ يفعَلُ ما يَشَاءُ، حتَى صارَ شُرِيراً.



ونفُرَ منهُ النَاسُ.





عِشَقٌ مَفَاجِئٌ، حينَ رأى الأميرُ راعيَةً جَميلَةً تدعى "سيلَيا".
أحبَّها حبًا جمًا، وطَلَبَ الزواجَ مِنْها، لكنَّها رفضتْ بشجاعةٍ، وقالتْ:
"أنتَ وسيمٌ، لكنّي لَن أتزوَّجَ بِكَ لأنَّ أفعالَكَ السيِّئةَ تجعَلني أكرهُك".



فغضبَ الأميرُ، وأمرَ جنوده باعتقالها وسجنِها في القَصرِ. وعندَما كانَ حائراً،
جاءَهُ أخوهُ منَ الرضاعةِ، وكانَ شريراً، وألقَى في أذنِهِ سُمَّ نصائِحه:
"أنتَ ملكَ، وهِيَ مجرَّدُ راعيةٍ، احبسُها وأطعمْها خبزًا وماءً، فإنْ أبتْ فاقطعْ رأسَها،
لتَعلَمَ كلُّ النّاسِ أنَّ إرادَتَك لا تُردُّ".



وأضافَ شريراً آخرَ: "مُعلّمُكَ سُليمانُ هو الذي ساعدَ سيلَيا على الهربِ".
فاغتاظَ الأميرُ، وأمرَ باعتقالِ سُليمانَ.



غضبٍ إلهيٍّ حلَّ بالأميرِ ، إذْ ظهرتِ الجنَيّةُ الحَقُّ فجأةً،
وقالتْ لهُ بصوتٍ قاسٍ: "لقدْ خَنْتَ وعْدَك، وصرتْ وحشاً،
فسأعاقبُك". وما إنْ أَتَمّتْ كلامها حتى تحوّلَ الأميرُ :
صارَ رأسَهُ راسَ اسدٍ، وقرونٌ ثورٍ تنبتُ منْ جبينِهِ،
وقدماهُ قدما ذئبٍ، وجسدُهُ جسدُ ثعبانٍ.
وأُلقيَ بهِ في غابَةٍ بعيدةٍ، وهناكَ وقع في حفرةٍ عميقةٍ
كانَ الصيَّادونَ قدْ حفروها للدّببَةِ، فقبضوا عليَهِ،
وقيَدوهُ بالسلاسلِ، وساروا بِه إلى مدينِتِه.



مَدينةٌ كانتْ تحتفلُ، فقَدْ ظنَّ الناسُ أنَّ الأميرَ قدْ ماتَ بصاعقةٍ،
وأَعدموا شُركاءهُ الأشْرارَ، ونصّبوا سُلّيَمانَ ملكاً عليهِم.
صرخ الأميرُ (الوحشُ) غضبًا، لكنَّه سمع سُلّيَمان يقولُ للناسِ:
"أَنا أَحتفظُ بالعرشِ للأميرِ المحبوبِ، لأَنَّ الجنَيَّةَ أَخبرتني
أنَّهُ لمْ يَمتْ، بلْ سيعودُ صالحًا. فلنْ نكرههُ، بلْ نرجو لهُ التوبةَ".
فخجلَ الأميرُ، ولاَنَ قلبُه، واعترفَ بأنَّ عَقابَهُ عادلٌ.



وفي الحالِ، هدأَ غضبُه،
وصار مثل الحملِ الوديع.



حَظِيرةُ الوحوش، حيثُ وُضعَ الأميرُ، وكانَ حارسُهُ قاسياً يضربهُ.
وفي يوْمٍ، نامَ الحارس، فهجمَ نَمرٌ على الحظِيرَة ليأكلَهُ،
ففكّر الأميرُ :"سأُبادِلُ الشرَّ بالخيْرِ". وما إنْ تَمنَّى ذلكَ حتى
انفتحَ ققصُهُ، فانقضَّ على النمر وقتَلَهُ، فشكرهُ الحارس،
وإذْ بالأمير يتحوَّلُ إلى كلبٍ صغيرٍ جميلٍ. حَملَهُ الحارسُ إلى الملكةِ،
فأَحبَتُهُ، لكنَّ الطبيبَ نصحَها ألاَّ تُطعِمهُ إلاَّ الخبز، فظَلَّ جائعاً.



جُوعٌ شديدٌ دفع الكلبَ الأميرَ إلى الخروج بقطعةِ خبزٍ إلى الحديقةِ،
وهناكَ رأى قَصراً منَ الذَّهبِ، يخرجُ منهُ أناسُ هُزَلاءُ ممزَّقو الثيابِ،
يموتونَ جوعاً. فرأى فتاةً تأكلُ العُشبَ، فأعطاها خبزَهُ، فشفِيتْ.
ثُمَ رأى سيليَا تُساقُ قَسراً إلى القصرِ، فحزَنَ، لكنَّهُ لمْ يستطعْ إنقاذَها.
ثُمَ ألقَتْ سيليَا طعَاماً منَ النافذةَ، فحاولَ أكلَهُ، لكنَّ الفتَاةَ
التَي أطعَمها صرختْ:"لا تأكلْ! إنَّهُ مسمُومٌ".



وفي الحالِ، تحوَّلَ الأميرَ إلى حمامةٍ بيضاءَ.



طَيَرَانٌ طويلٌ قامتْ بِهِ الحمامةُ البيضاءُ، فعَبرَتْ سهولاً وقفاراً، حتى بلَغتْ صحراءً قاحلةً، ورأتْ كَهفاً منحوتاً في الصخرِ، وإذا بسيليا تجلسُ فيهِ، تَتَقاسمُ مع ناسكٍ عجوزٍ طَعام إفطارٍ بسيطٍ، خبزاً يابِساً وماءً عذْباً.



فرَحَتْ سيلَيا بالحمامة، وَضمتْها إلى صَدرِها، وقالتْ لها: "أَقبلُ هدَيتكِ، وسأُحبُّكِ دائماً، أيتها الحمامةُ الجميلةُ". فَضحِكَ الناسكُ، وكانتِ الجنِّيَةُ الحقُّ مَتخفَّيةٌ في هيئتِهِ، وقال: "أَتَحبِّينَ هذهِ الحمامةُ حقَّاً؟" قالتْ سيلَيا بِثَباتٍ: "نعم، منْ كلّ قلبِي".



فعانقَتِ الحمامةَ، وإذْ بها تتحوَّلُ إلى الأميرِ المحبوبِ في هيئتِهِ الطبيعيةِ، شاباً وسيماً، تَعلو وجهَهُ ابتسامةُ الفرَحِ. صَرخَ الناسكُ فَرحاً: "الحمدُ للهِ، لقدْ تُوبتَ يا أميرُ، وعادَ قَلبُكَ نَقَياً كما كانَ". وانكَشَفتِ الجنِّيَةُ عَنْ هيئتها الحقِيقيةِ، وقالتْ: "لَقدْ تَحَقَّقَتِ التَوبةُ، وصلحَ القَلبُ، فلَكَ سيلَيا زَوجَةٌ، وعُدْ إلى عَرشِكَ ملكاً صالحاً".





عَودةً مظَفَرةً، عاد فيها الأميرُ إلى قَصرهِ، واستقبلَهُ سُلَيْمَانُ بالفَرحِ والدموع، وأرجعَ إليه التّاجَ والمملَكة. وتزَوَّجَ الأَميرُ منَ سيلْيا في احتقالِ باذخٍ، حضره كلُّ أشراف المملَكةِ. وحكم بالعدل والرحمةِ سنواتِ طويلَةً.



فلمْ يَلْسعَهُ الخاتمُ الذَهبِيُّ مرةً أخرى، لأَنَّهُ صارَ ملَكاً صالحاً، وعاشَ هوَ وسيلَيا في سعادةٍ وهناءِ، وأَحبَّهُ رَعاياهُ وأَخلصوا لَهُ، وعُرِفَ في التاريخ بـ "الأَمير المحبوبِ العادلِ".



تَنتهِي حِكايةُ "الأَمير الحَبيبِ"، تاركةً في القَلبِ عِبْرَةً خالِدةً: أَنَّ السُلْطةَ لاَ تَعني الإفسادِ، وَأَنَّ التَوْبةَ تَفْتَحُ أَبْوابِ الرَّحْمَةِ، وَأَنَّ الحُبَّ الصَّادِقَ يَمْنخ الفُرْصةَ الثَّانِيةَ، وَأَنَّ الخيرَ ينتَصِرُ دائِمًا عِندَما يَصْحبَهُ النَّدمُ والإصْرارُ عَلى التَّغْيير.



اللَّحيَةُ الزَّرقاءُ

رَجُلٌ كانَ في سَالِفِ الزَمان، يَملكُ بيوتَاً فاخِرةً في المَدينةِ وَالرِّيفِ، وصُحوناً مِنَ الفِضَةِ والذَّهبِ، وأثاثاً مطرَّزاً، وعرَباتٍ مُذهَّبَةً بالذَّهبِ الخالِص. لِكنَّ حَظَّهُ كانَ عثِراً، إذْ كانَ لَهُ لِحيَةٌ زَرقَاءُ، جَعلَتْهُ قَبِيحاً مُخيفاً، حتَّى إنَّ سَائرَ النّساء والفَتيَاتِ كُنَّ يهْرِبْنَ مِنهُ فزَعا.



جارَةٌ لَهُ، سَيِّدةٌ رَفيعةُ المَقامِ، كانَ لَها ابنَتان غيداءَتانِ، كُلُّ واحِدَةٍ مِنهما في غَايَةِ الجَمال. فَطلبَ مِنَ السَّيِّدَةِ إحداهُما زَوجَة، تَارِكاً لَهَا الخِيارَ في انتِقاءِ أيتِهما تُعطيه.



لكِنَّهما رفَضَتَاهُ كِلتَاهُما، وأرسلَتَاهُ ذاهِباً وآيِباً، إذْ لَم تَستَطِعا تَحمُّلَ فكرَة الإرتباطِ بِرَجُلٍ ذي لحِيَةٍ زَرقاء، وما زادَ في نُفُورِهما أنَّه كان قَدْ تَزَوَّجَ مِنْ عِدَّة نِساءٍ قَبلَهُنَّ، ولا أحدَ يعلمُ ما آلَ إليه أمرُهُنَّ.





لِيَكْسِبَ قُلوبَهُما، أَخَذَهُنَّ، مَعَ أُمِّهِنَ، وثَلاثٍ أَوَ أَربَعٍ مِنَ السَيِّداتِ، وغِلمانٍ مِنَ الشَّبابِ، إلى إحدى ضِياعِه الرِّيفِيَة، حَيْثُ أَقاموا أُسبوعاً كامِلاً.



لَمْ يَكُنْ هُناكَ إلاَّ حَفَلاتُ لَهْوٍ، وَصَيدٌ، وَصَيدُ سَمَكٍ، وَرَقْصٌ، وَمرَحٌ، ووَلائِمُ. لَمْ يَنَمْ أَحدٌ، بَلْ قَضَوا اللَّيلَ في مُداعَبَةٍ ومُزاحٍ.



واختَصَرَ القَولُ، نَجَحَ كُلُّ شَيءٍ نَجاحاً باهِراً، حَتَّى بَدأَتِ الإبْنَةُ الصُّغرى تَظُنُّ أَنَّ صاحِبَ الدَّارِ لَيْسَتْ لِحيَتُهُ زَرقاءَ إلى تِلكَ الدَّرَجة، وأَنَّهُ رَجُلٌ مُهَذَّبٌ جِدّاً. وما إنْ عادوا إلى المنزِلِ حَتَّى تَمَّ عَقدُ الزَّواجِ.



شَهْرُ بَعْدَ الزَّواجِ، قالَ اللِّحيَةُ الزَّرْقاءُ لِزَوجَتِهِ: "إنَّني مُضطرٌ للرِّحْلة إلى الرِّيفِ لِمُدَّةِ سِتَّة أسابيع عَلى الأَقلِّ. لبعْضِ الأُمورِ الهَامَة. تَسَلِّيْ في غِيابي، وادْعي صَديقاتك وجاراتكِ، وخُذْيهِنَّ إلى الرِّيفِ إِنْ شِئْت، واصنعِي ما يَسُرُّكِ في كُلِّ مكانٍ تكُونيَنَ فيه".

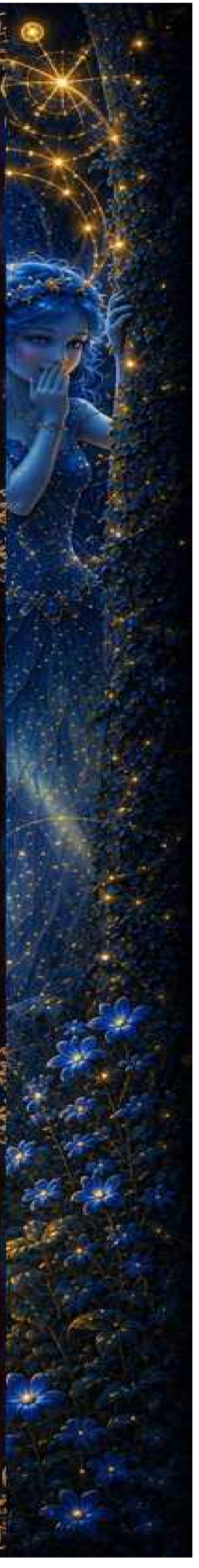


ثُمَّ أخْرَجَ مجموعةَ مفاتيح، وقالَ: "هَذهِ مفاتيحُ الخَزانتيْنِ الكبيرَتيْنِ، وهذِهِ مَفاتيحُ صَناديقِ الذَّهبِ والفِضَة، وهَذهِ مفاتيحُ حُجْراتِ الجواهِرِ، وهَذا هُوَ المِفتاحُ الرَّئيسيُّ لِجميعِ الغُرَفِ. أمّا هذا المِفتاحُ الصَّغيرُ، فَهُوَ مِفتاحُ المَخْدَعِ في نِهايةِ الممَرِّ الطَّويلِ في الطَّابقِ الأرْضيِّ. افْتَحِي كُلَّ شَيءٍ، وادْخُلي كُلَّ غُرْفَةٍ، ما عدا ذلك المخْدَعَ الصَّغيرَ، فَإِنِّي أمنعُكِ مِنْ فَتْحِهِ، وأُحَذِّرُكِ إنْ فَعَلْتِ، فَلَنْ يكُونَ لكِ إلاَّ غَضَبِي وَعِقَابِي".



وَعَدَتْهُ الزَّوجةُ أَنْ تُطِيعَ أَمْرَهُ، فَوَدَّعَها وركِبَ عَرَبَتَه وانْطَلَقَ في رِحْلَتِه.





فُضولُ جارِفٌ لَمْ يُمْهَلِ الزَّوْجَةَ طويلًا، فَمَا إِنْ غابَ زَوْجُها حَتَّى تَزاحَمَتْ صَدِيقاتُهَا وجاراتُها على بابِ قَصْرِها، مُشْتاقاتٍ لِمُشاهَدةِ تِلكَ الفَخامَةَ الَّتي كُنَّ يَسمعْنَ عَنْهَا، وكُنَّ قَدْ تَرَدَدْنَ في زِيارَتَهَا خَوفًا مِنْ سَيِّدِ البيْتِ المُرْعِبِ.



طافَتِ النِّساءُ بِكُلُّ غُرَفِ القَصْر ومخادِعِه، وكُلُّ زاوِيَةٍ كانَتْ تَزْدَهِرُ بِجَمالٍ يَفُوقُ الآخر، حَتَّى بَلَغْنَ الغُرْفَتينِ العُلْوِيَّتينَ حَيْثُ أفْخَرُ الأَثَاث؛ سجَّادٌ حَرِيرِيٌّ، وأَسِرَّةٌ مُزَخْرَفَةٌ، ومرايا ضَخمةٌ تُعيدُ الصُّور مِنَ الرَّأسِ إِلى القَدَم، بَعْضُها مُطَعَّمٌ بِالفِضَّةِ والآخَرُ بِالذَّهَبِ. استَغرقتِ النِّساءُ في التَّعْجِيبِ، لكِنَّ العُروسَ الجَديدةَ لَم تَكُنْ مُنْتَبِهَةً لَهنَّ؛ فَقَدِ استَولتْ علَيْهَا شَهْوةٌ عارِمَةٌ لِمَعْرِفَةِ سِرِّ المَخْدَعِ المَمْنُوع.



تَذَكَّرَت التَّحذِيرَ، لِكنَّ الإغْراءَ كانَ أَقْوى، فَتَرَكتْ ضُيُوفَهَا بغْتَةً، وانْسَلَّتْ مِنْ سُلَّمٍ خَلْفِيٍّ ضَيِّقٍ، وكادَتْ تَسَقُطُ مرارًا مِنْ فَرْطِ عَجَلَتَهَا. وعِنْدَما وَقَفَتْ أَمامَ بابَ المَخْدَعِ، تَلَعْثَمَتْ لَحَظَاتٍ، وَدَارَ في ذِهْنَهَا صَوتُ زَوْجِها المُحَذِّرُ، لِكنَّ يَدَها سَبَقَتْ عَقْلَها، فَأَدْخَلَتِ المِفْتاحَ في القُفْلِ وَفَتَحتِ البَابَ بِرِفْقٍ.



مَنْظَرٌ أَطبقَ عَلَى قَلْبِها بِالرُّعبِ؛ فَقَدِ انَكْشَفَ أمامَها مَخْدعٌ مُظْلِمٌ، تَتَخَضَبُ أرْضِيَتَهُ بِبُقَعٍ مِنَ الدِّماءِ المُتَخَثِّرَة، وعَلَى جِدارِهِ مَصْطفَّةً جُثَثُ عِدَّة نِساءٍ، مَلامحُهُنَّ شاحِبةٌ. كانَتْ هؤلاءِ هُنَّ الزَّوجاتِ السابِقاتِ اللَّواتي سَرَدَ لَها عَنهُنَّ الأُسْطَورَةُ. قَدَ قَتَلَهُنَّ واحِدَةً تِلْوَ الأُخرى ورَتَّبَهُنَّ هُنا كَتَذْكاراتٍ بائِسَةٍ.

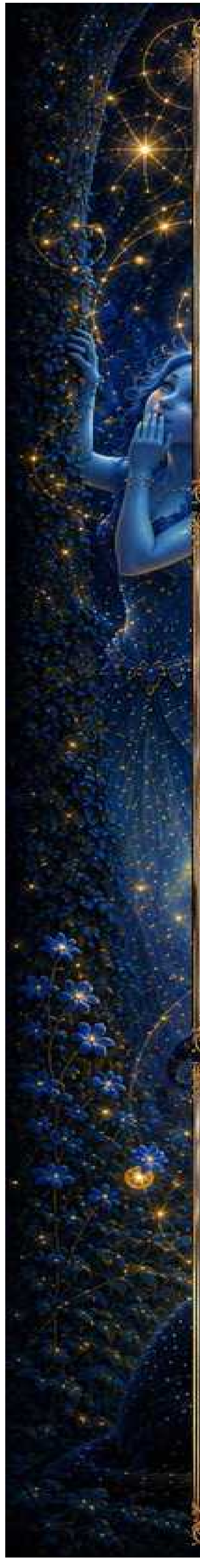


انفَلَتَ المِفتاحُ مِنْ يَدِها المُرتَعِشَةِ، وأَغلَقَتِ البابَ بِسَرعَةٍ، وصَعِدَتْ إلى غُرْفَتِها تَشْعُرُ بِالغُثيانِ والخَوْفِ. وعِنْدَما نَظَرَتْ إلى المِفتاحِ، فَزِعَتْ أَكْثَرَ؛ لَقَد تَلَطَّخَ بِدمٍ غامِقٍ لا يُمحَى.



حاوَلَتْ مَسْحَهُ بِالماءِ، ثُمَّ بِالصَّابونِ، ثُمَّ بِالرَّمْلِ، لَكِنَّ الدَّمَ كان عَنِيداً، يَزُولُ مِنْ جِهَةٍ لِيَعُودَ إِلَيْها مِنْ جِهَةٍ أُخرى، وكَأَنَّ المِفتاحَ مَسْحُورٌ يَرْفُضُ التَّطْهِيرَ.





عَوْدَةٌ مُفاجِئَةٌ لِلزَّوجِ في مَساءِ ذَلكَ اليَوْمِ، فَقَدْ تَلَقَّى رِسالةً في الطَّرِيقِ تُخْبِرُهُ بِنَجاحِ مُهِمَّتِهِ. دَخلَ القَصْرَ، فَبَذَلَتِ الزَّوجَةُ جُهْدَها لِتُظْهِرَ الفَرَحَ، لكِنَّ ارْتِعاشَها لَمْ يفُتْهُ.



وفي الصَباحِ التالِي، طَلَبَ مِنها المفَاتيحَ. ناولَتْهُ إيّاها ويَدُها ترْتعِدُ، فَتَفَقَّدَها ثُمَّ سَأَلَ بِبُرُودٍ مُخيفٍ: "أَيْنَ مفتاحُ المَخْدَعِ الصَّغيرِ؟". تَلَعْثَمَتْ: "لا بُدَّ أَنَّني نَسِيتُهُ في الطَّابِقِ العُلْوي". أمَرَها: "أَحْضِرِيه حالاً". تَرَدَّدَتْ مِرارًا، لِكِنَّها أخيرًا أَحْضَرَتْهُ. نَظَرَ إليْه اللِّحيَةُ الزَّرقاءُ طَويلاً، ثُمَّ رَفَعَ عَيْنَيْه إليْها بِغَضَبٍ مُبَرَّدٍ: "كيفَ تَلَطَّخَ هذَا المِفتاحُ بالدَّمِ؟"



أَنكَرتْ بِضَعْفٍ: "لا أدْرِي". فَزمجَرَ: "لا تَدْرِينَ؟ أنا أَعْرِفُ جيِّدًا. لَقَدْ دَخلْتِ المَخْدَعَ حَسَنًا، يا سيِّدَتي، سَتَدْخُلِينَهُ مرَّةً أُخرَى الآنَ، وَلَنْ تَخْرُجي، مِنْهُ إلاَّ جُثَّةً مِثْلَ سَوابِقِكِ".



صَلاةٌ كانَتْ هِيَ مطلَبها الأخيرَ، فارْتَمَتْ عَلى رُكْبَتَيْها، تَبْكِي وتَنتَحِبُ، وتَستَغفِرُهُ. وتعِدُ بالتَّوْبةِ. كانَ منْظرُها ليذيبَ الصَّخْرَ، لكِنَّ قلبَ اللِّحيةِ الزَّرقاءِ كانَ أصلبَ: صخَ بِهَا: "لا جَدْوى، يجِبُ أن تَموتِي، وفي الحال". فاسْتَمْهلَتْهُ بِلهفةٍ: "إنْ كانَ المَوْتُ المَوتَ حتْمًا، فامنحْنِي نصفَ رُبْعِ سَاعةٍ لأصلِّيَ وأستَعِدَّ". تردَّدَ قليلاً ثُمَّ أجاب" أجاب: "أُعْطيكِ نصفَ رُبْعِ سَاعةٍ، لا أكْثَرَ".



فَصَعدتِ الزَّوجةُ إلى غُرْفتِها، ونادتْ أختَها "آن" بِصوتٍ مَخْنُوقٍ: "آنْ، يا أختِيَ، إصعدي إلى أعلى البرجِ، وانظُري إنْ كانَ أخوايَ قادمَين، فقد وعدانِي بالمجيءِ اليوْمَ، وإنْ رأيتَبهما فأشيري ليَسْرِعا". صَعدت "آن" إلى قِمةِ البرجِ، وكانتِ الزوجةُ البائسةُ تصْرخُ بيْنَ الحينِ والآخرِ: "آنْ، يا أختيَ، هلْ ترَيْن أحداً يَقْبلُ؟".



فكانتْ "آن" ترُدُّ: "لا أرى شيئًا سِوى الشَّمسِ تثيرُ الغبارَ، والعُشْبِ الأخضَرِ يمتدُّ". وكانَ اللِّحيةُ الزَّرقاء يصْرخُ منْ أسفلِ بِصوتٍ يُزلْزلُ الجدرانَ: "انزلِي حالاً، وإلاَّ صَعدتُ إليك". فكانتْ تُناجي أختَها: "لحظةٌ واحدةٌ، يا آن". ثُمَّ تنادي: "آن، هلْ ترَيْنَ شيئًا؟". فتَرُدُّ "آن". "لا أرى سوى الشَّمسِ والعُشْبِ الأخْضَرِ". وصَرخَ اللِّحيةُ الزَّرقاءُ: "إنزلي فوراً، أو سأقطعُ أوْ سأقطعَ رأسك هُنا". فقالتْ: "أنا آتيةٌ". ثُمَّ صَرختْ للأخيرةِ: "آن، آن، هلْ ترَيْنَ شيئًا؟".







صَرَخَتْ "آن" فرحةً: "أرى غُباراً يَتَصاعدُ منَ تِلكَ النَّاحِيةِ". فسألَتْ: "أَهُمَ أخواي؟".
فَقالَتْ: "لا، يا أُختي، إنَّها قَطيعٌ منَ الغَنَم". فَصَرَخَ الزَّوْجُ: "لَنَ أَنْتَظِرَ أَكثرَ".
فَنادَتْ: "آن، انْظُري مَرَّةً أُخرَى". فَقالَتْ آن: "أرى فارسيَّنِ،
لكنَّهما لا يَزالانِ بَعيدَيَّنِ جِدّاً". فَصَاحَتِ الفَتاةُ فَرِحَةً: "الحَمْدُ لِلَّهِ، إنَّهما أخواي".
وانْحدرَتْ منَ البُرجِ لتُلاقِي زَوْجَها الغاضِب،
وشَعْرُها مُنْتَشِرٌ، وعَيْناها تذْرفانِ الدُّمُوع.



خَلاصَ جاء في اللَّحظةِ الأخيرَةِ، فبَيْنما كان اللِّحيةُ الزَّرقاءُ يَرفَعُ سيَفَهُ لِيَضربَ عُنُقَها،
إذْ بطرَقَاتٍ عنيفةٍ تهزُّ أبوابَ القَصر. توقَّفَ الزَّوْجُ مذْهولاً،
وانفتحَ البابُ عن فرسَيْنِ يَقتحمانِ الفِناءَ، يَستلاَّنِ سيَفَيْهما.
كانَ هُما أخويْها، أحدُهما فَرَّاسٌ والآخرُ رامي رُمح.
اندَفَعا نحوَ اللِّحيةِ الزَّرقاء كالصَّاعقةِ، فلَمْ يَمهلاهُ حتَّى طعناهُ بسيَفيْهما
فاختَرَقا جِسْمَهُ، وسقَطَ صَريعاً في بِرْكةٍ منْ دمائهِ.
أمّا الزَّوْجةُ، فكانتْ قدْ أُغمي عليها منَ الفَزَع،
ولمْ تَستَطعِ النُّهوضَ لِلقائهما.



لَمْ يَكُنْ لِلَحيةِ الزَّرقاء ورثةٌ، آلتْ ثَروتُهُ الطَّائلةُ إليْها،
فأنْعمتْ على أختِها "آن" بمَهْرٍ سَنِيٍّ لتَتزوَّجها منَ فارسٍ شابٍّ كانَ يُحبُّها،
واشترَتْ رُتَباً عسكَريَّةً رَفيعةً لأخويْها،
ثُمَّ تزوَّجتْ هي نفسُها منَ رَجُلٍ شريف نبيل،
جعلها تنسَى كابوسَ اللِّحيةِ الزَّرقاء،
وعاشتْ بَقيَّةَ حياتِها في أمْنٍ وسعادةٍ.



الأمينُ جونْ

شيخوخةٌ أضنتْ ملكًا عجوزًا، حتَّى أحسّ بدُنوِّ أجلِه، فقال في نفسِه: "إنّي لأرقُدُ على فراشِ الموتِ. " ثُمَّ نادى: "أرسِلُوا إليّ الأمينَ جونْ".
وكان الأمينُ جونُ أخصَّ خدمِ الملكِ وأقربَهم إليه، وسُمّي بذلك لأنَّهُ خدمهُ طوال حياته بإخلاصٍ لا يَشوبُهُ شكٌّ. فلمّا دنا منْ فراشِ الملكِ، قال لهُ العجوزُ:



"أيُها الأمينُ جونُ، إنّي لأُحسُّ باقترابِ نهايتي، وكُنتُ لا أبالي لولا ابني. إنَّهُ لا يزالُ صغيرًا ليُقرِّرَ كُلَّ شيْءٍ بنفسِهِ، وإنْ لمْ تَعِدني بأنْ تُعلِّمَهُ كُلَّ ما يجبُ أنْ يعرفَهُ، وتكونَ لهُ كأبٍ، فلنْ أغمضَ عينيَّ في سلامٍ". فأجابَ الأمينُ جونُ: "لنْ أتخلّى عنهُ أبدًا، وسأخدمُهُ بأمانةٍ، حتَّى لو كلَّفني ذلكَ حياتي". فقالَ الملكُ العجوزُ: "الآنَ أموتُ مطمئنًّا في سلامٍ".
ثُمَّ تابعَ: "بعدَ موتي، يجبُ أنْ تُريَهُ القصرَ بأكمَلِهِ، جميعَ الغُرفِ والشُّققِ والأقبيةِ، وجميعَ الكُنوزِ الّتي فيها.



لكنْ لا تَعرِضْ لهُ الغُرفةَ الأخيرةَ في الممرِّ الطَّويلِ، حيثُ صورةُ أميرةِ السَّقفِ الذَّهبيِّ مخبّأةٌ. فعندما يرى تلكَ الصُّورةَ، سيقعُ في حُبِّها بعُنفٍ، ويُغشى عليهِ، وسيُواجِهُ منْ أجلِها أخطارًا كثيرةً ؛ عليكَ أنْ تحميهُ منْ ذلكَ". وعِندما جدَّدَ الأمينُ جونُ عهدَهُ للملكِ، سكتَ العجوزُ، وأطبقَ جفنيهِ، وماتَ.





وَعَدٌ وفي بِهِ الأمينُ جَونَ، فَبَعْدَ أنْ حُمِلَ المَلِكَ العَجوزُ إلى قَبرِهِ،
أَخْبَرَ الأمينُ جَونَ المَلكَ الشّابَ بما وعَدَ بِهِ أباهُ عَلى فراشِ موْتِهِ،
وعِنْدَما انتَهَتْ فَتْرَةُ الْحدادِ، قالَ لَهُ الأمينُ جَونَ: "لَقَدْ حانَ الوقتُ لِترى مِيراثَكَ.
سأُرِيكَ قَلعَةَ آبائِكَ". فطاف بِهِ في كُلْ شَيْءٍ، وأراهُ جمِيعَ الكُنُوزِ
وَالشُّقَقِ الفاخِرَة، ما عَدا الغُرْفةَ الوَاحِدَةَ حيْثُ الصُّورة، فلَمْ يفْتَحْها.



لِكنَّ الصُّورَةَ كانتْ مَوضُوعَةً بحَيْثُ إنَّ فَتْحَ الباب يؤَدِّي إلى النَّظَر إلَيها مُباشَرَة،
وَكَانَتْ مَرْسومَةً بِإتقَانٍ شَدِيدٍ حتّى كَأنّها حيّةٌ تَتحرّكَ، وَكانَتْ أجْملَ وأحبَّ شَيءٍ في العالمِ.
لِكنَّ المَلكَ الشّابُ لاحظَ أنْ الأمينَ جونَ يتَجاوزُ دائماً باباً واحداً، فقَالَ:
"لِماذا لا تَفْتَحُ لِي هذا الباب أبَداً؟". أجاب: "هُناكَ شَيءٌ في الدّاخلِ يُرْعِبُكَ".
لِكنَّ المَلكَ رَدَّ: "لقَدْ رأيْتُ القَلعَةَ بِأكمِلها، وَسأكْتَشِفُ ما في تِلكَ الغُرْفة".
وَبِهذِه الكلِماتِ، اقتَربَ مِنَ الباب وَحاولَ فَتحَهُ بِالقُوّة.



لِكنَّ الأمينَ جونَ أمسَكهُ وقالَ: "لقدْ وعدْتُ أباكَ قبْلَ موْتِه أنْ لا ترى
ما تحويهِ تِلكَ الغُرْفةُ. قدْ يجلِبُ ذلكَ الحَزَنَ عليْنا كليْنا".
أجابَ المَلكَ الشّابُ: "آآه، لا! إن لمَ أدخلْ، فسيَكونُ ذلكَ هلاكِي المُحقّق؛
لنَ يكون لِي راحةٌ لَيلاً أو نهاراً حتّى أرى بِعَينَيّ ما في تِلكَ الغُرْفة.
لنْ أبرَحَ مكاني حتّى تفْتحَ الباب".



رأى الأمينُ جونُ أنَّهُ لا مَفرَّ مِنَ الأمرِ، فبقلْبٍ ثُقيلٍ وآهاتٍ كَثيرةٍ،
أَخَذَ المَفتاحَ مِنَ المَجْمُوعَةِ الكَبِيرةِ. وَعندما فَتَحَ الباب، دَخَلَ أَوّلاً
لِيَحْجُبَ الصُّورةَ لِئَلاَّ يراها المَلكَ، لَكِنَّ المَلكَ وقَفَ عَلَى أطْرافِ أصابِعهِ
وَنَظَرَ مِنْ فوْقِ كَتِفِهِ، وعندما رأَى صُورةَ الفَتاة، الجَميلة المُتَلأْلِئَةِ
بِالذَّهَبِ والجواهِرِ، سقَطَ مُغْشىً عَلَيه.

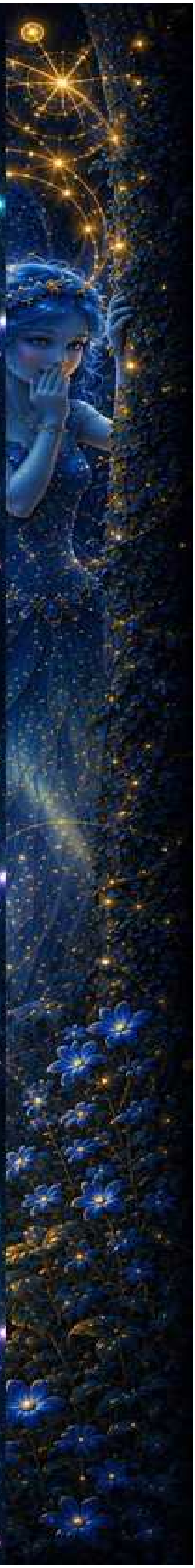


حُبٌّ اسْتَوْلَى عَلَى قَلْبِ الملك، فَرَفعهُ الأَمينُ جونُ وحَمَلَهُ إلى فِراشِهِ،
وَقالَ في نَفْسِهِ بِحُزْنٍ: "لَقد حَلَّتْ بنا اللَّعْنةُ؛ يا سماويّ، ما ذا سيكونُ مصيرُنا؟".
ثُمَّ صبَّ الخَمْرَ في حلْقهِ حتَّى أفاقَ. فكَانَ أَوّلُ ما نطقَ بِه:
"منْ هِي صاحبةُ هذِه الصُّورة الجميلة؟".



أجابَ الأمينُ جونُ: "إنَّها أميرةُ السَّقْفِ الذَّهبي". فَتابعَ الملك:
"حبِّي لها عَظيمٌ جدًا حتَّى إنَّه لو كَان لجميع أوراقِ الأشجار ألسِنةُ
لما استطاعَتْ التَّعبير عَنْه، حياتي تَعْتَمدُ عَلى الفوْزِ بها. وأنْتَ أميني جونُ،
علَيكَ أنْ تَقِف بِجانِبِي". ظَلَّ الخادمُ الأمينُ يفكِّرُ طويلاً في كَيفيَة تدْبير الأمر.





قِيلَ إنَّ ألوصول إلى حضرةِ الأمِيرة كان أمراً عسيِراً.
وأخُيراً، اهتدى إلى خُطَةٍ، وقالَ لِلُملِكِ:
"جِمِيعُ ما لدَيها مِنْ أثاثٍ وآنيةَ هُو مِنَ الذَّهَب.
وَعنْدَك في خَزانِنك خَمسةُ أطنانٍ مِنَ الذَّهَب؛
فلْيصْنعُ صُواغُ مَملكَتِك مِنْها أواني وأطيافَ طُيُورٍ
وصَيْدٍ وَوُحوشٍ رائِعَةِ؛ فَذَلِك سَيُرْضِيْها.



سَنَذْهبُ إلَيها بها ونُجرِّبُ حَظَّنا". فَاستدعى الَملكَ
جميعُ صُوَّاغُ مِملَكَتِه، وعملوا بِاجتهِادِ لَيْلاً ونَهاراً،
حَتَى أتْمِتْ أبْهى التُّحفِ. ولمَّا حَمَلَتْ سفينَةً بِها،



تَنَكَّرَ الأمِينُ جونُ فِي هَيْئَةِ تاجِرٍ، وألْبس الملِك مِثْلَه،
حتَى لا يتَمَكَّنَ أحدٌ مِنَ معْرِفَتهما. وعبْرُوا البِحار
حَتَى بَلغُوا المدينَةَ اَلتي تُقيمُ فيها أميرةُ السَّقْفِ الذَّهَبِيِّ.



تُجَربَةٌ خاضَها الأمينُ جَوْنُ، فأمرَ المَلِكَ بالبَقاءِ في السَّفِينَةِ وَانتظارِ عَودَتِهِ،
وَقالَ: "رُبَّما أَعُودُ بِالأَمِيرَةِ مَعِي، فَتأكَّدْ مِنْ أنْ يَكونَ كُلُّ شَيْءٍ مُنظَّمًا، دَعْ
زِينَةَ الذَّهَبِ تُرَتَّبُ وَتُزَيِّنُ السَّفِينَةَ بِأَكْمَلِها". ثُمَّ أَخَذَ بَعْضَ الأواني الذَّهَبِيَّة في
مِنْزَرِهِ، وَنَزَلَ إِلى البَرِّ وَتَوَجَّهَ مُباشَرَةً إِلى القَصرِ. وَعِنْدَما وَصَلَ إِلى الفِناءِ،



رأى فتاةً جميلةً وَاقِفَةً بجانب البِئْرِ، تَستَقي المَاءَ بِدَلْوَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ.
وَبينَما كانَتْ تَهيءُ نَفْسَها لِحِمْلِ المَاءِ اللاَّمعِ، التَفَتَتْ فَرأَتِ الغَرِيبَ،
فَسألَتْهُ عنْ هُوِيَّتِهِ. فَأجاب: "أَنا تَاجرٌ". وَفَتَحَ مِنْزَرَهُ لِتَنْظُر فيه.
فَصَرخَتْ: "آهٍ، ما أَجملَ هَذهِ الأَوَاني الذَّهَبِيَّةَ"!. ووَضَعَتْ دَلْوَيْها، وَأَخَذَتْ



تتأمّلُ كُلَّ قِطْعَةٍ على حدَةٍ. ثُمَّ قَالَتْ: "يَجِبُ أَنْ تَرَى الأَميرَةُ هَذهِ البضَائعَ،
فَإنَّها شَغُوفَةٌ بِالذَّهَبِ، وَسَتشْتَرِي مِنكَ كُلَّ ما عِنْدَكَ". وَأَخَذَتْ بيدِهِ
وَأَدْخَلَتْهُ القَصْرَ، إِذْ كانَتْ جارِيةَ الأَميرَةِ.



رَأت الأَميرَةُ البَضائعَ، سُحِرتْ بِها، وقَالَت: "إنَّها مصْنوعةٌ بإِتْقانٍ شَديدٍ، وسأشْتَريها كُلَّها". لَكِنَّ الأَمينُ جُونَ قالَ: "أنا فَقطُ خادمُ تاجرٍ غَنّي، وَما عِنْديَ لاَ يُقارَنُ بِما عِنْدَ سَيِّدي عَلَى السَّفينَةِ؛ فَبِضائعُهُ أكْثَرُ إبْداعاً وَأغْلَى ثَمَناً مِنْ أيِّ شَيءٍ صُنِعَ مِنَ الذَّهبِ قَطُّ". فَرَغِبَتْ فِي إحضارها كُلِّها، لَكِنَّهُ قالَ: "هُناك كَمِيَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ البَضائِعِ، وَسَيَسْتَغْرِقُ إحضَارُها أيَّامَا، وَستشْغلُ غُرَفَاً كَثيرَةً لاَ تَجِدِينَ لَها مكانًا في قَصرِكِ".



فازْدَادَ شوقُها وَفُضولُها، حَتَّى قَالَتْ أخِيراً: "خُذْني إلى سفينَتِكَ؛ سأذْهَبُ إلَيْها بِنَفْسِي لأَرَى كُنوزَ سَيِّدِك". فَفَرَحَ الأَمِينُ جُونُ فَرَحاً شَديدًا، وَأخَذَها إلى السَّفينَةِ. وعِنْدَما رَآها المَلِكُ، رَأى أنَّها أجْملُ حَتَّى مِنْ صُورَتِها، وَكانَ يظُنُّ في كُلِّ لَحظَةٍ أنَّ قَلْبَهُ سَيَنْفَجِرُ. فَصَعِدَتْ إلى السَّفِينَةِ، وَقَادَها المَلِكُ إلى داخِلِها. وَبقِي



الأَمِينُ جُونَ في الخَلْفِ مَعَ رَبّانِ السَّفينةِ، وَأمَرَ بِالإقْلاعِ. "إنْشروا كلَّ الشّراعِ، لِنَنْطَلِقَ في البَحْرِ كَالطَّائرِ في الجَوّ".



المَلكُ يَعْرِضُ على الأميرَةِ جَميعَ أوانِي الذَّهبِ، كُلَّ قِطعَةٍ مِنها: صَحونًا، وأكْوابًا، وجُوامِق، وطُيُوراً، وصَيْدًا، وجَمِيعَ الوُحوشِ العَجيبَةِ. وَمضتْ ساعاتٌ طَويلَةٌ سَعيدَةً جِدًّا حَتَّى لَمْ تلاحِظِ أنَّ السَّفينَةَ قَدْ أَبْحَرَتْ.



وبَعْدَ أنْ رَأت آخرَ قطعَةٍ، شكَرَتِ التَّاجِرَ واستَعَدَّتْ لِلعَودَةِ إلى المَنزِلِ؛ لَكِنَّها عِنْدَما جاءَتْ إلى جانِبِ السَّفينَةِ، رَأَتْ أنَّها في عَرْضِ البَحْرِ، بعَيدَةً عَنِ البَرِّ، وَأَنَّ السَّفينَةِ تَنطَلقُ بِسُرْعَةٍ. فَصَرَخَتْ مَذْعورَةً: "لَقَدْ خُدِعْتُ! حُمِلْتُ وخُوِنْتُ وَسلِّمَتُ لِتاجِرٍ؛ كُنْتُ لأَمُوتَ خَيْراً مِنْ ذلِك".



لكِنَّ المَلِكَ أمسك بيدِها وقَال: "لَسْتُ تاجِراً، بَلْ أنا ملِكٌ مِن النَّسَبِ الرَّفيعِ مِثْلك؛ وَحُبِّي العَظيمُ لَك هُو الَّذي دَفعَني لأَخطِفَك بهذِهِ الحِيلَة. فَقَدْ سَقَطْتُ مُغْشى عَلَيَّ أوَّلَ مَرَّةٍ رَأَيْتُ فِيها صُورتَك". وعِنْدَما سَمِعتْ أميرَةُ السَّقفِ الذَّهبِيِّ ذلِك، اطْمَأَنَّ قَلْبُها، ومالَتْ إلَيه حتَّى رضِيَتْ بِأَنْ تَكُونَ زَوْجتَهُ عنْ طِيبِ خاطِرٍ



غَدْرٌ كَانَ يُحِيطُ بِهِما، فَبَيْنَما كَانُوا يُبْحِرُونَ في عَرِضِ البحرِ، إذْ جُونُ جَالِسٌ في مُقَدِّمَةِ السفينَةِ، يَعْزِفُ على كَمانِهِ، وَرأى وَرَأى ثلاثَةَ غُرْبانٍ تَطِيرُ نَحوهُ في الجَوِّ.



فَتَوَقَّفَ عَنِ العَزْفِ، وَأَصغَى إلى ما يَتحدَّثُونَ بِهِ، إذْ كانَ يَفْهَمُ لُغَتَهُم.
فَقالَ أَحدُها: "آهٍ، إِنَّهُ يَأْتِي بِأَميرَةِ السَّقْفِ الذَهَبِي إلى بَيْتِه".



فَأَجَابَ الثَّاني: "نَعَمْ، لكِنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ عَلَيهاَ بَعْدُ".
فَقالَ الثَّالِثُ: "بَلْ قَدْ حَصَلَ، فَهِي جَالِسَةٌ بِجَانِبِهِ على السَّفِينَةِ".



عادَ الأَوَّلُ وقَالَ: "ذَلك لَنْ يفِيدَهُ شَيْئًا! عِنْدَما يَصِلُونَ إلى الَبرّ، سَيَنْدَفِعَ نَحْوَهُم حِصَانٌ كُسْتَنَائِيٌّ؛ فيَرْغَبَ الَملكُ في رُكُوبِه، وَإنْ فَعَلَ، فَسيَنْطَلِقُ بِهِ الَجصانُ وَيَخْتَفي في الَهواءِ، وَلَنْ يَرَى عَروسَهُ مَرَّةً أُخْرَى".



فَسَأَل الثَّاني: "ألا مَخْرَجَ لَهُ؟". فَأَجابَ الأَوَّل : "بَل، إنْ رَكب شَخْصٌ آخَرُ بِسُرْعَةٍ وأَطْلَقَ النَّارَ عَلَى الَحِصانِ بِالَمُسَدَّسِ الَّذي في جرابِهِ، فَيَنجُو الَملكُ الشَّابُ.



لَكِنْ مَنْ سَيَفْعَلُ ذَلك؟ وَمَنْ يَعْرِفُ ذَلك ويُخْبِرُهُ، سَيَتَحَجَّرُ مِنْ قَدَمَيْه إلى رُكْبَتَيْهِ".





تَكَلَّم الثَّانِي: "أَنَا أَعلَمُ أَكثَرَ مِنَ ذَلِك: حتَى لَوَ قُتِلَ الحِصانُ،
فإِنَّ المَلِكَ الشَّابَّ لَنْ يَحفَظَ عرُوسَهُ: عِنْدَما يَدخُلونَ القَصْرَ معاً،
سَيُجِدُونَ قمِيصَ زفافِ مُعَدًّا في خِزانةٍ،



يَبدَو كَأَنَّهُ مَنْسَوجٌ مِنَ الذَّهبِ وَالفِضَّةِ،
لِكِنَّهُ في الَحَقيقةِ مَصْنوعٌ مِنَ الكَبْرِيتِ وَالقَطِرانِ:



فَعِنْدَما يَلْبسُهُ المَلِكُ، سَيَحرِقُهُ حتَى النُّخاعِ وَالعِظامِ".





سَأَلَ الثَّالِثُ: "أَفَلا مَخْرَجَ مِنْ ذَلِك".
فَأَجابَ الثَّانِي: "بَلْ، إِنْ أَمْسَكَ أَحدٌ القَميصَ بِقُفَازَيْنِ
وَأَلْقَاهُ في النَّارِ وَأَحْرَقَهُ، فَيَنجُو المِلِكُ الشَّابُ.
لِكِنْ ما الجدْوى؟ فَمَنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ وَيُفْشِيه، سَيَتَحَجَّرُ
نِصْفُ جَسَدِه، مِنْ رُكْبَتَيهِ إِلى قَلْبِه".



ثُمَّ تَكَلَّمَ الثَّالِثُ: "وَأَنا أَعْلَمُ أَيضاً: فَحَتَّى لَوِ احْتَرَقَ
قَميصُ الزَّفَافِ، فَإِنَّ المِلِكَ لَمْ يَظْفَرْ بِعَرُوسِهِ بَعْدُ:
عِنْدَما يُقامُ الرَّقْصُ بَعْدَ الزَّفَافِ، وَتَرْقُصُ المِلِكَةُ الشابَّةُ،
سَتَشْحَبُ فَجْأَةً، وَتَسْقُطُ كَالمَيْتَة، وَإِلاَّ رَفَعَها أَحَدٌ
واسَتَخْرَجَ ثَلاثَ قَطراتٍ مِنَ الدَمِ مِنْ جانِبِها الأَيمِنِ،
وَبَصَقَها، فَسَتَموتُ".



لِكِنْ مَنْ يَعْلَمُ ذلِكَ وَيُفْشِيهِ، يَتَحَجَّرُ مِنْ قِمَة رَأْسِهِ
إِلى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ".





تَحَدَّثَتِ الغِرْبانُ بِذَلِك، طَارتْ مُتوَجِهَةً إلى أَمامِها، لكِنَّ الأَمِينَ جُونُ كانَ قَدْ سَمِعَ كُلَّ شَيءٍ، وأَصْبحَ حَزِينًا مُكْتئِبًا مِنْ ذَلِك الوقْتِ فَصاعِدًا؛





فَإِنْ سَكتَ عمّا سَمِعَ، فَسَيَجْلِبُ الشُّؤْمَ علَى سيِّدِهِ؛ وإِنْ أَخْبرَهُ، فَسَيفْقِدُ حَياتَهُ.



وَأَخِيرًا، قَالَ: "سأَقِفُ بجِانِبِ سيِّدي، حتَّى لَوْ كانَ ذَلِك هلاكِي".



خَطَرٍ حَلَّ بالَمَلِك عِنَدَ الوُصُولِ، فَلَمَّا اقْتَرَبوا مِنَ البرِّ ، حَدَثُ ما تَنَبَّأَتْ بِهِ الغِرْبانُ، وانْدَفعَ الجصانُ الكُستَنائِيُّ نحْوَهُمْ.



فَوَثَبَ وَأَخْرَجَ المُسَدَّسُ مِنْ جرابِهِ وَأَطلَقَ النّارَ عَلى الجِصانِ فَقَتلَهُ. فَصرخَ خَدَمُ المَلِكَ الأَخَرُون، الّذينَ لَمْ يَكُوْنُوا ينْظُرَونَ إلى الأَمِينْ جونَ بعيْنِ الرِّضا: "يا لَلْفَظاعَةِ! لَقَدْ قَتَلَ الحِصانَ الجَميلَ الّذي كانَ سَيَحْمِلُ الَملِكَ إلى قَصْرِهِ!".



لَكِنَّ المَلِكَ قالَ: "اصْمَتُوا! دَعُوه وحْدُه؛ فَهُو أَمِينِي جونُ الأَوّلى. من يدْرَي لأَيِّ غَرَضٍ صالِحٍ قَدْ فَعَلَ ذَلكَ".
فَتابِعَوا طَرِيقَهُمَ ودَخَلُوا القَصْرَ.





خَطَرٌ فَي القَاعَةِ كَانتُ خزَانَةٌ تَحتَوي علَى قَميصِ الزَّفَافِ: الجاهِزِ، يَبْدُو كَأَنَّهُ منَسوجٌ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَةِ.



فَاقْتَربَ المَلِكُ مِنْهُ وكانَ علَى وَشَك أَنْ يُمْسِكَ بِهِ، لكِنَّ الأَمينُ جُونَ دَفَعَهُ جانباً، وأَمسَكَ القَميص بِقُفَازَيهِ، وَرماهُ فَي النَّارِ وأَحرقَهُ.



فَبَدأَ الخَدمُ الآخَرُون يَتَذَمَّرون ثانِيَةً، وقالوا: "أُنْظُرُوا! إِنَّه يَحْرقُ قَميصَ زَفَافِ المَلِكَ"!. لكِنَّ المَلِكَ الشَّابَ قَالَ: "مَنْ يَدْرِي لأَيِّ غَرضٍ صالِحٍ يَفْعَلُ ذَلِك؟ دَعُوهُ، فَهُوَ أَمينِي جونُ الأَولى".



أُقِيمَ حَفْلُ الزِّفَافِ، وَبَدَأَ الرَّقْصُ، وَشَارَكَتِ العَرُوسُ فِيهِ،
لكِنَّ الأَمِينَ جُونَ رَاقَبَهَا عَنْ كَثَبٍ.



وَفَجْأَةً، شَحَبَ لَوْنُهَا وَسَقَطَتْ كَأَنَّهَا مَيْتَةٌ. فَوَثَبَ نَحْوَها حالًا،
وَرَفَعَها، وَحَمَلَها إلى غُرْفَةٍ، وَأَضْجَعَها، وَجُثَا بِجانِبِها،
وَاسْتَخْرَجَ ثَلاثَ قَطَرَاتٍ مِنَ الدَّمِ مِنْ جانِبِها الأَيْمَنِ، وَبَصَقَها.
فَتَنَفَّسَتْ وَعَادَتْ إلى نَفْسِها.



لكِنَّ المَلِكَ الشَّابَّ كانَ قَدْ رَأَى ما فَعَلَهُ، وَإِذْ لَمْ يَعْلَمْ لِماذَا فَعَلَ ذَلِك،
اشْتَدَّ غَضَبُهُ وَصَرَخَ: "أَلْقُوهُ في السِّجْنِ!".







إنْصَافٌ جاءَ مُتَأَخِّرًا، فَفِي صَباح اليَوْمِ التَّالِي، صَدرَ الحُكْمُ علَى الأَمِينُ جُونُ وَقُضَي بِإِعْدامِه شَنَقًا.



وَبَيْنَما كانَ وَاقِفًا علَى حَبْلِ المَشْنَقَة، قَالَ: "كُلُّ مَحْكُومٍ عَلَى الموْتِ لَهُ الحَقُّ في أَن يَتَكَلَّمَ مَرَّةً قَبْلَ مَوْتِهِ؛ وَهَلْ لِي هَذَا الحَقُّ أَيْضًا؟". قَالَ المَلِكَ: "نَعَمْ، سَيُعْطَى لَكَ". فَقَالَ الأَمِينُ جُونُ: "لَقَدْ حُكِم عَلَيَّ بِالظُّلْم، فَقَدْ كُنْتُ دَائِماَ أَمِينًا لَكَ". ثُمَّ شَرَعَ يَرْوِي كَيْفَ سَمِع حَدِيثَ الغُرْبانِ عَلَى البَحْرِ، وَكَيْفَ فَعَلَ كُلَّ ما فَعَلَ لِيُنْقِذَ سَيِّدَهُ.



فَصَرَخَ المَلِكُ: "آهٍ! يَا أَمِيني جُونُ، سامِحْنِي، سَامِحْنِي! أَنْزِلُوهُ!".



بَيْنَما كَانَ يَنْطِقُ بِآخِرِ كَلِمةٍ، كانَ الأَمِينُ جُونُ قَدْ سَقَطَ عَلَى الأَرْضِ جُثَّةً هامِدَةً، وَتَحَوَّلَ إلى حَجرٍ. وَيَئِسَ المَلِكُ وَالمَلَكَةُ، وَقَالَ المَلِكُ:
"آهٍ، كَيْفَ جازَيْتُ هذا الإِخْلاصَ العظِيمَ بِهَذا السُّوءِ!".



وَأَمَرَ بِرفْعِ التِّمْثَالِ الحَجَرِيِّ وَوَضعِهِ في غُرْفَةِ نَوْمِهِ بِجوارِ سَرِيرِه، وَكُلَّما نَظَرَ إلَيه بَكَى وَقَالَ: "آهٍ، لَوِ اسْتَطَعْتُ أَنْ أُعِيدَ لَك الحَيَاةَ، يا أَمِينِي جُونُ!". وَبعْدَ مُدَّةٍ، وَضَعَتِ المَلِكَةُ تَوْأَمَيْنِ، وَلَدَيْنِ صغِيرَيْنِ، نَمَيا وكَبُرا، وَكانَا مفْخَرَةً لَها.



وَفي يَوْمٍ، بيْنَما كانَتْ المَلِكَةُ في الكَنِيسَةِ، وَالوَلَدَان يلْعبان معَ أبِيهِما، نَظَرَ المَلِكُ بِحُزْنٍ إلى التِّمْثَالِ الحَجَرِيِّ، وَتَنَهَّدَ باكِيًا:
"آهٍ، لَوِ اسْتَطَعْتُ أَنْ أُعِيدَ لَك الحياةَ، يا أَمِينِي جُونُ!".
وَفَجْأَةً، نَطَقَ الحَجَرُ وَقَالَ: "نَعَمْ، يُمكِنُك أَنْ تُعِيدَ لِي الحياةَ إنْ كُنْتَ مُسْتَعِدًّا لِتَضْحِيَةِ ما هوَ أَعَزُّ شَيءٍ إلَيْك".





صَرَخَ المَلِكُ: "كُلُّ ما أَمْلِكُ في هَذِهِ الدُّنيا سَأُضَحِّي بِهِ مِنْ أَجْلِكَ".
فَتَابَعَ الحَجَرُ: "إِنْ قَطَعْتَ بِيَدِكَ رَأْسَيِ وَلَدَيْكَ، وَدَهَنْتَني بِدَمِهِما، فَسَأَعُودُ إِلى الحيَاةِ".



فَذُعِرَ المَلِكُ حينَ سَمِعَ أَنَّ علَيْهِ أَنْ يَقْتُلَ وَلَدَيْهِ بِيَدِهِ؛ لَكِنَّهُ لَمَّا تَذَكَّرَ إِخْلَاصَ الأَمِينِ جُوْن، وَأَنَّهُ قَدْ ماتَ مِنْ أَجْلِهِ، سَلَّ سَيْفَهُ، وَقَطَعَ بِيَدِهِ رَأْسَي وَلَدَيْهِ. وَعِنْدَما دَهَنَ الحَجَرَ بِدَمِهِما، عادَتِ الحيَاةُ إِلَيْهِ، وَوَقَفَ الأَمِينُ جُونُ أَمامَهُ سَالِمًا مُعَافَى.



فَقَالَ لِلْمَلِكِ: "سَيُكَافَأُ إِخْلاصُكَ". وَأَخَذَ رَأْسَي الوَلَدَيْنِ، وَوَضَعَهُما عَلَى جَسَدَيْهِما، وَدَهَنَ الجِرَاحَ بِدَمِهِما، فَعَادا صَحِيحَيْنِ في لَحْظَةٍ، وَأَخَذَا يَقْفِزَانِ كَأَنْ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ.



سَعَادَةً عَمَّتِ القَصْرَ، فَغَمَرَ الفَرَحُ المَلِكَ،
وَعِندَما رَأَى المَلكَةَ مُقبِلةً، أَخفى الأَمينَ جُونَ والوَلَدَيْن في خِزانَةٍ كَبيرةٍ.



وعِندَما دَخلتْ، قالَ لَها: "هَلْ صَلَّيت في الكَنِيسةِ؟".
أَجابَتْ: "نَعَمْ، لكِنَّ أَفْكاري ظَلَّتْ مَشْغَولَةً بِالأَمين جُونَ،
وَبِما عاناهُ منْ أَجلِنا".
فَقَالَ لها: "زَوجَتي العَزيزةُ، يُمكِنُنا أَنْ نُعيدَ لهُ الحَياةَ، لكِنَّ
الثَّمَنَ المَطْلوبَ هُو ولَدَانا الصَّغيرَانِ؛ علَيْنا أَنْ نُضحّي بِهما".



فشَحبَ لوْنُ المَلكَةِ، وَخفَقَ قلْبُها، لكنَّها رَدَّتْ: "نحنُ مَدينُونَ لهُ
بِذلِكَ بِسَببِ إِخلاصِه العَظيمِ". فَفرِحَ المَلكُ لأنَّها شارَكَتْهُ الرَّأيَ، وتقَدَّمَ
وَفَتَح الخزانةَ، وأَخْرَجَ الوَلَدَيْن والأَمينَ جُونَ، وقالَ: "للّهِ الحمْدُ!
لَقدْ عادَ الأَمينُ جُونُ حَيًّا مَرَّةً أُخْرَى، وولَدَانا الصَّغيرانِ مَعَنا".
ثُمَّ رَوَى لها كُلَّ ما جرَى، وعاشُوا معًا في سَعادَةٍ إلى أَبَدِ الآبِدين.







تَنْتَهِي حِكايَةُ "الأَمِينَ جُونَ"، تَارِكَةً في القَلْبِ عِبْرَةً.



إِنَّ الوَفَاءَ قَدْ يَكُونُ أَغْلَى مِنَ الحَيَاةِ، وَأَنَّ الثِّقَةَ بالأَمِينِ هِي أَسَاسُ السَّعَادَةِ.



وَأَنَّ التَّضحيةَ في سَبيلِ الحَقِّ لا تَضِيعُ، بَلْ تُثْمِرُ خَيْرا حتَّى في أَحْلكَ اللَّحَظَاتِ، وَأَنَّ الجزاءَ مِنَ جِنْسِ العَمَلِ، والإِخْلَاصَ يَجْلِبُ الإخلاص، وَالسَّخاءَ يَجْلِبُ السَّخاءَ.



الخَيَّاطِ الصَّغيرِ الشُّجاعُ

(The Brave Little Tailor)

صَيفَ كَانَ خَيَّاطاً صَغيراً يَجلِسُ عَلى مائدَتهِ بِجانِبِ النَّافِذَة،
في أسْعَدِ حالاتِ نَفْسِهَ، ويَخِيطُ بِكُلِ جَدّ واجْتِهادِ.
وَبَيّنَما هُو كَذَلِكَ، إذْ يامْرَأةٍ فَلَّاحَةٍ تَمُرُ في الطَّرِيق، وَتُنادي:
"مُرَبِّى جَيِّدَ لِلَبَيع، مُرَبّى جَيِّدَ لِلَبَيع".



فَطَابَ ذَلِكَ في مَسامِعَ الخَيَّاطِ، فَأَطْلَعَ رَأْسَهُ الصَّغيرَ مِنَ النَّافِذَة وَصاحَ:
"تَعَالَيَ إلى هُنا أَيَتُهَا المَرْأَةُ الطَّيِّبَةُ، فَستَجدِينَ مُشْتَرِيّاً رَاغِباً".
فَصَعدَتِ المَرْأَةُ الدَّرَجَ الثَّلاثَةَ بِسلَّتها الثَّقيلة إلَى حُجْرَةِ الخَيَّاطِ،
فَأَمَرَها أَنْ تَفْرُشَ لَهُ جَمِيعَ القُدورِ في صَفِّ وَاجِدِ.



فَتَفَحُصَها كَلُّها، ورَفعَها وَشَمُّها، ثُمَّ قَالَ في النِّهَايَةَ:
"هَذِهِ الَمُرَبَّى تبدوَ جَدة، زَنِي لَي منِها أرْبِعَ أوَاقٍ، أَيَّتُها الَمَرَأةُ الَطَّيِّبَةُ،
وَحَتَّى لَوْ كَانَ رُبْعَ رَطِلِ فِما عَلَيّ".
فَأَعْطَتْهُ الَمَرأةُ، وكَانَتْ تَأْمَلُ أنْ تَبِيعَ أكْثَرَ، فَغادرَتْ وهيَ تَتَذَمَّرُ بِغضَبِ.





رغْبةٌ تَملَّكَتِ الخيَّاط، فَقال في نفسِهِ: "الآنَ تُبارِكُ السَّماءُ هذا المُربَّى لِي، وَسيَقوِيني وَيُعيُنُني".
وأحْضرَ خُبزاً مِنَ الخِزانةِ، وقطَعَ مِنَ الرَّغيفِ قِطعةً مُستَدِيرَةً، وَدَهَنَ علَيها المُرَبَّى.
وَقال: "لنْ يَكونَ مذاقُهُ سيئاً، لكِنَّني سأُنْهي هذِهِ الصِّدارة أوَّلاً قَبلَ أنْ أتَناول لُقْمةً".
وَوَضعَ الخُبْزَ بِجانبِه، وَعَاوَدَ الخِيَاطَةَ،
وَمِنْ طِيبَةِ قَلبِه كانَ يَزيدُ غُرَزَهُ كِبَراً.



غَزْوٌ شنَّهُ الذُّبابُ عَلى مُرَبَّى الخيَّاط، فَفي أثْناءِ خِياطتِهِ، صَعدَتْ رَائِحةُ المُرَبَّى الحُلوةُ إلى سقْفِ الحُجْرَةِ، حَيْثُ كَانَتْ أسْرابٌ مِنَ الذُّبابِ جالِسةً، فَاجْتذَبَتْها إِلَيْها حتَّى



تَزاحَمَتْ عَلَيْها بِأَعْدادٍ كَبيرَةٍ. فَقالَ الخيَّاطُ: "مَنِ استَدْعاكُنَّ؟". وَطَرَدَ الضُّيوفَ غَيرَ المَرْغوبِ فيهِمْ. لكِنَّ الذُّبابَ، وَكانَ لا يَفْهمُ اللُّغَةَ العَرَبيَّةَ، رَفضَ أنْ يَنْصرِفَ، وَعادَ بِأَعْدادٍ أكْبَرَ.



ضَرَبَةً كانَتْ فاصِلَةً، فَفقَدَ الخيَاطُ صبرَهُ، وَتَناولَ مِنَ زاوِيَةِ المَدفَأَةِ مِمْسَحةً، وَقَال: "إِنْتَظِرُوا حَتَّى أُعَلِّمَكُنَّ"، وَضَرِبَهُنَّ بِلاَ رَحْمِةِ. فَلَمَّا تَوقَّفَ، عَدَّ القَتْلَى، فَإذا بِسَبْعَةٍ مِنْهُنَّ قَدَ سَقطْنَ بِأَرْجُلٍ مَمْدودَةِ. فَقَالَ



مُعْجبًا بِنَفْسِهِ: "ماهَذا الرَّجُلُ اليائِسُ الَّذي أَنَا!". وَامْتَلأَ إعجابًا بِشَجاعَتِهِ، وَقَال: "يَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ المَدينَةُ بِأَكْمَلِها بِهَذَا".



حِزامٌ صَنَعَهُ الخيَّاطُ لِيُخلِّدَ مجدَهُ، فَفي عَجْلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، قَطَعَ الخيَّاطُ حِزاما، وَخاطَهُ، وَطَرَزَ عَلَيْهِ بِأَحْرَفٍ كبيرَةٍ: "سَبْعةٌ في ضَرْبَةٍ واحِدةٍ". ثُمَّ قالَ: "لِمَ المَدينَةُ فَقَطْ؟ بَلِ العالمُ بِأَسْرِهِ يَجِبُ أَنْ يَسْمَعَ بِهَذَا!". وَارْتَدى الحِزامَ، وانطَلَقَ في رَحْلَتِهِ، إِذْ رَأى أَنْ حُجْرَةِ عَمَلِهِ ضَيِّقَةٌ جدًّا لِشَجاعَتِهِ.







تَجْهيزٌ لِلرِّحْلَةِ، فَقَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ، نَظَرَ حَوْلَهُ لِيَرى إنْ كانَ هُناكَ ما يُمْكِنُهُ أَنْ يَحْمِلهُ معَهُ، فَلَمْ يَجِدْ سِوى جُبْنَةٍ قَديمَةٍ، فَأَخَذَها.

وَعِنْدَ بابِ المَنْزِلِ، رَأى عُصْفوراً قَدْ عَلِقَ في الشُّجَيْرَاتِ، فَأَدْخَلَهُ في كيسِهِ إلى جانِبِ الجُبْنَة.



لِقَاءٌ كانَ مَعَ عِمْلاقٍ، فَبَيْنَما كانَ الخَيَّاطُ يَسيرُ، بَلَغَ تَلَّةً، وعَلى قِمَّتِها كانَ عِمْلاقٌ قَوِيٌّ جالِساً يَتأَمَّلُ المَنْظَرَ بِهُدوءٍ. فَصَعَدَ الخَيّاطُ إِلَيْهِ، وحَيّاهُ بِبَشاشَةٍ، وقالَ: "صَباحُ الخَيْرِ يا صَديقي، هلْ تُرافِقُني في رِحْلَتي؟". فَنَظَرَ العِمْلاقُ إِلَيْهِ بِاحْتِقارٍ، وقالَ: "أَيُّها المَخْلوقُ البائِسُ الحقيرُ!". فَأَجابَ الخَيّاطُ: "تِلكَ نُكْتَةٌ طَيِّبَةٌ"، وَفَتَحَ مِعْطَفَهُ لِيُرِيَ العِمْلاقَ حِزامَهُ.



قالَ: "هٰذا سَيُخْبِرُكَ عَنْ نَوْعِي". فَقَرأَ العِمْلاقُ: "سَبْعَةٌ في ضَرْبَةٍ واحِدَةٍ"، وظَنَّ أَنَّها بَشَرٌ قَتَلَهُمْ، فَابْتَدأَ يَحْتَرِمُ الرَّجُلَ الصَّغيرَ. لَكِنَّهُ أَرادَ أَنْ يَخْتَبِرَهُ، فَرَفَعَ حجَراً وَعَصَرَهُ حتَّى نَزَلَتْ مِنهُ قَطَراتُ ماءٍ، وقالَ:
" إِفْعَلْ مِثْلَ ذَلِكَ إنْ كُنْتَ تَظُنُّ نَفْسَكَ قَوِيّاً".



خُدْعَةٌ كانَتْ سِلاحَ الخَيَّاطِ، فَقالَ: "هَذا فَقَطْ؟ إنَّهُ لَعِبُ الأطْفَالِ"،
وَأَخْرَجَ الجُبْنَةَ مِنْ كِيسِهِ، وَعَصَرَها حَتَّى سَالَ مَصْلُهَا، وَقالَ:
"عَصْرَتِي كانَتْ أَفْضَلَ مِنْ عَصْرَتِكَ". فَلَمْ يَدْرِ العِمْلاقُ ما يَقُولُ، إذْ لَمْ
يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَدِّقَ ذَلِكَ مِنْ رَجُلٍ صَغِيرٍ.



ثُمَّ رَفَعَ العِمْلاقُ حَجَراً آخَرَ وَرَمَى بِهِ عَالِياً حَتَّى كادَتِ العَيْنُ لا تَتْبَعُهُ،
وَقَالَ: "هَيَّا أَيُّهَا القَزَمُ، دَعْنِي أَراكَ تَفْعَلُ ذَلِكَ". فَقالَ الخَيَّاطُ:
"رَمْيَةٌ جَيِّدَةٌ، لكِنَّ حَجَرَكَ سَقَطَ في النِّهَايَةِ، أَمَّا أنا فَسَأَرْمِي بِحَجَرٍ
لَنْ يَسْقُطَ أَبَدًا".



وَأَخْرَجَ العُصْفُورَ مِنْ كِيسِهِ وَرَمَى بِهِ في الهَواءِ،
فَطارَ العُصْفُورُ مُنْطَلِقاً وَلَمْ يَعُدْ.





مُسَابَقَةٌ فاشِلَةٌ لِلعِمَلاقِ، فَقالَ: "تَحسِنُ الرَّمْيَ يا صَديقي، لكِنْ هَل تَستَطِيعُ حَمْل ثِقْلٍ حَقيقيٍّ؟".



وَقَادَ الخَيَّاطَ إِلَى شَجَرَةِ بَلُّوطٍ ضَخمَةٍ قُطِعتْ، وَقَالَ: "إنْ كُنْتَ قَويّاً، فَسَاعِدْني في حَمْلِ هُذِهِ الشَّجَرَةِ".

فَقَالَ الخَيّاطُ : "بِكُلِّ سُرورٍ، خُذْ أَنْتَ الجِذْعَ عَلى كتِفِكَ، وَأنَا سَأحْمِلُ الأَغْصَانَ، فَهيَ الأَثْقَلُ".



فَحَمَلَ العِمْلاقُ الجِذعَ عَلى كتِفِهِ، وَجلَسَ الخَيّاطُ على الأَغْصانِ، فَلَمّا جَرَّ العِمْلاقُ الثُّقَلَ مَرَّةً، لَمْ يَستَطِع المَضيَ، فَصاحَ: "لَقَدْ بلَغْتُ حَدِّي".

فَقَفَزَ الخيّاطُ، وَأَمسَكَ الشَّجَرَةَ كأَنَّهُ حَمَلَها طَوالَ الطَّريقِ.





مَدينَةٌ بَلَغُها الخَيّاطُ بَعْدَ رِحلَةٍ طَويلَةٍ، فَشَعَرَ بِالتَّعَبِ فاضْطَجع على العُشْبِ ونام. وبَيْنَما هُو نائِمُ، أتى النَّاسُ و



قَرأوا عَلى جزامِه: "سَبْعَةٌ في ضَرْبةٍ واحِدَة"، فقَالُوا: "ماذا يُريدُ هَذا البَطَلُ العَظيمُ في بِلادِنا السَلِمة؟ إِنَّهُ لاَ بُدَّ أَنَّهُ رَجُلٌ شُجاعٌ جِدًا". فذهَبُوا إلى المَلِك وَأَخبَرُوهُ، وقَالُوا إنَّهُ سَيَكونُ رَجُلاً نافِعًا في زمَنَ الحَرَبِ.



دَعَوَةٌ جاءَتْ مِنَ المَلِك، فَأرْسَلَ إليَه أحد حاشِيَتِهِ لِيعْرِضَ عليَه خِدْمَةً في الجَيْشِ فلمًا استَيَقظَ الخيَّاطُ، قالَ: "هَذا ما جِئتُ مِنَ أجْلِهِ، أنا عَلَى اسَتِعْدادٍ تامٍ لِدُخول خِدمةِ المَلِك". فاستُقْبِلَ بِكرامةٍ، وأعَطي مَنزِلاً خاصًا.





حَسدَ تَملَّكَ الضُبّاطُ الآخَرينَ، فَتمنَّوا لَوْ كانَ الخَيّاطُ في مَكانٍ آخرَ.
وَقالُوا: "ما الَّذي سَيَحْدُثُ إنْ تَشاجَرْنا مَعَهُ؟ سَيَضْرِبُنا وَيَقْتُلُ
سَبْعَةً منّا في كُلِّ ضَرْبةٍ". فَذهَبُوا إلى المَلِك وَطَلَبُوا اسْتِقالَتَهُم.
فَحزِنَ المَلِكُ عَلى فَقْدِ خَدمِهِ، وَتمَنَّى أنْ يَتَخلَّصَ مِنَ الخَيّاطِ،
لِكنَّهُ لَمْ يَجْرُؤْ عَلى طَرْدِهِ.



تَحَدٍّ جَدِيدٌ وَضَعَهُ المَلِكَ، فَاسْتَدْعَى الخَيّاطَ وَقالَ لَهُ:
"هُناكَ عِملاقانِ في غابَةِ مَمْلَكَتي يُلْحقانِ أضْراراً كَثيرَةً،
إنْ قَتَلْتَهُما، سَأُزَوِّجُكَ ابْنَتي وَنِصْفَ مَمْلَكَتي".



فَقالَ الخَيّاطُ: "سَأَقْتُلُهُما بِسُهولَةٍ،
وَلا حاجَةَ لَي بِالمِئَةِ فارِسٍ".
وَانْطَلَقَ إلَى الغابَةِ.



غابةً دَخلها الخيَّاطُ، فوجَدَ العِمْلاقَينِ نائمَيْنِ تحتَ شَجرةٍ، يَشخرانِ حتّى تكادُ الأغصانُ تميلُ. فمَلأَ كيسهُ بالحجارةِ، وتسلَّقَ الشَّجرةَ، وأخذَ يَرمي الحِجارةَ على أحدِ العِملاقَينِ. فلمْ يَشعُرِ العِمْلاقُ بشيءٍ في البدايةِ، لكنَّهُ



اسْتَيقَظَ وَقالَ لِلآخَرِ: "لِماذا ضَرَبْتَني؟". فقَالَ الآخَرُ: "لَمْ أَضْرِبْكَ، إنَّكَ تَحْلُمُ". فناما ثانيةً، فرَماهُ الخيَّاطُ بِحجَرٍ آخَرَ على الثّاني، فاسْتَيقَظَ وقالَ: "ما هذا؟ لِماذا رَمَيْتَني؟". فقَالَ الأوّلُ: "لَمْ أَرْمِكَ".



صِراعٌ بيْنَ العِمْلاقَيْنِ، فتَشاجَرا حتّى انتزعا شَجرةً وَأخذا يَضْرِبانِ بعضَهُما بها حتّى سَقَطَا ميّتيْنِ، فقَفَزَ الخيَّاطُ وَقالَ: "لقد انتهيتُ منهُما". وطَلَبَ مِنَ المَلِكِ المُكافأةَ، لكنَّ المَلِكَ طَلَبَ مِنهُ أنْ يَصْطادَ وَحيدَ قَرْنٍ في الغابةِ.





وحِيدُ القَرْنِ كانَ تَحدِّيًا آخَرَ، فَذَهبَ الخَيَّاطُ، وعِنْدَما هَجم عَلَيْهِ الوحِيدُ، وقَفَ خَلْفَ شَجَرةٍ، فَطعَنَ الوحيدُ قَرْنَهُ في الجِذْعِ، فَأَسَرهُ الخَيَّاطُ. ثُمَّ طلَبَ مِنهُ الملِكُ أَنْ يَصْطاد خِنْزِيرًا بَرِيًّا، فَفَعل مِثْلَ ذَلِكَ.



زَواجٌ كانَ هُو الجَزاءَ، فَتزَوَجَ الخَيَّاطُ مِنَ الأَميْرة، وأَصْبحَ مِلِكًا. لكِنَّ الأَميْرَةَ سَمِعتْهُ يَقُولُ في نَوْمِهِ: "يا ولَدَي، إِصْنَعْ تِلْكَ الصّدارَةَ ورَقِّعْ تِلْكَ السَّراوِيل، وإِلاَّ سأَصْفَعُكَ". فَعرَفَتْ أَنَّهُ خَيَّاطٌ، فَشَكتْ إِلى أَبِيها، فَخَطَّطَ الملِكَ لِقَتلِهِ.





عَزْمٌ أَبدَى الخَيَّاطُ شَجاعَتَهُ، فَقَدْ سَمِعَ الخُطَّةَ، وَفي اللَّيلَةِ التَّالِيَةِ صَرَخَ بِصَوْتٍ عالٍ: "يَا وَلَدي، إِصْنَعْ تِلْكَ الصَّدارَةَ وَرَقِّعْ تِلْكَ السَّراويلَ، وإِلاَّ سَأَصْفَعُكَ. لَقَدْ قَتَلْتُ سَبْعَةً فِي ضَرْبَةٍ، وَعِمْلاقَيْنِ، وَأَسَرْتُ وَحِيدَ قَرْنٍ،



فَكَيْفَ أَخَافُ مِنَ الرِّجالِ الَّذينَ يَقِفُونَ خَارِجَ بابِي؟".
فَهَرَبَ الجُنودُ، وبَقِيَ الخَيّاطُ مَلِكاً إلى نِهايَةِ حياتِهِ.



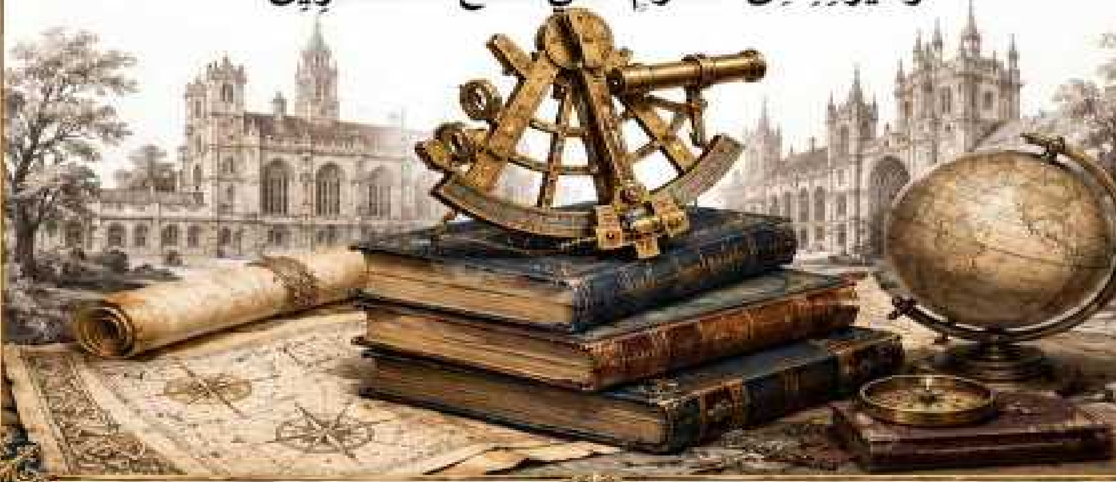
تَبقَى العِبْرَةُ في القَلْبِ بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ المغامَراتِ. أن الذَّكاءَ قَد يَكُون أَقْوىَ مِنَ القُوَّةِ، وَأَنَّ الثِّقَةَ بالنفْسِ تَصْنَعُ المُعجِزَاتِ، وَأَنَّ الشَّجاعَةَ لَيْسَتْ في عَدَمِ الخَوْفِ، بَلْ في مُوَاجَهَةِ العمالِقَةِ بِالعَقْلِ قَبْلَ السِّلاحِ، وَأَنَّ الحَذَرَ لاَ يَمْنَعُ القَدَرَ، بَلْ يُعِينُ عَلَى اجتِيازِهِ.





رحلةٌ إلى ليليبوت

سَفَرٌ كانَ أوَّلَ مغامراتِ جاليفرَ، فَقَدْ كانَ شاباً مِنْ نوتِنغهِامْشاير، وهُو الثَّالِثُ مِنْ أَرْبَعَةِ إِخْوةٍ. أَرْسلَهُ والدُهُ إلى كامبريدجَ في الرَّابعةِ عَشْرَةِ مِنْ عُمْرِهِ، وبَعْدَ ثلاثِ سنواتٍ مِنَ الدّراسةِ، تعلَّمَ فُنونَ المِلاحة وغيرِها مِنَ العُلومِ الَّتي تَنْفعُ المُسافرينَ.



ثُمَّ عَمِلَ جَرّاحاً في سَفينةِ "السَّوالُو" لِمُدّةِ ثلاثِ سنواتٍ، وبَعْدَها اسْتَقرَّ في لَندنَ، وَتزَوَّجَ منَ السَّيِّدةِ مارِي بِرْتُونَ.



لكِنَّ موْتَ مُعَلِّمِهِ السَّيِّدِ بَيْتس، وقَلَّةَ الأَصْدقاءِ، جعَلا عَمَلَهُ يَتَراجعُ، فَقَرَّرَ العَودَةَ إلى البَحْرِ.



مَغَامَرَةٌ جَدَيدَةٌ بَدأَتْ عَنْدَمَا قَبِلَ عَرضاً مِنَ القُبْطَانِ
و. بِرِيتَشارِدُ عَلَى مَتْنَ سَفَينةِ "الأَنتِلوبِ" المُتَّجِهةِ
إِلى البَحْرِ الجَنُوبِيِّ.



أَبْحَرُوا مِنْ بِرِسْتُولَ في الرَّابِعِ مِنَ مايُو عامِ ١٦٩٩،
وَكَانَت الرِّحْلَةُ في بِدَايِتها مُوَفَّقةٌ جِدّاً.



لكِنَّ فَي طَرِيقِهِمْ إلى جُزُرِ الهِنْدَ الشَّرَقِيَة، اِجْتاحَتْهُمْ
عاصِفَةٌ عَنِيفةٌ دَفَعَتْهُمْ إِلى الشَّمَالِ الغَرْبِيِّ مِنْ أَرْضِ فَانْدَيمِنْ.
ماتَ اثْنَا عَشَرَ مِنْ طَاقِمِهِمْ بِسَبَبِ العَمَلِ الشَّاقِّ وَالطَّعام السَّيّئِ،
وكانَ الباقُونَ في حالَةٍ ضَعِيفَةٍ جِدّاً.





غَرَقَ كانَ مَصيرَ السَّفينَةِ، فَفَي الخَامِس مِنْ نُوفَمْبرَ، وَالجَوُّ ضَبابِيٌّ، رَأى البَحَّارَةُ صَخْرَةً عَلى بُعْدِ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ يَارْدَةً مِنَ السَّفينَةِ، لكِنَّ الرِّيَاحَ كانتْ عاتِيَةً جِدّاً، فَاصْطَدَمُوا بِها وَتَحْطَّمَت السَّفِينَةُ.



سِتَّةٌ منْ الطَّاقِمِ، وَكانَ جالِيفَرُ واحِداً منْهُمْ، نَزَلُوا إلى قَاربِ النَّجَاةِ، وَجَدَّفُوا نَحْوَ ثَلاثَةَ أَمْيالٍ حَتَّى أَرْهَقَهُمُ التَّعَبُ، فَتَرَكُوا أنَفُسَهُمْ لِرَحْمةِ الأمْواجِ. وَبَعْدَ نِصْفِ ساعةٍ، إنْقَلَبَ القَاربُ بِفِعْلِ هَبَّةِ رِيحٍ مُفَاجِئَةٍ، وَغَرقَ جَمِيعُ مِنْ كانَ مَعَهُ،



وتَمسَكَ جالِيفَرُ بالأَمْواجِ حَتَّى وجَدَ نَفْسَهُ يَقِفُ في ماءٍ لا يُغَطِّي رَأسهُ، فَصَعِدَ إِلى الشَاطِئِ في السَّاعَةِ الثَّامِنةِ مَساءً.



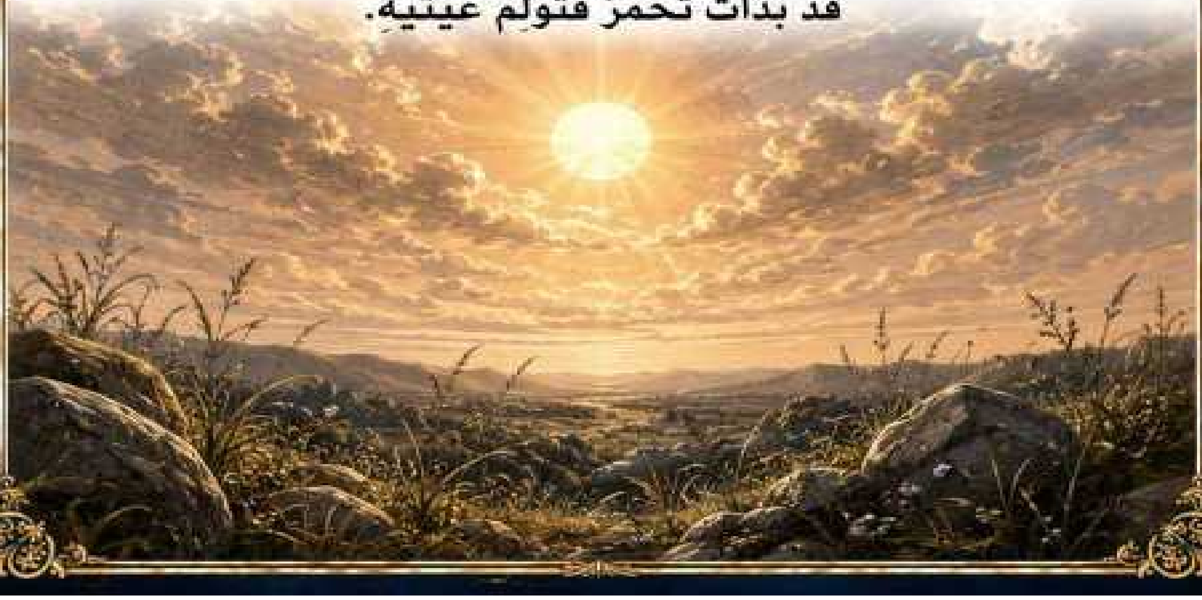
وُحْدَةً في أَرْضٍ غَرِيبَةٍ، فَسارَ نَحْوَ نِصْفِ مِيلٍ في الدَّاخِلِ، لكِنَهُ لَمْ يَجِدْ أَثَرًا لِسُكَّانٍ. كانَ مُرْهَقاً جِدَّاً، وَبِحَرَّةِ الطَّقْسِ، شَعُرَ بِنَوْمٍ عَميقٍ يَغْلِبُهُ، فَاسْتَلْقَى عَلَى عُشْبٍ قَصيرٍ ناعِمٍ، ونَامَ نَوْماً أَعْمَقَ مِنَ أيِّ نَوْمٍ في حَياتِهِ لِمُدَّةِ تِسْعِ ساعَاتٍ.



وَعِنْدَما اسْتَيْقَظَ عِنْدَ الفَجْرِ، حاوَلَ النُّهُوضَ، لكِنَهُ لَمْ يَسْتَطِعْ؛ فَقَدْ كانَ مُسْتَلْقِياً عَلَى ظَهْرِهِ، وَوَجَدَ ذِراعَيْهِ وَرِجْلَيْهِ مَرْبُوطَتَيْنِ إلى الأَرْضِ مِنَ كُلِّ جانِبٍ، وَشَعْرُهُ الطَّوِيلُ الكَثِيفُ مَرْبُوطٌ بِالمِثْلِ.



لَمْ يَسْتَطِعْ سِوى النَّظَرِ إلى الأَعْلَى، وَكانَتِ الشَّمْسُ قَدْ بَدأَتْ تُحْمِرُ فَتُؤْلِمُ عَيْنَيْهِ.







كَشَفَ نُذْهِلَ، فَسَمِعَ ضَجَّةً حَوْلَهُ، وَشَعَرَ بِشَيءٍ حَيٍّ يَتَحَرَّكُ عَلَى سَاقِهِ اليُسْرَى، ثُمَّ صَعَدَ فَوقَ صَدْرِهِ حَتَّى وَصَلَ إلى ذَقنِهِ، فَأَطْبَقَ عَنيَيْهِ إلى أسفَلَ، فَرَأَى مَخْلُوقًا بشرِيًّا صَغيرًا، لا يَزِيدُ طُولُهُ عنْ سِتِّ بَوصَاتٍ، يَحْمِلُ قَوسًا وَسَهْمًا في وجَعْبَةً عَلَى ظَهْرِهِ. وَشَعَرَ في أثْناءِ ذَلِك بِما لا يَقِلُّ عَنْ أرْبَعِينَ آخَرِينَ يَتبَعُونَ الأَوَّلَ. فزِعَ جالِيفَرُ فَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ، فَفَرَّ الكُلُّ مَذْعُورِينَ، وَسَقَطَ بَعْضُهُم مِنْ فَوقِ جَسَدِهِ عَلَى الأَرْضِ.



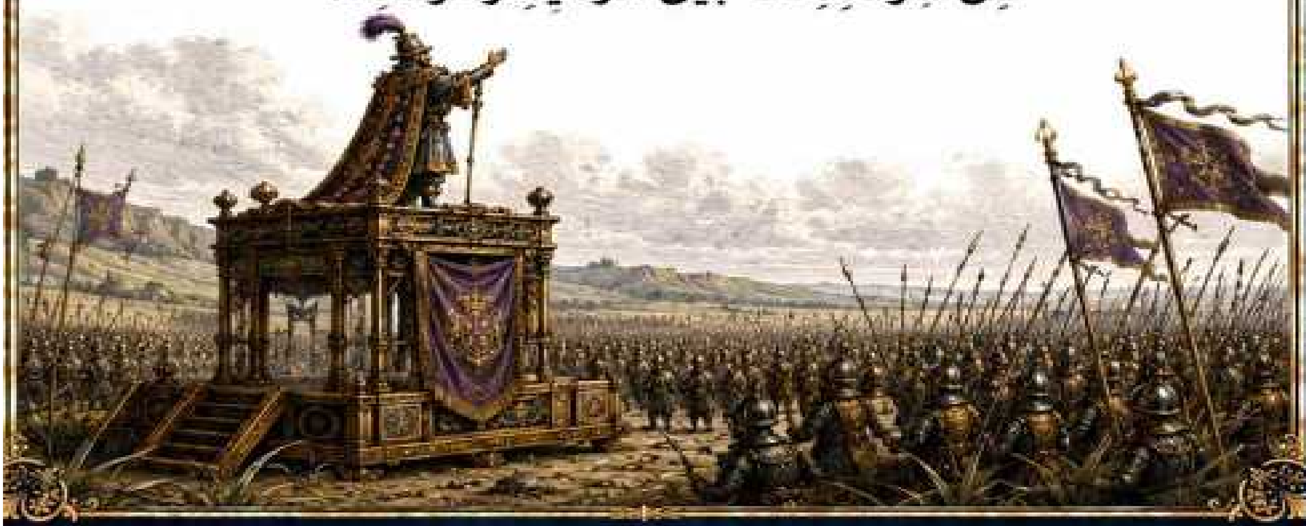
مُحَاوَلَةً لِلْفِرارِ، فَشَدَّ جالِيفَرُ بِقُوَّةٍ حَتَّى قَطَعَ الجِبالَ الَّتي تَرْبطُ ذِراعَهُ اليُسْرَى، وَتمَكَّنَ بِجَهْدٍ شَديدٍ مِنْ تَحْرِيرِ شَعْرِهِ قلَيلاً،



لكِنَّ السَّكَّانَ الصِّغارَ أَطْلَقُوا عَلَيْهِ سِهَامًا كَثِيقَةً، فَشَعَرَ بِوخْزِ كَإبرٍ في يدِهِ، وَسَقَطَتْ بعْضُ السِّهَام عَلَى وَجْهِهِ، فَغَطَّى وَجْهَهُ بِيدِهِ اليُسْرَى. وعِندَما تَوَقَّفَ سِهامُهُمْ، قَرَّرَ أَنْ يَبقَى ساكنًا، مُفَضِّلاً الصَّبرَ حتَّى اللَّيلِ حِينَ يَخَلِّصَ نَفْسَهُ.



مُفاوَضةً غَريبَةً، فَبَعْدَ ساعَةٍ مِنَ الصَّمْتِ، أَقَامَ الصِّغَارُ مِنَصَّةً
عَلَى بُعْدِ أَرْبَعِ يارْدَانٍ، وَصَعَدَ عَلَيْهَا رَجُلٌ رَفِيعُ المَقَامِ، وأَلْقَى
خِطَاباً طَوِيلاً لَمْ يَفْهَمْ مِنْهُ جاليفَرُ كَلِمَةً، لكِنَّهُ أَدْرَكَ
مِنَ حَرَكاتِهِ أَنَّهُ بينَ الوَعِيدِ وَالرَّحْمَةِ.



فَأَشارَ جاليفَرُ بِأَنَّهُ جائِعٌ، فَفَهِمَ الرَّجُلُ، وَأَمَرَ بِتَقْدِيمِ سَلالِ الطَّعامِ:
أَرْجُلٌ وأَكْتَافٌ كلَحْمِ الخَرُوفِ لكِنَّها أَصْغَرُ مِنَ أَجْنِحةِ القُبَّرةِ،
وَخُبزٌ لا يَزيدُ عَنَ حَجْمِ الرَّصاصَةِ.



كانَ يأكلُ مِنها اثْنَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً في كُلِّ لُقمَةٍ، ويَشرَبُ مِنْ أَكبرِ
بِراميلِهِم الَّذي لا يَحملُ سِوى نصفِ بِنْتٍ.







رحلَةً إلى العاصِمةِ، فَقَدِ جهّزُوا آلةَ خَشَبِيَّةً هائِلَةً، تَحمِلُه
إلى مدِينة المَلِك. رُفِع جالِيفرُ بِالحبالِ والبَكَراتِ، وسُحِبَ عَلَى
عَجلاتِ بخَمْسَةَ عَشَرَ أَلفَ حِصانٍ، كُلُّ حِصَانٍ لا يَزيدُ طُولَهُ
عَنْ أَرْبع بُوصَاتٍ. وَعِنْدَما وَصَلُوا، أُوقِفَ في مَعْبدِ قَديمٍ،
وَقَيَّدَتْ رِجْلَهُ اَليُسرَى بِسلاسِلَ تَصلُ إلَى بابِ المَعْبدِ،
مِمَّا أَتَاحَ لَهُ حُرِيَّةَ الحَرَكَةِ في نِصفِ دائرَةٍ.



حَضْرَةُ اَلمَلِك، فَخَرج المَلِكُ بِنَفسِهِ، وَهُوَ أَطْوَلُ منْ أيّ رَجُلٍ
في بلاطِه بقَدَرِ عُرْضِ ظُفْرِي، وَكانَ يَحملُ سَيفًا مكْشوفًا
لِيَحْمِي نَفْسَهُ. تَكَلَّمَ المَلِكُ بِصَوْتٍ حادٍ، وَأَمرَ عُلَماءَهُ
بِتَعليمِ جالِيَفرَ لُغَتَهُم، فَتَعلَّم بَعْضَ الكَلِماتِ، وَطَلَبَ حُرِّيَّتَه، لَكِنَّ



المَلِك اشْتَرَطَ مُعاهَدَةَ سلامٍ، وَتَنْفِيذَ شُروطٍ صارِمَةٍ،
مِنْها عَدَمُ مُغادَرَةِ المَملَكَة إلاَّ بِإذْنٍ، وَعَدَمُ الوُقوفِ في الحُقوْلِ،
وحَملُ رُسلِ المَلِك في جَيْبِه.



حَرْبٌ معَ بلِيفوسكُو، فَأَخْبرَهُ السكرِتيرُ رِلْدِرسالْ بأَنَّ مَمْلكةَ لَيليوت عَلَى وشَك غَزْوٍ مِنْ بَلِيفوسكُو، الجَزيرَةِ المُجاوِرَةِ، بِسَبَبِ خَلافٍ عَلَى طَرِيقَةِ كسْرِ البَيْضِ: فَبَيْنَما كانَ جدُّ المُلِك الحاليّ يَكْسرُ البَيْضَةَ مِنْ طَرَفِها الكَبيرِ، قَطَعَ إِصْبَعَهُ، فَأَصْدرَ أَمْرًا يكَسْرِ البَيْضِ منَ الطَرَفِ الصَّغيرِ، مِمَّا أَثارَ ثَوْرَةَ "الكبارِيِّينَ" الَّذينَ لَجأُوا إلى بَلِيفوسكُو، وأَشْعَلُوا حَرْبًا استمرّتْ سِتَّةً وثلاثينَ شَهرًا.



خُطَّةٌ جَرِيئَةٌ، فَطَلبَ جاليفَرُ مِنَ المُلِك أَنْ يَسمحَ لَهُ يَخْطَفِ الأُسطولِ البِليفوسكيِّ. فَصَنعَ خَطَّافاتٍ وحِبالاً، وعَبَرَ المَضِيق الَّذِي يَفْصِلُ الجَزيرَتَيْنِ، وعِندَما رآهُ أَعْداؤُهُ فَزِعُوا وقَفَزُوا إِلى البَحْرِ.



ثُمَّ رَبَطَ الخَطَّافاتِ بِمَقْدِمة كُلِّ سَفينَةٍ، وجرَّ خَمسِينَ سَفينَةً حَرْبِيَّةً مِنَ أَكْبَرِ سُفُنِهِمَ نحْو ليليُوت. فَاستَقْبلَهُ المُلِكُ بِفَرَحٍ عظيمٍ، ومنَحهُ أَعلَى الأَلْقابِ.





عِزَّةَ جاليفرَ الأَخْلاقِيَّةُ، فَقَدْ طَلبَ المَلِكُ مِنهُ أَنْ
يَسْتَكمِلَ غَزْوَ بِليفوسكو، لَكِنَّ جاليفرَ رَفَضَ بحَزْمٍ،
قَائِلًا: "لنْ أَكُونَ أَداةً لاستِعْبادِ شَعْبٍ حُرٍّ شُجاعٍ".
فَأَغْضَبَ ذَلِك المَلِك، وبَدَأَ يُدَبِرُ مَكيدَةً مَعَ أَعدائِه.



مؤَامَرةً ضِدَّ جاليفرَ، فَاتَّهَمُوهُ بالخِيانة،
وقَضوا بفَقْأَ عَيْنَيهِ، لكِنَّ صَدِيقَهُ السَكرِيتَيرَ رِلْدَرِسالْ
خَفَّفَ العُقُوبةَ، فَاقْتَرَحَ إماتتهُ جُوعاً.



فَلَمَّا عَلِمَ جاليفرُ بذَلك، هَرَبَ إلى بِليفوسكُو،
حيثُ استقْبَلَهُ الملِكُ بحَفاوةٍ.



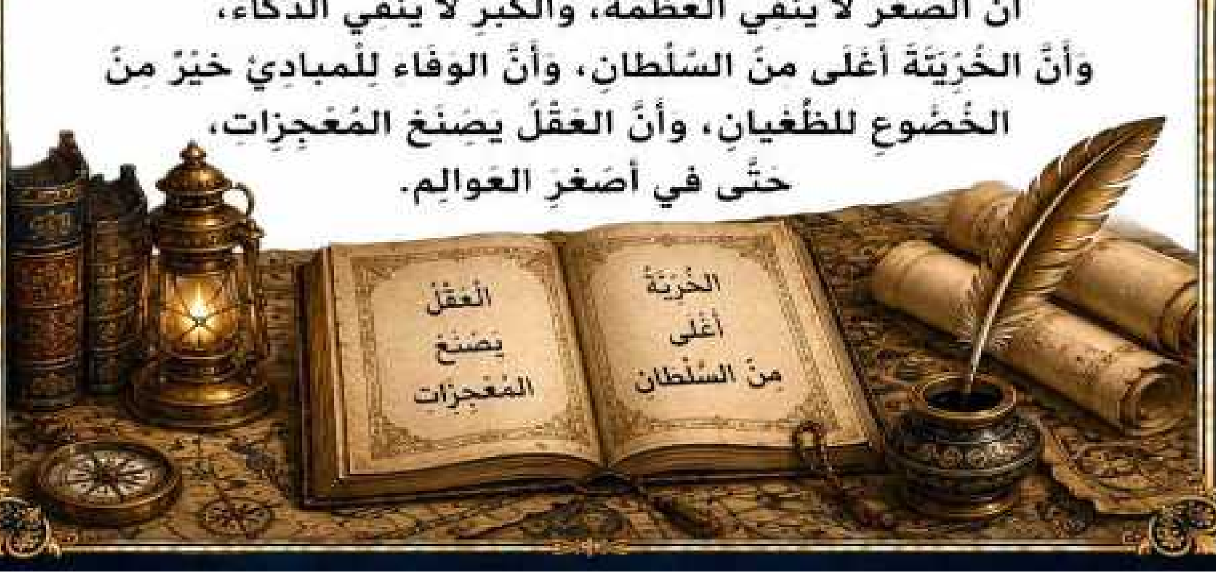
عَوْدَةً إلى إنجلتِرا، فَقَدْ عَثَرَ جاليفرُ عَلى قاربٍ قَذَفَتْهُ البِحارُ، وَاسْتَأْذَنَ مَلِك بَليفوسكو في تَجْهيزِهِ لِلرَّحيلِ، فَأَذِنَ لَهُ. أَبْحَرَ في السَّادِسِ وَالعِشْرينَ مِنْ سِبْتَمْبِرَ عامِ ١٧٠١، وَرَأَى سَفينَةً تَحْمِلُ العَلَمَ الإِنْجِليزِيَّ، فَفَرِحَ، وَعِنْدَما صَعِدَ عَلَيْها،



ظَنَّ القُبطانُ أَنَّهُ يَهْذي حَتَّى أَخْرَجَ جاليفرُ بَقَرَهُ وَأَغنامَهُ الصَّغيرَةَ مِنْ جَيْبِهِ. وَصَلَ إِلى إِنجِلْتِرا في الثّالِثَ عَشَرَ مِنْ أَبْريلَ ١٧٠٢، وَباعَ مَواشِيَهُ بِمَبلَغِ سِتِّ مِئَةِ جُنَيْهٍ، وَتَرَكَ لِزَوْجَتِهِ أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةِ جُنَيْهٍ، وَاسْتَعَدَّ لِرِحْلَةٍ ثانِيَةٍ.



تَنْتَهي حِكايَةُ "رِحْلَةٍ إلى لَيليوت"، وَتَبْقى في القَلْبِ عِبْرَةٌ.
أَنَّ الصِّغَرَ لا يَنفي العَظَمَةَ، وَالكِبَرَ لا يَنفي الذَّكاءَ،
وَأَنَّ الحُرِّيَّةَ أَغْلى مِنَ السُّلْطانِ، وَأَنَّ الوَفاءَ لِلْمَبادِئِ خَيْرٌ مِنَ الخُضوعِ لِلطُّغيانِ، وأَنَّ العَقْلَ يَصْنَعُ المُعْجِزاتِ،
حَتَّى في أَصْغَرِ العَوالِمِ.





الأَمِيرَةِ عَلى التَّلِّ الزُّجاجِيُّ

مَرْجٌ كَانَ لِرَجُلٍ فَقَيرٍ في أَعْلى الْجَبَلِ، وَفيهِ حَظيرَةٌ بَناها لِيَخْزِنَ فيها تِبْنَهُ.



لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ فيهِ تِبْنًا كَثيرًا طَوالَ السَّنَتَيْنِ أَوِ الثَّلاثِ الْماضِيَاتِ، فَفي كُلِّ لَيْلَةِ عِيدِ الْقِدّيسِ يُوحَنَّا، بَيْنَما كَانَ الْمَرْجُ في أَوْجِ نَضارَتِهِ وَالتِّبْنُ جاهِزًا لِلْقَطْعِ، كَانَ الْمَرْجُ يُكْنَسُ كَنْسًا، وَيُؤْكَلُ الْعُشْبُ كُلُّهُ حَتَّى الْجُذُورِ، كَأَنَّ قَطيعًا مِنَ الْأَغْنامِ قَدِ اجْتاحَهُ في لَيْلَةٍ واحِدَةٍ.



حَدَثَ هَذا مَرَّةً، وَحَدَثَ مَرَّتَيْنِ، فَقَرَّرَ الرَّجُلُ أَنْ يُرْسِلَ أَحَدَ أَبْنائِهِ لِيَبيتَ في الْحَظيرَةِ لَيْلَةَ عِيدِ الْقِدّيسِ يُوحَنَّا، لِيَحْرُسَ الْعُشْبَ. وكَانَ لَهُ ثَلاثَةُ أَبْناءٍ، وَأَصْغَرُهُمْ يَدْعَى "سِنْدِرْلاذْ" أَوْ "بُوتْسَ".



حَرَاسَةَ قامَ بها الابْنُ الأَكْبَرُ، فذهَبَ إلى الحَظيرَةِ واضْطَجعَ لِينَام.
وعِندَما حلَّ الظَّلامُ، هَزَّتِ الأَرْضَ هَزَّةً عَنِيفَةً وَضَجيجٌ هائِلٌ كالزَلْزَلَةِ،
حتَى اهْتَزَّتِ الجُدرانُ وَالأَرْضِيَةُ.



فَتَبَ الفَتَى مُذْعُورًا وَهَرَبَ بِأَسْرَعِ مَا تَحْمِلُهُ رِجْلَاهُ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ خَلْفَهُ
حَتَّى وَصَلَ إلى المَنْزِلِ. أَمَّا التِّبْنُ، فَقَدْ أُكِلَ كَالعَامَيْنِ السَّابِقِين.



عَزَمَ تَمَلكَ الابْنَ الثَانِيَ في العَام التَالِي، فَذَهَبَ إلى الحَظِيرَةِ وَاضْطَجَعَ.
لَكِنَّ الزَلْزَلَةَ كَانَتْ أَشَدَّ مِنَ سَابِقَتِها، فَهَرَبَ مُذْعُورًا كَأَنَّهُ يِتَسابَقِ على
وَأُكِلَ التِّبْنُ مَرَةً أُخْرَى.



صَبُرَ سِندِرَلادُ، أَصْغَرِ الإخْوَةِ، جاءَ في العَامِ التَّالِثِ.
قال لَهُ إِخْوَتُهُ بِسُخْرِيَةٍ: "أَنت رَجُلٌ مُنَاسِبٌ لِحِراسَةِ التِّبْنِ،
يا منْ لَمْ تتعَلَّمْ شيْئًا سِوَى الجُلُوسِ في الرَّمادِ
والتَّدَفُّئِ بِالنَّارِ!".



لكِنَّ سِنْدرَلادُ لَمْ يُبَالِ بِسُخْرِيَتِهِمْ، وَذَهَبَ إِلى المَرْجِ
عِنْدَ المَسَاءِ. وَاضْطَجعَ في الحَظِيرَةِ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ
بَدَأَ الضَّجِيجُ وَالزَّلْزَلَةُ، فَقال في نَفْسِهِ: "إِنْ لَمْ تَزِدْ
عَنْ هذَا، فَأَنا قادِرٌ عَلى تَحَمُّلِها".



وعِنْدَما هَدَأَ كُلُّ شيْءٍ، سمِع صَوْتَ حِصانٍ يأكُلُ خارِجَ الحَظِيرَةِ،
فَخَرَجَ فَرَأى حِصانًا ضَخْمًا سَمِيناً جمِيلًا لَمْ يَرَ مِثْلَهُ قَطُّ،
وَعَلَيهِ سَرْجٌ وَلِجامٌ، وَدِرْعٌ كَامِلٌ مِنْ نُحاسٍ لامِعٍ.



قبضَ على الحِصانِ النُّحَاسيّ، فَأَخْرَجَ سِنْدرَلادُ عُلْبَةَ القَدَاحَةِ مِنْ جَيْبِهِ، وَرَمى بِالصَّوانِ عَلى الحِصانِ، فَفَقَدَ الحِصانُ قُدْرَتُهُ على الحَرَكَةِ، وَوَقَفَ ساكِناً كَأَنَّهُ مَنْحوتٌ.



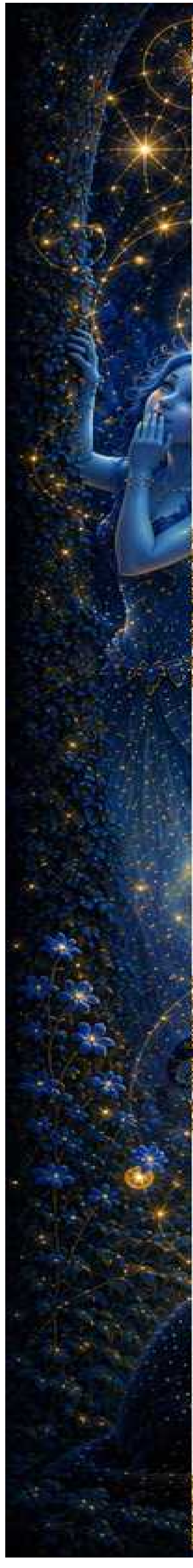
رَكِبَهُ سِنْدرَلادُ إِلى مَكَانٍ سِرِّيٍّ يَعْرِفُهُ، وَرَبَطَهُ هُنَاكَ، ثُمَّ عَادَ إِلى المَنْزِلِ. فَضَحِكَ إِخْوَتُهُ وَسأَلوهُ: "كَيْفَ كَانَتْ لَيْلتُكَ؟". أَجابَ: "نِمْتُ مُرتاحاً في الحَظِيرَةِ، وَلَمْ يَحْدُثْ شَيَءٌ، لا أَدْرِي لِماذَا كُنْتُمَا خائِفَيْنِ".



وَلَمَّا ذَهَبوا لِلنَّظَرِ، وَجَدُوا العُشْبَ قَائِماً كما كَانَ.







تَكْرارٌ حَصَلَ في لَيْلَةِ عيدِ القِدّيسِ يُوحَنّا التّالِيَةِ، فَذَهَبَ سِنِدرِلادُ مَرّةً أُخرَى، وَصَبَرَ عَلى ثَلاثِ زَلازِلَ. وَخَرَجَ لِيَرى حِصانًا آخَرَ، أَكبَرَ وَأَفخَمَ مِنَ الأَوَّلِ، عَلَيهِ سَرجٌ وَلِجامٌ وَدِرعٌ مِنَ فِضَّةٍ ناصِعَةٍ تَلمَعُ كَالزُّجاجِ. رَمى عَلَيهِ الصَّوانَ فَتَجَمَّدَ، وَرَكِبَهُ إلى مَكانِهِ السِّرِّيِّ، وَرَبطَهُ مَعَ الأَوَّلِ.



وعَادَ إلَى المنزِلِ، وَحينَ سُئِلَ عَنَ حالِ العُشبِ قَال: "هُوَ صَالِحٌ". وكَانَ كَمَا قَال، إذْ وجَدَ إخْوتُهُ العُشْبَ سليماً كَما كَانَ.



ثَالِثَةُ الأَثافي، جاءَتْ في الْعَامِ الثّالِثِ. ذَهَبَ سِندرِلادُ إلى المرْجِ، وصَبَرَ عَلى ثلاثِ زَلازِلِ، حَتَّى تَهَدَّمَتِ الحظيرَةُ. ثُمَّ خرَجَ فرَأى حِصانًا ثالثًا، أضخَمَ وأفخَمَ مِنَ الأثنَيْنِ، وَعَلَيهِ سَرْجٌ ولِجامٌ وَدرعٌ مِنَ ذَهَبٍ خالِصٍ، يَلْمَعُ حَتّى انعَكَس ضَوؤُهُ رَمى عَلَيهِ الصّوانَ فَوَقَفَ كالطُّنْبورِ، وَرَكِبَهُ إلى مَكانِهِ، وَربطَهُ مَعَ الآخَرَيْنِ.



إعلانٌ مَلكيٌّ هَزَّ المَمْلكةَ؛ فَقَدْ كَانَ لِلمَلِكِ ابنَةٌ جميلَةٌ لا نَظِير لَها في العَالمِ، وَأَعْلَنَ أَنَّ من يَصْعَدُ إلى قِمَّة التَّلِّ الزُجاجِيِّ، حَيثُ تَجْلِسُ ابنَتُهُ، سيتَزَوَّجُها ويَمْلِكُ نِصْفَ المَمْلكة.



كَانَ التَّلُّ الزُجاجِيُّ عَالِيَاً، أملَسَ كَالزُجاجِ، وَشَدِيدَ الانْحدارِ كَالجِدارِ. وَفِي اليَوْمِ المُحَدَّدِ، تَجَمْهَرَ النَاسُ، وَجاءَ المُلوكُ والأُمَراءُ وَالنُّبلاءُ مِنَ كُلِّ صَوْبِ.



وَجاءَ الأَخوانِ الأَكبرانِ لِكنَّهُمَا رفَضَا أَنْ يَأْخذَا سِندرَلادْ مَعَهُمَا، لِأَنَّهُ كَانَ قَذِرَاً وَمُمَزَّقَ الثِّيَاب.





فَارِسٌ نُحَاسِيٌّ ظَهَرَ في اليَوْمِ الأَوَّلِ، يَرْكَبُ حِصانًا رَائِعًا، وَدِرْعُهُ مِنْ نُحَاسٍ يَلْمَعُ كَالشَّمْسِ. انطَلَقَ نَحْوَ التَّلِّ الزُّجاجِيِّ، وَصَعِدَ ثُلُثَهُ بِسُهُولَةٍ كَأَنَّهُ طَرِيقٌ عَادِيّ، ثُمَّ أَدارَ حِصانَهُ وَنَزَلَ. رَمَتْهُ الأَمِيرَةُ بِتُفَّاحَةٍ ذَهَبِيَّةٍ، فَوَقَعَتْ في حِذَائِهِ، وَاخْتَفى بِسُرْعَةٍ.



فَارِسٌ فِضِيٌّ جاءَ في اليَوْمِ الثانِي، فَصَعِدَ ثُلُثَيِ التَّل، وَرَمَتْهُ الأَميرَةُ بِتُفَاحَةٍ ذَهَبِيَّةٍ أُخْرَى، فَوَقَعَتْ في حِذَائِهِ، وَاخْتَفى.



فَارِسٌ ذَهَبِيٌّ جاءَ في اليَوْمِ الثَّالِثِ، فَصَعِدَ إِلى قِمَّةِ التَّلِ، حَيْثُ تَجْلِسُ الأَمِيرَةُ، وَأَخَذَ التُّفَّاحَةَ الذَهَبِيَّةَ الثَّالِثَةَ مِنَ يَدِها، ثُمَّ نَزَلَ وَاخْتَفى.



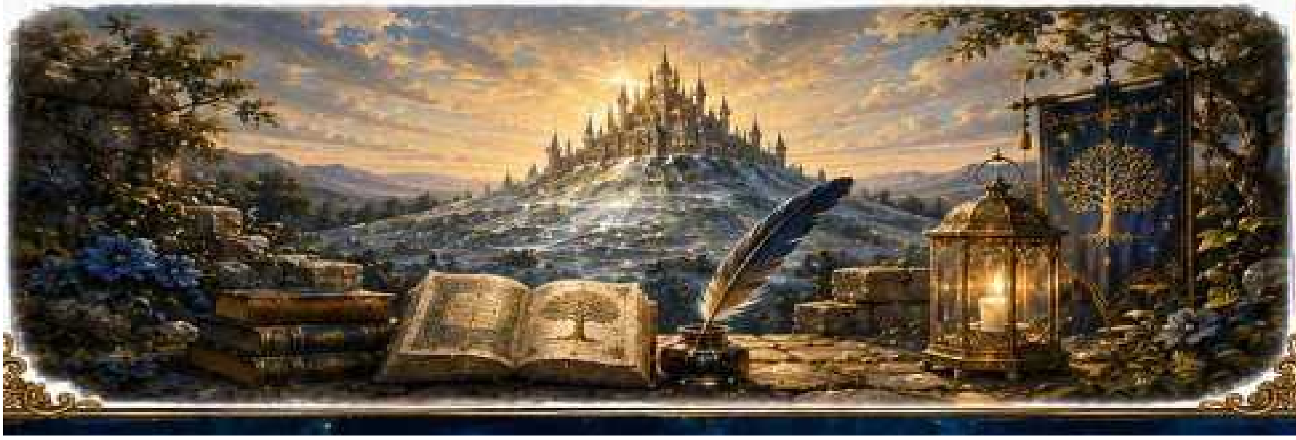
بَحَثَ عَنِ الفارِسِ الذَّهَبِيِّ في كُلِّ مَكانٍ، لِكِنْ لَمْ يُعْثَرْ عَلَيهِ،
فَأَمرَ المَلِكُ جَمِيعَ النَّاسِ بِالحُضُور إِلى القَصْرِ. حضَرَ الجمَيعُ،
وَآخَرَهُمْ كَانَ سِندرَلادْ مَعَ أَخَوَيْه، بِثَيابِهِ القَذِرَةِ المُمَزَّقَة.
وَعنْدَما جاءَتِ الأَميرَةُ لِتَنْظُرَ في وُجوهِهِمْ، رَأَتِ التَّفَاحَاتِ الذَّهَبِيَّةَ
الثَّلاثَ في جَيْبِ سِنْدرَلادْ، فَصرَخَتْ: "أَنتَ هُوَ الرَّجُلُ".
وَاحْتَضَنَتْهُ وَقَبَّلَتْهُ.



زَفافٌ كَانَ جزاءَ صَبْرِ سِنَدرَلادْ، فَتَزَوَّجَ الأَميرَةَ،
وَحصَلَ عَلى نِصِفِ المُمْلَكةِ، وَعاشَا سَعِيدَيْنِ.



تَنْتَهي حِكايَةُ "الأَمِيرَةِ على التَّلِ الزُجاجِيِّ"، وَتَبْقَى في القَلْبِ عِبْرَةٌ:
أَنَّ الصَبْرَ وَالشَّجاعةَ يُثْمَرانِ، وَأَنَّ التَّواضُعَ لا يَمْنَعُ العَظَمَةَ،
وَأَنَّ الحُلْمَ يَصِلُ بِصاحِبِهِ إِلى حَيْثُ لا تَصلُ السُّيوفُ،
وَأَنَّ الأَقْدارَ تَنْتَظِرُ مَنْ يَسْتَحِقُّها، وَلَوْ تَأَخَرَ ظُهُورُهُ.





الأميرُ أحمدُ والجنيَّةُ بارِيبانُو

سُلطانٌ كانَ لَهُ ثَلاثَةُ أَبْنَاءِ، وَابْنَةُ أَخٍ تُدْعَى "نُورَونِهُار".
كَانَتْ نُورَونِهَارُ يَتِيمةً، تَرَبَّتْ فِي قَصْرِ السُّلْطانِ مَعَ الأَبْنَاءِ
الثَّلاثَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَبْلَغَ النِّسَاءِ، رَغِبَ السُّلْطانُ فِي تَزْوِيجِها.



لَكِنَّهُ لَمَا رَأَى أَبْنَائَهُ الثَّلاثَةُ قَدْ وَقَعُوا فِي حُبِّها، خَافَ أَنْ يَتَشاجَرُوا،
فَجَمَعُهُمْ وَقَالَ: "سافِرُوا كُلٌّ فِي اتِّجَاهٍ، وَمَنْ يَأْتِنِي بِأَغْرَبِ تُحْفَةٍ
فَلَهُ الزَّوَاجُ مِنْ نُورَونِهُار".



فَافْتَرَقُوا، وَوَعَدُوا بِاللِّقَاءِ بَعْدَ عامٍ كامِلٍ.



سَافَرَ الأميرُ حُسَيْنُ إلى مَدينَة "بِسْنَاغَارْ"، عاصِمَة مَمْلَكَةٍ بعيدَة.
وَبَيْنَما هُوَ يَتَجَوَّلُ فِي أَسْوَاقِهَا، سِمِعَ مُنَادِيَاً يَعْرِضُ سَجَّادَةً سِحْرِيَّةً،
وَيَطْلُبُ فيها ثَمَانِينَ كِيسَاً مِنَ الذَّهَبِ. فَسَأَلَ عَنْ سِرِّهَا،
فَقَالَ المُنادِي: "مَنْ يَجْلِسُ عَلَيْها يَنْتَقِلُ إلى حَيْثُ يَشاء في لَحْظَةٍ".
فَاشْتَرَاها حُسَيْنُ، وَاخْتَبَرَها فَوَجَدَها صادِقَةً، فَفَرِحَ بِها أَشَدَّ الفَرَحِ.



أَمّا الأَميرُ عَلِيٌّ، فَوَصَلَ إلى مَدينَةَ "شِيرَازْ" فِي فارِسَ، ورأى مُنادِيَاً يَعْرِضُ
نظَّارَةً منَ العاجِ، وَيَطْلُبُ فيها ثلاثِينَ كِيسَاً منَ الذَّهَبِ. فَسَأَلَ عنْ خَصَائِصِها،
فَقَالَ المُنادِي: "منْ يَنْظُرُ مِنها يَرى ما يَشاء في أَقْصَى البِلاد".
فَاشْتَرَاها عَلِيٌّ، وَنَظَرَ مِنْها فَرَأَى أَباهُ وَنُورونْهارُ، فَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ.



ولكنَ الأَميرُ أَحْمَدُ، فَذَهَبَ إلى "سَمَرْقَنْدَ"، ورأى مُنادِيَاً يَعْرِضُ تُفَّاحَةً سِحْرِيَّةً،
وَيَطْلُبُ فيها خَمْسَةً وَثلاثينَ كِيسَاً. فَسَأَلَ عَنْ فائِدَتِها، فَقَالَ المُنادِي:
"هذِهِ التُّفَّاحَةُ تَشْفِي كُلَّ مَرِيضٍ بِمُجَرَّدِ شَمِها،
حَتَّى لَوْ كانَ فِي رَمَقِ المَوْتِ". فَاشْتَراها أَحْمَدُ،
وانْتَظَرَ القَافِلَةَ لِلعَوْدَةِ إلى بِلادِهِ.





اجْتَمَعَ الأَبْناءُ في المَكانِ المَوْعودِ، فَأَخْرَجَ عَلِيٌّ نَظّارَتَهُ وَنَظَرَ مِنْها، فَرَأى نُورَونَهارَ. تَحْتَضِرُ. فَجَلَسوا على السَّجّادَةِ السَّحْرِيَّةِ، وتَمَنَّوْا الوُصولَ إليْها، فإذا بِهِمْ في غُرْفَتِها في لَحْظَةٍ.



وَضَعَ أَحْمَدُ التُّفّاحَةَ تَحْتَ أَنفِها، فَفَتَحَتْ عَيْنَيْها وَشُفِيَتْ فِي الحالِ، فَرِحَ السُّلْطانُ، وَطَلَبَ مِنَ الأَبْناءِ أَنْ يَرْمُوا بِالسِّهامِ لِيَخْتارَ الزَّوْجَ.



رَمَى حُسَيْنٌ وَعَلِيٌّ، أَمّا سَهمُ أَحْمَدَ فَطارَ بَعيدًا جِدًّا، وَلَمْ يَجِدْهُ أَحَدٌ، فَحَكَمَ السُّلْطانُ لِعَلِيٍّ، وتَزَوَّجَ نُورونهارَ.



غادَرَ الأَميرُ أَحمدُ القَصرَ حَزِيناَ، وَانطَلقَ يَبْحَثُ عَنْ سَهمِهِ في الصَّحَراءِ
سارَ حَتَّى بَلَغَ صُخوراً شاهِقَةً، وَوَجَدَ سَهمهُ مَطْرُوحاً عَلَى الأَرْضِ،
فَتَعَجَّبَ كَيْفَ وَصَلَ إِلَى هُنَا.
وَإِذْ بِهِ يَرَى بَاباً حَدِيدِيّاً مَفْتُوحاً، فَدَخَلَ فَوَجَدَ نَفْسَهُ في مَكانٍ وَاسِعٍ،
وَأَمامَهُ قَصرٌ بَهِيجٌ. وَبَيْنَما هُوَ يَتَأَمَّلُ، إِذْ بِسَيِّدَةٍ جَمِيلَةٍ تَخْرُجُ مِنَ القَّصرِ،
وَتَقُولُ لَهُ: "اقْتَرِبْ يا أَميرَ أَحمَدَ، أَهْلًا بكَ".





فَتَعَجَّبَ كَيْفَ عَرَفَتِ اسْمَهُ، فَقَالَتْ: "أَنَا ابْنَةُ أَحَدِ أَقْوَى الجِنِّ،
وَاسْمِي بارِيَانُو.
لَقَدْ كُنْتُ حاضِرَةً عِنْدما رَمَيْتَ سَهْمَكَ، فَأَخَذْتُهُ في الهَواءِ
وَوَجَهْتُهُ إِلى هُنا لأُقَابِلَكَ".
ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَيْهِ بِحُبٍّ، وَقَالَتْ: "هَلْ تَقْبَلُ أَنْ تَكُونَ زَوْجِي؟"



فَقَبِلَ أَحمدُ فَرِحاً، وَتَزَوَّجا في حَفْلِ اسْتَمَرَّ أَيّاماً.





مَضَتْ سِتَّةُ أَشْهُرٍ، وَأَحْمدُ سَعِيدٌ مَعَ بارِيِيَانُوَ في قَصْرِها. لَكِنَّهُ اشْتَاقَ إِلى أَبِيهِ، فَاسْتَأْذَنَها لِيَزُورَهُ. قَالَتْ: "اذْهَبْ، لَكِنْ لاَ تُخْبِرْ أَبَاكَ بِزواجِكَ مِنِّي، ولاَ بِمَكَانِي". فَذَهَبَ إِلى السُّلْطانِ، فَفرِحَ بِهِ، وَسَأَلَهُ عَنْ أَحْوالِهِ، فَأَجابَ بِغُمُوضٍ.



عادَ أَحْمدُ إِلى بارِيِيَانُوَ، ثُمَّ زَارَ أَبَاهُ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً، وكانَ يَأْتِي كُلَّ مَرَّةٍ بِهَيْئَةٍ أَفْخَمَ. فَغَارَ مِنْهُ بَعْضُ الوُزراءِ، وَأَشْعَرُوا السُّلْطان بِأَنَّ أَحْمدَ قَدْ يَطْمَعُ في العَرْشِ، فَخاف السُّلْطانُ، واسْتَدْعَى ساحِرَةً لِتَتَجَسَّسَ عَلَيْهِ.



ذَهَبَتِ السَّاحِرَةُ إِلى مَكانِ اخْتِفاءِ أَحْمدَ، فَلَمَّا رَآها أَحْمدُ في صَباحِ يَوْمٍ، تَظاهَرَتْ بِالمَرَضِ، فَأَخَذَها إِلى قَصْرِ بارِيِيَانُوَ. فَعَرَفَتِ الجِنِّيَّةُ بخُبْثِها، وَقالَتْ لأَحْمدَ: "هَذِهِ امْرَأَةٌ خادِعَةٌ، لَكِنْ لا تَخَفْ، سأُنْقِذُكَ مِنْ مَكائِدِها".



عَادَتِ السَّاحِرَةُ إِلى السُّلْطانِ، وَأَخْبَرَتْهُ بِعَظَمَةِ قَصْرِ أَحْمَدَ، وَنصَحتْهُ أَنْ يَطْلَبَ مِنْ أَحْمَدَ أَشْيَاءَ مُسْتَحِيلَةً لِتُرْهِقَ الجِنِّيَّةَ. فَطَلَبَ السُّلْطانُ مِنْ أَحْمَدَ خَيْمَةً تَسعَ جَيْشَهُ، وَتَكُونَ في كَفِّ رَجُلٍ: فَطَلَبَ أَحْمَدُ ذلِكَ مِنْ بارِيبَانُو، فَأَعْطَتْهُ الخَيْمَةَ في الحالِ.



ثُمَّ طَلَبَ السُّلْطانُ ماءِ "نَافُورَةِ الأُسُودِ"، الَّذي يَشْفِي كُلَّ داءٍ. فَذَهَبَ أَحْمَدُ، واجْتازَ الأُسُودَ بِحِيلَةِ بارِيبَانُو، وَأَحْضَرَ الماء في قَارُورَةٍ.

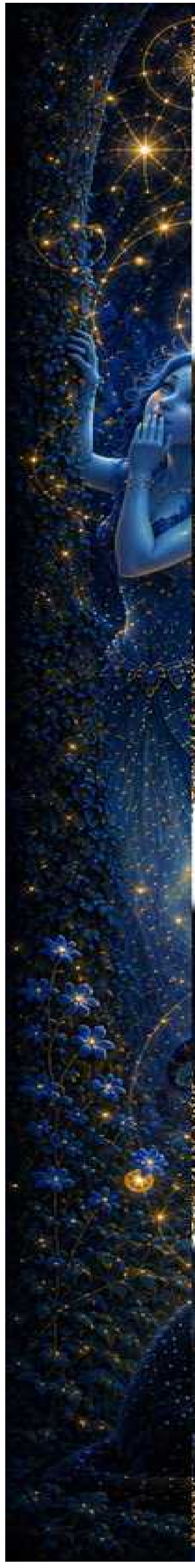


مِجَدَدًا طَلَبَ السُّلْطانُ رَجُلاً طُولُهُ ذراعٌ وَنِصْفُ، وَلِحْيَتُهُ ثُلاثُونَ ذراعاً. فَاسْتَدْعَتْ بارِيبَانُو أَخاها "شَيَّبارَ"، وَكانَ عِملاقاً شَرِساً يَحْمِلُ عَصاً مِنْ حَدِيدٍ.





ذَهَبَ شَيَبارُ مَعَ أَحْمَدَ إلى قَصرِ السُّلْطان. فَلَمَّا رَآهُ النَّاسُ هَرَبوا، ودَخَلا قَاعَةَ المَجْلِسِ. صَعَدَ شَيَبارُ إلى العَرْشِ وسَأَلَ السُّلْطان: "لَقَدْ طَلبتَنِي، فَماذَا تُريدُ مِنِّي؟". لَكِنَّ السُّلْطانَ، مَذْعُوراً، ضَرَبَ بِيَدَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ. فَغَضبَ شَيَبارُ ورَفَعَ عَصَاهُ وقَتَلَهُ، حَاولَ الأَميرُ أَحْمدُ التَدَخُلَ لمَنعَ قَتْلِ الوَزِيرِ الأَكبرِ، لَكنَّ شَيَبارُ قَتَلَ باقي الوَزراءِ وَالمُقَرَّبِينَ الذَينَ كانُوا أَعداءً للأَمِيرِ، وأَجْلَسَ أَحْمَدَ عَلَى العَرْشِ، وَأَحْضَرَ بَارِيبَانَو لِتَكُونَ مَلِكَةً.





تَنْتَهِي حِكايَةُ "الأَميرِ أَحمدَ وَالجِنِّيَّة بَارِيبَانَو"، وَتَنْبضُ في القَلبِ عَبْرَةٌ. أَنَّ الحُبَّ الصَّادِق يَصْنَعُ المُعْجِزَاتِ، وَأَنَّ الوفَاءَ يُثْمِرُ خَيْرًا، وَأَنَّ



السُّلَطةَ لا تَدومُ بِالظُّلمِ، وَأَنَّ الخَيْرَ يَنْتَصرُ في النِّهايَةِ.



جاكُ قاتِلُ العَمالقةِ

ملكٌ عَظيمٌ كانَ يحكمُ إنجلترا في زَمِنِ الفُرسانِ، هوَ الملكُ آرثرُ، صاحبُ المائدةِ المستديرةِ الشهيرةِ.



وفي مقاطعةِ كورنوَال، كانَ يعيشُ فتًى شَجاعٌ اسمُه "جاكَ ، وكانَ ذَا قَلبٍ جرِيءٍ، يَأْخُذُ لذَّتَه في الإِستماعِ إلى حكاياتِ السحرةِ والعمالقةِ والفرسانِ، ويقْرَأُ بلَهفَةٍ عنْ مآثرِ أبطالِ المائدةِ المستديرةِ.



وفي تَلكَ الأيامِ، كانَ على جبلِ "سانت مايكل" قبالةِ سواحل كورنوال ، يُقَيمُ عملاقٌ هائلٌ ، طولُه ثمانية عشر قَدماً، ومُحيطُ جسدِهِ تسعةُ أقدامٍ، وكانتْ ملامحه الوحشيةُ تُرعب كلَّ منْ يراهُ. كانَ يسكنُ في كهفٍ مظلمٍ على قمةِ الجبلِ، ويخوض البحرَ إلى البرِ الرئيسي بحثاً عنْ فريسته، فيحملُ على ظهرِهِ ستةَ ثيرانٍ، ويربطُ حول خصرِه ثلاثة أضعافِ ذَلكَ عدداً منَ الخرافِ والخنازير، ثمَّ يعودُ إلى مسكنِه.







عَزمٌ قويٌّ تملَّكَ جاكاً حينَ علمَ أنَّ هذا العملاق قدْ فعلَ ذلكَ لسنواتِ طوالٍ، فقرَّرَ أن يُخلِّص البَلادَ منْ شرِّه. أخذَ جاكَ بوقَاً، ومجرفةً، ومعولاً، ودرَعَاً، ودِرَعاً، وفانوساً مظلَماً، وفي إحدى لِيالي الشتاء الباردةِ، انَطلَق إلى الجبل، وحفر حفرةً عمقُها اثْنانِ وعشرِونَ قدَماً، وعرضَها عشرِونَ قدَماً، وغطَّاها بالفروِع لتَبدو كأرض صلبةِ.



ثُمَّ نَفخ في بوقِه بأعلى صوتِه، فاستيقظَ العملاقُ وخرجَ منْ كهفِه، وهوَ يَصرخُ: "أيُّهاَ الوَغدُ الوقَحَ! ستدفعُ ثَمنَ هذا! سأشْويِكَ على فطورِي"! وما إنَ أتمَّ كلامه حتى خطا خطوةً أخرى، فسقطَ على رأسِه في الحفرة، فضَربُه جاكَ على رأسِه بِمعوله فقتَلَه.



ثُمَّ عادَ إلى منزلِه ليُبشِّرَ أصدقاءَه بِالنصرِ.



عَملاقٌ أخَرُ، اسمُه "بلندربور" (Blunderbore)، أقَسمَ أنْ يَنتقِم منْ جاكِ إنْ وقعَ في يَدَيْه، كانَ هذا العملاقُ يَسكنُ في قلعةٍ مسحورةٍ وسطَ غابةٍ مقفرةٍ.



وبعدَ فتَرةٍ منْ مقتلِ كورمان، كانَ جاكَ يَمُرُّ بتَلكَ الغابةِ، فَأعياَهُ التعبُ، فجَلسَ تحتَ شجرةٍ وغَطَّ في نومٍ عميقٍ. مرَّ به العملاقُ، وحمَلَهُ إلى قلعتهِ، وسجنَهُ في غرَفةٍ كبيرةٍ، كانتْ أرضُها مُغطاةً بجماجمِ وعظامِ الرجالِ والنساءِ الذينَ قتلَهم. ثُمَّ خَرجَ العملاقُ ليجلِب أخاهُ العملاقَ الأخَرَ ليأكلا لحمَ جاكِ معاً.



ونظرَ جاكٌ منْ خلفِ قضبانِ سجنِه فرأى العملاقينِ يقتربانِ، فخافِ، لكنَّهُ رأى في زَاويةِ الغرفةِ حبلاً قويًا، فصنعَ عُقدةً منزلقةً في كلِّ طرفٍ، وألقاها على رقبتي العملاقَينِ، وربطَها يقضبانِ النافذةِ، ثُمَّ شدَّ حتى خَنَقهما، وطعنَهما في قلوبِهما حتى ماتا.







مفتاحٌ كَبيرٌ وجدَهُ جاكُ في جيب بلندريور، ففتحَ بهِ أبواب القَلعَةِ، وفَتش كلَّ الغرفِ، حتى وجدَ ثلاثِ سيداتِ جميلاتِ، مَربوطاتِ بشعورِهِنَّ، وكُنَّ على وشكِ الموتِ جوعَاً.



أخبرْنَهُ أَنَّ أَزواجهُنَّ قُتِلوا على يدِ العملاقين، وأنَّهما حكَما عليهنَّ بالجوعِ حتى الموتِ لأنَّهنَّ رَفضْنَ أنْ يَأكُلْنَ لحمَ أزواجهنَّ الميّتِ.



فقَالَ لَهُنَّ جاكَ: "لقد أنهيتُ على هذين الوحشين، وأنا أُهديكُنَّ هذه القلعَةَ وكلَّ ما فِيها مِنْ كنوزِ، تعويضاً عنْ آلامكُنَّ". ثُمَ سلَّمهُنَّ المفاتِيحَ، ومضَى في رَحِلتِه إلى ويلزَ.



مالَ قليلَ كانَ معَ جاكِ، فسار بأَسرع ما يَستطيعُ، حتى بلَغ منزلاً أنيقاً، فطرقَ بابَه، فخرجَ إليه عملاقٌ ويلزيٌ، ورحَّبَ به، وأدخلَهُ غرفةً فيها سريرٌ مريحٌ.



خلَعَ جاكُ ثيابَه مسرعاً، لكنَّهُ لَمْ يَستطعْ أنْ ينَامَ، إذْ سمعَ العملاقَ يَمْشِي في الغرفةِ المجاورةِ ويُردِّدُ:

"رغْمَ أنَّكَ تَبيتُ الليلةَ عندي،
لنْ ترى ضوْءِ الصباح.
فهَراوتِي ستَحْطِمُ رأسكَ حتماً".



فكَّرَ جاكُ في نَفسِهِ: "أهذهِ خطَّتكَ معَ المسافِرينَ؟ لكنَّني سأكونُ أذكىَ منْكَ". فنهضَ، وفتَّش الغرفةَ، ووجدَ جذْعَ خشبٍ كبيراً، ووضَعهُ في سريرِهِ مكانَهُ ، واختَبأَ في زاويةٍ مظْلمة. وفي منتصفِ اللّيلِ، دَخلَ العملاقُ، وضربَ الجذعَ بِهراوتِهِ عدة ضرباتٍ، وهو يَظُنُّ أنَّهُ يَكسِرُ عظامَ جاكِ، ثُمَّ عادَ إلى غرفتِه.



صباحَ باكرٌ، خرجَ جاكَ منْ مخبئهِ، ودَخلَ على العملاق بِوجهِ جريءٍ، وشَكَرهُ على ضيافتهِ. اندَهشَ العملاقُ وقالَ: "أَهذا أنتَ؟ كيفَ نِمْتَ الليلةَ؟ هلْ سمعتَ أو رأيتَ شيئاً؟" قالَ جاكَ بتَهاوُنٍ: "لاَ شيءَ يُذْكَرُ، سوى أَنّ فأراً ضربني بِذَيلهِ ثلاثَ أو أربعَ مراتٍ، فأزعجني قليلاً، لكنّي عدتُ إلى النومِ.



تعجَّبَ العملاقُ أكثَرَ، وذهبَ ليُحْضرَ وعاءينِ كبيرينِ منْ عصيدة الشوفانِ للإفطَار. أرادَ جاكَ أنْ يُوهمَ العملاقَ بأنّهُ يأكلُ مثله، فخاطَ كيساً جلديّاً داخلَ ثوبهِ، وكانَ يَصُبُّ العصيدةَ في الكيسِ بينما يُظهِرُ أنّه يَضَعُها في فمهِ. وعندَما انتهى، قالَ للعملاق: "سأُريكَ خدعةً رائعةً: أستطيعُ أنْ أشفي أيَّ جرحٍ بلمسةٍ، بلْ أستطيعُ أنْ أقطعَ رأسي ثُمَّ أُعيدَهُ مكانه في لحظةٍ، شاهِدْ!" وأمسكَ بالسكينِ، وشقَّ الكيسَ الجلديَّ، فانسكبَتِ العصيدةُ على الأرض.



فسرخَ العملاقُ الويلزيّ: "هذا سهلٌ! سأفعلُها أنا أيَضاً!" وأمسكَ السكينَ وطَعنَ بِها نَفسه في بطنِهِ، فسقطَ ميتًا في الحال.



معداتٌ سحريةٌ، حصلَ عليها جاكٌ بعدَ هذهِ الانتصاراتِ، فقَدْ زَوّدَ نفسه بحَصانٍ، وقَبعةِ المعرفَةِ، وسيفِ القَطْعِ، وحذاءِ السرعة، ومعطَفٍ يُخَفي صاحبَه عنِ الأنَظار، لِيَكونَ على أتَمِّ استعدادٍ للمغامراتِ القَادمة.



سارَ عبْرَ التلالِ، وفي اليومِ الثَالث، دَخلَ غابَةً واسعةً، وإذا بعَملاق هائِلٍ يُجَرُّ منْ شعورِهما فارَساً وسيدته، نَزَل جاكٌ عَنْ حصانِه، وارْتَدى معطَفَ الخفاءِ، وحمَلَ سيفَ القَطَعِ، وأقْتَرَبَ منَ العملاق، وروجَهَ لهُ ضَرَباتِ مُتَعددةً في فخَذيْه، ثُمَّ قطَعَ رَجليهِ، وطَعنَهُ في قلبِه فماتَ. شَكرَ الفارسُ وسيدتُه جاكاً، ودَعواه إلى منزِلهما لِيُكافَأه، لكَنَّ جاكاً رفَضَ، وقال: "لاَ أستريحَ حتَى أجِدَ مسكنَ هذا الوحشِ".



فدلّاَه على الطريقِ، فانطلقَ حتَى بلغَ عملاقًاَ آخرَ كانَ جالسَاَ على جذعِ شَجرةٍ يَنْتظَرُ عودةَ أخيه، ضربَهُ جاكٌ، لكنَهُ أخَطأَ رأسه وقَطَع أذنَه فقَطْ. فنَهضَ العملاقُ وضَرَبَ بهِراوتِهِ يمينًاَ وشَمالاً، فقَفَز جاكٌ على الجذعِ وطَعنَهُ في ظَهرِه، فسقطَ ميتَاَ.





جبَلٌ عالٍ كانَ وجِهتَه التّاليَةَ، فوصَلَ إلى كوخِ ناسكٍ عجوزٍ، أخبَرهُ أنّ على قِمةِ الجبلِ قلعة مسحورة، يَسكنُها العملاقُ "غاليِغانتوس" (Galligantus) وساحرٌ خبيثٌ وقدْ خطَفا ابنةَ دوقٍ وحوّلاها إلى أيلِة. وعدَ جاكٌ النّاسكَ بأنّه سيَكسرُ السحرِ في الصباح.



ارتدَى معطفَ الخفاءِ، وصَعِد الجبَلَ، فوجَدَ وحشينِ ناريَّيْنِ، لكنّه مَرّ بينَهما دونَ خوفٍ لأنّهما لمْ يَرياهُ. وعندَ بوابة القَلعة، وجدَ بَوقًا ذهبيًا، مكتوبًا تحتَه:

"مَنْ يَستطعْ أنْ ينَفُخَ في هذا البوقِ،
سيُسَبِّبُ سقَوطَ العملاقِ".

فنفخَ جاكٌ فيهِ نفخةً مدويَةً، فاهتزّتِ القَلعةُ، وارتعَبَ العملاقُ والساحرُ.



قتَلَ جاكٌ العملاقَ بسيفه، واختَطَفتْ عاصفةُ الساحرَ، وعادَ كلٌّ منْ كانَ مُسَحَّرَاً إلى شكلِهِ الطبيعيُ، واختَفَت القَلعة كالدخانِ.



مجدٌ كانَ جزاء جاكِ، فَقَدْ أُرسلَ رأسَ العملاقِ إلى الملكِ آرثرَ، وتزَوجَ جاكُ ابنَةَ الدوقِ، وأصبحَ فارساً مشهوراً، وعاشَ هو وزَوجتُه في سعادةٍ وَهناءِ، بعدَ أنْ عَلَّمتنَا الحكايةُ أنَّ الشجاعة والذَكاء يَنتَصِرانِ على القُوةِ الغاشمة، وأنَّ الوفاء بالوعد يُوجِبُ المخاطرة، وأنَّ البطل الحقيقيَّ ليسَ مَنْ يقتُلُ العمالقةَ فقطْ، بلْ مَنْ يُحرِّرُ المظلومينَ ويُعيدُ الأمَلَ إلى القلوبِ الخائفة.



تنتهي حكايةُ "جاكُ قاتِل العمالقَة"، حكايةُ الفتى الذيَ واجهَ العمالقَةَ بالدهاءِ والقوة، وأصبحَ بطَلاً في زمن الفرسانِ، سفاحاً ربما !، تَاركاً في القَلبِ عِبْرَةً خالدَة:



أنَّ البطولةَ لا تُقاسُ بحجمِ الجسد، بلْ بحجمِ القلبِ، وأنّ المخاطرةَ منْ أجلِ الآخرينَ هي أسمى معاني الشجاعةِ، وأنَّ الذكاءِ قدْ يَصنعُ ما لا تَصنعُهُ السيوفِ، وأنَّ العدلَ لا بُدَّ أنْ ينتصرَ، ولوْ بعد حينِ.





العَملاقُ الأحمرُ

(The Red Etin)

أرمِلتُانِ كانتَا تعيشانِ عَلى قطعةِ أرضٍ صغيرةٍ يَستَأجرانِها مِنْ مُزارعٍ، إحدَاهمَا لها اِبنَانِ، والأخرى لها ابنٌ واحدٌ، وحانَ الوقتُ لتُرسِلَ الأمُّ التَي لها اِبنانِ أِبناءَها لِيطَلبَا رزقهما فِي الدنيا.



قالتُ لِابنها الأكَبرِ ذاتَ يومٍ: "خُذْ هذا الإناء واذهبْ إلى البئرِ واِتِني بماءٍ لأَخبَزَ لكَ كَعكةً،



وكثرةُ الماءِ أو قِلّتُه ستَجعل الكعكة كبيرةَ أوِ صغيرةَ بقدرِه، وَتلك الكعكة ستكونُ كَلّ مَا أستَطيعُ أنْ أُعطيَك لرحلتِك".



ذهبَ الفتى إلى البئرِ وملا الإناءَ،
لكنَّ الإناءَ كانَ مَشقوقاً، فتَسرّبَ معظمُ الماءِ
في طريق عودتِه،
فصارت كعكتُه صغيرةً جداً.



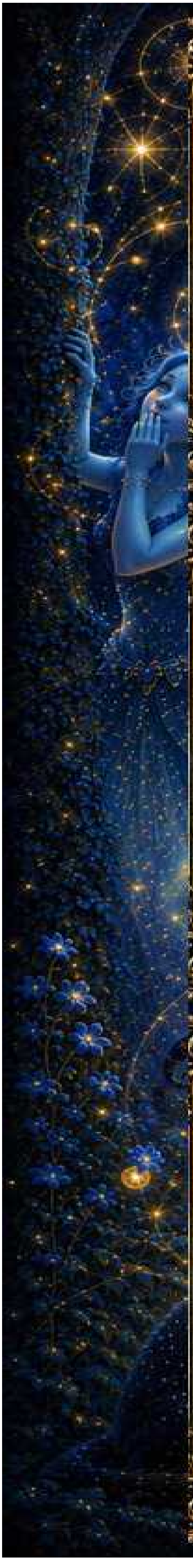
ومعَ صِغرِها، سألتْه أمُّه: "أتَرَضى بنصفها معَ بَركتَي،
أمْ تَأخُذُها كَلَّها مع لعنتَي "
ففكَّرَ الفَتى أنَّهُ سيقَطع طريقَاً طويلاَ،
وقد لا يِجدَ طعامَاً آخرَ،
فقال: "سآخُذُ الكعكةَ كَلَّها،
مهما كانَ في لعنتِكَ منْ شرٍّ".
فَأعطتُهُ الكعكةَ كَلَّها معَ لعنِتها.



ثُمَ أخذَ الفتى أخاهُ جانبَاَ وأعطاهُ سكيناَ، وقال لَهُ:
"أنِظَرْ إلى هذا السكينِ كلّ صباحِ،
فما دامَ لامعُاَ، فَاعَلمُ أنّي بخيرِ،
وإذا صدِئَ، فَاعَلمُ أنَّ مكروهاً قدْ أصابني".







سار الفتَى يومهُ كَلّهُ، واليومَ التالي، وفي اليومِ الثالث بعَد الظهر، بلغَ راعياً معَ قطيعِ غنمٍ، فَسأَلَه عَمَّن تملكَ هذهِ الغنمَ، فأَجاب الراعِي بأَبياتِ شعرية:



" العملاقُ الأَحمرُ من إيرلندَا
كانَ يُقيمُ في بِيليغان،
وسرَق ابنة الملكِ مالكولمُ
ملكِ اسكتلندا الجميلةَ.
يَضرِبُها ويرَبطُها
ويضعُها في قيود،
ويَضربُها كَلَّ يومٍ



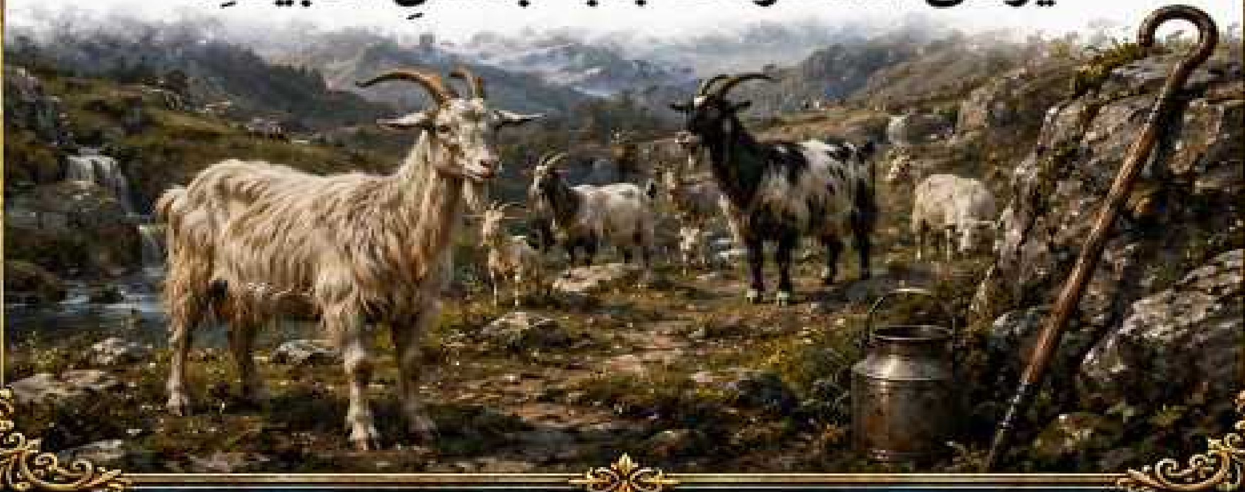
بقضيبٍ مِنْ فضَةِ مَصقُولْ.
مثْلَ يوليانَ الرومانيَّ
لا يَخَافُ منْ إنسان.
يُقالَ إنَّ هناكَ رجلاَ
سيَّكونُ عدوُه الأكبرُ،
لكنَّ ذَلكَ الرَجلَ لمْ يُولَدْ بعدُ
وليتَ الزمانَ يُؤَخرُه "



مضى الفتى في طريقِه، ولمُ يَبعُدُ كثيراً
حتَى رأى شيخَاَ طَاعناَ في السنَّ
يَرْعى قطيعَاَ منَ الخَنازير، فَسألَهُ عَمَّنْ تَملكُ
هذهِ الخَنازيرَ، فأجابَ الشيخُ بنفسِ الأبياتِ.

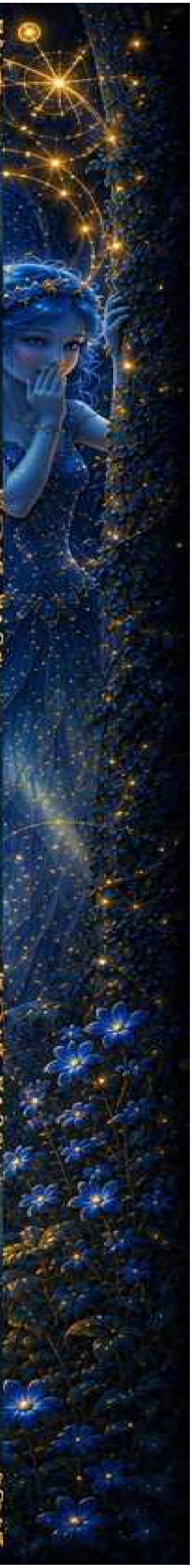


ثمُ سارَ قليلاً حتَى بلَغَ شيخَاَ ثالثاَ
يَرْعى الماعَزَ، فأجابَهُ بنفسِ الأبياتِ.



وأضافَ: "احذَر الوحوشُ التي ستَلْقَاها
بعدَ قليلٍ، فهي من نوعٍ مختلفٍ
عَمَّا رأيت".







وحوشٌ مفزَعةٌ كانتْ تَنتَظرُه، فمضى الفتَى قليلاً، فرأى جبهرةً مِنَ الوحوش المرعبَةِ، لكلِّ واحدٍ مِنها رأسانِ، وعلى كلِّ رأسٍ أربعةُ قرونِ.



خافَ الفتَى خوفاً شدِيداً، وركضَ بأسرعِ ما يستطيعُ حتَى بلَغَ قلعةً على تَلَةٍ، بابُها مفتوحٌ على مصراعيْه، فدَخلها لِيلجأ منَ الوحوش، وإذا بعجوزٍ تجلسُ بجانبِ نارِ المطبخ.



استأذنَها في المبيتِ، فوافقتْ، لكنَّها حذَّرتْهُ:
"هذِه القلعةُ ليستْ مكاناً آمناً، إنَّها للعملاقِ الأحمرِ، الوحش ذي الرؤوسِ الثلاثَة، الذي لا يُبقي على أحدٍ".
خافَ الفتى، لكنَ الوحوشَ في الخارجِ كانتْ أشدَّ خطراً، فتَرَجَّى العجوز أنْ تُخفيَه، وأخفتْه في حفرةٍ تحت الأرضِ.



دَخلَ الوحشُ العَملاقُ الأحَمرُ، وما إنْ وطِئَتْ قدَماهُ عتَبَةَ القَلعةِ حتَى صرخَ بِأعلى صوتِه:



"أَشَمُ رائحَةَ إنَسانِ منْ هنَا ومنْ هنَاكَ،
أَشَمُ رائحةَ إنسانِ! أكانَ حيًّا أمْ ميتاَ،
سأجعَلُ قلبَّه عشاءً لخبَزي ".

وبحثَ عنِ الفتى حتَى وجدَه، وأخرَجه منْ مخبئِه، وقال لهُ: "سأعَطِيكَ فرصَةً للحياةِ، إنْ أجبتَ عنْ ثلاثةِ أسئِلَةِ:



أيُّ البلادِ سُكنَتْ أولاً، إيرلَنَدا أمْ اسكتَلنَدا؟ وهلْ خُلَقَ الرجَلُ لأجلِ المرأةِ، أمْ المرأةُ لأجلِ الرَجَلِ؟ وهلْ خُلَقَ البشرَ قبَلَ الحيواناتِ، أمْ الحيواناتُ قبَلَ البَشرِ؟ "

لَمْ يستَطعِ الفتى الإجابةَ، فضربَهُ الوحَشُ بهراوتِهِ على رأسِهِ، وتَحوَّل إلى عمَودٍ منَ الحجرِ.





نَظَرَ الأَخُ الأصغرُ في صباح اليومِ التَالي إلى السكينِ الذَي أعطاهُ لَهُ أخوهُ،
فوجدَهُ قدْ صَدِئَ بالكاملَ، فعلِم أنَّ أخاهُ قدْ هلكَ.
وقَالَ لأمُه: "حانَ وقَتْ رحيلي".
وكرَّرَتْ معهُ أمُّه نفس الطقس:
ذهب إلى البئرِ، وعادَ بقليَلِ منَ الماء، فصارتْ كعكتُه صغيرةً،
واختَارَ أنْ يأخذَ الكعكةَ كلُها معَ لعنِتَها، وانطلق.

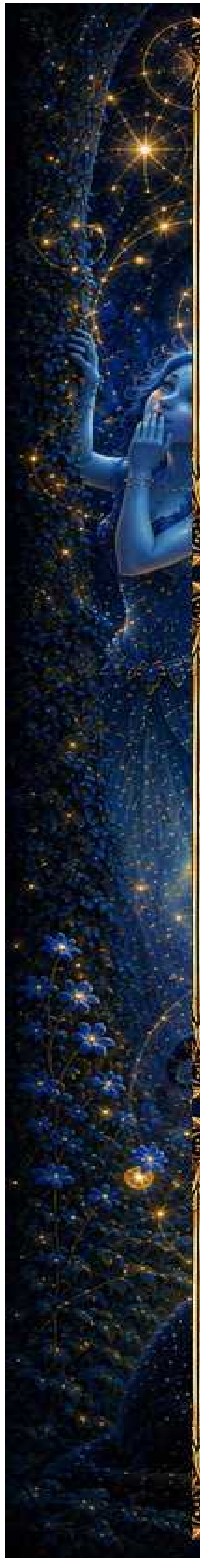


وفي الطريقِ، التقَى بالراعي، وبالشَيخين، وبالوحوشِ،
ودخلَ القلعةُ، وأخفتُه العجوزُ.
وجاء الوحش وطرح عليه الأسئَلةُ نفَسَها،
فلَم يستطعَ إجابتَها،



فلَم يسَتطعَ إجابتَها، فضربهُ وتَحوَل إلى عمودٍ منَ الحجر أيضاً.





أمّا الأرملةُ الأخرى وابنُها، فقد علِما بمَا حدثَ منْ جنيةٍ،
فقَرَرَ الفتى أنْ يَخرُجَ هوَ الأخرُ لِيُحاولَ إنقاذَ أخويِهِ.
وقالتْ لهُ أمُه: "اذهبْ إلى البئرِ وأتني بِمَاءٍ لأخبِزَ لكَ كعكةً".



ذهبَ الفتى، وفي طريقِ عودتِهِ، سمعَ غراباً يَصرخُ منْ فوقِه:
"أنْظُرُ، إنَّ المَاءَ يَتَسَرَّبُ منَ الإناءِ!"
فَالتفتُ الفتَى، ورأى الماءَ يَتَسَرَّبُ، فأخَذَ طينًا وسدَّ بِهِ الشَقُوقَ،
وعادَ إلى أُمِهِ بِماءٍ وافرٍ، فصارتْ كعكتُه كبيرةً.



وعندَما سَألَتْه أمُه:
"أتأخُذُ نَصفَ الكعكةِ معَ بَركتي، أم الكَعكةَ كلّها معً لعنَتي؟"
قال: "سأخُذُ نَصفَ الكَعكةِ معَ بَركتِك".
فكانَ نصفُها أكبرَ منَ الكَعكةِ الكاملِةِ التي أخذَها أخواهُ.







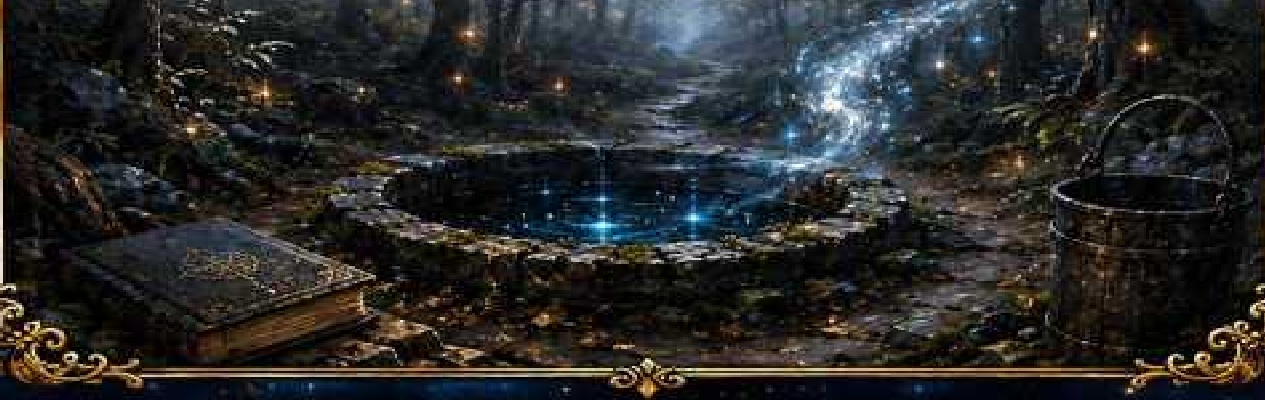
سافَرَ الفتَى في رحَلتِه، وَبعدَ أنْ قطع شوَطّاَ بعيدَاَ،
التقَى بعجوزٍ طلبَتْ منه قطعةَ منْ خبزِه،
فأعطاها إياها عنْ طيبِ قَلبِ.



فكافأتُه العجوزُ - التَي كانتْ جنيَةّ - بعصا سحريةٍ،
وقالتْ لهُ: "قدَ تَكونُ هذِهِ العصا نافعَةً لكَ
إنْ أحسنتَ استَخدامها".



ثَمَّ أخبَرتُهُ بِكُلِ ما سيَحدُثُ لهُ،
وما ينبغي أنْ يفعَلَه في كُلّ موقفٍ،
ثُمَّ اختَفَتْ في لحَظةٍ.



مضَى الفتَى حتَى بلغَ الرّاعِي الأولَ، فسألَهُ عَنِ الغنَمِ،
فأجابَهُ بنفسِ الأبياتِ، لكنَّهُ أضاف في نَهايتَها:
"لكَنَّني الآنَ أخافُ أنَّ نَهايتَه قدِ اقترَبَتْ، وأنَتَ - كما أرى
بوضوحٍ - ستَكونُ وريثَ أرضِهِ كلِّهَا".
ثمَّ بلغَ شيخَ الخنازيرِ، ثمَّ شيخَ الماعزِ،
ورَدَّدوا نَفس الأبياتِ معَ هذهِ الإضافةِ.



حتَى الوحوشَ ذاتَ الرؤوسِ الثَلاثَةِ كانَتْ تَنتَظرُهُ،
لكنَّهُ هذهِ المرَةَ لَمْ يَهْرُبْ، بلْ سارَ بِينَها بِثَباتٍ،
وعَندَما انقضَّ عَليهِ واحدٌ منها بِفَمٍ مفتَوحٍ ليَبتَلِعَهُ،
ضربَهُ بعصاهُ السحريةِ فصَرعَهُ في الحالِ.



ثمَّ مضَى حتَى بلغَ قلعةَ العملاقِ الأحمرِ،
وطرقَ البابَ، فَفتَحَتْ لَهُ العجوزُ، وحَذَّرَتْهُ، لكنَّه لَمْ يَخَفْ.







دخَلَ العَملاقُ الأحمرُ، وصرَخَ بِأعلى صَوتهِ:
"أَشمُ رَائحةَ إنسانٍ! أكانَ حيَّاً أمْ ميتاً،
سأجعَلُ قلبَهُ عشاءً لخبزي".
وأَخرَجَ الفَتى منْ مخبَئِه، وقالَ لهُ:
"أجِبّ عنْ ثلاثةِ أسئلةٍ، وإلاَّ فموْتُكَ".



وسألهُ: "أيُّ البلادِ سُكنَتْ أولاً،
إيرلندا أمْ اسكتَلندا؟
وهلَ خُلقَ الرجلُ لأَجلِ المرأةِ،
أَمِ المرأةُ لأَجلِ الرجلِ؟
وهلَ خَلقَ البشرُ قبلَ الحيواناتِ،
أَمِ الحيواناتُ قبلَ البشرِ؟"



إجاباتٌ حاسمةٌ كانتْ في فَمِ الفتى،
فقدْ كانَ قدْ تَعلَّمها منَ الجنيةِ،
فأجابَ إجاباتٍ صحيّحةً.
وحينَ سمعَ العَملاقُ الأحمرُ الإجاباتِ الصحيحةَ،
عرفَ أنَّ قوتَهُ قدْ زالتْ، وأنَّ نَهايتَه قدِ اقترَبَتْ.



تحريرٌ كانَ هو نصيبَ الأسرى، فأمسكَ الفتى بالفَأس وقَطعَ رؤوس العملاقَ الثلاثَةَ. ثمَّ طَلبَ منَ العجوزِ أنْ تَرِيَهُ مَكانَ بناتِ الملك الأسيرات. فصعِدتْ بهِ العجوزُ إلى الطابقِ العلويَ، وفتحتْ أبواباً كثيرَةً، خرجَ منْ كلِّ بابٍ أميرةٌ جميلةٌ، وكنَّ جميعاً بناتِ الملك. وفي غرَفةٍ سفْليةٍ، رَأىَ عَمودينِ حجرِيَنِ، فَضَربَهما بعصاهُ السحرية، فَعاد أَخَواهُ إلى الحياةِ، وعاد كلُّ الأسرَى إلى حالتِهم الطبيعية.



خلاصٌ عَمَّ القَلعةَ، فخرجَ الجميعُ في موكِبٍ بهيّ إلى بلاطِ الملكَ. وتزَوَجَ الفَتى منْ ابْنة الملكِ، وتزَوَجَ أخواهُ منْ نبيلاتٍ أخرياتٍ، وعاشَوا جميعَاً في سعادةٍ وهناءٍ.



تنتهي حكايةُ "العملاقِ الأحمِر"، تاركةً في القلبِ عِبرَةً خالدَة: أنَ الذكاءَ والشجاعة ينتصران على الوحوش، وأنَ الإجاباتِ الصحيحةَ قَدْ تكونُ مفتاحَ الخلاص، وأنَ الأخوةَ الحقيقية هي التي تحملُ الفتى على المخاطرةِ بحياتِهِ لإنقاذِ إخوَتِه، وأنَ العطاء للغيرِ قدْ يعودُ على صاحبِهِ بالخيرِ الجزيل.





"كتاب الجنيات الأزرق"

"The Blue Fairy Book"

المجلد الأول من سلسلة كتب الحكايات الخيالية التي جمعها وحررها

أندرو لانج

صدرت طبعته الأولى عام 1889.

—

مقدمة

—

لماذا "كتاب الجنيات الأزرق" ؟

سالفِ الزمانِ، حينَ كانتِ الحكاياتُ تُروى حولَ نارِ المخيماتِ، وتَنتقِلُ بينَ الأجيالِ شفاهاً قبلَ أنْ تُدوَّنَ، كانَ أندرو لانج مجرَّدَ شابٍّ اسكتلنديٍّ يَنهَمُ في قراءةِ الأساطيرِ في مكتبةِ والدِهِ. لمْ يَكُنْ يَعلَمُ أنَّ اسمَهُ سيَصيرُ عنواناً لطفولةِ ملايينِ الأطفالِ في الغربِ، وأنَّ سلسلتَه الملونةَ سَتُصبِحُ مرجعاً للحكاياتِ الخياليةِ في الثقافةِ الغربيةِ. لكنَّ السؤالَ الذي يَطرُقُ بابَ الفضولِ: لماذا أندرو لانج تحديداً؟ ولماذا نَبدَأُ رحلةَ حكاياتِنا منْ كتابِهِ الأزرقِ، وهناكَ آلافُ الكتبِ التي جَمَعَتِ الحكاياتِ الشعبيةَ منْ كلِّ بقاعِ الأرضِ؟

لانج لمْ يَكُنْ مجردَ جامعِ حكاياتٍ، بلْ كانَ عالماً موسوعياً، وأديباً، وشاعراً، ومؤرخاً، وأنثروبولوجياً، يَملِكُ رؤيةً شاملةً للتراثِ الإنسانيِّ. كانَ يَرى في الحكاياتِ الشعبيةِ نافذةً على روحِ الأممِ، ومرآةً تعكسُ قيمَها وأخلاقَها وأحلامَها. ولذلك، لمْ يَكتفِ بنقلِ الحكاياتِ كما هيَ، بلْ صاغَها بأسلوبٍ أدبيٍّ رفيعٍ، يَجعَلُها جذَّابةً للأطفالِ، وفي نفسِ الوقتِ، مُشبَعَةً بالمعاني العميقةِ التي تَصلحُ للتأمُّلِ والتحليلِ. كانتْ سلسلتُه الملونةُ، التي بدأَتْ بالكتابِ الأزرقِ عامَ 1889، ثورةً في عالمِ أدبِ الأطفالِ؛ حيثُ قدَّمَتْ للأطفالِ الغربيينَ عالَماً منَ العجائبِ والأساطيرِ، يَختلِفُ عنْ عالمِهم، لكنَّهُ يَحمِلُ نفسَ القيمِ الإنسانيةِ التي يَفهمونَها ويَحسونَ بها.

لانج ناقلاً أميناً أمْ مُعيدَ تشكيلٍ؟ هلْ قدَّمَ الشرقَ كما هوَ، أمْ صاغَهُ وفقَ رؤيةٍ استشراقيةٍ، جعلَتْ منَ الشرقِ مرآةً تعكسُ مخاوفَ الغربِ وتطلُّعاتِه؟ هنا تَكمُنُ المفارقةُ. فنحنُ، في قراءتِنا لحكاياتِ الكتابِ الأزرقِ، نَجِدُ أنَّ أبطالَ الشرقِ، كعلاءِ الدينِ وعليِّ بابا والأميرِ أحمدَ، يُصوَّرونَ غالباً على أنَّهم أكثرُ ميلاً للعنفِ والانتقامِ، وأقلَّ تمسُّكاً بحرمةِ الحياةِ، بينما يُصوَّرُ أبطالُ الغربِ في حكاياتِ "الخيَّاطِ الصغيرِ الشجاعِ" و"الأميرِ المحبوبِ" على أنَّهم أكثرُ حكمةً ورحمةً. هذا التناقضُ ليسَ وليدَ الصدفةِ، بلْ هو نتاجُ نظرةٍ استشراقيةٍ كلاسيكيةٍ، نظرَتْ إلى الشرقِ منْ خلالِ عدسةِ الغربِ الأوروبيِّ، ورأتْ فيه عالَماً أكثرَ وحشيةً، وأقلَّ تحضُّراً، وأكثرَ ميلاً للانتقامِ.

تبرزُ الأهميةُ التاريخيةُ لأندرو لانج. لم تكنْ كتبُه مجرَّدَ تسليةٍ للأطفالِ، بلْ كانتْ أداةً لتشكيلِ الوعيِ، ورسمِ صورةٍ للعالَمِ في أذهانِ الأجيالِ الغربيةِ. ففي عصرِ الإمبراطوريةِ البريطانيةِ، حيثُ كانتِ النظرةُ الاستعماريةُ تُهيمِنُ على الفكرِ الغربيِّ، قدَّمَتْ كتبُ لانج للقرَّاءِ الصغارِ عالَماً مُقسَّماً: شرقٌ غامضٌ، وغربٌ متحضِّرٌ. هذا التقسيمُ، وإنْ بدا غيرَ مقصودٍ في بعضِ الأحيانِ، إلا أنَّه كرَّسَ صورةً نمطيةً عنِ الشرقِ، جعلَتْ منه مكاناً للعجائبِ والوحشيةِ في آنٍ واحدٍ. لقدْ كبُرَ هؤلاءِ الأطفالُ، الذينَ تغذَّوْا على هذهِ الحكاياتِ، ليُصبِحوا صُنَّاعَ القرارِ في الغربِ، والمسؤولينَ عنْ حربينِ عالميتينِ، وعنْ إعادةِ رسمِ خريطةِ العالمِ، وتحديدِ حدودِ الشرقِ بما يُلائمُ رؤيتَهم الاستعماريةَ. لقدْ تشكَّلَ وعيُهم على صورةِ الشرقِ الذي قدَّمَهُ لهمْ لانج: شرقٌ متخلِّفٌ، يحتاجُ إلى مَن يُنقِذُه منْ جهلِه ووحشيتِه، شرقٌ لا يستحقُّ الثقةَ، ولا يستحقُّ التعاونَ. هذهِ الصورةُ، التي ترسَّخَتْ في عقولِ هؤلاءِ القادةِ منذُ الطفولةِ، كانتْ وراءَ الكثيرِ منَ القراراتِ السياسيةِ التي هزَّتْ العالمَ، والتي لا تزالُ آثارُها تُلقي بظلالِها على علاقاتِ الشرقِ بالغربِ حتى اليومَ.

الحقيقةُ، التي تغيبُ عنْ هذهِ القراءةِ، هيَ أنَّ الحكاياتِ الشرقيةَ الأصليةَ كانتْ تحملُ أخلاقياتٍ إنسانيةً ساميةً؛ حيثُ البطلُ الشرقيُّ لا يَقتلُ بسيفِه فقطْ، بلْ بحكمتِه، ولا يَنتقمُ بدمِه، بلْ بعقلِه، ولا يَنتصرُ بقوتِه، بلْ بعدلِه. إنَّ علاءَ الدينِ في المصادرِ الشرقيةِ الأصليةِ، ليسَ مجرَّدَ قاتلٍ للسحرةِ، بلْ هو فتىً يَتَعلَّمُ الصبرَ والحكمةَ، ويَستخدمُ المصباحَ لخدمةِ الآخرينَ قبلَ نفسِه. وعليُّ بابا في الرواياتِ الشرقيةِ، لا يُقدَّمُ كمنْ يُمجِّدُ القتلَ، بلْ كرجلٍ

فقيرٍ يَبحثُ عنْ لقمةِ عيشٍ، وتأتي إليهِ الثروةُ كاختبارٍ لأخلاقِه. أما الأميرُ أحمدُ، فقصَّتُه في المصادرِ الفارسيةِ القديمةِ تحملُ أبعاداً صوفيةً وأخلاقيةً، حيثُ الحبُّ والوفاءُ هما المُحرِّكانِ الأساسيانِ، والنهايةُ السعيدةُ لا تأتي بموتِ السلطانِ، بلْ بإدراكِه لحكمةِ ابنِه واعترافِه بفضله.

نَختارُ أنْ نَبدَأَ رحلةَ حكاياتِنا منْ كتابِ أندرو لانج الأزرقِ، ليسَ لأنَّه الكاتبُ الوحيدُ، أو لأنَّه الأفضلُ، بلْ لأنَّه يمثلُ لحظةً تاريخيةً مهمةً في علاقةِ الغربِ بالشرقِ، ولأنَّ قراءةَ حكاياتِه اليومَ، بعيونٍ جديدةٍ، تَفتحُ أمامَنا نافذةً لفهمِ كيفَ تشكَّلَتْ صورةُ الشرقِ في العقلِ الغربيِّ، وكيفَ يمكنُنا أنْ نُعيدَ قراءةَ تراثِنا بأعينِنا نحنُ، لا بأعينِ الآخرينَ. إنَّها رحلةٌ إلى عالَمِ الحكاياتِ، لكنَّها أيضاً رحلةٌ إلى أعماقِ الذاكرةِ الجماعيةِ، حيثُ تَتَلاقَى الأخلاقُ والجمالُ والخيالُ، وتَتَجاوَزُ الحكايةُ حدودَ الزمانِ والمكانِ، لِتُصبحَ جسراً بينَ الشرقِ والغربِ، وبينَ الماضي والحاضرِ، وبينَ الطفلِ فينا والكبيرِ الذي نَطمحُ أنْ نَكونَ.

تنبيهٌ هامٌّ للقارئِ هذهِ الترجمةُ ليستْ نقلًا حرفيًا للنصِّ الإنجليزيِّ الأصليِّ، بلْ هيَ مُحاولةٌ لإعادةِ صياغةِ الحكاياتِ بأسلوبٍ عربيٍّ بليغٍ، يَحمِلُ روحَ النصِّ الأصليِّ ويُحافِظُ على أخلاقياتِه كما هيَ، دونَ تحريفٍ. لكنَّ قراءةَ هذهِ الحكاياتِ لا تُغني عنْ قراءةِ النصِّ الأصليِّ الذي كَتَبَهُ أندرو لانج باللغةِ الإنجليزيةِ، فهيَ اللغةُ التي تَحمِلُ في طيّاتِها مفاهيمَ ودقائقَ قدْ تَتَخطَّاها الترجمةُ، وتَفتحُ أبعاداً جديدةً منَ الفهمِ والتأويلِ لا تَظهَرُ إلاَّ في صياغتِها الأصليةِ. إنَّ هذهِ الحكاياتِ، في لغتِها الأصليةِ، هيَ نافذةٌ على عالَمٍ منَ المعاني والدلالاتِ التي قدْ تضيعُ في الترجمةِ، وتَبقى الأسئلةُ الكبرى حولَ العدالةِ والانتقامِ والحبِّ والوفاءِ مفتوحةً للتأويلِ، كما تركها لانج لمنْ يقرأُ نصوصَه بلغتِها التي كتَبَ بها.

—

مقدمة أندرو لانج للكتاب الأزرق (1889)

—

ذوقُ العالم، رغم تقلبه الدائم، يظل ثابتاً تجاه الحكايات الخيالية. فالأطفال الذين تُروى لهم ومن أجلهم تمثل "عصر الشباب" للإنسانية؛ إنهم يحتفظون بحدة إيمانه، وشغفه الطازج بالعجائب. وهكذا، ما زلنا نكرر للأطفال قصصاً كانت قديمة حتى قبل أن يغني هوميروس، ومغامراتٍ تجولت، مثل سايكي المتجولة، في أرجاء العالم كله. قد نغير بين حين وآخر ترتيب الحوادث، لكنها تظل في جوهرها كما هي، ومن بين كل التركيبات التي يمكن أن تُركب فيها، تظل التركيبات القديمة هي المفضلة.

لقد أقرت هذه الحقائق البدهية منذ بعض الوقت حتى في الأوساط العلمية، وأصبحت دراسة حكايات الحضانة، وتنقلاتها، وقدمها، منذ زمن طويل هواية للعلماء. لكن هذا ليس المكان المناسب لتكرار النظريات الأثرية المألوفة، ولا لمحاولة أنواع جديدة من التخمين.

حتى الطفل (وهذه المقدمة ليست موجهة للأطفال) لا بد أن يدرك، وهو يقلب صفحات الكتاب الأزرق، أن نفس المغامرات ونفس الحبكات تقابله في قصص مترجمة من لغات مختلفة. فـ"الثور الأسود النرويجي" من اسكتلندا، على سبيل المثال، لا بد أن يذكر القارئ الأصغر سناً بـ"شرق الشمس وغرب القمر" من التراث الإسكندنافي. وكلا القصتين لهما تشابهات واضحة مع "الجميلة والوحش"، وكل طالب كلاسيكي يسترجع في ذاكرته أسطورة "إيروس وسايكي"، بينما يتذكر كل عالم أنثروبولوجيا حكاية شعبية مماثلة عند الكافير والباسوتو. هذه التشابهات والتقابلات تتكرر في كل صفحة. فـ"الخاتم البرونزي" من بلاد الشام، مع الفئران التي تجعل اليهودي يعطس بدغدغة أنفه، له نظير بين القبائل المنغولية. للفنلنديين، والسنهاليين، والكافير نسختهم الخاصة من "سندريلا"، تماماً مثل الأسكتلنديين والكلتيين. أجزاء من "الأصبع الصغير" (Hop o' my Thumb) والمشهورة أيضا بـ"عقلة الأصبع" منتشرة في ترتاري (آسيا الوسطى)؛ وحادثة تغيير التيجان، وقتل الغول لأطفاله، هي جزء من تلك الأسطورة المينوية القديمة عن أثاماس وفريكسوس وهيللي.

أوضح لانج في مقدمات لاحقة (مثل مقدمة الكتاب الليلكي عام 1910)، فإن الفضل الأكبر في ترجمة وتحرير هذه الكتب يعود لزوجته، ليونورا بلانش ألين، التي قامت بترجمة وتكييف القصص من الفرنسية والألمانية والبرتغالية والإيطالية والإسبانية والكاتالونية ولغات أخرى.

—

"الخاتم البرونزي"

—

حديقةُ الملكِ كانت واسعةً تُحيطُ بقصرِه، لكنَّها كانت قاحلةً جرداءَ، لا تُنبتُ زهراً ولا تُظلِّلُ شجراً، ولا يُغطِّي أرضَها عشبٌ. حزنَ الملكُ حزناً عميقاً، حتى أتاهُ شيخٌ حكيمٌ وقالَ له: "يا مولاي، إنَّ بُسْتَانِيَّكَ لا يفقهونَ صِناعةَ البستانِ، فآباؤُهم كانوا إسكافيِّينَ ونجَّارينَ. ابحثْ عن بستانيٍّ كانَ أبوهُ وجدُّه بستانيَّينِ من قبلِه، وعندَها تَرى حديقتَكَ تَخضَرُّ وتَزهَرُ." أرسلَ الملكُ رُسُلَه في كلِّ مدينةٍ وقريةٍ ونجعٍ، وبعدَ أربعينَ يوماً وجدوا الرجلَ المنشودَ. قالوا له: "تَعالَ معنا تَكُنْ بستانيَّ الملكِ." فقالَ البستانيُّ: "وكيفَ لي بِمِثْلِ هذا الشَّرَفِ، وأنا فقيرٌ مِسكينٌ؟" فقالوا: "لا يَهمُّ، ها هيَ ثيابٌ جديدةٌ لكَ ولأهلِكَ." قالَ: "لكِنَّني مَدينٌ لكثيرٍ منَ النَّاسِ." قالوا: "سَنَقضي دُيونَكَ." فاقتنعَ البستانيُّ، وسارَ معَ الرُّسُلِ، آخِذاً زوجتَه وابنَه. ففرِحَ الملكُ بهذا البستانيِّ الحقيقيِّ، وائتمنَهُ على حديقتِه، فلمْ يَلبَثْ أنْ أزهرَتِ الحديقةُ وأثمرَتْ، وأغدَقَ الملكُ على خادمِه الجديدِ هداياهُ. وكانَ لِلْبُسْتانِيِّ ابنٌ وَسيمٌ، ذو أخلاقٍ حَسَنَةٍ، وكانَ كلَّ يومٍ يَحمِلُ أطيبَ الثِّمارِ إلى الملكِ، وأعطرَ الأزهارِ إلى ابنتِه الأميرةِ. تلكَ الأميرةُ كانت في السادسةِ عشرةَ من عمرِها، رائعةَ الجمالِ، وما إنْ رأتِ الفتى حتى وقعَ حُبُّه في قلبِها. فقالَ الملكُ لها ذاتَ يومٍ: "يا بُنَيَّتي، أنتِ في سنِّ الزواجِ، وإنِّي أُفكِّرُ في تزويجِكِ من ابنِ وزيري." قالت لأبيها بصراحةٍ: "يا أبتِ، لن أتزوَّجَ ابنَ الوزيرِ، إنَّما أحبُّ ابنَ البستانيِّ." غضبَ الملكُ، وبكى، وتنهدَ، لكنَّ الأميرةَ لم تتراجعْ. استشارَ وزراءَه، فقالوا له: "أرسِلِ الخاطبَينِ في سفرٍ بعيدٍ، ومَن يعُدْ أولاً فله ابنتُك."

سافَرَ الخاطبانِ معاً، وكانَ ابنُ الوزيرِ قدِ انْطَلَقَ مُسْرِعاً عَلَى جَوَادِهِ الْأَصِيلِ وَمَحْفَظَتِهِ الْمَلِيئَةِ بِالذَّهَبِ، حَتَّى تَوارَى وَرَاءَ التِّلَالِ البَعِيدَةِ. أَمَّا ابْنُ الْبُسْتَانِيِّ فَرَكِبَ فَرَساً عَجُوزاً أَعْرَجَ، وَمَعَهُ مَحْفَظَةٌ مِنَ النُّحَاسِ الْأَصْفَرِ، وَظَنَّ الْجَمِيعُ أَنَّهُ لَنْ يَعُودَ أَبَداً. وَفِي الْيَوْمِ السَّابِقِ لِلرَّحِيلِ، الْتَقَتِ الْأَمِيرَةُ بِحَبِيبِهَا، وَهَمَسَتْ فِي أُذُنِهِ: "كُنْ شَجَاعاً، وَتَذَكَّرْ أَنِّي أُحِبُّكَ، خُذْ هَذِهِ الْمَحْفَظَةَ الْمَلِيئَةَ بِالْجَوَاهِرِ، وَاسْتَعِنْ بِهَا مِنْ أَجْلِي، وَعُدْ سَرِيعاً." فَانْطَلَقَا مَعاً. وَفِي الطَّرِيقِ، سَبَقَ ابْنُ الْوَزِيرِ ابْنَ الْبُسْتَانِيِّ، فَبَلَغَ نَافُورَةً عِنْدَهَا

عَجُوزٌ مُمَزَّقَةُ الثِّيَابِ جَالِسَةٌ عَلَى حَجَرٍ، تَنْظُرُ إِلَيْهِ بِعَيْنَيْنِ ذَابِلَتَيْنِ وَتَتَوَسَّلُ: "أَيُّهَا الْمُسَافِرُ، ارْحَمْنِي، فَإِنِّي أَمُوتُ جُوعاً، وَمُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لَمْ يُمُدَّ لِي أَحَدٌ يَداً." لَكِنَّ ابْنَ الْوَزِيرِ لَمْ يُلْقِ لَهَا بَالاً، بَلْ زَجَرَهَا بِخُشُونَةٍ وَقَالَ: "دَعِينِي وَشَأْنِي أَيَّتُهَا الْعَجُوزُ السَّاحِرَةُ، قالت له ثانيةً. لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ لَكِ شَيْئاً." وَمَضَى فِي طَرِيقِهِ مُتَعَجِّلاً، تَارِكاً إِيَّاهَا تَئِنُّ وَحْدَهَا تَحْتَ لَهِيبِ الشَّمْسِ. أَمَّا ابْنُ الْبُسْتَانِيِّ فَلَمَّا بَلَغَ النَّافُورَةَ، قَالَ لَهَا بِرِقَّةٍ: "خُذِي مَحْفَظَتِي أَيَّتُهَا الْعَجُوزُ، وَارْكَبِي خَلْفِي، فَإِنَّ رِجْلَيْكِ لَيْسَتَا بِقَوِيَّتَيْنِ." فَلَمْ تَتَرَدَّدِ الْعَجُوزُ، وَرَكِبَتْ خَلْفَهُ، وَانْطَلَقَا إِلَى مَدِينَةٍ عَظِيمَةٍ. نَزَلَ ابْنُ الْوَزِيرِ فِي فُنْدُقٍ فَخْمٍ، أَمَّا ابْنُ الْبُسْتَانِيِّ وَالْعَجُوزُ فَنَزَلَا فِي نُزُلِ الْفُقَرَاءِ.

عَجُوزُ تِلْكَ الْمَرْأَةِ لَمْ تَكُنْ سِوَى جِنِّيَّةٍ فِي ثِيَابٍ رِثَّةٍ. وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي، سَمِعَ الْفَتَى ضَجَّةً فِي الشَّوَارِعِ، فَإِذَا مُنَادِيدُ الْمَلِكِ يُنَادُونَ: "إِنَّ مَلِكَنَا قَدْ هَرِمَ وَمَرِضَ، وَمَنْ يُعَالِجُهُ وَيُعِيدُ لَهُ شَبَابَهُ فَلَهُ جَزَاءٌ عَظِيمٌ." هَمَسَتِ الْعَجُوزُ فِي أُذُنِ الْفَتَى: "افْعَلْ مَا أَقُولُهُ لَكَ: اخْرُجْ مِنَ الْبَابِ الْجَنُوبِيِّ، سَتَجِدُ ثَلَاثَةَ كِلَابٍ صَغِيرَةٍ: أَبْيَضَ، وَأَسْوَدَ، وَأَحْمَرَ. اقْتُلْهَا، وَاحْرِقْهَا كُلَّ وَاحِدَةٍ عَلَى حِدَةٍ، وَاجْمَعْ رَمَادَهَا فِي ثَلَاثَةِ أَكْيَاسٍ. ثُمَّ امْضِ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ، وَقُلْ: 'جَاءَ طَبِيبٌ مَشْهُورٌ مِنْ يَانِينَا فِي أَلْبَانِيَا، وَهُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى شِفَاءِ الْمَلِكِ'. سَيَسْخَرُ مِنْكَ الْأَطِبَّاءُ أَوَّلاً، لَكِنَّ السُّلْطَانَ أَمَرَ بِإِدْخَالِكَ، وَسَتَتَغَلَّبُ عَلَيْهِمْ. اطْلُبْ حَطَباً كَثِيراً وَقِدْراً ضَخْماً، وَاحْبِسْ نَفْسَكَ مَعَ الْمَلِكِ، وَعِنْدَمَا يَغْلِي الْقِدْرُ، أَلْقِ الْمَلِكَ فِيهِ حَتَّى يَنْفَصِلَ لَحْمُهُ عَنْ عِظَامِهِ. ثُمَّ رَتِّبْ عِظَامَهُ فِي أَمَاكِنِهَا، وَانْثُرْ عَلَيْهَا الرَّمَادَ، وَسَيَعُودُ الْمَلِكُ شَابّاً كَمَا كَانَ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ. وَعِنْدَمَا يَسْأَلُكَ عَنْ مُكَافَأَتِكَ، اطْلُبْ مِنْهُ الْخَاتِمَ الْبُرُونْزِيَّ الَّذِي يُحَقِّقُ كُلَّ مَا تَتَمَنَّاهُ." فَفَعَلَ الْفَتَى كُلَّ مَا أَمَرَتْهُ بِهِ، وَعَادَ الْمَلِكُ شَابّاً نَضِراً. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: "هَلْ تَأْخُذُ نِصْفَ كُنُوزِي؟" فَقَالَ: "لَا." فَقَالَ: "ابْنَتِي زَوْجَةً لَكَ؟" فَقَالَ: "لَا." فَقَالَ: "فَنِصْفَ مَمْلَكَتِي؟" فَقَالَ: "لَا. أَعْطِنِي الْخَاتِمَ الْبُرُونْزِيَّ فَقَطْ." فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ الْمَلِكُ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ يُقَدِّرُ ذَلِكَ الْخَاتِمَ الْعَجِيبَ قَدْراً عَظِيماً.

أَبْحَرَ الْفَتَى بَعْدَ أَنْ وَدَّعَ الْعَجُوزَ، فَرَكِبَ السَّفِينَةَ وَأَبْحَرَ. ثُمَّ أَخَذَ الْخَاتِمَ وَقَالَ: "أَيُّهَا الْخَاتِمُ، هَيِّئْ لِي سَفِينَةً عَظِيمَةً لِأُوَاصِلَ بِهَا رِحْلَتِي، هَيْكَلُهَا مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ، وَصَوَارِيهَا مِنْ فِضَّةٍ، وَشِرَاعُهَا مِنْ دِيبَاجٍ، وَطَاقَمُهَا اثْنَا عَشَرَ فَتًى كَالْأُمَرَاءِ، وَالْقِدِّيسُ نِيكُولَاسُ عَلَى دَفَّتِهَا، وَحُمُولَتُهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ." فَظَهَرَتِ السَّفِينَةُ فَوْراً، فَرَكِبَهَا وَأَبْحَرَ حَتَّى بَلَغَ مَدِينَةً عَظِيمَةً.

وَهُنَاكَ، الْتَقَى بِابْنِ الْوَزِيرِ الَّذِي كَانَ قَدْ أَنْفَقَ كُلَّ مَالِهِ، وَصَارَ يَعْمَلُ حَمَّالاً لِلأَتْرِبَةِ وَالرِّمَالِ. قَالَ لَهُ الْفَتَى وَالْخَاتَمُ فِي إِصْبَعِهِ: "مَنْ أَنْتَ؟" فَحَكَى لَهُ قِصَّتَهُ، فَقَالَ الْفَتَى: "اسْمَعْ مِنِّي، فَمَعَ أَنِّي لَا أَعْرِفُ عَنْكَ شَيْئاً أَكْثَرَ، إِلَّا أَنِّي مُسْتَعِدٌّ لِمُسَاعَدَتِكَ. سَأُسَاعِدُكَ، وَسَأُعْطِيكَ سَفِينَةً تُعِيدُكَ إِلَى بِلَادِكَ، وَلَكِنْ بِشَرْطٍ وَاحِدٍ." وَافَقَ ابْنُ الْوَزِيرِ فَرِحاً، وَقَالَ: "أَيَّ شَرْطٍ كَانَ، فَأَنَا أَقْبَلُهُ عَنْ طِيبِ خَاطِرٍ." فَقَالَ الْفَتَى: "اتْبَعْنِي إِلَى قَصْرِي." فَتَبِعَهُ إِلَى الْقَصْرِ. عِنْدَهَا، أَمَرَ الْفَتَى خَدَمَهُ بِتَجْرِيدِ ابْنِ الْوَزِيرِ مِنْ ثِيَابِهِ، وَقَالَ لَهُمْ وَقَدْ أَلْبَسَهُمْ قُفَّازَيْنِ: "أَحْمُوا هَذَا الْخَاتِمَ حَتَّى يَحْمَرَّ، وَاكْوُوا بِهِ ظَهْرَهُ." فَفَعَلُوا، ثُمَّ أَخَذَ الْخَاتِمَ وَقَالَ: "أَيُّهَا الْخَاتِمُ، أَعِدَّ لِي سَفِينَةً خَشَبُهَا نِصْفُهُ مُتَآكِلٌ وَطِلَاؤُهَا أَسْوَدُ، وَشِرَاعُهَا مُمَزَّقٌ، وَبَحَّارَتُهَا عُجْزٌ وَمَرْضَى، أَحَدُهُمْ فَقَدَ رِجْلاً، وَآخَرُ ذِرَاعاً، وَثَالِثٌ أَحْدَبُ، وَآخَرُ أَعْرَجُ أَوْ أَفْطَسُ أَوْ أَعْمَى، وَأَكْثَرُهُمْ بَشِعُ الْمَنْظَرِ مَلِيءٌ بِالنُّدُوبِ. اِذْهَبْ وَلْتُنَفِّذْ أَوَامِرِي." فَتَحَقَّقَ ذَلِكَ، فَرَكِبَهَا ابْنُ الْوَزِيرِ وَعَادَ إِلَى بِلَادِهِ فِي حَالَةٍ يُرْثَى لَهَا.

فَرِحَ الْمَلِكُ بِعَوْدَةِ ابْنِ الْوَزِيرِ وَقَالَ: "أَنْتَ أَوَّلُ الْعَائِدِينَ، إِذَنْ سَأُوفِي بِوَعْدِي وَأُزَوِّجُكَ ابْنَتِي." وَأُعِدَّتِ الاِحْتِفَالَاتُ، لَكِنَّ الأَمِيرَةَ كَانَتْ حَزِينَةً كَئِيبَةً. وَفِي فَجْرِ الْيَوْمِ التَّالِي، رَسَتْ فِي الْمِينَاءِ سَفِينَةٌ عَجِيبَةٌ، هَيْكَلُهَا مِنْ ذَهَبٍ، وَصَوَارِيهَا مِنْ فِضَّةٍ، وَشِرَاعُهَا مِنْ دِيبَاجٍ. وَكَانَ الْمَلِكُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ عِنْدَ نَافِذَةِ الْقَصْرِ، فَتَعَجَّبَ وَقَالَ: "مَا هَذِهِ السَّفِينَةُ الْعَجِيبَةُ الَّتِي لَهَا هَيْكَلٌ ذَهَبِيٌّ وَصَوَارٍ فِضِّيَّةٌ وَشِرَاعٌ مِنْ دِيبَاجٍ؟ وَمَنْ هَؤُلَاءِ الشُّبَّانُ كَالأُمَرَاءِ الَّذِينَ يُشَغِّلُونَهَا؟ أَوَلَا أَرَى الْقِدِّيسَ نِيكُولَاسَ عَلَى دَفَّتِهَا؟ اذْهَبُوا حَالاً وَادْعُوا قُبْطَانَ هَذِهِ السَّفِينَةِ إِلَى الْقَصْرِ." فَأَطَاعَهُ خَدَمُهُ، وَسَرْعَانَ مَا دَخَلَ الْقُبْطَانُ، وَإِذَا هُوَ شَابٌّ وَسِيمٌ سَاحِرُ الْجَمَالِ، يَرْتَدِي الْحَرِيرَ الْمُزَرْكَشَ بِاللُّؤْلُؤِ وَالْمَاسِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: "مَرْحَباً بِكَ أَيُّهَا الشَّابُّ، مَهْمَا تَكُنْ. أَسْعَدْنِي بِكَوْنِكَ ضَيْفِي طَوَالَ مُدَّةِ إِقَامَتِكَ فِي عَاصِمَتِي." ثُمَّ قَالَ: "ابْنَتِي سَتُزَفُّ الْيَوْمَ، هَلْ لَكَ أَنْ تُزَوِّجَهَا؟" فَأَجَابَ الْقُبْطَانُ: "بِكُلِّ سُرُورٍ يَا مَوْلَايَ." وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَاءَتِ الأَمِيرَةُ وَخَطِيبُهَا. لَكِنَّ الْقُبْطَانَ لَمَّا رَأَى الْعَرِيسَ صَرَخَ: "أَتُزَوِّجُونَ هَذِهِ الأَمِيرَةَ بِمِثْلِ هَذَا الرَّجُلِ؟ إِنَّهُ خَادِمِي! لَقِيتُهُ فِي مَدِينَةٍ بَعِيدَةٍ يَحْمِلُ الأَتْرِبَةَ وَالرِّمَالَ، فَرَحِمْتُهُ وَاسْتَأْجَرْتُهُ كَأَحَدِ خَدَمِي." فَاسْتَنْكَرَ الْمَلِكُ، فَقَالَ الْقُبْطَانُ: "أَتُرِيدُ الْبُرْهَانَ؟ مُرُوهُمْ بِتَجْرِيدِهِ، وَانْظُرُوا عَلَامَةَ خَاتِمِي الْمَحْمَى عَلَى ظَهْرِهِ." فَخَافَ ابْنُ الْوَزِيرِ مِنَ الْفَضِيحَةِ وَاعْتَرَفَ بِكُلِّ شَيْءٍ. حِينَئِذٍ، نَظَرَ الْقُبْطَانُ إِلَى الأَمِيرَةِ وَقَالَ: "أَمَا

تَعْرِفِينَنِي؟" فَصَرَخَتِ الْفَتَاةُ بَاكِيَةً: "أَنْتَ حَبِيبِي، أَنْتَ ابْنُ الْبُسْتَانِيِّ!" وَهَتَفَ الْمَلِكُ: "سَتَكُونُ ابْنِي الْيَوْمَ." وَتَزَوَّجَا فَعْلاً فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِعَيْنِهِ.

مضتْ شهورٌ من الهناءِ والسعادةِ، حتى اضطرَّ القبطانُ إلى رحلةٍ بحريةٍ طويلةٍ، فودَّعَ زوجتَه بحرارةٍ. وفي أطرافِ العاصمةِ، كان يعيشُ رجُلٌ عجوزٌ أمضى حياتَه في دراسةِ السحرِ الأسودِ، فعلمَ أنَّ الفتى نالَ الأميرةَ بفضلِ الخاتمِ، فقرَّرَ أن يسرقَه. نزلَ إلى شاطئِ البحرِ، وصادَ سمكاتٍ حمراءَ صغيرةً جميلةً، وعادَ بها، ومرَّ أمامَ نافذةِ الأميرةِ يصرخُ: "مَن يشتري هذه السمكاتِ الحمراءَ الجميلةَ؟" سمعتْه الأميرةُ، وبعثتْ خادمةً تسألُ عن ثمنِها، فقال العجوزُ: "خاتمٌ برونزيٌّ." قالت الخادمةُ: "وأينَ لنا بخاتمٍ برونزيٍّ؟" قال: "تحتَ الوسادةِ في غُرفةِ الأميرةِ." عادتِ الخادمةُ وأخبرتْ سيدتَها، التي قالت بسذاجةٍ: "ابحثي عنه وأعطيه إياه." فوجدتِ الخادمةُ الخاتمَ الذي نَسِيَه القبطانُ، وأعطته للعجوزِ الذي هربَ به كالريحِ. وما إنْ وصلَ إلى بيتِه حتى أَخَذَ الْخَاتِمَ وَقَالَ: "أَيُّهَا الْخَاتِمُ الْبْرُونْزِيُّ، أَطِعْ سَيِّدَكَ. حَوِّلِ السَّفِينَةَ الذَّهَبِيَّةَ إِلَى خَشَبٍ أَسْوَدَ، وَالطَّاقَمَ إِلَى زُنُوجٍ (أَفَارِقَةٍ. negroes) بَشِعِي المَنْظَرِ، وَلْيُغَادِرِ الْقِدِّيسُ نِيكُولَاسُ الدَّفَّةَ، وَامْلَأِ السَّفِينَةَ بِقِطَطٍ سَوْدَاءَ." فَلَمَّا وَجَدَ الْقُبْطَانُ نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الْبَائِسَةِ، أَدْرَكَ أَنَّ أَحَداً قَدْ سَرَقَ مِنْهُ الْخَاتِمَ الْبْرُونْزِيَّ، فَأَخَذَ يَنْدُبُ حَظَّهُ بِمَرَارَةٍ، لَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُجْدِهِ نَفْعاً. وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: "آهٍ! مَنْ سَرَقَ خَاتِمِي فَقَدْ سَرَقَ زَوْجَتِي الْعَزِيزَةَ عَلَى الأَرْجَحِ. وَأَيُّ فَائِدَةٍ مِنْ عَوْدَتِي إِلَى بِلَادِي؟" فَأَخَذَ يُبْحِرُ مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ، وَمِنْ شَاطِئٍ إِلَى شَاطِئٍ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ الْجَمِيعَ يَسْخَرُونَ مِنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَذْهَبُ إِلَيْهِ. وَمَا لَبِثَ أَنْ ضَاقَتْ بِهِ سُبُلُ الْعَيْشِ حَتَّى صَارَ هُوَ وَطَاقَمُهُ وَالْقِطَطُ السَّوْدَاءُ الْمَسَاكِينُ لَا يَجِدُونَ مَا يَأْكُلُونَ سِوَى الْأَعْشَابِ وَالْجُذُورِ. وَبَعْدَ أَنْ تَاهَ طَوِيلاً، بَلَغَ جَزِيرَةً تَسْكُنُهَا الْفِئْرَانُ. فَنَزَلَ الْقُبْطَانُ إِلَى الْبَرِّ وَأَخَذَ يَسْتَكْشِفُ الْبِلَادَ، فَإِذَا بِالْفِئْرَانِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا شَيْءَ سِوَاهَا. وَقَدْ تَبِعَهُ بَعْضُ الْقِطَطِ السَّوْدَاءِ، وَكَانَتْ جَائِعَةً جُوعاً شَدِيداً لِأَيَّامٍ، فَأَحْدَثَتْ فِي الْفِئْرَانِ مَذْبَحَةً رَهِيبَةً.

عَقَدَتْ مَلِكَةُ الْفِئْرَانِ مَجْلِساً، وَقَالَتْ: "إِنَّ هَذِهِ الْقِطَطَ سَتَأْكُلُنَا جَمِيعاً إِنْ لَمْ يَحْبِسْهَا قُبْطَانُ السَّفِينَةِ. فَلْنُرْسِلْ إِلَيْهِ وَفْداً مِنْ أَشْجَعِنَا." فَانْطَلَقَتْ عِدَّةُ فِئْرَانٍ وَوَجَدَتِ الْقُبْطَانَ، وَقَالَتْ لَهُ: "أَيُّهَا الْقُبْطَانُ، ارْحَلْ سَرِيعاً مِنْ جَزِيرَتِنَا، وَإِلَّا فَسَنَهْلِكُ كُلُّنَا." فَرَدَّ الْقُبْطَانُ: "سَأَفْعَلُ بِشَرْطٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ أَنْ تُعِيدُوا إِلَيَّ

الْخَاتَمَ الْبْرُونْزِيَّ الَّذِي سَرَقَهُ مِنِّي سَاحِرٌ مَاكِرٌ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، فَسَأُطْلِقُ كُلَّ قِطَطِي عَلَى جَزِيرَتِكُمْ، وَلَنْ يَبْقَى مِنْكُمْ فَأْرٌ وَاحِدٌ."

انْسَحَبَتِ الْفِئْرَانُ فِي ذُعْرٍ، وَقَالَتِ الْمَلِكَةُ: "مَا الْحَلُّ؟ كَيْفَ نَجِدُ هَذَا الْخَاتَمَ؟" فَعَقَدَتْ مَجْلِساً آخَرَ، وَاسْتَدْعَتْ فِئْرَاناً مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْعَالَمِ، لَكِنْ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مَكَانَ الْخَاتَمِ. وَفَجْأَةً، وَصَلَتْ ثَلَاثُ فِئْرَانٍ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ: إِحْدَاهُنَّ عَمْيَاءُ، وَالثَّانِيَةُ عَرْجَاءُ، وَالثَّالِثَةُ مَقْطُوعَةُ الْأُذُنَيْنِ. فَقَالَتِ الْجَدِيدَاتُ: "نَحْنُ قَادِمَاتٌ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ جِدّاً." فَسَأَلَتْهَا الْمَلِكَةُ: "هَلْ تَعْرِفْنَ أَيْنَ الْخَاتِمُ الْبْرُونْزِيُّ الَّذِي تُطِيعُهُ الْجَانُّ؟" فَأَجَابَتِ الْفِئْرَانُ: "نَعَمْ، نَحْنُ نَعْرِفُ! إِنَّ سَاحِراً عَجُوزاً قَدِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ، وَهُوَ يُبْقِيهِ فِي جَيْبِهِ نَهَاراً وَفِي فَمِهِ لَيْلاً." فَقَالَتِ الْمَلِكَةُ: "اِذْهَبْنَ وَخُذْنَهُ مِنْهُ، وَعُدْنَ بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُ."

لجأَتِ الفئرانُ الثلاثةُ إلى حيلةٍ ذكيةٍ، فعملْنَ مركباً صغيراً وأبحَرْنَ إلى بلادِ الساحرِ. ترَكْنَ الفأرَ العمياءَ على الشاطئِ لتحرسَ المركبَ، وتسلَّلتِ العرجاءُ ومقطوعةُ الأذنينِ إلى القصرِ، وانتظرتا حتى حلَّ الليلُ. وغفا الساحرُ ونامَ وفمُه مفتوحٌ، والخاتمُ بينَ أسنانِه. فوجدت مقطوعة الأذنين مصباحاً مملوءاً بالزيت وقنينة مملوءة بالفلفل، وقالت: "سأفعلُها!" وغمسَتْ ذيلَها في الزيتِ ثم في الفلفلِ، ورفعَتْه إلى أنفِ الساحرِ، فعطسَ عطسةً عنيفةً، وتطايَرَ الخاتمُ من فمِه كالقذيفةِ. في طرفةِ عينٍ، التقطتِ الفأرُ العرجاءُ الخاتمَ، وهربْنَ إلى المركبِ وأبحَرْنَ. استيقظَ الساحرُ مذعوراً، لكنَّ الفئرانَ كانت قد أبحرتْ بعيداً. وفي عرضِ البحرِ، بينما هنَّ فرحاتٌ بالنصرِ، بدأنَ يتشاجَرْنَ: "مَن منَّا تستحِقُّ الفضلَ؟" قالتِ العمياءُ: "أنا التي حرستُ المركبَ!" قالت مقطوعةُ الأذنينِ: "أنا التي جعلتُه يعطِسُ!" قالتِ العرجاءُ: "أنا التي التقطتُ الخاتمَ!" واشتدَّ الخِلافُ، وفي لحظةِ غضبٍ، سقطَ الخاتمُ من بينِ أيديهنَّ في البحرِ العميقِ.

صرخَتِ الفئرانُ مذعورةً: "كيفَ نعودُ إلى ملكتِنا وقد ضيَّعْنا الخاتمَ؟ كلُّ الفئرانِ ستهلكُ بسبَبِنا." نزلْنَ في جزيرةٍ مقفرةٍ ليُنهينَ حياتَهنَّ، لكنَّ الفأرَ العمياءَ، بينما هي تبحثُ عن طعامٍ، وجدتْ سمكةً ميتةً، وأثناءَ أكلِها، شعرتْ بجسمٍ صلبٍ في جوفِها، فصرختْ: "الخاتمُ! الخاتمُ!" هرولتْ رفيقتاها والتقطتا الخاتمَ، وعادتا مسرعتينِ بالمركبِ إلى جزيرةِ الملكةِ. وصلْنَ في الوقتِ المناسبِ، فالقبطانُ كان على وشكِ أن يُطلِقَ قططَه على الفئرانِ. سلَّمَتْه الفئرانُ الخاتمَ، فأمسَكَه وقال: "أيُّها الخاتمُ، أَعِدْ سفينتي كما

كانت." وفي الحالِ، عادتِ السفينةُ الذهبيةُ تَلْمَعُ، وعادَ الطاقمُ الشُّبانُ الوسيمونَ، والقديسُ نيكولاسُ على الدَّفَّةِ، وأبحَروا إلى العاصمةِ.

ألقى القبطانُ بنفسِه إلى القصرِ، فوجدَ الساحرَ العجوزَ نائماً، فأمسَكَه وربَطَه بحبالٍ متينةٍ، واحتضنَ الأميرةَ واحتضنَتْه. وَحَاوَلَ السَّاحِرُ أَنْ يَفِرَّ، لَكِنَّهُمْ أَمْسَكُوهُ. وفي اليومِ التالي، أَمَرَ الْقُبْطَانُ بِإِحْضَارِ الساحرَ الشريرَ، فَرَبَطُوهُ بِذَيْلِ بَغْلٍ وَحْشِيٍّ مَحْمُولٍ عَلَيْهِ الْجَوْزُ، فَانْكَسَرَ السَّاحِرُ إِلَى قِطَعٍ صَغِيرَةٍ بِعَدَدِ حَبَّاتِ الْجَوْزِ عَلَى ظَهْرِ الْبَغْلِ، وَمَاتَ شَرَّ مِيتَةٍ.

انتهتِ الحكايةُ، وعاشَ ابنُ البستانيِّ والأميرةُ في مملكتِهما، لكنَّ القارئَ يبقى معَ صورٍ متضاربةٍ عن بطلِها: شابٌّ طموحٌ، ذكيٌّ، كريمٌ معَ الضعفاءِ، قاسٍ معَ أعدائِه، يُهدِّدُ الفئرانَ بالقتلِ ليحصلَ على ما يريدُ، ثمَّ ينسى جميلَهم بعدَ أنْ يُحقِّقَ مرادَه، ويقتلُ كلاباً بريئةً ليستعملَ رمادَ عظامِها. هكذا هي الحكاياتُ القديمةُ: لا تُقدِّسُ أبطالَها، بل تَعرِضُهم كما هم، بكلِّ ما فيهم من نورٍ وظلٍّ، وتتركُ للقارئِ أنْ يُقرِّرَ أيَّ جزءٍ من قلبِهِ سيُعطي للبطلِ، وأيَّ جزءٍ سيُبقيهِ لنفسِه، تُعلِّمُنا أنَّ القوَّةَ بلا رحمةٍ قد تُحوِّلُ البطلَ إلى ظلٍّ لنفسِهِ، بينما الحقُّ والخيرُ لا يكتملان إلا بالتواضعِ والوفاءِ، فتظلُّ الحكاياتُ القديمةُ تهمسُ لنا، جيلًا بعد جيلٍ. اخترْ نورَكَ، واصنعْ طريقَكَ، واحفظْ ما تبقَّى من قلبِكَ للرَّحمةِ.

—

"الأمير سنبل والأميرة الصغيرة العزيزة" (Prince Hyacinth and the Dear Little Princess)

حكايةِ ملكٍ وقعَ في حبِّ أميرةٍ مسحورةٍ، وحكايةِ ابنٍ وُلدَ بأنفٍ طويلٍ لم يَعرفْ حقيقتَه حتى وقفَ بينَه وبينَ ما يُحِبُّ.

—

ملكٌ كانَ يحبُّ أميرةً من بعيدٍ، لكنَّها كانتْ مسحورةً لا تستطيعُ الزواجَ من أحدٍ. ذهبَ الملكُ إلى جِنِّيَّةٍ ليسألَها عن حيلةٍ، فقالتْ له الجِنِّيَّةُ: "أتعلمُ أنَّ للأميرةِ قطةً عظيمةً تحبُّها حبّاً شديداً؟ مَن استطاعَ أنْ يَدوسَ على ذيلِ تلكَ القطةِ فهو رجلُها." ظنَّ الملكُ الأمرَ سهلاً، وعزم على سحق ذيل القطة بدلاً من أن يتركه دون أن يدوس عليه، ومضى إلى القصرِ. دخلتِ القطةُ أمامَه تَمشِي بتِيهٍ، فخطا الملكُ خطوةً طويلةً، لكنَّ القطةَ التفتتْ بسرعةٍ، فداسَ على الهواءِ. استمرَّ الحالُ ثمانيةَ أيامٍ، حتى بدأ الملك يظن أن هذا

الذيل المشؤوم مملوء بالزئبق، إذ لم يهدأ لحظة، حتى نامتِ القطةُ يوماً وذيلُها ممتدٌّ، فداسَ عليه الملكُ بقوةٍ. صرختِ القطةُ صرخةً رهيبةً، وتحولتْ في الحالِ إلى رجُلٍ طويلٍ، حدَّقَ في الملكِ بعينينِ غاضبتينِ وقالَ: "ستتزوَّجُ الأميرةَ لأنك كسَرْتَ السحرَ، لكنَّني سأنتقمُ منك. سيكونُ لكَ ابنٌ، ولن يكونَ سعيداً حتى يكتشفَ أنَّ أنفَه طويلٌ جداً. وإنْ أخبرْتَ أحداً بما قلتهُ لكَ، ستختفي في لحظةٍ، ولن يراكَ أحدٌ أبداً." ضحكَ الملكُ من التهديدِ، قالَ في نفسِه: "إنْ كانَ ابني سيَملِكُ أنفاً بهذا الطولِ، فسيَراهُ أو يَشعُرُ بهِ حتماً، ما لمْ يَكُنْ أعمى أو بلا يدين!" ومضى ليتزوجَ الأميرةَ، ثم اختفى الساحرُ في الهواءِ.

طفلٌ وُلدَ للملكِ بعدَ سنواتٍ، سَمَّوه "سنبل". كانتْ عيناهُ زرقاوينِ كالبحرِ، وفمُه كالياقوتةِ، لكنَّ أنفَه كانَ ضخماً يغطي نصفَ وجههِ. حزنتِ الملكةُ حزناً شديداً، لكنَّ حاشيتَها طمأنوها وقالوا: "هذا أنفٌ رومانيٌّ، وكلُّ الأبطالِ في التاريخِ لهم أنوفٌ كبيرةٌ." صدَّقتِ الملكةُ، وأمرتْ ألا يُقرَّبَ منها أحدٌ ذو أنفٍ قصيرٍ، نظرَتْ إلى سنبلَ ثانيةً، فلمْ يَبْدُ لها أنفُه طويلاً كما ظنَّتْ أولَ مرَّةٍ!. بل صارَ حاشيةُ القصرِ، رغبةً في إرضاءِ الملكةِ، يَشدُّونَ أنوفَ أطفالِهم كلَّ يومٍ مراراً لِتُصبِحَ أطولَ، لكنَّهم - مهما فَعَلوا - لم يَكونوا شيئاً بالمقارنةِ مع أنفِ الأميرِ. وصارَ المعلمونَ يمدحونَ طولَ أنفِ الأميرِ كلَّ يومٍ، فور أن نطق، قصّوا عليه قصصاً مُروعة عن أصحاب الأنوف القصيرة، وكيف أنهم أناس حقيرون، ويروونَ له قصصاً عن عظماءِ التاريخِ ذوي الأنوفِ الطويلةِ. وكانت حجرته مُعلَّقة بالصور، كلها لأنوفٍ ضخمة، وكان يرى أن طول الأنف هو سرّ الجمال. كبرَ سنبلُ وهو مقتنعٌ بأنَّ جمالَ الرجُلِ في طولِ أنفِه، حتى أنَّه كانَ ينفي من يَجرؤُ على السخريةِ منه. وفي يومٍ، عرضتْ عليه الملكةُ صورَ أميراتٍ للزواجِ، وكانت من بينهنَّ صورةُ "الأميرةِ الصغيرةِ العزيزةِ". كانتْ جميلةً كالقمرِ، لكنَّ أنفَها كانَ صغيراً دقيقاً، مما أثارَ حفيظةَ حاشيتِه، الذينَ اعتادوا السخريةَ منَ الأنوفِ القصيرةِ، فكانوا يَضحكونَ أحياناً قبلَ أنْ يَتَذكَّروا أنفَسَهُم!. قال الأمير في نفسه: "لقد وجدتُها خلابة، لكن أنفها الصغير يزعج حاشيتي..." لكنَّ الأميرَ افتتنَ بها، ونفى اثنينِ من حاشيتِه لأنهم سخروا من أنفِها الصغيرِ. فكانَ جزاءُ سخريتِهما النفيَ!، بل إنَّ أحدَ المُقرَّبينَ أخبرَه أنَّ كليوباترا الجميلةَ كانَ أنفُها "مُفَلْطَحَ الطَّرَفِ"، فكافأه الأميرُ بكرمٍ، فرِحَ الأميرُ بهذهِ المعلومةِ فرحاً شديداً، وأغدقَ على المُخبرِ هدايا ثمينةً، كأنَّما كانَ يَسمعُ لأولِ مرَّةٍ أنَّ الجمالَ لا يَقتصرُ على طولِ

الأنفِ!. وبعثَ برسالةِ زواجٍ إلى أبيها. وافقَ الملكُ، وخرجَ الأميرُ سنبلُ ليقابلَها، وقطعَ في شوقِه إليها ثلاثةَ فراسخَ قبلَ أنْ يلقاها. لكنَّ الساحرَ الشريرَ ظهرَ كالبرقِ، وخطفَ الأميرةَ من بينِ يديهِ، واختفى بها في لحظةٍ، تاركاً الأميرَ واقفاً مذهولاً مكسورَ القلبِ. وأصابَ الأميرَ منَ الحزنِ ما لا يُعزَّى، فأعلنَ أنَّ لا شيءَ في الدنيا يُقنعُه بالعودةِ إلى مملكتِه قبلَ أنْ يظفرَ بها ثانيةً. ورفضَ أنْ يصحبَه أحدٌ من حاشيتِه، ثمَّ ركبَ جوادَه ومضى حزيناً يَبحثُ عنها.

سفرٌ بدأهُ الأميرُ سنبلٌ حزيناً، ركبَ جوادَه وتركَ مملكتَه خلفَه، رافضاً أن يتبعهُ أحدٌ. سارَ أياماً في سهولٍ قاحلةٍ، حتى اشتدَّ عليه الجوعُ والتعبُ، وفي المساءِ، رأى نوراً يخرجُ من كهفٍ، فاتجهَ إليه. وجدَ عجوزاً صغيرةً في غايةِ القِدمِ، أنفُها قصيرٌ جداً، ارتدَتْ نظارتَها لتَنظُرَ إلى الأميرِ، لكنَّها أمضَتْ وقتاً طويلاً في محاولةِ تثبيتِها على أنفِها القصيرِ، قبلَ أنْ تَستطيعَ رؤيتَه. فنظرَ كلٌّ منهما إلى الآخرِ للحظاتٍ، ثمَّ انفجرا ضاحكينِ معاً، وصاحَ كلٌّ منهما في الآخرِ: "يا له من أنفٍ مضحكٍ!" لكنَّ الأميرَ تمالكَ نفسَه وقال: "سيدتي، دعينا من حديثِ الأنفِ، وأطعِميني، فإني جائعٌ وفرسي جائعٌ." قالتِ العجوزُ: "معَ كلِّ سروري، أنت ابنُ أعزِّ أصدقائي، كانَ لأبيكَ أنفٌ وسيمٌ جداً. أُحبُّ أنْ أُخبِرَكَ عن محادثةٍ دارتْ بيني وبينه في آخرِ لقاءٍ جمعَنا." قالَ الأميرُ: "سأستمعُ إليكِ بكلِّ سرورٍ بعدَ العشاءِ، لكنَّني لمْ آكُلْ شيئاً اليومَ." فقالتِ العجوزُ: "المسكينُ محقٌّ، ادخُلْ وسأُقدِّمُ لكَ العشاءَ، وبينَما تأكُلُ أستطيعُ أنْ أرويَ لكَ قصَّتي في كلماتٍ قليلةٍ، فأنا لا أُحِبُّ الحكاياتِ الطويلةَ، فاللسانُ الطويلُ أسوأُ منَ الأنفِ الطويلِ." ثم أخذتْ تروي قصصاً عن الماضي، لكنَّ الأميرَ، الذي كانَ جائعاً جداً، قاطعها بلطفٍ، فشعرتِ العجوزُ بالإهانةِ، واستمرتْ في التعليقِ على أنفِه كلَّما تحدثتْ، وكانتْ خادمةٌ لها تمدحُها في كلِّ كلمةٍ وتضحكُ في خفاءٍ، حتى أنَّ الأميرَ لمْ يَعُدْ يَسمعُ من كلامِها إلاَّ "أنفُك طويلٌ، أنفُك كبيرٌ." فغضبَ في نفسِه وقالَ: "اللعنةُ على هذهِ العجوزِ! كمْ تُكرِّرُ الكلامَ عنْ أنفي! يظنُّ المرءُ أنَّ أنفي أخذَ كلَّ الطولِ الزائدِ الذي ينقصُ أنفَها! لولا أنّي جائعٌ لقطعتُ حديثَ هذهِ الثرثارةِ التي تظنُّ أنها قليلةُ الكلامِ! ما أغبى الناسَ عندما لا يرونَ عيوبَهم! هذا لأنها أميرةٌ، أفسدَها المتملقونَ وجعلوها تعتقدُ أنها معتدلةٌ في الكلامِ." لكنها مع ذلك لم تتوقف عن الكلام، وظلَّت تُحدِّثه عن أنفه حتى وهو يأكل.

غضبٌ ملأ قلبَ الأميرِ من كثرةِ تعليقاتِ العجوزِ على أنفِه، ألقى بنفسه على جواده ومضى في طرقاتِ الدنيا، لكنَّه في كلِّ مكانٍ يذهبُ إليه، كانَ الناسُ يتحدثونَ عن أنفِه، فيظنُّ أنهم مجانين، هوَ لمْ يَسمعْ في حياتِه إلاَّ المديحَ لأنفِه، لأنه اعتادَ طوالَ حياتِه أن يسمعَ أنَّ أنفَه وسيمٌ. كانَ غرورُ الأميرِ - الذي غذَّتهُ سنواتٌ منَ التملُّقِ - أعمى منْ عينيهِ، حتى جاءَ الحبُّ لِيُريهِ الحقيقةَ. وبينما هو يقطع الطريق في حيرة، وضعت العجوز الجنية خطتها، فرأتْ أنَّ الحلَّ الوحيدَ لإسعادِه هو أن تضعَ الأميرةَ الصغيرةَ في قصرٍ من كريستالٍ شفافٍ، وتضَعَ القصرَ في طريقِ الأميرِ. وعندما رآها، فرحَ فرحاً شديداً، وحاولَ بكلِّ قوتِه أن يكسِرَ القصرَ، لكنَّه فشلَ. حاولَ أن يُقرِّبَ يدَه لتقبيلِ يدِها، لكنَّ أنفَه الطويلَ كانَ يمنعُه من الوصولِ إليها. للمرةِ الأولى في حياتِه، أدركَ حقيقةَ أنفِه، حاولَ مراراً أنْ يُقرِّبَ يدَه إليها، لكنَّ أنفَه كانَ يَحولُ بينَه وبينَها، كأنَّه حاجزٌ منيعٌ، وصرخَ باكياً: "حقاً، أنفي طويلٌ جداً!"

تحطمٌ في تلكَ اللحظةِ، تطايرَ قصرُ الكريستالِ شظايا، ظهرتِ العجوزُ الجِنِّيَّةُ وأمسكتْ بيدِ الأميرةِ وقالتْ للأميرِ: "ألستَ الآنَ مديناً لي بالشكرِ؟ لقدْ حذَّرْتُكَ مراراً منْ طولِ أنفِكَ، فكم كان نفعي في كلامي عن أنفك! لو لم يعقْك عن مرادك ما كنتَ لتعرف قط مدى غرابته. أنت ترى كيف يمنعنا حب الذات من معرفة عيوبنا، عقولنا تحاول عبثاً أن تريها لنا، لكننا نرفض رؤيتها حتى تقف في طريق مصالحنا." وعادَ أنفُ الأميرِ إلى حجمِه الطبيعيِّ، وتزوَّجَ منَ الأميرةِ الصغيرةِ، وعاشا في سعادةٍ إلى الأبدِ. بعدَ أن تعلمَ أنَّ الجمالَ ليسَ في طولِ الأنفِ، بل في التواضعِ وقبولِ الحقيقةِ، وأنَّ الحبَّ لا يُقاسُ بمسافاتِ العيوبِ، بل بعمقِ القلوبِ.

—

"شرقَ الشمسِ وغربَ القمرِ"

—

عائلةٌ فقيرةٌ، كانَ ربُّها رجلاً كادحاً، له أولادٌ كثيرون، وطعامٌ قليلٌ، وثيابٌ باليةٌ. كانوا جميعاً جميلين، لكنَّ أصغرَ بناتِه كانتْ أجملَ منهنَّ جميعاً، جمالاً لا حدودَ له. وفي مساءِ خميسٍ خريفيٍّ عاصفٍ، بينما كانوا مجتمعينَ حولَ المدفأةِ، وإذا بثلاثِ طرَقاتٍ على زجاجِ النافذةِ. خرجَ الرجلُ ليرى، فإذا بِدُبٍّ أبيضَ ضخمٍ واقفٍ هناكَ. قالَ الدُبُّ: "مساءُ الخيرِ." ردَّ الرجلُ: "مساءُ الخيرِ." قالَ الدُبُّ: "هل تُعطيني ابنتَكَ

الصُّغرى؟ إنْ فعلتَ، فستُصبِحُ غنيّاً كما أنتَ فقيرٌ الآنَ." تردَّدَ الرجلُ، ودخلَ ليسألَ ابنَتَه، فقالتْ: "لا!" لكنَّ الأبَ ألحَّ عليها، وتحدَّثَ عنِ الغنى الذي سيعودُ عليهم، حتى وافقتْ في النهايةِ، وجهَّزتْ نفسَها، وغسلَتْ ثيابَها الرِّثَّةَ، وركبتْ على ظهرِ الدُبِّ الأبيضِ، وانطلقا. سارا طويلاً، حتى قالَ لها الدُبُّ: "أخائفةٌ أنتِ؟" قالتْ: "لا." قالَ: "تمسَّكي بفروي جيداً، فلن يمسَّكِ سوءٌ." وصلا إلى جبلٍ عظيمٍ، ضربَ الدُبُّ عليه، فانفتحَ بابٌ، ودخلا قلعةً مضاءةً بالذهبِ والفضةِ. أعطاها الدُبُّ جرساً فضيّاً، وقالَ: "إنْ احتجتِ شيئاً، فاقرعي هذا الجرسَ، سيحضرُ ما تريدين." أكلتْ، ونعستْ، وقرعتِ الجرسَ، فوجدتْ نفسَها في غرفةٍ بِسَريرٍ من حريرٍ مذهَّبٍ. لكنَّها لمَّا أطفأتِ الضوءَ، جاءَ رجلٌ ونامَ بجانبِها، وكانَ هو الدُبَّ الأبيضَ الذي يخلَعُ هيئتَه ليلاً، لكنَّها لم تَرَهُ قطُّ، لأنه كانَ يأتي بعدَ إطفاءِ الضوءِ ويذهبُ قبلَ الفجرِ.

شوقٌ غمرَ قلبَ الفتاةِ، فالحياةُ في الجبلِ كانتْ وحيدةً، فهيَ طوالَ النهارِ تَمْشِي وحدَها، وتَشتاقُ إلى أبيها وأمِّها وإخوتِها الذينَ كانوا في بيتِ والدِها. سألها الدُبُّ عن حزنِها، فأخبرَتْه، فقالَ: "هناكَ علاجٌ لذلك، إنْ وعدتِني ألاَّ تتحدَّثي معَ أمِّكِ وحدَكِ، بل بحضرةِ الآخرينَ، فإنَّها ستُمسكُ بيدِكِ وتُريدُ أنْ تُدخِلَكِ غرفةً لتتحدَّثَ معكِ وحدَكِ، لكنَّكِ لا تفعلينَ ذلكَ أبداً، وإلاَّ جلبتِ الشقاءَ علينا." وفي أحدِ الأحدِ، حملَها الدُبُّ إلى بيتِ أبيها، وكانَ المنزلُ قد تحوَّلَ إلى مزرعةٍ بيضاءَ كبيرةٍ، وإخوتُها يَلعبونَ في الخارجِ. لكنَّ الأمَّ، كما تنبَّأَ الدُبُّ، أصرَّتْ على التحدُّثِ معَ ابنتِها وحدَها، وأقنعَتْها أنْ تحملَ معَها شمعةً وتُخفيَها في صدرِها، وتنظرَ إلى الرجلِ الذي يأتيها ليلاً، محذِّرةً إيَّاها من أنَّها قد تكونُ نائمةً معَ "ترول" (غول). حملتِ الفتاةُ الشمعةَ وأخفَتْها في صدرِها، ورجعتْ إلى القلعةِ. وفي الليلِ، لمَّا نامَ الرجلُ، أشعلتِ الضوءَ ونظرَتْ إليهِ، فإذا هو أميرٌ وسيمٌ كالقمرِ، أجملُ أميرٍ رأتْهُ عينُها، فأحبَّتْهُ حبّاً جارفاً حتى كادتْ أنْ تموتَ إنْ لمْ تُقَبِّلْهُ في تلكَ اللحظةِ. فقبَّلَتْه، لكنَّ ثلاثَ قطراتٍ من الشمعِ الساخنِ سقطَتْ على قميصِه، فاستيقظَ مذعوراً وقالَ: "ماذا فعلتِ؟ لو انتظرتِ عاماً واحداً لكنتُ تحرَّرتُ. لكنَّ زوجةَ أبي الساحرةَ سحرتني، فأنا دُبٌّ أبيضُ نهاراً، وإنسانٌ ليلاً. والآنَ، كلُّ شيءٍ انتهى بينَنا، وسأضطرُّ للذهابِ إلى قلعَتِها، التي تقعُ شرقَ الشمسِ وغربَ القمرِ، وهناكَ أميرةٌ أنفُها طولُه ثلاثةُ أذرعٍ، وهي التي سأتزوَّجُها." بكَتِ الفتاةُ وناحَتْ، لكنَّ البُكاءَ لمْ يُجْدِ نَفْعاً، فَذَهابُهُ كانَ حَتْماً. ثُمَّ سَأَلَتْهُ: "أَلا يَسْمَحُ لِي أَنْ أَذْهَبَ مَعَكَ؟" قالَ: "لا، لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ

أَنْ يَحْدُثَ." قَالَتْ: "أَفَتُخْبِرُنِي بِالطَّرِيقِ، لأَبْحَثَ عَنْكَ، فَلَعَلَّ ذَلِكَ مَسْمُوحٌ بِهِ!" قالَ: "نَعَمْ، يُمْكِنُكِ فِعْلُ ذَلِكَ، لَكِنَّهُ لَا طَرِيقَ إِلَيْهِ، فَهُوَ يَقَعُ شَرْقَ الشَّمْسِ وَغَرْبَ الْقَمَرِ، وَلَنْ تَجِدِي طَرِيقَكِ إِلَيْهِ أَبَداً." ومضى تارِكاً إيَّاها تبكي.

بحثٌ بدأتْهُ الفتاةُ بعدَ أنِ استيقظَتْ في الصباحِ لتجدَ القلعةَ قد اختفتْ، وهيَ راقدةٌ على بقعةٍ خضراءَ صغيرةٍ في وسطِ غابةٍ كثيفةٍ، ومعها حُزمةُ خِرَقِها القديمةِ. فبكَتْ حتى تعِبَتْ، ثمَّ نهضَتْ وسارَتْ أياماً طوالاً، حتى بلغتْ جبلاً، وإذا بعجوزٍ تجلسُ وتلعبُ بتفاحةٍ ذهبيةٍ. سألَتْها الفتاةُ عنِ الأميرِ، فقالتِ العجوزُ: "أنتِ التي كانَ من حقِّها أنْ تتزوَّجَه؟ هاكِ تفاحتي الذهبيةَ، واركبي فرسي حتى تَصلي إلى أختي، وعندَما تَصِلينَ اضرِبي الحصانَ تحتَ أذنِه اليُسرى وقولي لهُ أنْ يَعودَ إلى بيتِه." ركبتِ الفتاةُ، ووصلتْ إلى عجوزٍ أخرى بمشطٍ ذهبيٍّ، فأعطَتْها إياهُ وأرسلَتْها إلى ثالثةٍ بمغزلٍ ذهبيٍّ، وكرَّرتْ معَها نفسَ التعليماتِ عنِ الحصانِ. وبعدَ أنْ أعطَتْها الثالثةُ المغزلَ، قالتْ لها: "اركبي إلى ريحِ الشرقِ واسأليه عنِ القلعةِ." ركبتِ الفتاةُ ريحَ الشرقِ، ثمَّ ريحَ الغربِ، ثمَّ ريحَ الجنوبِ، وكلُّهم يُرسِلُها إلى الذي يليه، حتى بلغتْ ريحَ الشمالِ، أقواهم جميعاً. قالَ ريحُ الشمالِ: "أنا أعرفُ الطريقَ، لكنَّكِ ستخافينَ من سرعتي." قالتْ: "لا أخافُ، خُذني." حملَها ريحُ الشمالِ على ظهرِه، وطارَ بها، تحتَهُ عاصفةٌ هوجاءُ، تقتلعُ الغاباتَ والمنازلَ، وتحطمُ السفنَ بالمئاتِ كلَّما علتْ فوقَ البحرِ، وظلَّا يَشُقَّانِ الهواءَ حتى أنهكَ الريحُ وأضناهُ التعبُ، فأخذَ يَهبطُ ويَهبِطُ حتى كادتِ الأمواجُ تلمسُ كعبَيها، ثمَّ ألقى بها على الشاطئِ تحتَ نوافذِ القلعةِ التي تقعُ شرقَ الشمسِ وغربَ القمرِ. وكانَ ريحُ الشمالِ قد أنهَكَتْه الرحلةُ وأضنَتْه، حتى إنَّه لم يَستطِعْ العودةَ إلى ديارِه إلا بعدَ أنْ استراحَ أياماً، وهوَ يَئِنُّ منَ الجهدِ الذي بذَلَه في سبيلِ توصيلِ الفتاةِ إلى غايتِها.

قلعةٌ كانتْ تلكَ القلعةُ، وهناكَ رأتِ الفتاةُ الأميرةَ ذاتَ الأنفِ الطويلِ. جلستِ الفتاةُ تحتَ النوافذِ، وبدأتْ تلعبُ بالتفاحةِ الذهبيةِ. فتحتِ الأميرةُ النافذةَ وقالتْ: "بكم هذه التفاحةُ؟" قالتِ الفتاةُ: "لا تُباعُ بذهبٍ ولا فضَّةٍ، لكنْ إنْ سمحْتِ لي بالدخولِ إلى الأميرِ هذهِ الليلةَ، فأنا أُعطيكِ إيَّاها." وافقتِ الأميرةُ، لكنَّها أعطتِ الأميرَ شراباً مُنوِّماً، فنامَ ولم يَستيقِظْ طوالَ الليلِ، مهما نادَتْه الفتاةُ وبكَتْ. وفي الليلةِ الثانيةِ، أعطتِ الفتاةُ المشطَ

الذهبيَّ، لكنَّ الأميرةَ كرَّرتِ الحيلةَ، ونامَ الأميرُ مجدداً. وفي اليومِ الثالثِ، صارَ هناكَ مسيحيُّونَ أسرى في القلعةِ، وكانَ أولئك المسيحيونَ الأسرى قد سمعوا بكاءَ الفتاةِ في الليلةِ الأولى والثانيةِ، فعلموا أنها تأتي كلَّ ليلةٍ تبحثُ عن حبيبِها، فأخبروا الأميرَ بما سمعوا. عندَها، أيقنَ الأميرُ أنَّ ثمَّةَ مكيدةً تُدبَّرُ ضده، وأنَّ شرابَ الأميرةِ ليسَ شرابَ عسلٍ، بلْ شرابُ نومٍ وغفلةٍ. وفي المساءِ، حينَ جاءتِ الأميرةُ ذاتُ الأنفِ الطويلِ بالكأسِ المعتادةِ، تظاهرَ الأميرُ بالشربِ، لكنَّه ألقى بالشرابِ خلفَ السريرِ في خفاءٍ، وتمارضَ حتى غادرتْ، ثمَّ انتظرَ في ظلامِ الغرفةِ، يترقَّبُ وصولَ حبيبَتِه. وعندَما دخلتِ الفتاةُ، كانَ مستيقظاً، فتعرَّفَ عليها، واتَّفقا على خُطَّةٍ.

قميصٌ كانَ هو الحلُّ، قالَ الأميرُ للفتاةِ: "غداً، سأطلبُ منَ العروسِ أنْ تغسِلَ القميصَ الذي عليهِ ثلاثُ قطراتِ الشمعِ، ولنْ تستطيعَ فعلَها لأنَّها ترولٌ، أمَّا أنتِ، فستغسلينَهُ لأنَّكِ من بني البشرِ." ثمَّ أضافَ: "وسأقولُ إنَّهُ لنْ يتزوَّجَ بي أحدٌ إلاَّ المرأةُ التي تستطيعُ فعلَ ذلكَ، وأنا أعلَمُ أنَّكِ تستطيعينَ." وفي الصباحِ، طلبَ الأميرُ منَ الأميرةِ ذاتِ الأنفِ الطويلِ أنْ تغسِلَ القميصَ، فغسَلَتْ هي وأمُّها وكلُّ التْرولاتِ، لكنَّ البقعَ كانتْ تكبُرُ وتَسوَدُّ كلَّما غسَلْنَ، حتَّى صارَ القميصُ أسودَ كالمدخنةِ. عندَها، نادى الأميرُ الفتاةَ التي كانتْ جالسةً تحتَ النافذةِ، وقالَ: "تعالي أنتِ." أخذتِ الفتاةُ القميصَ، وغمسَتْه في الماءِ، فعادَ أبيضَ كالثَّلجِ، بلْ أكثرَ بياضاً. صرخَ الأميرُ: "سأتزوَّجُكِ أنتِ." وهنا، غضبَتِ الأمُّ التْرولَةُ غضباً شديداً حتى انفجرَتْ، وانفجرَتِ الأميرةُ ذاتُ الأنفِ الطويلِ، ولا بُدَّ أنَّ كلَّ التْرولاتِ الصغارِ قد انفجرَتْ هيَ الأخرى، ولم يُرَ لهم أثرٌ منذُ ذلكَ الحينِ. وتزوَّجَ الأميرُ والفتاةُ، وأطلقا سراحَ كلِّ الأسرى المسيحيينَ، وحمَلا معَهما كلَّ الذهبِ والفضةِ التي استطاعا حملَها، ورحَلا بعيداً عن تلكَ القلعةِ التي كانتْ تقعُ شرقَ الشمسِ وغربَ القمرِ، وعاشا في هناءٍ لم ينقطعْ، بعدَ أنْ علَّمتْنا الحكايةُ أنَّ الحبَّ الحقيقيَّ لا يَهابُ السفرَ إلى أقاصي الدنيا، ولا يَخافُ رياحاً عاتيةً، ولا يَتردَّدُ في اجتيازِ المستحيلِ، ما دامَ هناكَ قلبٌ ينتظرُ وروحٌ تؤمنُ باللقاءِ.

"القزمُ الأصفرُ"
(The Yellow Dwarf)

—

ملكةٌ عجوزٌ كانتْ تعيشُ في قصرٍ شاهقٍ، وقدْ رُزِقَتْ بأولادٍ كثيرينَ، لكنَّها لمْ يَبقَ لها سوى ابنةٍ وحيدةٍ، وكانتْ هذهِ الابنةُ تساوي أَلْفَ ولدٍ في عينِها. وكانتِ الملكةُ، منذُ موتِ الملكِ أبيها، تخافُ عليها خوفاً شديداً، فأفسدَتْها ودلَّلَتْها، ولمْ تُحاولْ أبداً تصحيحَ عيوبِها. فنشأتْ هذهِ الأميرةُ، التي كانتْ جميلةً كالقمرِ، ووريثةً للعرشِ، على حبِّ الذاتِ والغرورِ، حتى صارتْ تزدري كلَّ إنسانٍ في العالمِ. وكانتِ الملكةُ تدلِّلُها وتُشجِّعُها، حتى أمرتْ كبارَ الرسامينَ بأنْ يَرسموا صورَتها، وأرسلَتْها إلى ملوكِ الجوارِ الذينَ كانتْ على صداقةٍ معهم. فما إنْ وقعتْ أبصارُهم عليها حتى اشتعلتْ قلوبُهم حبّاً، وتنافسوا في التقرُّبِ إليها، فأقاموا الحفلاتِ والمآدبَ، وأنفقوا الأموالَ الطائلةَ، وظلُّوا يَرجونَ نظرةً أو ابتسامةً، لكنَّ الأميرةَ لم تَلتفِتْ إلى أحدٍ منهم. بلْ إنَّ بعضَ الملوكِ أصيبوا بالمرضِ، وبعضُهم جُنَّ، وآخرونَ سافروا لرؤيتها وأصبحوا عبيداً لها. وكانَ بلاطُ الملكةِ هو الأكثرَ مرحاً في العالمِ، إذْ كانَ هناكَ عشرونَ ملكاً يَتنافسونَ في إرضاءِ الأميرةِ، ويُنفقونَ الأموالَ الطائلةَ على حفلةٍ واحدةٍ، ويَعتبرونَ أنفسَهم محظوظينَ إنْ قالتِ الأميرةُ عنْ حفلتِهم: "جميلٌ!" وكانَ الشعراءُ يتهافتونَ منْ كلِّ صوبٍ، فيُرسِلونَ إليها سَبْعَةَ آلَافِ سُوناتَةٍ أَوْ ثَمَانِيَةً، وَمِثْلَهَا مِنَ الْمَرَاثِي وَالْمَادْرِيغَالَاتِ وَالْأَغَانِي، حتى امتلأَتْ خزائنُ القصرِ بها، وأُضرمتْ منها النيرانُ في ليالي الاحتفالِ، إذْ كانتْ تتطايرُ وتتألقُ كأنَّها أَجودُ أنواعِ الحطبِ. وكانتِ الأميرةُ، التي بلغَتْ الخامسةَ عشرةَ من عمرِها، تَزدري كلَّ خاطبٍ يتقدَّمُ إليها، وتَستصغرُ كلَّ ملكٍ أو أميرٍ يُبدي إعجابَه بها، رغمَ أنَّ جميعَ الأمراءِ كانوا يرغبونَ في الزواجِ منها، لكنَّهم كانوا يَخافونَ منْ رفضِها، لأنَّها كانتْ لا تُبالي بقطعِ رؤوسِهم خمسَ أو ستَّ مراتٍ في اليومِ لتُسعدَها، وتَعتبرُ ذلكَ تافهاً. وكانتِ الملكةُ تُلحُّ عليها في اختيارِ زوجٍ، لكنَّ الأميرةَ كانتْ تردُّ ببرودٍ: "أنا سعيدةٌ كما أنا، يا أماه، دعيني في حالي. لا أريدُ أنْ أُحِبَّ أحداً." فتقولُ الملكةُ: "لكنَّكِ ستكونينَ سعيدةً معَ أيِّ منْ هؤلاءِ الأمراءِ، وسأغضبُ إنْ وقعْتِ في حبِّ شخصٍ لا يستحقُّكِ." لكنَّ الأميرةَ، التي كانتْ تَرى نفسَها فوقَ الجميعِ، لمْ تَعُدْ تَهتمُّ بأحدٍ. فأيقنَتِ الملكةُ أنَّ ابنتَها لنْ تتزوَّجَ، وندِمَتْ على تدليلِها الزائدِ لها، فقرَّرَتْ أنْ تستشيرَ جنيةً عجوزاً تُعرَفُ بـ"جنيةِ الصحراءِ"، لكنَّ الطريقَ إليها كانَ محفوفاً بالمخاطرِ، إذ كانتْ تحرسُها أسودٌ ضاريةٌ لكلِّ واحدٍ منها رأسانِ،

وثمانيةُ أقدامٍ، وأربعةُ صفوفٍ منَ الأنيابِ، وجلودُها حمراءُ قانيةٌ، صلبةٌ كأصدافِ السلاحفِ، لا تَخترقُها الأسنةُ، ولا تَردعُها العُصيُّ، لا تَعبأُ إلاَّ بكعكةٍ مُعيَّنةٍ تُصنَعُ من دقيقِ الدخنِ والسكَّرِ وبيضِ التماسيحِ.

كعكةٌ صنَعَتْها الملكةُ بيديها، وخرجَتْ تَبحثُ عن الجنيةِ في الصحراءِ. لكنَّها، إذْ لمْ تَكُنْ معتادةً على المشيِ لمسافاتٍ طويلةٍ، سرعانَ ما أتعَبَها السيرُ، فجلستْ تحتَ شجرةِ برتقالٍ لتستريحَ، وسرعانَ ما غلبَها النومُ. وعندَما استيقظَتْ، فَزِعَتْ حينَ وجدتِ الكعكةَ قد اختفتْ! وفي تلكَ اللحظةِ، سمعتْ زئيرَ الأسودِ تقتربُ، وكانتْ قدْ وجَدَتْ طريقَها إليها، فخافتْ خوفاً شديداً، وصرختْ في نفسِها: "ما ذا أفعلُ؟ سَتَأْكُلُنِي هذهِ الوحوشُ!" وإذْ بصوتٍ صغيرٍ يَأتي من فوقِ الشجرةِ، فرفعَتْ رأسَها ورأتْ قزماً أصفرَ الوجهِ، صغيرَ الجسمِ، طويلَ الأذنينِ، يأكلُ البرتقالَ. قالَ لها القزمُ: "أنا أعرفُكِ يا ملكةُ، وأعرفُ أنَّ الأسودَ ستأكُلُكِ لأنَّكِ فقدتِ الكعكةَ التي كانتْ ستُطعمينَها إيَّاها. ماذا! تترددين؟ إذن أنتِ تحبين أن تؤكلي حيةً! لكنْ إنْ وعدتِني بأنْ تُزوِّجيني ابنتَكِ الجميلةَ، فسأُنقذُكِ." وكانتِ الأسودُ تركضُ نحوَها منْ أعلى التلِّ، ولكلِّ أسدٍ رأسانِ وثمانيةُ أقدامٍ وأربعةُ صفوفٍ منَ الأنيابِ، وجلودُها حمراءُ كالنارِ، صلبةٌ كأصدافِ السلاحفِ. تردَّدتِ الملكةُ، وهيَ ترتجفُ كالحمامةِ حينَ ترى الصقرَ، لكنَّها لمَّا رأتِ الأسودَ تقتربُ، صرختْ: "أوه! يا سيدي القزم، بيليسيمـا ستتزوجك." فقال القزم بازدراء: "أوه، حقاً! بيليسيمـا جميلة بما يكفي، لكنني لا أرغب بشكل خاص في الزواج منها – يمكنك الاحتفاظ بها." فتوسلت الملكة قائلة: "أيها السيد النبيل، لا ترفضها، إنها أجمل أميرة في العالم." فقال: "حسناً، من باب الصدقة سأتخذها. لكن تأكدي ألا تنسي أنها لي." وما إنْ أنهى كلامَه حتى فتحَ باباً في جذعِ الشجرةِ، ودخلَتِ الملكةُ مسرعةً قبْلَ أنْ تَلحقَ بها الأسودُ، وإذا بها في حقلٍ منَ الشوكِ والقراصِ، وفي وسطِهِ كوخٌ صغيرٌ. رأتِ القزمَ يخرجُ من كوخِه الصغيرِ، يرتدي حذاءً خشبيّاً ومعطفاً أصفرَ قصيراً، أصلعَ الرأسِ، طويلَ الأذنينِ، يَبدو شيئاً صغيراً مثيراً للاشمئزازِ. ثمَّ أخذَها إلى حقلِ الشوكِ والقراصِ وقالَ لها: "هنا ستعيشُ ابنتُكِ معي، تأكلُ الضفادعَ السمينةَ وتشربُ من الجدولِ، وتمتطي حماراً تأكُلُ من هذا الشوكِ. وسأكونُ أنا رفيقَها دائماً – إنْ كانَ ظلُّها يَلتصقُ بها أكثرَ ممَّا أَلتصقُ أنا، فسأكونُ مندهشاً حقّاً!" عندَها صعِقَتِ الملكةُ منَ الهولِ، وغشيَ عليها.

عودةٌ إلى القصرِ، وحينَ أفاقتِ الملكةُ، وجدتْ نفسَها في سريرِها، ترتدي أطيبَ ثيابِها، على رأسِها أجمَلُ قُبَّعَةِ نومٍ منَ الدانتيلِ رآها في حياتِها. وظنَّتْ في البدايةِ أنَّ كلَّ ما حدثَ—الأسودَ والوعدَ للقزمِ—كانَ مجردَ حلمٍ، لكنَّ الطاقيةَ الجديدةَ ذكرَّتْها بأنَّهُ حقيقةٌ، فحزِنَتْ حزناً شديداً، ولمْ تَستَطِعْ أنْ تأكلَ أو تشربَ أو تنامَ منْ شدَّةِ التفكيرِ. ولمَّا سألَتْها الأميرةُ مراراً عنْ سببِ حزنِها، تملَّصتِ الملكةُ منَ الإجابةِ، وقالتْ إنَّها مريضةٌ، أو إنَّ جاراً يهدِّدُها بالحربِ. لكنَّ الأميرةَ، التي كانتْ ذكيةً رغمَ غرورِها، عرفَتْ أنَّ هناكَ أمراً يُخفى عنها، وقرَّرَتْ أنْ تذهبَ بنفسِها إلى جنيةِ الصحراءِ لتستشيرَها في أمرِ زواجِها، خاصةً أنها سمعتْ كثيراً عنْ حكمتِها. فصنعَتْ كعكةً لإرضاءِ الأسودِ، وفي إحدى الليالي، صعدَتْ إلى غرفَتِها باكراً، وتظاهَرَتْ بالذهابِ إلى النومِ، لكنَّها بدلاً من ذلك، ارتدَتْ حجاباً أبيضَ طويلاً، ونزلَتْ من سلمٍ سريٍّ، وخرجَتْ وحدَها في الليلِ. لكنَّها عندَ شجرةِ البرتقالِ، توقَّفَتْ لتأكلَ بعضَ الثمارِ، وفقدتْ كعكتَها كما فقدتْها أمُّها، وبحثَتْ عنها طويلاً دون جدوى، حتى كادَ اليأسُ يَتملَّكُها. وإذ بالقزمِ الأصفرِ يظهرُ أمامَها، فقالَ لها: "ما بكِ أيتها الجميلة؟ لماذا تبكين؟" فأخبرَتْه بقصَّتها، وكيفَ أنَّ أمَّها حزينةٌ، وكيفَ أنَّها تريدُ أنْ تستشيرَ الجنيةَ في أمرِ زواجِها، لأنَّها لمْ تجدْ بعدُ منْ يستحقُّها. فقالَ القزمُ: "وما تريدينَ من جنيةِ الصحراءِ؟ أنا صديقُها، وليسَ أقلَّ منها حكمةً. أُخبِرُكِ أنَّ الملكةَ، أمَّكِ، قدْ وعدَتْني بِكِ زوجةً." فرفضَتِ الأميرةُ بسخريةٍ، وقالتْ: "أمي وعدَتْك بي من غيرِ ما تسألني؟! كيفَ يَخطرُ ببالِكَ مثلُ هذا الهُراءِ؟!" فعندَما اقتربَتِ الأسودُ، خافتْ وصرخَتْ: "أفضلُ أنْ أتزوَّجَ كلَّ أقزامِ العالمِ بدلاً منْ أنْ أموتَ بهذهِ الطريقةِ الرهيبةِ!" فقالَ لها القزمُ: "انظري إليَّ جيداً يا أميرةُ قبلَ أنْ تُعطيني وعدَكِ، فلا أرغبُ في أنْ تَعديني في عجلةٍ من أمرِكِ." ثمَّ غشيَ عليها. وعندَما أفاقَتْ، وجدتْ نفسَها في سريرِها، ترتدي أجمَلَ الثيابِ، وفي إصبعِها خاتماً من شَعرةٍ حمراءَ، لا تستطيعُ نزعَه. حاولتْ نزعَه بكلِّ قوتِها، لكنَّ الخاتمَ اللعينَ كانَ كأنَّه قد وُلِدَ في إصبعِها.

يأسٌ وقلقٌ عمَّ القصرَ، والأميرةُ صامتةٌ حزينةٌ. وفي هذهِ الأثناءِ، أرسلَ كبارُ المملكةِ، الذينَ كانوا حريصينَ على رؤيةِ أميرَتِهم متزوجةً، إلى الملكةِ ليطلبوا منها أن تختارَ زوجاً لأميرتِهم في أسرعِ وقتٍ. فأجابتِ الملكةُ أنَّهُ لا شيءَ يسعدُها أكثرَ، لكنَّ ابنتَها تبدو غيرَ راغبةٍ في الزواجِ، ونصَحَتْهم بالذهابِ هم أنفسُهم للتحدُّثِ معَ الأميرةِ عن ذلكَ. فذهبوا إليها،

وكانتْ بيليسيما قد أصبحتْ أقلَّ غروراً منذُ مغامرتِها معَ القزمِ الأصفرِ، ولم تجدْ طريقةً أفضلَ للتخلُّصِ منَ الوحشِ الصغيرِ منَ الزواجِ منْ ملكٍ قويٍّ. لذلكَ، ردَّتْ على طلبِهم بشكلٍ أكثرَ إيجابيةً مما كانوا يأملون، واختارتْ - بعدَ تردُّدٍ - ملكَ مناجمِ الذهبِ، أميراً وسيماً وقوياً جداً، كانَ يحبُّها لسنواتٍ، لكنَّهُ لمْ يَعتقِدْ أبداً أنَّها ستَهتمُّ به. فرِحَ الملكُ الشابُّ، وبدأتِ الاستعداداتُ لعرسٍ لم يَرَ التاريخُ له مثيلاً. أُرسِلَتِ السُّفنُ لجلبِ الجواهرِ، وصُنِعَتِ الثيابُ من الفضَّةِ والذهبِ، وكانَ الملكُ يكتبُ الأشعارَ لأميرتِه، ويعزفُ لها على أوتارِ القلوبِ. وفي ليلةِ العرسِ، كانَ الجميعُ في أبهى حُلَّةٍ، والملكةُ تضعُ التاجَ على رأسِ ابنتِها، والملكُ الشابُّ ينتظرُها بفارغِ الصبرِ.

فاجعةٌ هزَّتِ القصرَ حينَ ظهرَتْ جنيةُ الصحراءِ، راكبةً على غريفينٍ مجنحٍ، وبجانبِها بازيليسقانِ ضخمانِ يجرَّانِ صندوقاً مُقفلاً. صرختِ الجنيةُ: "هو، هو! أيتها الملكة! هو، هو! أيتها الأميرة! أتظنّان أنكما ستخرجان من هذا بلا عقاب، بعد أن نقضتما الوعد الذي قطعته الملكة لصديقي القزم الأصفر؟ دونه وشجرته البرتقالية، كانت أسودي العظيمة ستأكلكما. وفي أرض الجنيات، لا نسمح بالإهانة!" ثم أضافت: "قررا الآن ما ستفعلانه، فأنا أقسم أن الأميرة ستتزوج القزم الأصفر، وإلا فسأحرق عصاي!" غضبَ الملكُ الشابُّ، وسحبَ سيفَه، وقالَ للجنيةِ: "ابتعدي عن بلادي أيها المخلوق البائس، وإلا سأقتلك وأتخلص من شرك." لكنَّ الصندوقَ انفتحَ، وخرجَ منه القزمُ الأصفرُ راكباً على قطةٍ إسبانيةٍ ضخمةٍ، وصرخَ في وجهِ الملكِ: "أنتَ منافسي! الأميرةُ لي!" فسخرَ الملكُ منه وقالَ: "أيها القزمُ البشعُ، أتجرؤ على المطالبةِ بهذهِ الأميرةِ؟ أتعلمُ أنكَ قبيحٌ لدرجةِ أنَّ النظرَ إليكَ يُقزِّزُ النفسَ؟" فاشتبكا في مبارزةٍ عنيفةٍ، وما إنْ بدأَ القتالُ حتى اشتعلتِ السماءُ حمراءَ كالدمِ، وأظلمَ النهارُ حتى كادتِ العيونُ لا تُبصرُ، وتَشقَّقَ الجوُّ بالرعودِ الهائلةِ، وتطايرَ البرقُ كأنَّه يُريدُ إحراقَ العالمِ. وإذْ بالبازيليسقينِ العملاقينِ يظهرانِ عن يمينِ القزمِ وشمالِه، كالجبلينِ الشاهقينِ، تنفثُ أفواهُهما وآذانُهما ناراً متأججةً كأفرانِ الجحيمِ. لكنَّ الملكَ الشابَّ لم يَخَفْ لهيبَها، بل ثبتَ ببسالةٍ جعلتِ الحاضرينَ يَطمئنونَ، وربَّما أربكتِ القزمَ الأصفرَ نفسَه. وفي تلكَ الأثناءِ، انقضَّتِ الجنيةُ على الأميرةِ، وطعَنَتْها برمحِها، فسقطَتْ غائبةً عنِ الوعيِ في أحضانِ الملكةِ، وانشغلَ الملكُ بها، فانتهزَ القزمُ الفرصةَ، وخطفَ الأميرةَ وطارَ بها فوقَ سطحِ القصرِ.

أسرٌ وقعَ فيهِ الملكُ الشابُّ، إذ حملَتْه الجنيةُ بعيداً إلى كهفٍ مظلمٍ، قيَّدَتْه بالسلاسلِ، ثمَّ حوَّلَتِ الجنيةُ نفسَها إلى شابةٍ جميلةٍ، وتظاهرَتْ بأنَّها جاءَتْ بالصدفةِ، لتَختبرَ وفاءَ الملكِ، لكنَّ عينَيهِ لم تَخفَ عليها حيلتُها. ومعَ أنَّ الجنيةَ كانتْ قد وقعَتْ في حبِّ الملكِ، وتزيَّنَتْ له وأظهرَتْ له حبَّها، إلاَّ أنَّ الملكَ، بينَما كانَ يُحدِّثُها، وقعَ بصرُه على قدمَيها، فإذا هما كقدمَي غريفينَ، فعرَفَ في الحالِ أنَّها جنيةُ الصحراءِ، لأنَّ قدمَيها كانتا الشيءَ الوحيدَ الذي لم تستطِعْ تغييرَه، مهما حسَّنتْ وجهَها. فخدعَها الملكُ بإظهارِ الاهتمامِ بها، وقالَ لها إنَّه مستعدٌ أن يُحبَّها إذا أطلقت سراحَه، فوافقتْ وأطلَقَتْ سراحَه ورَكِبَتْ معه في مركبتها التي سخّرت لها البجع بدلاً من الخفافيش التي كانت تجرها عادةً. وأثناءَ تحليقِهم، رأى الملكُ الأميرةَ محبوسةً في قلعةٍ من الفولاذِ اللامعِ، تبكي وحدَها، ورأته الجنيةُ ينظرُ إليها بحسرةٍ، فغارتْ منه. لكنَّ الملكَ تظاهرَ بأنَّه لم يَعُدْ يَهتمُّ بالأميرةِ، وقالَ للجنيةِ: "إنَّها مجرَّدُ ذكرى عابرةٍ، أمَّا أنتِ فأنتِ كلُّ حياتي." صدَّقَتْه الجنيةُ، ودخلَتْ به قصرَها منَ الزُّمُرُّدِ الشَّفَّافِ، وتركتْه يمشي على شاطئِ البحرِ وحده، مطمئنةً بأنَّه لنْ يهربَ، بينَما كانَتْ تُراقِبُهُ منْ بعيدٍ. وهناكَ، على الرمالِ، انحنى الملكُ حزيناً مكسورَ القلبِ، وكتبَ بعصاهُ:

"أأخيراً قد أتيتُ هذا الشطَّ لأُذرفَ دموعي،
وأُطفئَ بالدموعِ نارَ أشواقي؟
يا أسفاه! لا أرى حبيبتي التي كانت تُسلّي همّي.
وأنت أيها البحرُ العاتي، تهيجُ بك الرياحُ من الأعماقِ إلى القممِ،
وتحولُ بيني وبينَ حبيبتي، وأنا أسيرُ قواك!
قلبي أشدُّ هيجاناً منك، فلماذا يُعذَّبُ في هذا المنفى؟
ولماذا تُخطفُ مني أميرتي؟
يا حورياتِ البحرِ، من كهوفِ الأمواجِ،
اعلُمنَ حلاوةَ الحبِّ،
اخرجنَ وهَوِّنَّ هذه الأمواجَ،
وأطلقنَ عاشقاً حزيناً!"

وبينَما هوَ يكتبُ، وإذْ بحوريةِ بحرٍ جميلةٍ تطفو على قمةِ موجةٍ عاتيةٍ، شعرُها الذهبيُّ المُنسدلُ يَتماوجُ حولَها، وفي يدِها مرآةٌ ومشطٌ، وكانتْ تُمشِّطُ بهما شعرَها، وبدلاً من القدمينِ ذيلٌ جميلٌ كذيلِ السمكةِ، تَسبحُ به

بينَ الأمواجِ كأنَّها قطعةٌ من ضوءِ القمرِ. فخافَ الملكُ وظنَّ أنها قد تكون الجنية متنكرة، فقالتْ لهُ: "لا تخفْ، أنا صادقةٌ، أنا حوريةُ بحرٍ، وأعرفُ حُزْنَكَ، وأعرفُ الأميرةَ، ورأيتُها تبكي كلَّ يومٍ. الملكةُ أمُّها هي صديقتي، وأنا هنا لمساعدتِكَ." فاطمأنَّ الملكُ، وسألها عن حال الأميرة، فأخبرته أنها بخير لكنها حزينة. ثمَّ أعطَتْه سيفاً مصنوعاً من ماسةٍ واحدةٍ، وقالتْ لهُ: "خُذْ هذا السيفَ، فهوَ يَمنحُكَ القُدرةَ على اجتيازِ أيِّ خطرٍ، والتغلُّبِ على أعتى الصِّعابِ. لكنِ احذَرْ شيئاً واحداً: لا تُسقِطْهُ من يدِكَ أبداً، فإنْ سقَطَ فقدْ هَلَكْتَ." وأخذَتْه إلى قلعةِ الفولاذِ حيثُ الأميرةُ. في الطريقِ، اعترضَتْه أربعٌ وعشرونَ حوريةً، يحملْنَ أكاليلَ الزهورِ، وقلنَ له: "أينَ تمضي يا أميرُ؟ هذا المكانُ مُحرَّمٌ علينا أنْ ندعَكَ تعبرُه." لكنَّ صوتاً هامساً في أذنِه قالَ: "اضرِبْ، ولا تتردَّدْ." فمضى قدُماً، ومزَّقَ أكاليلَهنَّ، ومضى في سبيلِه. قالتْ لهُ حوريةُ البحرِ: "وداعاً، سأنتظرُ عندَ تلكَ الصخرةِ، فإنْ احتجتَ مساعدتي في حملِ أميرتِكِ الحبيبةِ، فلنْ أتخلى عنكَ." وهناكَ، واجهَ الملكُ أربعةَ أبو الهولِ (sphinxes) فقتلَهم، ثمَّ ستةَ تنانينَ تنفثُ النارَ من أفواهِها فذبحَهم، حتى بلغَ الأميرةَ. لكنَّه في لحظةِ لقائِها، أسقطَ السيفَ السحريَّ، فانقضَّ عليه القزمُ الأصفرُ – الذي كانَ مختفياً خلفَ خسَّةٍ – وسرقَهُ، وأمرَ عمالقةَ بتقييدِ الملكِ. وعندَما رفضتِ الأميرةُ الزواجَ منَ القزمِ، طعنَ القزمُ الملكَ في قلبِه بالسيفِ المسروقِ، فسقطَ الملكُ ميتاً. وما إنْ رأتِ الأميرةُ حبيبَها يموتُ حتى انهارَتْ عليه، وماتَتْ فوقَ جسدِه، وهي تَهمسُ باسمِه.

نخيلتانِ طويلتانِ نبتَتا مكانَ العاشقينِ، تتداعبانِ بأغصانِهما، وتهمسانِ بسرِّ الحبِّ الذي لا يموتُ. أمَّا القزمُ الأصفرُ، فقد فضَّلَ أنْ يَرَى الأميرةَ ميتةً على أنْ يَرَاها في أحضانِ غيرِهِ. وأمَّا جنيةُ الصحراءِ، فلمَّا عَلِمَتْ بخيانةِ الملكِ لها، هدمَتْ الضريحَ الكبيرَ الذي بنَتْه، واندلَعَتْ غضباً، لكنَّ الحوريةَ الطيبةَ الحزينةَ حوَّلَتِ العاشقينِ إلى نخيلينِ متلاصقينِ.

أنتهتْ حكايةُ القزمِ الأصفرِ، حكايةُ الحبِّ الذي يَعلو على السحرِ، والوفاءِ الذي يَنتصرُ على الموتِ، وإنْ كانَ الانتصارُ في شكلِ نخلةٍ تهزُّ أغصانَها للريحِ.

"ذاتُ الرداءِ الأحمرِ"

—

قريةٌ صغيرةٌ، كانتْ تسكُنُها فتاةٌ صغيرةٌ هي أجملُ ما رآتْ عينٌ في تلكَ النواحي. كانتْ أمُّها تُحبُّها حبّاً شديداً، وجدَّتُها تُحبُّها أكثرَ. وفي أحدِ الأيامِ، صنعَتْ لها جدَّتُها رداءً أحمرَ قانياً من قماشٍ ناعمٍ، فأصبحَ يُلائِمُها لدرجةٍ أنَّ الجميعَ صاروا يُنادونَها "ذاتَ الرداءِ الأحمرِ". وفي يومٍ من الأيامِ، قالتْ لها أمُّها: "اذهبي يا صغيرتي، وتفقَّدي جدَّتَكِ، فقد سمعْنا أنها مريضةٌ جداً، خُذي معكِ هذه الكعكةَ، وهذا الإناءَ الصغيرَ من الزبدةِ."

انطلقتِ الفتاةُ مسرعةً نحوَ منزلِ جدَّتِها في القريةِ المجاورةِ. وفي طريقِها، عبرَتِ الغابةَ الكثيفةَ، حيثُ كانتِ الأشجارُ تُظلِّلُ الطريقَ، والطيورُ تُغرِّدُ فوقَ رأسِها. بينما هي تسيرُ، إذا بذئبٍ كبيرٍ يخرجُ من بينِ الشجيراتِ، ويقفُ أمامَها، يبدو في هيئتِه كعجوزٍ ريفيٍّ، بعينينِ لامعتينِ وأنفٍ يَلهثُ بشغفٍ. فقدْ كانَ يتمنَّى أنْ يأكلَها لكنَّه لم يَجرؤْ بسببِ وجودِ الحطَّابينَ في الجوارِ. ابتسمَ الذئبُ ابتسامةً عريضةً، وقالَ لها بصوتٍ ناعمٍ: "أينَ تذهبيْنَ يا صغيرتي؟"

أجابتْ الفتاةُ ببراءةٍ، وهي لا تَدري أنَّ التحدُّثَ معَ الذئبِ خطرٌ: "أنا ذاهبةٌ إلى منزلِ جدَّتي، لأُعطيَها كعكةً وإناءً من الزبدةِ أرسلَتْها لي أمي." سألَها الذئبُ: "هلْ منزلُها بعيدٌ؟" قالتْ: "نعم، إنَّه خلفَ تلكَ الطاحونةِ، أوَّلُ بيتٍ في القريةِ." قالَ الذئبُ: "حسناً، سأذهبُ أنا أيضاً لزيارتِها. سأسلكُ هذا الطريقَ، وأنتِ ستسلكينَ ذاكَ، وسنرى مَن يَصِلُ أوَّلاً."

بدأَ الذئبُ يركضُ بأسرعِ ما يستطيعُ في أقصرِ طريقٍ، بينما توقَّفَتِ الفتاةُ في الطريقِ لتلتقطَ بعضَ البندقِ، وتطاردَ الفراشاتِ الزرقاءَ، وتقطفَ باقاتٍ منَ الأزهارِ البريَّةِ لتُهديَها لجدَّتِها. وصلَ الذئبُ إلى منزلِ الجدَّةِ قبلَها بوقتٍ طويلٍ، وطرقَ البابَ بهدوءٍ. قالتِ الجدَّةُ من الداخلِ بصوتٍ ضعيفٍ: "مَن هناكَ؟" أجابَ الذئبُ مُقلِّداً صوتَ الفتاةِ الناعمَ: "أنا حفيدتُكِ، ذاتُ الرداءِ الأحمرِ، جِئْتُكِ بكعكةٍ وإناءٍ من الزبدةِ أرسلَتْها لكِ أمي." قالتِ الجدَّةُ: "اسحبي المزلاجَ، سيفتحُ البابُ." سحبَ الذئبُ المزلاجَ، وانفتحَ البابُ، فدخلَ الذئبُ مسرعاً، وانقضَّ على الجدَّةِ المسكينةِ التي كانتْ راقدةً في سريرِها، والتهمَها في لحظةٍ، فقدْ كانَ جائعاً منذُ ثلاثةِ أيامٍ. ثمَّ أغلقَ

البابَ، وارتدى ثيابَ الجدَّةِ، وارتدى قبعَتَها الكبيرةَ، وارتمى في سريرِها ينتظرُ الفتاةَ.

وصلتِ الفتاةُ إلى المنزلِ بعدَ حينٍ، وطرقَتِ البابَ. قالَ الذئبُ من الداخلِ بصوتٍ خفيضٍ مُتعبٍ يُقلِّدُ الجدَّةَ: "اسحبي المزلاجَ، سيفتحُ البابُ." سحَبَتِ الفتاةُ المزلاجَ، ودخلتْ، ووضعتِ الكعكةَ والزبدةَ على المائدةِ. فقالَ الذئبُ، وهو مختبئٌ تحتَ أغطيةِ السريرِ: "ضعي الكعكةَ والزبدةَ على المِنضدةِ، وتعالَي اضطجعي معي." فخلعَتِ الفتاةُ ثيابَها، ودخلَتْ إلى السريرِ، فنظرَتْ إلى جدَّتِها فاستغرَبَتْ من مَظهرِها، فقالتْ بحيرةٍ: "يا جدَّتي، ما أطولَ ذراعَيْكِ!" قالَ الذئبُ: "لأَحضُنَكِ بها يا صغيرتي." قالتْ: "يا جدَّتي، ما أطولَ أذنَيْكِ!" قالَ: "لأَسمعَكِ بها." قالتْ: "يا جدَّتي، ما أوسعَ عينَيْكِ!" قالَ: "لأَراكِ بها." قالتْ: "يا جدَّتي، ما أضخمَ أسنانَكِ!" هنا، زأرَ الذئبُ وقالَ: "لأَأكُلَكِ بها!" وقفزَ منَ السريرِ، وانقضَّ على الفتاةِ المسكينةِ، والتهمَها في لحظةٍ، ولم يَبقَ منها سوى ردائها الأحمرِ الذي كانَ ملقىً على الأرضِ.

انتهتِ الحكايةُ كما انتهتْ، دونَ نجاةٍ، ودونَ حطَّابٍ يُنقِذُها في تلكَ الروايةِ القديمةِ. إنَّها حكايةٌ تُذكِّرُنا بأنَّ الثقةَ بالغرباءِ قد تكونُ قاتلةً، وأنَّ الطاعةَ للوالدينِ ليستْ مجرَّدَ كلمةٍ، بل درعٌ يحمي منَ الوحوشِ التي تَتَخفَّى خلفَ الألفاظِ الناعمةِ. هكذا هي الحكاياتُ القديمةُ: لا تُجمِّلُ الواقعَ، بل تَعرِضُه بعريِه، وتتركُ للقارئِ أنْ يستخرجَ العبرةَ بنفسِه.

—

"الجمالُ النائمُ في الغابةِ"

حكايةٍ تُعيدُ للحياةِ بهاءَها، وتُعلنُ أنَّ النومَ قد يكونُ مقدمةً ليقظةٍ أجمل.

—

أمنيةٌ راودتْ ملكاً وملكةً، فلم يُرزَقا بطفلٍ، وسافرا إلى كلِّ الينابيعِ المقدَّسةِ، ونذرا النذورَ، وفعلا كلَّ ما يفعلهُ العاشقونَ المحرومونَ، لكنَّ الأقدارَ تأبَّتْ طويلاً. وفي النهايةِ، رُزِقا بابنةٍ، كانتْ كالقمرِ في ليلةِ تمامِه. أُقيمَتْ حفلةُ تعميدٍ فخمةٌ، ودُعِيَتْ إليها كلُّ الجنياتِ اللواتي وُجِدْنَ في المملكةِ، وكنَّ سبعاً، لكي تُهديَ كلُّ واحدةٍ منهنَّ هديةً للطفلةِ، كما كانَ عادةُ الجنياتِ في ذلكَ الزمانِ. وبعدَ انتهاءِ حفلِ التعميدِ، عادَ الجميعُ إلى قصرِ الملكِ، حيثُ أُعِدَّتْ مأدبةٌ عظيمةٌ، ووُضِعَ أمامَ كلِّ جنيةٍ صَحنٌ من الذهبِ الخالصِ، وفيهِ ملعقةٌ وسكينٌ وشوكةٌ من ذهبٍ مُرصَّعٍ بالألماسِ والياقوتِ.

وليمةٌ كانتْ على وشكِ أنْ تبدأَ، لكنَّ بابَ القاعةِ انفتَحَ فجأةً، ودخلَتْ جنيةٌ عجوزٌ لم تُدعَ إلى الحفلِ، لأنَّها لم تَخرُجْ من برجِها منذُ أكثرَ من خمسينَ سنةً، وكانَ الجميعُ يَظنُّونَها ميتةً أو مسحورةً. أمرَ الملكُ بأنْ يُوضَعَ لها صَحنٌ، لكنَّه لم يستطِعْ أنْ يُقدِّمَ لها صَحناً من الذهبِ كما قدَّمَ للجنياتِ السبعِ، لأنَّه لم يُصنَعْ سوى سبعةٍ. شعرتِ العجوزُ بالإهانةِ، وأخذَتْ تُتمتمُ بتهديداتٍ بينَ أسنانِها. سمعَتْها إحدى الجنياتِ الصغيراتِ، وخافتْ أنْ تُهديَ العجوزُ هديةً شريرةً للأميرةِ، فاختبأتْ خلفَ ستائرِ القاعةِ لتكونَ آخرَ من يتحدَّثُ، وتُصلِحَ ما قدْ تُفسِدُه العجوزُ.

هدايا بدأتِ الجنياتُ تُقدِّمُها للأميرةِ الوضيعةِ: الأولى وهبتْها أنْ تكونَ أجملَ إنسانةٍ في العالمِ، والثانيةُ وهبتْها عقلَ ملاكٍ، والثالثةُ وهبتْها رشاقةً لا تُقاوَمُ في كلِّ ما تفعلُ، والرابعةُ وهبتْها رقصاً مثالياً، والخامسةُ وهبتْها صوتاً كالبلبلِ، والسادسةُ وهبتْها موهبةَ العزفِ على كلِّ الآلاتِ الموسيقيةِ. وحانَ دورُ العجوزِ، فهزَّتْ رأسَها هزَّةً مليئةً بالحقدِ، وقالتْ بصوتٍ أجشَّ: "ستَطعَنُ الأميرةُ يدَها بمغزلٍ، وتموتُ منَ الجرحِ." ارتجَّتِ القاعةُ، وانفجرَ الجميعُ في البكاءِ، لكنَّ الجنيةَ الصغيرةَ قفزَتْ من خلفِ الستارةِ وقالتْ: "لا تخافوا، لن تموتَ الأميرةُ، بل ستَغفو في نومٍ عميقٍ يدومُ مائةَ عامٍ، وفي نهايتِه يأتي ابنُ ملكٍ ويُوقِظُها."

أمرٌ أصدرَه الملكُ فوراً، فنَهى كلَّ الناسِ في مملكتِه عنِ الغزلِ باستخدامِ المغازلِ، بل عنِ امتلاكِ أيِّ مغزلٍ في بيوتِهم، تحتَ طائلةِ الموتِ. ومضتْ خمسَ عشرةَ سنةً، والأميرةُ تنمو في حمايتِها. وفي يومٍ من الأيامِ، بينما كانَ الملكُ والملكةُ في أحدِ قصورِهما البعيدةِ، صعدتِ الأميرةُ إلى

أعلى برجٍ في القصرِ، ودخلتْ غرفةً صغيرةً، فوجدتْ عجوزاً طاعنةً في السنِّ تجلسُ وحدَها وتَغزِلُ بمغزلِها، لأنَّها لم تسمعْ قطُّ بمرسومِ الملكِ. قالتِ الأميرةُ: "ما هذا الذي تفعلينَه يا جدتي؟" قالتِ العجوزُ: "أنا أغزِلُ يا صغيرتي." قالتِ الأميرةُ: "كم هذا جميلٌ! دَعيني أُجَرِّبْ." وما إنْ أمسَكَتِ المغزلَ حتى وخزَتْ يدَها، وسقطَتْ مغشياً عليها.

نومٌ عميقٌ حلَّ بالأميرةِ، وحملَها الحراسُ إلى أجملِ غرفةٍ في القصرِ، ووضعوها على سريرٍ من ذهبٍ وفضةٍ، وكانتْ كالملاكِ في جمالِها، خدَّاها ورديَّانِ، وشفتاها ياقوتيتانِ، لكنَّ عينَيها مغمضتانِ. أمرَ الملكُ ألاَّ يُزعِجَها أحدٌ، بل تَنامُ حتى يحينَ وقتُ يقظتِها. وفي تلكَ الأثناءِ، كانتِ الجنيةُ الطيبةُ التي أنقذَتْ حياتَها بعيدةً في مملكةِ "ماتاكين"، على بُعدِ اثنتيْ عشرةَ ألفَ فرسخٍ، لكنَّ قزماً صغيراً يرتدي حذاءَ سبعِ فراسخَ أخبَرَها بما حدثَ، فأتتْ مسرعةً في مركبةٍ ناريَّةٍ تجرُّها تنانينُ.

سكونٌ شاملٌ عمَّ القصرَ، إذ لمستِ الجنيةُ بَعصاها السحريةِ كلَّ شيءٍ في القصرِ، ما عدا الملكَ والملكةَ: المربياتِ، وخادماتِ الشرفِ، والحراسِ، والطهاةِ، والخيولَ في الإسطبلاتِ، والكلابَ في الفناءِ، وحتى الكلبَ الصغيرَ "موبسي" الذي كانَ نائماً بجانبِ سيدتِه. وفي لحظةٍ، نامَ الجميعُ، حتى السيوفُ المشويةُ على النارِ نامَتْ أيضاً. في أقلَّ من ربعِ ساعةٍ، نبتَتْ حولَ القصرِ غابةٌ كثيفةٌ، تضافرتْ فيها الأشجارُ الكبيرةُ والصغيرةُ، والشجيراتُ والأشواكُ، متشابكةً بحيثُ لا يستطيعُ إنسانٌ ولا حيوانٌ عبورَها، ولمْ يَبقَ ظاهراً منَ القصرِ سوى قممِ أبراجِه البعيدةِ.

قرنٌ من الزمانِ مضى، وماتَ الملكُ والملكةُ، وتوارثَ الملوكُ العرشَ، ونسيَ الناسُ تلكَ القلعةَ المسحورةَ. وفي أحدِ الأيامِ، خرجَ ابنُ الملكِ الحاليِّ للصيدِ في تلكَ النواحي، فرأى أبراجاً تَطلُّ من وسطِ الغابةِ الكثيفةِ، فسألَ عنْها، فقالَ له فلاحٌ عجوزٌ: "يا مولاي، سمعتُ من أبي، الذي سمعَ من جدِّي، كانَ الفلاحونَ يَختلفونَ في شأنِ تلكَ الأبراجِ: فبعضُهم قالَ إنَّها قلعةٌ قديمةٌ مهجورةٌ تسكُنُها الأرواحُ، وآخرونَ قالوا إنَّ السحرةَ والساحراتِ يَجتمعونَ فيها في ليالي سبتِهم. غيرَ أنَّ الفلاحَ العجوزَ أضافَ: لكنَّ جَدِّي روى لي روايةً أُخرى. أنَّ في هذهِ القلعةِ أميرةً نائمةً منذُ مائةِ عامٍ، وأنَّها ستُوقَظُ على يدِ ابنِ ملكٍ." اشتعلَ قلبُ الأميرِ شغفاً، ومضى نحوَ الغابةِ، فانفرجَتْ له الأشجارُ والشوكُ من تلقاءِ نفسِها، ومشى

في ممشىً واسعٍ، ودخلَ القصرَ، حيثُ رأى حراساً نائمينَ وهم يحملونَ رماحَهم، وخدماً نائمينَ في أوضاعٍ غريبةٍ، حتى بلغَ غرفةَ الأميرةِ.

لقاءٌ كانَ كالحلمِ، فقدْ رأى الأميرةَ نائمةً على سريرٍ من ذهبٍ، فاقتربَ منها مرتعشاً، وخرَّ على ركبتَيْه أمامَها. وفي تلكَ اللحظةِ، انقضى سحرُ المائةِ عامٍ، ففتحَتِ الأميرةُ عينَيها، ونظرَتْ إليهِ بنظرةٍ أعمقَ منَ الحياةِ نفسِها، وقالَتْ: "هل أنتَ أنت يا أميري؟ لقد انتظرتُكَ طويلاً." تحدَّثا أربعَ ساعاتٍ متواصلةٍ، دونَ أنْ يَشعُرا بالوقتِ، وفي النهايةِ، تزوَّجا في كنيسةِ القصرِ، دونَ أنْ يَعلمَ أحدٌ، كانتِ الملكةُ الأمُّ، والدةُ الأميرِ، تسألُه بينَ حينٍ وآخرَ عنِ المكانِ الذي يَقضي فيهِ أوقاتَه، لكنَّه كانَ يَخافُ أنْ يبوحَ لها بسرِّه، لأنَّها كانتْ من نسلِ (الأوجريس) "غول" أو "آكلو البشر". وكانَ الملكُ قد تزوَّجَها طمعاً في ثروتِها، لا حبّاً فيها. وعاشا معاً سنتينِ كاملتينِ، رُزِقا خلالَها بطفلينِ: ابنةٌ اسمُها "الصباحُ"، وابنٌ اسمُه "النهارُ"، لأنَّه كانَ أجملَ من أختِه.

خطرٌ محدقٌ بالأسرةِ السعيدةِ، فقدْ كانَ لأميرِنا أمٌّ من نسلِ آكلي البشرِ (أوجريس)، وكانَ الملكُ قد تزوَّجَها طمعاً في ثروتِها، وكانَتْ تَشتهي أكلَ اللحمِ البشريِّ الطازجِ. ولمَّا ماتَ الملكُ، عادَ الأميرُ وزوجتُه إلى العاصمةِ، لكنَّه سرعانَ ما اضطرَّ إلى الذهابِ للحربِ، تاركاً المملكةَ في يدِ أمِّه الشريرةِ، ومُوصياً إيَّاها خيراً بزوجتِه وطفليه. وما إنْ غادرَ حتى أرسلَتِ الأمُّ الآكلةُ للبشرِ زوجةَ ابنِها وأطفالَها إلى كوخٍ في الغابةِ، ثمَّ أمرَتْ طبَّاخَ القصرِ أنْ يُحضِرَ لها الطفلةَ "الصباحَ" لتأكُلَها في العشاءِ.

خداعٌ كانَ سلاحَ الطبَّاخِ المسكينِ، فقدْ ذهبَ إلى الطفلةِ الصغيرةِ التي كانتْ تلعبُ وتضحكُ، لكنَّه لم يستطعْ أنْ يُمسكَ سكينَه، فذبحَ حملًا صغيراً وطهاهُ بصلصةٍ شهيةٍ، وأكلَتْه الملكةُ بشراهةٍ، وظنَّتْ أنَّها أكلَتِ الطفلةَ. وبعدَ أسبوعٍ، طلَبَتْ "النهارَ"، فكرَّرَ الطبَّاخُ خديعتَه بجدٍّ صغيرٍ. وفي المساءِ الثالثِ، طلَبَتِ الملكةُ أنْ تأكلَ زوجةَ ابنِها الشابةَ، فوقفَ الطبَّاخُ حائراً، لكنَّه ذهبَ إليها وأخبرَها بالأمرِ، فقالتِ الأميرةُ: "افعَلْ ما أُمِرتَ به، لألحقَ بأطفالي." لكنَّ الطبَّاخَ كشفَ لها أنَّ أطفالَها أحياءٌ، فاختبأوا جميعاً في غرفتِه، وذبحَ الطبَّاخُ ظبيةً صغيرةً وأطعمَها للملكةِ.

فضيحةٌ انكشَفَتْ في إحدى الليالي، بينما كانتِ الملكةُ الأمُّ تَتجوَّلُ في أفنيةِ القصرِ، إذ سمعتْ صوتَ "النهارِ" يبكي لأنَّ أمَّه تُريدُ أنْ تَجلِدَه، وصوتَ "الصباحِ" تَستعطفُ لأخيها، فعرفَتِ الأصواتَ، وصرخَتْ غضباً، وأمرتْ بإحضارِ حوضٍ ضخمٍ مملوءٍ بالضفادعِ والثعابينِ والصلِّ، ليُلْقى فيهِ الأميرةُ وأطفالُها والطبَّاخُ وزوجتُه. وقفوا جميعاً على حافَّةِ الحوضِ، والأيدي مُقيَّدةٌ خلفَ ظهورِهم، لكنَّ في تلكَ اللحظةِ، عادَ الملكُ من الحربِ على حصانِه مسرعاً، ورأى المشهدَ المرعبَ، فسألَ عنِ الأمرِ، ولمَّا عرفَ الحقيقةَ، اندفَعَتْ أمُّه الآكلةُ للبشرِ نحوَ الحوضِ غضباً، وسقطَتْ فيهِ، فالتهمَتْها الوحوشُ في لحظةٍ.

خلاصٌ عمَّ القصرَ، واحتضنَ الملكُ زوجتَه وأطفالَه، وعاشوا جميعاً في هناءٍ، بعدَ أنْ علَّمَتْنا الحكايةُ أنَّ السحرَ قدْ يكونُ نعمةً مؤجَّلةً، وأنَّ الحبَّ يَنتصرُ على الزمنِ، وأنَّ الشرَّ يَأكُلُ نفسَه في النهايةِ. هكذا تنتهي حكايةُ الجمالِ النائمِ، تاركةً في القلبِ أملَ اليقظةِ بعدَ كلِّ نومٍ، وفرحةَ اللقاءِ بعدَ كلِّ انتظارٍ.

—

"سندريلا" Cinderella

تلكَ الفتاةُ التي حوَّلَ الألمُ رَمادَها إلى نورٍ، والحلمُ فقرَها إلى ملكٍ، والذكاءُ عزلتَها إلى بهاءٍ.

—

أرملٌ كانَ نبيلاً ثرياً، تزوَّجَ من امرأةٍ متكبرةٍ متعجرفةٍ، كانتْ أرملةً قبلهُ، ولها ابنتانِ تشبهانِها في الكِبْرِ والغرورِ. وكانَ لهذا النبيلِ ابنةٌ من زوجتِه الأولى، فتاةٌ في غايةِ اللطفِ والحسنِ، ورثتْ أخلاقَ أمِّها الطيبةِ التي كانتْ ألطفَ مخلوقةٍ في الدنيا. وما إنِ انتهتْ مراسمُ الزفافِ حتى أظهرتْ زوجةُ الأبِ حقيقتَها، فلم تستطِعْ أنْ تَتحمَّلَ فضائلَ الفتاةِ الجميلةِ، لأنَّها كانتْ تُبرِزُ عيوبَ ابنتَيها، فأنزلَتْها إلى أقسى الأعمالِ: غسلِ الأطباقِ، وتنظيفِ الغُرَفِ، وصَقْلِ الأرضياتِ. كانتْ الفتاةُ تنامُ في علِّيَّةٍ حقيرةٍ على فراشٍ من القشِّ، بينما كانتْ أختاها تنامانِ في غُرَفٍ فخمةٍ، بمرايا تُريهما صورَهُما منَ الرأسِ إلى القدمِ.

صبرٌ عجيبٌ كانَ للفتاةِ، فقدْ تحمَّلَتْ كلَّ هذا دونَ شكوى، ولم تَجرؤْ على إخبارِ أبيها، لأنَّ زوجتَه كانتْ تَتحكَّمُ فيهِ تماماً. وبعدَ الانتهاءِ منَ الأعمالِ، كانتْ تَجلِسُ في زاويةِ المدفأةِ بينَ الرمادِ والغبارِ، فسُمِّيَتْ "سندريلا" (أي الفتاةُ الرماديَّةُ)، لكنَّ أختَها الصغرى كانتْ تُناديها بهذا الاسمِ برفقٍ، بينما كانتِ الكبرى تسخرُ منها. ورغمَ ثيابِها الرِّثَّةِ، كانتْ سندريلا أجملَ مئةَ مرةٍ من أختَيها اللتينِ كانتا ترتديانِ أفخرَ الثيابِ.

حفلٌ أقامَه ابنُ الملكِ، ودُعِيَتْ إليهِ كلُّ شخصياتِ المجتمعِ الراقيةِ، ومن بينِهم أختا سندريلا، اللتانِ كانتا تَختارانِ الثيابَ والإكسسواراتِ بحماسٍ شديدٍ. طلبتا من سندريلا أنْ تُساعِدَهما في كَيِّ الملابسِ وتصفيفِ الشَّعرِ، فوافَقَتْ رغمَ كلِّ شيءٍ. ظلَّتا يومينِ دونَ طعامٍ من شدةِ الحماسِ، وكسرتا أكثرَ من اثني عشرَ شريطاً في محاولةِ شدِّ الخصرِ، وظلَّتا أمامَ المرآةِ طوالَ الوقتِ. وفي يومِ الحفلِ، انطلقتا إلى القصرِ، وبقيتْ سندريلا وحدَها تبكي بحُرقةٍ.

عجوزٌ ظهرَتْ فجأةً، كانتْ عرَّابتَها الجنيةَ، فسألَتْها عن سببِ بكائِها. قالتْ سندريلا: "أتمنَّى لو أستطيعُ الذهابَ إلى الحفلِ." قالتِ الجنيةُ: "كوني فتاةً صالحةً، وسأُدبِّرُ لكِ ذلك." ثمَّ طلَبَتْ منها أنْ تُحضِرَ لها يقطينةً من الحديقةِ، فأحضرَتْها، فضربَتْها الجنيةُ بعصاها، فتحوَّلَتْ إلى عربةٍ ذهبيةٍ رائعةٍ. ثمَّ نظرَتْ إلى مصيدةِ الفئرانِ، فوجدتْ ستَّةَ فئرانٍ حيَّةٍ، فضربَتْ كلَّ واحدٍ منها بعصاها، فتحوَّلَ إلى حصانٍ جميلٍ، فصارَ لديها ستَّةُ خيولٍ رماديَّةٍ مُرَقَّطةٍ. وبحثَتْ عن جرذٍ في المصيدةِ، فوجدتْ ثلاثةً، اختارتْ أكبَرَهم ذقناً، فضربَتْه فعصاها، فتحوَّلَ إلى مدربٍ سمينٍ جذوعٍ. ثمَّ طلبَتْ ستَّةَ سحاليَّ من خلفِ إبريقِ الماءِ، فضربَتْها فتحوَّلَتْ إلى ستَّةِ خَدَمٍ يرتدونَ الزيَّ المذهَّبَ.

حذاءٌ زجاجيٌّ أعطَتْه الجنيةُ لسندريلا، وكانَ أجملَ حذاءٍ في العالمِ. ثمَّ حذَّرَتْها: "لا تَبقي بعدَ منتصفِ الليلِ ولو لدقيقةٍ واحدةٍ، وإلاَّ تحوَّلَتِ العربةُ إلى يقطينةٍ، والخيولُ إلى فئرانٍ، والخَدَمُ إلى سحاليَّ، وثيابُكِ إلى خِرَقٍ." وعدَتْ سندريلا، وانطلَقَتْ إلى القصرِ. وما إنْ دخلَتِ القاعةَ حتى سادَ الصمتُ، وتوقَّفَتِ الموسيقى، وهمسَ الجميعُ: "ما أجملَ هذهِ الغريبةَ!" حتى الملكُ العجوزُ لم يستطِعْ أنْ يرفعَ عينَيْه عنها. قدَّمَها ابنُ الملكِ إلى أرقى مقعدٍ، ثمَّ دعاها للرقصِ، فرقصَتْ برشاقةٍ لم يَرَ لها الجمهورُ مثيلاً.

هروبٌ عندما سمعتْ سندريلا الساعةَ تدقُّ الحاديةَ عشرةَ والثلاثةَ أرباعَ، انطلَقَتْ مسرعةً إلى العربةِ، لكنَّها شعرتْ بالحنينِ إلى أختَيها، فجلستْ معهُما وأعطَتْهُما برتقالاً وليموناً من هدايا الأميرِ، فاندهشتا من كرمِ هذهِ الغريبةِ دونَ أنْ تعرِفاها. وعندَما عادَتْ إلى المنزلِ، وجدتِ الجنيةَ تنتظرُها، فطلَبَتْ منها الإذنَ بالذهابِ في اليومِ التالي. وفي اليومِ التالي، ذهبَتْ سندريلا إلى الحفلِ بثيابٍ أفخمَ من سابقتِها، ونسِيَتْ وصيَّةَ الجنيةِ، وعندَما دقَّتِ الساعةُ الثانيةَ عشرةَ، هربَتْ مسرعةً، لكنَّها أسقطَتْ أحدَ حذائَيها الزجاجيَّينِ على الدرجِ. التقطَه الأميرُ بحرصٍ، وأمرَ الجنودَ بالبحثِ عن صاحبتِه.

بحثٌ عمَّ المملكةَ، فجُرِّبَ الحذاءُ على كلِّ أميرةٍ ودوقةٍ، لكنَّه لم يَلِقْ بأيِّ قدمٍ. وعندَما وصَلَ إلى منزلِ سندريلا، هرعَتْ أختاها لتُجَرِّبا الحذاءَ، لكنَّ أقدامَهُما كانتْ كبيرةً جداً. نظرَتْ سندريلا إلى الحذاءِ وقالتْ بضحكةٍ: "دَعيني أُجرِّبُ." ضحكَتْ أختاها وسخِرَتا منها، لكنَّ المبعوثَ الملكيَّ أصرَّ على أنْ تُجرِّبَ كلَّ فتاةٍ. جلستْ سندريلا، ووضعَتْ قدمَها في الحذاءِ، فلامَسَها كأنَّه صُنِعَ لها. وهنا، أخرجَتْ من جيبِها الحذاءَ الآخرَ، وارتدَتْه، وفي تلكَ اللحظةِ، ظهرتِ الجنيةُ وضربَتْها بعصاها، فعادَتْ ثيابُها أفخمَ من أيِّ وقتٍ مضى.

اعترافٌ منَ الأختينِ، فسقطتا عندَ قدمَيها تطلبانِ العفوَ، فضمَّتْهما سندريلا وقبَّلَتْهما، وقالتْ: "أنا أسامحُكما من كلِّ قلبي." ثمَّ ذهبَتْ إلى الأميرِ، وتزوَّجا في حفلٍ باذخٍ، وسامحَتْ أختَيها، بل زوَّجَتْهُما من رجُلينِ نبيلينِ في القصرِ. وانتهتِ الحكايةُ، تاركةً في القلبِ أملَ أنَّ اللطفَ يَنتصرُ على القسوةِ، وأنَّ الحلمَ يَخلقُ منَ الرمادِ عالماً جديداً، وأنَّ الحذاءَ الزجاجيَّ قد يكونُ أصلبَ منَ الفولاذِ إذا كانَ يَحمِلُ حُلماً.

—

"علاءُ الدينُ والمصباحُ السحريُّ"

—

خياطٌ فقيرٌ كانَ يدعى مصطفى، يعيشُ في إحدى مدنِ الصينِ، وله ابنٌ اسمُه علاءُ الدين، كانَ فتىً مُهملاً كسولاً، لا يُحِبُّ إلاَّ اللعبَ في الشوارعِ معَ أمثالِه منَ الأولادِ العاطلينَ. حزِنَ الأبُ على ابنِه حزناً شديداً حتى ماتَ، لكنَّ علاءَ الدينَ لم يَتَغَيَّرْ رغمَ دموعِ أمِّه وتوسُّلاتِها. وفي يومٍ منَ الأيامِ، بينما كانَ يلعبُ في الشارعِ، تقدَّمَ منه غريبٌ يرتدي ثياباً فاخرةً، وسألَه عن عمرِه وعن اسمِ أبيه. قالَ علاءُ الدينُ: "أنا ابنُ مصطفى الخياطِ، لكنَّه ماتَ منذُ زمنٍ." عندَها، احتضنَ الغريبُ علاءَ الدينَ وقبَّلَه، وقالَ له: "أنا عمُّكَ، لقد عرفْتُكَ من شَبَهِكَ بأخي مصطفى. اذهَبْ إلى أمِّك وأخبِرْها أنِّي قادمٌ."

ساحرٌ كانَ ذلكَ الغريبُ في الحقيقةِ، ساحراً أفريقياً ماهراً، قرأَ في كتبِه السحريةِ عنْ مصباحٍ عجيبٍ يَمنحُ صاحبَه قوةً لا تُقاوَمُ، وكانَ يعلمُ أنَّ هذا المصباحَ لا يُستخرَجُ منَ الكهفِ إلاَّ على يدِ فتىً معيَّنٍ، فاختارَ علاءَ الدينَ لهذِهِ المهمةِ. ذهبَ علاءُ الدينُ إلى أمِّه وأخبَرَها، فتعجَّبَتْ وقالتْ: "كانَ لأبيكَ أخٌ، لكنِّي ظننتُه ميتاً." ومعَ ذلكَ، أعدَّتِ العشاءَ، وجاءَ الساحرُ ومعهُ النبيذُ والفاكهةُ، وأخذَ يُحدِّثُ علاءَ الدينَ عنِ التجارةِ، وعرضَ عليه أنْ يَفتحَ لهُ محلّاً ويُزوِّدَه بالبضائعِ، ففرِحَ الفتى. وفي اليومِ التالي، اشترى لهُ الساحرُ ثياباً فاخرةً، وطافَ بهِ في أنحاءِ المدينةِ يُريهِ معالمَها، ثمَّ عادَ بهِ إلى أمِّه التي فرِحَتْ فرحاً شديداً.

رحلةٌ إلى الجبالِ، حيثُ قادَ الساحرُ علاءَ الدينَ إلى وادٍ ضيِّقٍ بينَ جبلينِ، وأشعلَ ناراً، وألقى فيها بخوراً، وتلا كلماتٍ سحريةً، فانفتَحَتِ الأرضُ، وانكشَفَ حجرٌ مربَّعٌ عليهِ حلقةٌ نحاسيةٌ. قالَ الساحرُ لعلاءِ الدينِ: "انزِلْ إلى هذا الكهفِ، ستَجِدُ ثلاثَ قاعاتٍ كبيرةٍ، لا تَلْمِسْ شيئاً وإلاَّ مُتَّ. ثمَّ تمضِي إلى بستانٍ منَ الأشجارِ المثمرةِ، وفي آخرِه مِشكاةٌ يَعلوها مصباحٌ، اصرِفِ الزيتَ الذي فيهِ، وائتِني بهِ." وأعطاهُ خاتماً وقالَ: "هذا يحميكَ." نزلَ علاءُ الدينُ، وفعلَ كلَّ ما طُلِبَ منه، وجمعَ بعضَ الثمارِ التي كانتْ في الحقيقةِ جواهرَ ثمينةً، ثمَّ عادَ حاملاً المصباحَ. لكنَّ الساحرَ صرخَ فيهِ: "ناولني المصباحَ!" رفضَ علاءُ الدينُ أنْ يُعطيَه إيَّاهُ قبلَ أنْ يَخرُجَ منَ الكهفِ، فغضبَ الساحرُ وألقى بخوراً آخرَ وأغلقَ الحجرَ على علاءِ الدينِ، تاركاً إيَّاهُ في الظلامِ.

انتظارٌ طويلٌ مضى، لكنَّ علاءَ الدينَ لمَّا عَلِمَ أنَّ ابنَ الوزيرِ سيَتزوَّجُ الأميرةَ بعدَ شهرينِ، استدعى جنيَّ المصباحِ وقالَ: "أحضِرْ لي الليلةَ الأميرةَ وابنَ الوزيرِ." وفي الليلِ، نُقِلَ السريرُ بمنْ فيهِ إلى غرفةِ علاءِ الدينِ، فأخرجَ العريسَ إلى البردِ، وباتَ إلى جوارِ الأميرةِ دونَ أنْ يُؤذيَها. وفي الصباحِ، عادَ بهما الجنيُّ إلى القصرِ. تكرَّرَ الأمرُ في الليلةِ الثانيةِ، فشكا ابنُ الوزيرِ للأميرةِ، وطلبَ فسخَ الخطبةِ، فوافَقَ السلطانُ.

بناءُ قصرٍ فخمٍ لعلاءِ الدينِ بأمرِ الجنيِّ، حينَ حانَ موعدُ الزواجِ، فقدْ بنى لهُ قصراً منَ الرخامِ الأبيضِ، مُزيَّناً بالياقوتِ والزمردِ، يكونُ لهُ أربعةُ جدرانٍ منَ الذهبِ والفضةِ، وفي كلِّ جدارٍ ستُّ نوافذَ (أي أربعٌ وعشرونَ نافذةً)، تُرصَّعُ جميعُها بالياقوتِ والألماسِ، ما عدا نافذةً واحدةً تبقى غيرَ مكتملةٍ، لِيُشرِّفَ السلطانُ بإتمامِها. وأعطاهُ ثياباً ملكيَّةً، وخيولاً، وعبيداً، وأمرَ الجنيَّ بأنْ يفرِشَ طريقاً منَ المخملِ بينَ قصرِه وقصرِ السلطانِ. وعندَما رأى السلطانُ هذا البهاءَ، قالَ: "إنَّها أعجوبةُ الدنيا! لكنْ هناكَ شيءٌ واحدٌ يُدهشني: هل كانتْ النافذةُ الناقصةُ صدفةً أمْ عمداً؟" فأجابَ علاءُ الدينُ: "عمداً يا مولاي، لأُشرِّفَكَ بإتمامِها." ففرِحَ السلطانُ، وأرسلَ إلى أفضلِ الجواهريينَ في المدينةِ ليُكمِلوا النافذةَ، لكنَّهم فشلوا لأنَّ الجواهرَ لم تَكفِ، فأعادوا ما أَخَذوه، فأكملَ الجنيُّ النافذةَ بأمرِ علاءِ الدينِ. وعندَما رأى السلطانُ النافذةَ مكتملةً، ذُهِلَ وأكبَّ على علاءِ الدينِ يُقبِّلُه، وزوَّجَ ابنتَه منه في حفلٍ استمرَّ أياماً.

مكرٌ ساحرٌ أفريقيٌّ، كانَ قد تظاهرَ بأنَّه عمُّ علاءِ الدينِ، سمعَ بقصةِ علاءِ الدينِ، وعرفَ أنَّ المصباحَ هوَ سرُّ نجاحِه، فجاءَ إلى المدينةِ متنكِّراً، وصاحَ في الشوارعِ: "مصباحٌ جديدٌ بقديم!" وكانَ المصباحُ السحريُّ قد نَسِيَه علاءُ الدينُ في القصرِ، فأرسلَتِ الأميرةُ خادمةً لتُبادِلَه، فضحكَتِ الأميرةُ وخادماتُها منْ فكرةِ المبادلةِ السخيفةِ، وقالتْ لهَا الخادمةُ: 'هذا مصباحٌ قديمٌ في القصرِ، خُذيهِ وأَعطيهِ إيَّاهُ.' فلمْ تَدْرِ الأميرةُ أنَّ هذا المصباحَ هوَ كنزُ زوجِها. فأعطَتْه المصباحَ القديمَ، وأخذَتْ جديداً. فأسرعَ الساحرُ إلى خارجِ المدينةِ، وأمرَ جنيَّ المصباحِ أنْ ينقُلَ القصرَ والأميرةَ إلى أفريقيا.

ألمٌ عظيمٌ أصابَ السلطانَ حينَ رأى قصرَ ابنَتِه قدِ اختفى، واتَّهَمَ علاءَ الدينِ، وأمرَ بالقبضِ عليهِ، وأمرَ الجلادَ بقطعِ رأسِه. لكنَّ الشعبَ الذي كانَ

يُحِبُّ علاءَ الدينِ، تجمهرَ حولَ القصرِ مسلحاً لإنقاذِه، فتراجعَ السلطانُ وأمرَ بإطلاقِ سراحِه، وأعطاهُ أربعينَ يوماً ليعثرَ على الأميرةِ. عاشَ علاءُ الدينُ ثلاثةَ أيامٍ يَبحَثُ عنِ الأميرةِ باكياً، يسألُ الناسَ عنْ قصرِه فيضحكونَ عليهِ ويشفقونَ، حتى جاءَ إلى نهرٍ ليُصلِّيَ قبلَ أنْ يُلقيَ بنفسِه، ففركَ الخاتمَ الذي كانَ لا يَزالُ في إصبعِه، فظهرَ جنيُّ الخاتمِ، وأخبرَه أنَّ المصباحَ في أفريقيا، فنقَلَه الجنيُّ إلى هناكَ. ووجَدَ الأميرةَ تبكي في القصرِ، تشاورا معاً في خطةٍ محكمةٍ: أنْ ترتديَ الأميرةُ أجملَ ثيابِها، وتستقبلَ الساحرَ بترحابٍ، وتطلبَ منه أنْ يُحضِرَ لها خمراً من بلادِه لأنها سئمتْ خمرَ الصينِ. فذهبَ الساحرُ لإحضارِه، فسمَّتِ الأميرةُ الكأسَ التي قدَّمَتْها له، وما إنْ شرِبَها حتى سقطَ صريعاً، فانتزعَ علاءُ الدينُ المصباحَ منْ جيبِه، وأمرَ الجنيَّ أنْ يُعيدَ القصرَ والأميرةَ إلى الصينِ. عندَما استيقظَ السلطانُ ورأى القصرَ عادَ، هرعَ إليهِ، وضمَّ ابنتَه، وعفا عن علاءِ الدينِ، وأكرمَه وأعادَ لهُ مكانتَه.

ساحرٌ أفريقيٌّ آخرُ، وهوَ أخو الساحرِ الأولِ، وكانَ - إنْ أمكنَ - أكثرَ شراً ومكراً منْ أخيهِ. سمعَ بقصةِ علاءِ الدينِ، وعرفَ أنَّ المصباحَ هوَ سرٌّ نجاحِه، فجاءَ إلى المدينةِ لينتقمَ لأخيهِ. ذهبَ إلى زنزانةِ امرأةٍ صالحةٍ تُدعى فاطمة، ووضعَ خنجراً على صدرِها، وأمرَها أنْ تقومَ وتفعلَ ما يأمرُها بهِ وإلاَّ ماتَتْ. ثمَّ خلعَ ثيابَه وارتدى ثيابَها، ولوَّنَ وجهَه مثلَ لونِها، وارتدى نقابَها، ثمَّ قتلها لكي لا تُفشي سرَّه. ثمَّ توجَّهَ نحوَ قصرِ علاءِ الدينِ، وكلُّ الناسِ ظنُّوهُ المرأةَ الصالحةَ، فتجمهروا حولَه يُقبِّلونَ يدَيْه ويطلبونَ بركتَه. وعندَما وصلَ إلى القصرِ، سمعتِ الأميرةُ ضجَّةً، فأرسلَتْ خادمةً لتَنظُرَ منَ النافذةِ وتسألَ عمَّا يحدثُ، فأخبرَتْها الخادمةُ أنَّ المرأةَ الصالحةَ قدْ جاءتْ، وأنَّها تشفي الناسَ بلمسِها. ففرحَتِ الأميرةُ التي كانتْ تشتاقُ لرؤيةِ فاطمةَ منذُ زمنٍ، فأرسلَتْ في طلبِها. فلمَّا دخلَ الساحرُ على الأميرةِ، صلَّى لها ودعا لها بالصحةِ والبركةِ، ثمَّ جلستْ معه الأميرةُ وطلبتْ منه أنْ يبقى معها دائماً، فوافقَ الساحرُ. ثمَّ أخذتِ الأميرةُ الساحرَ إلى قاعةِ القصرِ الأربعِ والعشرينَ نافذةً، وسألَتْه عن رأيِه فيها، فقالَ الساحرُ: "إنَّها جميلةٌ حقاً، لكنْ ينقصُها شيءٌ واحدٌ: لوْ عُلِّقَتْ بيضةُ طائرِ الرُّخِّ منْ وسطِ هذهِ القبةِ، لَكانَتْ أعجوبةَ العالمِ." فلمْ تَهدأِ الأميرةُ بعدَ ذلكَ إلاَّ وهيَ تُفكِّرُ في بيضةِ الرُّخِّ، وألحَّتْ على علاءِ الدينِ أنْ يُحضِرَها لهَا. فلمَّا أمرَ علاءُ الدينُ جنيَّ المصباحِ بإحضارِ بيضةِ طائرِ الرُّخِّ، غضبَ الجنيُّ غضباً شديداً، واهتزَّتِ القاعةُ منْ هولِ صرختِه، وقالَ: "أيها

الجاحدُ! ألمْ يكفِكَ ما صنعتُ لكَ؟ أتأمرُني أنْ أُحضِرَ سيدي طائرَ الرُّخِّ لأُعلِّقَه في قبتكَ؟ إنَّ هذا الطلبَ لا يَصدرُ عنكَ، بلْ عنْ أخي الساحرِ الأفريقيِّ الذي أهلكْتَه، وهوَ الآنَ في قصرِكَ متنكِّراً في زيِّ المرأةِ الصالحةِ التي قتلها." ثمَّ كشفَ الجنيُّ لعلاءِ الدينِ حقيقةَ المتنكِّرِ، فأدركَ علاءُ الدينُ المؤامرةَ. فعادَ إلى الأميرةِ، وقالَ إنَّ رأسَه يؤلمُه، وطلبَ أنْ تُحضَرَ فاطمةُ لتضعَ يدَها على رأسِه. فلمَّا جاءَ الساحرُ، انتزعَ علاءُ الدينُ خنجرَه وطعنَهُ في قلبِه، فماتَ. فقالَتِ الأميرةُ مذعورةً: "ماذا فعلتَ؟ لقدْ قتَلْتَ المرأةَ الصالحةَ!" فأجابَ علاءُ الدينُ: "ليسَتْ صالحةً، بلْ ساحرٌ شريرٌ." وأخبَرَها كيفَ خُدِعَتْ.

عاشَ الجميعُ في هناءٍ، وتسلَّمَ علاءُ الدينُ الحكمَ بعدَ السلطانِ، وحكَمَ بالعدلِ سنواتٍ طويلةً. ظلَّ علاءُ الدينُ - رغمَ سلطانهِ - متواضعاً معَ الناسِ، كريمَ الخُلُقِ، لا يَزدري فقيراً، ولا يَتكبَّرُ على غنيٍّ، فأحبَّهُ رعاياهُ وأخلصوا لهُ. تعلَّمَ علاءُ الدينُ أنَّ القوةَ الحقيقيةَ ليست في المصباحِ، بل في القلبِ الطموحِ الذي يُضيءُ الطريقَ، وفي العقلِ الذي يدركُ أنَّ السحرَ لا يُغني عن الحكمةِ، وأنَّ الثروةَ والسلطانَ لا يَدومانِ إلاَّ بالعدلِ والتواضعِ.

—

حِكايَةُ الفَتى الَّذي انْطَلَقَ لِيَتَعَلَّمَ ما هُوَ الخَوْفُ

—

أخوانِ كانا لرجلٍ، أكبرُهُما كانَ ذكياً فَطِناً، يعرفُ ما يَفعَلُ في كلِّ أمرٍ، وأمَّا الأصغرُ فكانَ بَليداً، لا يَستطيعُ أنْ يَتعلَّمَ أو يَفهَمَ شيئاً. حتَّى إنَّ من رآهُ قالوا: "ما أثقلَ هذا على أبيه!" وكانَ إذا احتاجَ الأبُ إلى شيءٍ في الليلِ، وطريقُهُ يَمُرُّ بالمقبرةِ أو بموضعٍ موحشٍ، قالَ الأكبرُ: "لا، يا أبتِ، لا شيءَ يَحمِلُني على الذهابِ، إنَّهُ يُقَشْعِرُ بَدَني!" وأمَّا الأصغرُ فكانَ يَسمعُهم يقولونَ: "يُقَشْعِرُ بَدَني!" ولا يَدري ما معناهُ، ويَقولُ في نَفْسِهِ: "كلُّهم يقولونَ يُقَشْعِرُ! يُقَشْعِرُ! وأنا لا أَشعُرُ بشيءٍ! لعلَّها مَوهبةٌ لا أَستطيعُ إدراكَها!"

عتابٌ وجَّهَهُ الأبُ لابنِهِ ذاتَ يومٍ، فقالَ لهُ: "أنتَ تكبُرُ وتَقوى، وعليكَ أنْ تَكسبَ قوتَكَ. انظُرْ إلى أخيكَ كيفَ يَجعَلُ جهدَهُ، أمَّا أنا فقد أَضَعْتُ كلَّ ما أَنفَقْتُهُ على تَعليمِكَ." فأجابَ الفتى: "سأَتَعلَّمُ بكلِّ سرورٍ، بلْ لو أَستطيعُ أنْ

أَتعلَّمَ ما هوَ الخوفُ! فهذا ما لا أَفهَمُهُ البتَّةَ." فضحِكَ أخوهُ وقالَ في نَفْسِهِ: "ما أَحمقَ أخي!" وتنَهّدَ الأبُ وقالَ: "ستَتَعلَّمُ الخوفَ قريباً، لكنَّ ذلكَ لنْ يُكسبَكَ رزقاً."

حيلةُ ساكنِ الكنيسةِ، فقدْ جاءَ لزيارتِهم، فشَكا لهُ الأبُ حالَ ابنِهِ، وقالَ: "إنَّهُ طلبَ مني أنْ أُعلِّمَهُ الخوفَ!" فقالَ ساكنُ الكنيسةِ: "إنْ كانَ هذا كلَّ ما يريدُ، فسَأُعلِّمُهُ ذلكَ، أَرسِلْهُ إليَّ." فأرسلَهُ الأبُ، وكانَ منَ المَطلوبِ منهُ أنْ يَقرَعَ الناقوسَ. وفي ليلةٍ، أيقَظَهُ ساكنُ الكنيسةِ في مُنتَصفِ الليلِ، وقالَ لهُ: "قُمْ إلى البُرجِ واضرِبِ الناقوسَ، وسَأُعلِّمُكَ الخوفَ." ثُمَّ سبَقَهُ خُفْيَةً وصَعِدَ إلى البُرجِ، وتَخَبَّأَ على هيئةِ طيفٍ أبيضَ. فلمَّا رآهُ الفتى، صاحَ بهِ: "مَنْ أنتَ؟" فلم يُجِبْهُ، فصاحَ بهِ ثانيةً: "تَكَلَّمْ، وإلاَّ أَلقَيْتُكَ منَ الدَّرَجِ!" وظلَّ ساكنُ الكنيسةِ صامتاً، فانْدَفَعَ الفتى نحوهُ ودفَعَهُ منَ الدَّرَجِ، فسقَطَ وكُسِرَتْ رِجلُهُ. فجاءَتْ زوجتُه إلى أبيهِ تَشكو، فأخرَجَهُ الأبُ منَ المنزلِ وأعطاهُ خمسينَ دولاراً، وقالَ لهُ: "انطَلِقْ إلى الدنيا، ولا تُخبِرْ أحداً من أينَ أتيتَ."

طريقُ الفتى، فانطَلَقَ يُردِّدُ: "يا ليتَني أَعلَمُ ما هوَ الخوفُ!" فمَرَّ بهِ رجُلٌ، وقالَ لهُ: "انظُرْ إلى شجرةِ المَشنَقَةِ، حيثُ عُلِّقَ سبعةُ رجالٍ، اِجلِسْ تحتها حتى الليلِ، وستَعلَمُ الخوفَ." فجلسَ الفتى تحتها، وأشعَلَ ناراً، ولمَّا هبَّتِ الريحُ وأمالَتِ الجُثَثَ، قالَ في نَفْسِهِ: "ما أَبردَ هؤلاءِ المساكينَ!" فأنزَلَهُم وأدارَ وجوهَهُم نحوَ النارِ، قالَ لهُم: إذا كُنْتُمْ تَشْعُرونَ بِالبَرْدِ، فَتَعالَوْا وَاجْلِسوا عِنْدَ النارِ لِتَدْفَأوا. فاحترَقَتْ ثيابُهم، فغَضِبَ وأعادَهُم إلى مكانِهم. وفي الصباحِ، قالَ لهُ الرجُلُ: "أَتَعلَّمْتَ الخوفَ؟" قالَ: "لا، هؤلاءِ الحمقى لم يَتَكَلَّموا، وترَكوا ثيابَهُم تَشتَعِلُ!"

نزُلٌ بلغَهُ الفتى معَ سائقِ عربةٍ، فلمَّا سمعَ صاحِبُ النُّزُلِ الفتى يقولُ: "يا ليتَني أَعلَمُ الخوفَ!" قالَ: "هنا سَتُتاحُ لكَ الفُرصةُ." ولكنَّ زوجتَهُ حذَّرَتْهُ، فقالَ الفتى: "سَأَفعَلُ، فهذا ما جِئْتُ منْ أَجلِهِ." فدلَّهُ صاحِبُ النُّزُلِ على قَصرٍ مَسكونٍ، حيثُ يُمكِنُ تَعلُّمُ الخوفِ في ثلاثِ لَيالٍ، ومَن يَفعَلْ ذلكَ يَتَزَوَّجُ بابنةِ المَلِكِ. فذهبَ الفتى إلى المَلِكِ، وطلَبَ ثلاثةَ أشياءَ: ناراً، ومِخرَطَةً، ومِنضدةَ نَحَّاتٍ معَ سِكِّينٍ.

الليلةُ الأولى: أشعَلَ الفتى ناراً في القصرِ، وإذا بِقِطَّينِ أسودينِ ضَخمينِ يَظهَرانِ ويَطلبانِ لعبَ الورقِ، فقَطَعَ أظفارَهُم وسَحَقَهُما. ثمَّ تَزاحَمَتْ عليهِ

قططٌ وكلابٌ سوداءُ تُلقي سَلاَسِلَ ناريَّةً، فطارَدَها بسِكِّينِهِ. ثمَّ نامَ على سَريرٍ، فانطَلَقَ بهِ السَّريرُ يَجري في أرجاءِ القصرِ، ثُمَّ انقَلَبَ بهِ، خَرَجَ مِنْ تَحْتِهِ وَقالَ: 'الآنَ، مَنْ يَرْغَبُ فَلْيَذْهَبْ في جَوْلَةٍ!. فنهَضَ ونامَ عندَ النارِ. وفي الصباحِ، قالَ للمَلِكِ: "نِعمَ الليلةُ كانتْ! ولكِنَّني لمْ أَتَعَلَّمِ الخوفَ بعدُ."

الليلةُ الثانيةُ: جلسَ الفتى عندَ النارِ، وإذْ بنِصفِ رجُلٍ يَسقُطُ منَ المَدخَنةِ، فقالَ: "ناقصٌ! هناكَ نِصفٌ آخرُ!" فسقَطَ النِّصفُ الآخرُ، والتأمَا، وجلسَ على مَقعَدِ الفتى، فدفَعَهُ الفتى. ثمَّ سقَطَ رجالٌ آخَرونَ، وأحضَروا أرجلَ هيكلٍ عظميٍّ وجمجَمَتَينِ، ولعِبوا بها لعبةَ البولينغ، فانضمَّ إليهم الفتى وخسِرَ بعضَ نقودِهِ. وفي الصباحِ، قالَ للمَلِكِ: "لعِبْتُ البولينغَ وخسِرْتُ!"

الليلةُ الثالثةُ: جاءَ ستَّةُ رجالٍ يَحمِلونَ نَعشاً، فظنَّ الفتى أنَّهُ ابنُ عمِّهِ الميِّتُ، ففتَحَ النَّعشَ وأَخرَجَ الجُثَّةَ، وأدفَأَها عندَ النارِ، ثُمَّ وضَعَها في سَريرِهِ واستَلقى بجانبِها، فعادَتِ الجُثَّةُ إلى الحياةِ وكادَتْ تَخنُقُهُ، فأعادَها إلى النَّعشِ. ثمَّ دخلَ رجُلٌ عجوزٌ هائلٌ، وتَبارَزا، فشقَّ الفتى السَّندانَ وأمسكَ بلِحيَةِ العجوزِ، صَرَخَ فيهِ: 'الآنَ أَمْسَكْتُ بِكَ، هذِهِ المَرَّةُ حانَ دَوْرُكَ لِتَمُوتَ!'. ضَرَبَهُ بقضيبٍ حديديٍّ حتَّى استَغاثَ وأَرشَدَهُ إلى ثلاثةِ صناديقَ منَ الذهبِ.

صباحٌ جديدٌ أشرقَ على القصرِ، ودخلَ الملكُ وسألَ الفتى: "الآنَ، لا بدَّ أنَّكَ تَعلَّمْتَ ما هوَ الخوفُ!" هزَّ الفتى رأسَهُ وقالَ: "لا، ما عَساهُ أنْ يكونَ؟ لقدْ كانَ ابنُ عمِّي المَيِّتُ هنا، وجاءَ رجُلٌ عجوزٌ ذو لِحيةٍ وأراني مالاً كثيراً في الأسفلِ، لكنْ لمْ يُخبِرْني أحدٌ ما هوَ الخوفُ." فقالَ الملكُ: "حسناً، لقدْ خلَّصْتَ القلعةَ، وسَتَتزوَّجُ ابنتي." قالَ الفتى: "هذا كلُّ شيءٍ طَيِّبٍ، لكنَّني ما زِلْتُ لا أَعلَمُ ما هوَ الخوفُ."

ذهبٌ أُحضِرَ منَ القبوِ، وأُقيمَ حفلُ الزفافِ، لكنَّ الملكَ الشابَّ كانَ لا يَزالُ يقولُ: "يا ليتَني أَعلَمُ الخوفَ! يا ليتَني أَعلَمُ الخوفَ!" غَضِبَتْ زوجتُه منْ ذلكَ، قالتْ خادِمَتُها: "سَأَجِدُ لهُ عِلاجاً؛ سيَتَعلَّمُ قريباً ما هوَ الخوفُ." خرجَتْ إلى الجَدْوَلِ الذي كانَ يَجري عبرَ الحديقةِ، أحضَرَتْ دَلواً كامِلاً منَ الأسماكِ الصَّغيرةِ. وفي الليلِ، بينما كانَ الملكُ الشابُّ نائماً، نزَعَتْ زوجتُه عنهُ ثيابَهُ، صبَّتْ عليهِ دَلوَ الماءِ الباردِ معَ الأسماكِ الصَّغيرةِ.

فزِعٌ أيقظَ الملكَ الشابَّ منْ نومِه، فصاحَ: "آهٍ! كيفَ يُقَشْعِرُ بَدَني! كيفَ يُقَشْعِرُ بَدَني يا زوجتي العزيزة! نعم، الآنَ عَرَفْتُ ما هوَ الخوفُ!"

تَنْتَهِي حِكايَةُ "الفَتَى الَّذِي انْطَلَقَ لِيَتَعَلَّمَ ما هُوَ الخَوْفُ"، وَتَبْقَى في القَلْبِ عِبْرَةٌ. أَنَّ الشَّجاعَةَ لا تَعني غِيابَ الخَوْفِ، بَلْ مُواجَهَتَهُ، وأَنَّ التَّجارِبَ القاسِيَةَ قَدْ تَكونُ أَفضَلَ مُعَلِّمٍ، وأَنَّ الحَياةَ تَمنَحُنا ما نَستَحِقُّهُ عِندَما نَصْبِرُ ونُواصِلُ السَّعْيَ، حَتَّى ولو كانَ طَريقُنا مَليئاً بِالمَخاوِفِ والمَغامَراتِ.

—

"رامبيلستيلتسكين" (Rumpelstiltskin)

—

طحَّانٌ فقيرٌ كانَ يسكنُ في إحدى قرى مملكةٍ بعيدةٍ، لهُ ابنةٌ جميلةٌ كأنَّها قطعةٌ منَ القمرِ، لكنَّها كانتْ بسيطةً لا تعرفُ منَ الدنيا سوى بيتِ أبيها ومغزلِ أمِّها. وفي يومٍ منَ الأيامِ، صادفَ الطحَّانُ أنْ يُقابِلَ الملكَ في أحدِ مجالسِه، فأرادَ أنْ يُظْهِرَ أهميَّتَه أمامَ الملأِ، فقالَ لهُ بكلِّ فخرٍ وتباهٍ: "يا مولايَ الملكُ، إنَّ لي ابنةً عجيبةً، تستطيعُ أنْ تَغزِلَ القشَّ اليابسَ ذهباً لامعاً!" وما إنْ سمعَ الملكُ هذهِ الكلمةَ حتى اشتعلَ قلبُه طمعاً، فصاحَ قائلاً: "أحضِروا هذهِ الفتاةَ إلى قصريَ الآنَ."

وصلتِ الفتاةُ إلى القصرِ خائفةً مرتعشةً، وما إنْ دخلَتْ حتى أغلقَ الملكُ عليها بابَ غرفةٍ كبيرةٍ مملوءةٍ بالتبنِ والقشِّ الجافِّ إلى سقفِها، وأعطاها مغزلاً خشبيّاً وقالَ لها بصوتٍ حادٍّ: "هاكِ هذا المغزلَ، إنْ لم تَغزِلي هذا القشَّ كُلَّهُ ذهباً خالصاً بحلولِ صباحِ الغدِ، فمَوْتُكِ محتومٌ، ولنْ يَنْجيكِ منِّي أحدٌ." ثمَّ أدارَ ظهرَه، وخرجَ وأغلقَ البابَ خلفَه بقوةٍ، تاركاً الفتاةَ وحدَها في تلكَ الغرفةِ الباردةِ الموحشةِ.

جلستِ الفتاةُ على كومةِ القشِّ، وأخذَتْ تبكي بحُرقةٍ وألمٍ، فهيَ لا تعرفُ كيفَ تَغزِلُ القشَّ، ولا تملكُ أيَّ حيلةٍ للنجاةِ منْ هذا الموتِ المحتومِ.
وفجأةً، وبينَما هيَ منهمكةٌ في بكائِها، انفتحَ البابُ بهدوءٍ، ودخلَ رجُلٌ صغيرٌ عجيبٌ، كانَ في حجمِ إصبعِ اليدِ تقريباً، لهُ عينانِ لامعتانِ كالجمرِ، وأنفٌ معقوفٌ طويلٌ، ووجهٌ مُتجَعِّدٌ كقشرِ الجوزِ. نظرَ إليها بفضولٍ وقالَ بصوتٍ حادٍّ لكنَّه ليسَ بشنيعٍ: "مساءُ الخيرِ يا ابنةَ الطحَّانِ، لماذا تبكينَ

بهذهِ المرارةِ؟" رفعتِ الفتاةُ رأسَها ونظرَتْ إليهِ مذعورةً، لكنَّها تمالَكَتْ نفسَها وقالتْ: "أوه، أيُّها السيدُ الصغيرُ، لقدْ كلَّفَني الملكُ أنْ أَغزِلَ هذا القشَّ كلَّه ذهباً بحلولِ الصباحِ، وأنا لا أملكُ هذهِ القدرةَ، فمَوْتي محتومٌ." ابتسمَ القزمُ ابتسامةً ماكرةً وقالَ: "وماذا تُعطيني إنْ غزَلْتُ لكِ هذا القشَّ كلَّه ذهباً في ليلةٍ واحدةٍ؟"

أمسَكَتِ الفتاةُ بعقدِها الذهبيِّ الصغيرِ الذي كانتْ ترتديهِ حولَ رقبتِها، وقالتْ: "خُذْ هذا العقدَ الذهبيَّ، فهوَ كلُّ ما أملكُ الآنَ." أخذَ القزمُ العقدَ بيديهِ الصغيرتينِ، ووضَعَه في جيبِه، ثمَّ جلسَ أمامَ المغزلِ، وبدأَ يَديرُه بسرعةٍ عجيبةٍ، فإذا بالقشِّ الجافِّ يَتحوَّلُ إلى خيوطٍ منْ ذهبٍ لامعٍ معَ كلِّ دورةٍ للمغزلِ. استمرَّ القزمُ في الغزلِ حتى الصباحِ، وحينَ أشرقَ الفجرُ، كانتِ الغرفةُ قد امتلأَتْ عنْ آخرِها بسبائكَ الذهبِ المتلألئِ. جاءَ الملكُ في الصباحِ، وفتحَ البابَ، فانبهرَ بما رأى، وازدادَ طمعُه، فأمرَ بنقلِ الفتاةِ إلى غرفةٍ أخرى أكبرَ حجماً، ومليئةٍ بقشٍّ أكثرَ، وقالَ لها: "إنْ غزَلْتِ هذا كلَّه بحلولِ الغدِ، فسأُكافِئُكِ، وإلاَّ فسيكونُ مصيرُكِ الموتَ."

وحيدَةٌ مرَّةً أخرى، جلستِ الفتاةُ في الغرفةِ الجديدةِ، وأخذَتْ تبكي مرَّةً أخرى، لكنَّ البابَ انفتحَ مجدَّداً، ودخلَ القزمُ الصغيرُ وقالَ: "ماذا تُعطيني هذهِ المرةَ إنْ غزَلْتُ لكِ هذا القشَّ كلَّه ذهباً؟" خلَعَتِ الفتاةُ خاتَمَها منْ إصبعِها، وقدَّمَتْه لهُ، فأخذَه القزمُ ووضَعَه في جيبِه، وجلسَ أمامَ المغزلِ، وغزَلَ القشَّ كلَّه ذهباً في ليلةٍ واحدةٍ. وفي الصباحِ، جاءَ الملكُ فرأى الذهبَ، ففرِحَ فرحاً شديداً، لكنَّ طمعَه لمْ يَكْتَفِ، فنقلَ الفتاةَ إلى غرفةٍ هائلةِ الحجمِ، لا تكادُ عينٌ تُحيطُ بقشِّها، وقالَ لها: "إنْ غزَلْتِ هذا كلَّه ذهباً هذهِ الليلةَ، فستَصيرينَ زوجتي وملكةً على هذهِ المملكةِ، وإنْ لمْ تفعلي، فسأَقطَعُ رأسَكِ بيديَّ."

يأسٌ عظيمٌ انتابَ الفتاةَ حينَ رأتْ كميَّةَ القشِّ الهائلةَ، لكنَّ القزمَ جاءَ للمرَّةِ الثالثةِ وقالَ: "ماذا تُعطيني هذهِ المرةَ إنْ غزَلْتُ لكِ هذا القشَّ كلَّه ذهباً؟" قالتِ الفتاةُ باكيةً: "لمْ يَعدْ معي شيءٌ لأُعطيَكَ إيَّاهُ." فقالَ القزمُ بدهاءٍ: "حسناً، أعطيني وعداً بأنَّكِ إذا صرْتِ ملكةً، ستُعطينني أوَّلَ طفلٍ تَلِدينَه." تردَّدَتِ الفتاةُ طويلاً، لكنَّها رأتْ أنَّ الموتَ أمامَها ولا مفرَّ منه، فوافَقَتْ على مضضٍ شديدٍ، وأعطَتْه وعدَها. جلسَ القزمُ أمامَ المغزلِ، وغزَلَ القشَّ كلَّه ذهباً في ليلةٍ واحدةٍ، حتى لمْ يَبقَ في الغرفةِ ذرَّةُ قشٍّ واحدةٍ. وفي

الصباحِ، دخلَ الملكُ ورأى الذهبَ يَتَلألأُ، ففرِحَ فرحاً عظيماً، وتزوَّجَ الفتاةَ في حفلٍ باذخٍ، وأصبحتْ ملكةً على المملكةِ كلِّها.

مضى عامٌ كاملٌ، ورُزِقَتِ الملكةُ بطفلٍ جميلٍ كالقمرِ، كانتْ سعيدةً بهِ جداً، ونسِيَتْ تماماً وعدَها للقزمِ الصغيرِ. لكنَّ في يومٍ منَ الأيامِ، بينَما كانتْ تُهدهِدُ طفلَها في غرفتِها، دخلَ القزمُ فجأةً وقالَ لها بصوتٍ حادٍّ: "هاتِ ما وعدتِني بهِ، هاتِ الطفلَ الذي هوَ لي." خافتِ الملكةُ خوفاً شديداً، وارتعَدَتْ فرائصُها، وأخذَتْ تعرضُ عليهِ كلَّ كنوزِ المملكةِ منْ ذهبٍ وجواهرَ، وقالتْ: "خُذْ كلَّ ما في خزائني، واتْرُكْ لي طفلي." لكنَّ القزمَ هزَّ رأسَه وقالَ بصرامةٍ: "لا، الكائنُ الحيُّ أغلى عندي منْ كلِّ كنوزِ العالمِ مجتمعةٍ." وانفجرتِ الملكةُ في البكاءِ والنحيبِ، حتى رقَّ قلبُ القزمِ لها وقالَ: "أُعطيكِ ثلاثةَ أيامٍ لتَعرِفي اسمي، فإنْ عرفْتِه خلالَ هذهِ المدةِ، فلكِ طفلُكِ، وإلاَّ فأنا آخذُه."

طافَتِ الملكةُ في قصرِها وهيَ تفكِّرُ في كلِّ الأسماءِ التي تعرفُها، وأرسلَتْ جَواسيسَها في كلِّ المملكةِ لتَجمَعَ كلَّ اسمٍ غريبٍ أو طريفٍ. وفي اليومِ الأولِ، جاءَ القزمُ وسألَها: "ما اسمي؟" فبدأتْ تسردُ لهُ الأسماءَ المعروفةَ: "أهو قاسمُ؟ أهو محمودُ؟ أهو كريمُ؟ أهو باسلُ؟" لكنَّ القزمَ كانَ يهزُّ رأسَه في كلِّ مرَّةٍ ويقولُ: "لا، لا، ليسَ هذا اسمي." وفي اليومِ الثاني، أرسلَتِ الجَواسيسَ لتَجمَعَ أسماءَ كلِّ أهلِ المملكةِ، فجاءتْ بقائمةٍ طويلةٍ منَ الأسماءِ النادرةِ: "هلْ اسمُكَ عصفورٌ؟ هلْ اسمُكَ شوكةٌ؟ هلْ اسمُكَ إبرةٌ؟ هلْ اسمُكَ سنبُلٌ؟" لكنَّ القزمَ كرَّرَ نفسَ الجوابِ: "لا، ليسَ هذا اسمي."

ويومَ الثالثِ، عادَ الجاسوسُ الملكيُّ مسرعاً، وأخبَرَ الملكةَ بخبرٍ عجيبٍ، قالَ لها: "يا سيدتي، لقدْ تجوَّلْتُ في الغاباتِ البعيدةِ حتى بلغْتُ تَلَّةً عاليةً مُحاطةً بالأشجارِ، وهناكَ رأيتُ كوخاً صغيراً، وأمامَه نارٌ مُشتعلةٌ، وكانَ حولَ النارِ قزَمٌ صغيرٌ يَرْقُصُ على رجلٍ واحدةٍ ويُردِّدُ بأعلى صوتِه:

اليومَ أخبِزُ، وغداً أطبُخُ،
وبعدَ غدٍ أَخطِفُ الطِّفلَ منَ الملكةِ،
فلا يَدري أحدٌ في الدنيا كلِّها
أنَّ اسمي هوَ رامبيلستيلتسكين!

رامبيلستيلتسكين! رامبيلستيلتسكين!

اليومَ أخبِزُ، وغداً أطبُخُ،
وبعدَ غدٍ أَخطِفُ الطِّفلَ منَ الملكةِ،
فلا يَدري أحدٌ في الدنيا كلِّها
أنَّ اسمي هوَ رامبيلستيلتسكين!

رامبيلستيلتسكين! رامبيلستيلتسكين!

لا يَدري أحدٌ في الدنيا كلِّها
أنَّ اسمي هوَ رامبيلستيلتسكين!
رامبيلستيلتسكين!

قفزَتِ الملكةُ منْ سريرِها فرحاً، وعانَقَتْ طفلَها وهيَ تهمسُ باسمِ القزمِ مراراً. وعندَما جاءَ القزمُ في المساءِ وسألَها مبتسماً: "حسناً، يا مولاتي الملكةُ، ما اسمي؟" قالتْ بثقةٍ: "أهو قاسمُ؟" قالَ: "لا." قالتْ: "أهو كريمُ؟" قالَ: "لا." وهنا، وقفَتِ الملكةُ وقالتْ بصوتٍ واضحٍ عالٍ: "أهو... رامبيلستيلتسكين؟" وما إنْ سمعَ القزمُ اسمَه منْ فمِها حتى صرخَ صرخةً مدويّةً منَ الغضبِ: "الشيطانُ أخبَرَكِ! الشيطانُ هوَ مَن كشَفَ لكِ سِرِّي!" ثمَّ قفزَ منَ الغضبِ، وركَلَ الأرضَ بقدمِه اليمنى بكلِّ قوَّةٍ، حتى غرِقَتْ قدمُه في التُّرابِ إلى خصرِه، ثمَّ أمسَكَ بقدمِه اليسرى بكلتا يديهِ، ومزَّقَ نفسَه إلى نصفينِ في لحظةٍ، واختفى إلى الأبدِ، ولمْ يُرَ لهُ أثرٌ منذُ ذلكَ الحينِ. وهكذا نجَتِ الملكةُ وطفلُها، وعاشَتْ معَ الملكِ في سعادةٍ وهناءٍ، بعدَ أنْ علَّمَتْنا الحكايةُ أنَّ المعرفةَ قد تكونُ أقوى منَ السحرِ، وأنَّ الاسمَ قد يكونُ مفتاحَ الخلاصِ، وأنَّ الجشعَ والغرورَ يَأكُلانِ أصحابَهُما في النهايةِ، حتى لوْ كانوا منَ الجنِّ الصغارِ.

—

"الجميلةُ والوحشُ"
(Beauty and the Beast).
حكايةٍ هي من أروعِ ما كُتبَ في عالمِ الجنِّ والإنسِ، حكايةُ الحبِّ الذي يَنظرُ إلى ما وراءِ المظهرِ، ويرى الجمالَ في باطنِ الوحشِ، ويرى النورَ في ظلمةِ القلوبِ.

تاجرٌ ثريٌّ كانَ يسكنُ في بلدٍ بعيدٍ، وقدْ وفَّقَ اللهُ في كلِّ تجاراتهِ حتى صارَ منْ أغنى أغنياءِ الدنيا. كانَ لهُ ستَّةُ أبناءٍ وستُّ بناتٍ، وكانَ يُنفِقُ عليهم بلا حسابٍ، فلا يَطلُبونَ شيئاً إلاَّ أعطاهم إيَّاهُ، فهمْ يعيشونَ في رغدٍ ونعيم. لكنَّ القدرَ كانَ لهُ رأيٌ آخرُ. ففي يومٍ منَ الأيامِ، احترقَ قصرُهم واحترقَتْ كلُّ ما فيهِ منْ أثاثٍ ثمينٍ، وصورٍ، وكتبٍ، وذهبٍ، وفضَّةٍ، وكانتْ هذهِ بدايةَ المصائبِ. فبعدَ أيامٍ، خسِرَ التاجرُ كلَّ سفنِه في البحرِ، إمَّا بسببِ القراصنةِ، أو الغرقِ، أو الحريقِ، ثمَّ خانَهُ وكلاؤهُ في البلادِ البعيدةِ الذينَ كانَ يَثِقُ بهمْ، فانتقلَ منَ الغنى المدقعِ إلى الفقرِ المدقعِ في طرفةِ عينٍ.

كوخٌ صغيرٌ كانَ كلَّ ما تبقَّى لهُ، في مكانٍ مقفرٍ على بُعدِ مئةِ فرسخٍ منَ المدينةِ التي كانَ يعيشُ فيها، فاضطرَّ أنْ يَعتزِلَ فيهِ معَ أولادِه، الذينَ كانوا في غايةِ اليأسِ منْ هذهِ الحياةِ الجديدةِ. كانتِ البناتُ في البدايةِ يأملنَ أنْ يَستضيفَهُنَّ أصدقاؤُهُنَّ الأثرياءُ، لكنَّهم سرعانَ ما اكتشفوا أنَّ أصدقاءَ الغنى يَتَخلَّونَ عندَ الفقرِ، وأنَّ لا أحدَ يرغبُ في مساعدتِهم. فلمْ يَبقَ لهمْ إلاَّ الكوخُ الصغيرُ في وسطِ الغابةِ المظلمةِ، الذي كانَ يبدو كأكثرِ الأماكنِ كآبةً على وجهِ الأرضِ. وهنا، بدأتِ الفتياتُ يعملنَ كالفلاحاتِ، ويَغزلنَ ويربينَ الماشيةَ، بينما كانَ الأبناءُ يَحرثونَ الأرضَ ليَكسِبوا قوتَ يومِهم. كانتِ البناتُ يَندبنَ حظَّهُنَّ باستمرارٍ، ويَتَذكَّرْنَ رفاهيةَ الماضي، إلاَّ أصغرَهُنَّ، التي كانتْ تُدعى "الجميلةُ".

جميلةٌ كانتْ تلكَ الفتاةُ، ليسَ فقطْ في مَظهرِها، بلْ في قلبِها وروحِها. كانتْ قدْ حزِنَتْ في البدايةِ مثلَ أخواتِها، لكنَّها سرعانَ ما تعافَتْ، وبدأَتْ تَبذلُ جهدَها لإسعادِ أبيها وإخوتِها، ومحاولةِ إقناعِ أخواتِها بالغناءِ والرقصِ. لكنَّهنَّ رفضْنَ وقالْنَ: "هذهِ الحياةُ هيَ ما تَستحقِّينَ، يا جميلةُ، لأنَّكِ لستِ مثلَنا!" ورغمَ ذلكَ، كانتْ الجميلةُ أجملَ وأذكى منهُنَّ جميعاً. ومضتْ سنتانِ وهُم يعيشونَ هذهِ الحياةَ القاسيةَ، حتى جاءَ الخبرُ الذي غيَّرَ كلَّ شيءٍ: وردَتْ رسالةٌ بأنَّ إحدى سفنِ التاجرِ التي كانَ يَظنُّها غارقةً قدْ رستْ في الميناءِ سالمةً، محمَّلةً ببضائعَ ثمينةٍ.

فرحةٌ عارمةٌ عمَّتِ الكوخَ، وقرَّرَ الأبناءُ والبناتُ أنَّ فقرَهم قدْ انتهى، وأرادوا أنْ يَذهَبوا إلى المدينةِ لِيَشتروا ما يَشتهونَ، لكنَّ التاجرَ الحكيمَ طلبَ منْهمْ الصبرَ، وقرَّرَ أنْ يَذهَبَ بنفسِه أوَّلاً للتأكُّدِ منَ الخبرِ. وما إنْ همَّ

بالرحيلِ حتى تَزاحمَ عليهِ أولادُه بالطلباتِ: الأبناءُ طلبوا خيولاً وسيوفاً، والبناتُ طلبوا فساتينَ منَ الحريرِ والماسِ، إلاَّ الجميلةَ، التي وقفَتْ صامتةً. قالَ لها أبوها: "وماذا تُريدينَ أنتِ يا جميلةُ؟" قالتْ: "يا أبتِ، كلُّ ما أتمنَّاهُ هوَ رؤيتَكَ عائداً سالماً." لكنَّ أباها أصرَّ أنْ تَطلُبَ شيئاً، فقالتْ: "إذا أصرَرْتَ يا أبتِ، فأحضِرْ لي وردةً، فقدْ اشتقْتُ لرؤيةِ الورودِ منذُ أنْ جِئْنا إلى هذا الكوخِ."

سافرَ التاجرُ إلى المدينةِ، لكنَّهُ وجدَ أنَّ شركاءَه القدامى قدْ تقاسَموا بضائعَ سفينتِه ظنّاً منهمْ أنَّه ماتَ، ولمْ يَبقَ لهُ سوى ما يُكافيءُ نفقاتِ رحلتِه. وفي طريقِ عودتِه، ضلَّ الطريقَ في غابةٍ مظلمةٍ، واشتدَّ عليهِ البردُ والجوعُ، حتى كادَ أنْ يموتَ. وفي أثناءِ بحثِه عنْ مأوىً، رأى نوراً يَلمعُ منْ بعيدٍ، فاتَّجهَ نحوَه، وإذا بقصرٍ عظيمٍ منَ الرخامِ الأبيضِ، كانتِ الحديقةُ التي تُحِيطُ بالقصرِ تَفيضُ بأزهارٍ لم يَرَ لها التاجرُ مَثيلاً في أيِّ بُقعةٍ منَ الأرضِ، وأشجارٌ تَتَدَلّى أغصانُها بالثِّمارِ الناضِجةِ كالياقوتِ والزُّمُرُّدِ، وطيورٌ تُغَرِّدُ بألحانٍ عَذبةٍ كأنَّها تُرَحِّبُ بالقادمينَ. وكأنَّ الزَّمانَ تَوَقَّفَ عندَ عَتبةِ ذلكَ القصرِ، فلا شِتاءَ يَمُرُّ بهِ، ولا خَريفَ يُغَيِّرُ من بَهائِه. بأبوابٍ منَ الذهبِ، وحدائقَ تغصُّ بالأزهارِ رغمَ أنَّه الشتاءُ. دخلَ القصرَ فلمْ يَجِدْ فيهِ أحداً، لكنَّهُ وجدَ مائدةً موضوعةً عليها طعامٌ شهيٌّ، فجلسَ يأكلُ ويشربُ، ثمَّ نامَ في غرفةٍ فخمةٍ. وفي الصباحِ، تجوَّلَ في القصرِ وحدائقِهِ، وهناكَ في طريقِ الإسطبلِ، رأى سياجاً منَ الورودِ يفوقُ في جمالِه كلَّ ما رآه في حياتِه، فتذكَّرَ وعدَه للجميلةِ، وقطفَ واحدةً منها.

وحشٌ ضخمٌ ظهرَ فجأةً منْ خلفِ الورودِ، بنظراتٍ ملتهبةٍ وصوتٍ مُرعِبٍ، صرخَ: "مَن سمحَ لكَ أنْ تَقطِفَ ورداتي؟ ألمْ يكفِكَ أنْ أذنْتُ لكَ بالبقاءِ في قصري؟ هلْ هكذا تُكافِئُ كرمي، بسرقةِ أزهاري؟ الآنَ ستدفعُ ثمنَ جرأَتِكَ!" ارتعدَ التاجرُ خوفاً وارتمى على ركبتَيهِ، يَرجوهُ العفوَ ويَروي لهُ قصَّتَه وقصةَ ابنتِهِ التي طلَبَتْ وردةً. لكنَّ الوحشَ لمْ يَلِنْ، وقالَ: "سأُعفيكَ منَ الموتِ، لكنْ بشرطٍ واحدٍ: أنْ تُحضِرَ لي إحدى بناتِكَ طواعيةً، لتحلَّ محلَّكَ، وإلاَّ فمَوْتُكَ محتومٌ، ولا تحاولِ الهربَ، فأنا أراكَ حيثُما تَكونُ." أعطاهُ الوحشُ شهراً منَ الزمانِ، وأمرَهُ أنْ يَذهَبَ ويُحضِرَ إحدى بناتِه، وإلاَّ عادَ لِيَأخُذَه. ثمَّ أعطاهُ صندوقاً مليئاً بالذهبِ، وقالَ لهُ: "خُذْ هذا، فهوَ هديَّتي لكَ، وخذْ وردتَكَ إلى الجميلةِ، ولا تَنْسَ وعدَكَ."

رحلةُ عودةٍ حزينةٍ، عادَ التاجرُ إلى كوخِه، لكنَّه أخفى الحقيقةَ عن أولادِه في البدايةِ، واكتفى بأنْ قالَ للجميلةِ وهوَ يُعطيها الوردةَ: "هذهِ الوردةُ التي طلبْتِها، لكنَّكِ لا تدرينَ كمْ كلَّفَتْني." فلمَّا ألحَّ عليهِ أولادُه بالسؤالِ، حكى لهمْ ما حدثَ، فانفجرَ الجميعُ بالبكاءِ والنحيبِ. لكنَّ الجميلةَ وقفَتْ وقالَتْ بثباتٍ: "لقدْ جلبتُ هذهِ المصيبةَ بطلبي الوردةَ، وأنا وحدي مَن يَجبُ أنْ يُصلِحَ ما أفسدتُ. سأذهَبُ أنا إلى الوحشِ، لأُنقِذَ أباكمْ." رفضَ الجميعُ في البدايةِ، لكنَّها أصرَّتْ، وعندَما حلَّ اليومُ الموعودُ، ركِبَتْ معَ أبيها على الحصانِ السحريِّ الذي أعطاهُ الوحشُ لها، وانطلقا إلى القصرِ. وكانَ الحصانُ يَطيرُ في الهواءِ كأنَّه يُقلعُ منَ الأرضِ، وفي الطريقِ، كانَ التاجرُ يُحاولُ إقناعَها بالعودةِ، لكنَّها كانتْ تُشجِّعُه وتُمسكُ بيدِه، رغمَ خوفِها. وعندَما وصلا، استقبلَهُما القصرُ بأضوائِه وموسيقاهُ، فابتسمَتِ الجميلةُ وقالتْ: "لا بُدَّ أنَّ الوحشَ جائعٌ جداً، ليُقيمَ هذهِ الاحتفالاتِ منْ أجلِ وصولِ فريستِه!"

وحشٌ ظهرَ أمامَ الجميلةِ، فنظرَتْ إليهِ بِثباتٍ، رغمَ ارتعاشِ قلبِها، وقالتْ لهُ بوداعةٍ: "أنا هنا يا سيدي، كما وعدْتُ." نظرَ الوحشُ إليها بإعجابٍ وقالَ: "أهلاً بكِ يا جميلةُ، لقدْ جِئْتِ طواعيةً، وسأكونُ لكِ خادماً مطيعاً." ثمَّ التفتَ إلى التاجرِ وقالَ لهُ: "أمَّا أنتَ، فسَتُغادرُ غداً عندَ الفجرِ، ولنْ تعودَ إلى هنا أبداً." ثمَّ قالَ للجميلةِ: "خذي أباكِ إلى الغرفةِ المجاورةِ، وساعديهِ في اختيارِ ما تُريدينَ أنْ تُرسليهِ إلى إخوتِكِ، فهناكَ صندوقانِ كبيرانِ، املئيهما بما تشائينَ." فذهبتِ الجميلةُ معَ أبيها إلى غرفةِ الكنوزِ، حيثُ رأتْ أرففاً مملوءةً بثيابٍ ملكيَّةٍ ومجوهراتٍ لا تُقدَّرُ بثمنٍ، فاخْتارَتْ لكلِّ أختٍ منْ أخواتِها أجملَ ما رأتْ، ثمَّ فتحَتِ الصندوقَ الأخيرَ فوجدَتْهُ مملوءاً بالذهبِ، فقالَتْ لأبيها: "لنْ نَستطيعَ حملَ كلِّ هذهِ الثيابِ والجواهرِ، فلنَمْلأِ الصندوقينِ بالذهبِ، فهوَ أنفعُ لنا." ففعلا ذلك، وملأ الصندوقينِ حتى لمْ يَعُدا يَطيقانِ حملاً، ثمَّ عادَتْ لتُودِّعَ أباها في الصباحِ، الذي غادرَ وهوَ يبكي، بينَما وقفَتِ الجميلةُ تنظرُ إليهِ حتى اختفى عنْ عينَيها، ثمَّ عادَتْ إلى غُرفتِها تبكي بحُرقةٍ.

أيامٌ مضتْ، وكانَ الوحشُ يَأتي كلَّ مساءٍ ليَتحدَّثَ معَ الجميلةِ، في إحدى الليالي، بَيْنَما كانتِ الجميلةُ نائمةً في غُرفتِها المضيئةِ، رأتْ في مَنامِها أميراً وسيماً، يَجلِسُ على ضفَّةِ نهرٍ منَ اللَّبنِ، ويَنظُرُ إليها بعينينِ حزينتينِ، وقالَ لها بصوتٍ خافتٍ حانٍ: 'يا جميلةُ، لا تَثِقِي بالمَظاهِرِ،

وابحَثِي عنّي في قَلبِ هذا الوحشِ، فإنَّكِ إنْ أنقَذْتِني من عَذابي، نِلْتِ السَّعادةَ الأبديةَ.' فَاسْتَيْقَظَتِ الجميلةُ مَذعورةً، وخَفَقَ قَلبُها خَفقاً شديداً، وتَساءَلَتْ في نَفْسِها: 'أيَكُونُ هذا الأميرُ هوَ الوحشُ نَفسُهُ؟' لكِنَّها سَرعانَ ما ضَحِكَتْ من فِكرَتِها، وقالتْ: 'كيفَ يَكونُ هذا الوحشُ المُخيفُ أميراً وسيماً؟ لا بُدَّ أنَّ الحُلمَ كانَ مُجَرَّدَ أضغاثِ أحلامٍ.'. كانَ لطيفاً معَها، رغمَ مَظهرِه المرعبِ. كانتِ الجميلةُ تَشعُرُ بالراحةِ في حديثِه، وتَكتشِفُ أنَّ لهُ قلباً طيباً وعقلاً راجحاً. كانَ الوحشُ يُحَدِّثُها عن رِحلاتِه في الغاباتِ البَعيدةِ، وعن مَخلوقاتٍ غريبةٍ رآها في أرجاءِ الدنيا، وعن كُتبٍ قَرَأها في مَكتبةِ القصرِ التي تَضمُّ نَوادِرَ الكُتبِ. فتَكتَشِفُ الجميلةُ أنَّ لهُ عَقلاً واسِعاً، ورُوحاً شاعِرةً، وأنَّ قُبحَ مَظْهَرِه لا يَعكِسُ جَمالَ جَوْهَرِه. وكثيراً ما كانتْ تَقولُ في نَفْسِها: 'لَوْ كانَ هذا الوحشُ إنساناً، لَكانَ أجمَلَ خَلقِ اللهِ في أخلاقِه.' وفي كلِّ ليلةٍ، كانَ يسألُها: "يا جميلةُ، هلْ تُحبِّينَني؟ هلْ تَرْضينَ أنْ تكوني زوجتي؟" وكانتْ تَرفُضُ بلطفٍ، فيَتنهَّدُ الوحشُ بحزنٍ ويَذهَبُ. لكنَّ الجميلةَ بدأَتْ تَشعُرُ بالحنينِ إلى أبيها وعائلتِها، وحزِنَتْ حزناً شديداً، حتى لاحظَ الوحشُ ذلكَ، وسألَها عنْ سببِ حزنِها، فقالَتْ: "أنا مشتاقةٌ لرؤيةِ عائلتي." تنهَّدَ الوحشُ وقالَ: "سأسمحُ لكِ بالذهابِ لمدةِ شهرينِ، لكنْ تَذكَّري وعدَكِ بالعودةِ، وإلاَّ فسأموتُ حزناً." أعطاها خاتماً وقالَ: "عندَما تُريدينَ العودةَ، ضَعِي هذا الخاتمَ في إصبعِكِ وقولي: 'أتمنَّى العودةَ إلى قصري'، وستَجدينَ نفسَكِ هنا."

فرحةُ اللقاءِ بعائلتِها، احتضنَتِ الجميلةُ أباها وإخوتَها، لكنَّها سرعانَ ما شعرَتْ بالمللِ منْ حياتِهم الجديدةِ، فقدْ كانوا قدْ عادوا إلى الثراءِ بفضلِ الذهبِ الذي جلبتْه، لكنَّ أخواتِها كنَّ يُغْرينَها بالبقاءِ. وفي إحدى الليالي، حلمَتْ بأنَّ الأميرَ الحزينَ يَئِنُّ على ضفَّةِ نهرٍ، وينظرُ إليها بتَعَبٍ، ويقولُ لها: "كيفَ تسألينَني أيتها القاسيةُ؟ ألستِ تترُكينَني لأموتَ ربما؟" فصاحتْ باكيةً: "لا، سأموتُ لأُخلِّصَهُ منَ الألمِ!" واستيقظَتْ مذعورةً، والدَّمعُ يَتَحَدَّرُ على خَدَّيْها، وأسرَعَتْ تَضَعُ الخاتَمَ في إصبعِها، وقالتْ: "أَتمنَّى العَودةَ إلى قَصري." في لحظةٍ، وجدَتْ نفسَها بالقصرِ، وركضَتْ إلى الحديقةِ، فوجدَتِ الوحشَ ملقىً على الأرضِ، شاحباً هزيلاً، يكادُ أنْ يَموتَ. فصرختْ باكيةً: "يا وحشي، لا تَمُتْ! لقدْ أدركْتُ الآنَ أنِّي أُحبُّكَ!" وأخذَتْ تَرشُّ الماءَ على وجهِهِ، ففتحَ عينيهِ وقالَ بصوتٍ ضعيفٍ: "أتُحبِّينَني حقاً يا جميلةُ؟" قالتْ: "نعم، يا وحشي، أحبُّكَ." وفي تلكَ اللحظةِ، انكشفَ السحرُ، وتحوَّلَ الوحشُ إلى أميرٍ وسيمٍ. وإذْ بالجنيةِ

الطيبةِ تظهرُ معَ الملكةِ، والدةِ الأميرِ، فقالتِ الجنيةُ للملكةِ: "هذهِ هيَ الجميلةُ التي أنقذَتِ ابنَكِ منَ السحرِ الرهيبِ." فاحتضَنَتِ الملكةُ الجميلةَ، وشكرَتْها باكيةً، وتزوجا في حفلٍ باذخٍ، وعاشا في سعادةٍ إلى آخرِ العمرِ. تعلَّمْنا منَ الحكايةِ أنَّ الجمالَ الحقيقيَّ لا يُرى بالعينِ، بلْ يُحَسُّ بالقلبِ، وأنَّ الحبَّ الصادقَ يَكسِرُ كلَّ سحرٍ، ويُحَوِّلُ الوحوشَ إلى أمراءَ، والقلوبَ القاسيةَ إلى ينابيعَ عذبةٍ.

—

"الخادمةُ المُدَبِّرَةُ"
(The Master-Maid)

—

ملكٌ كانَ لهُ أبناءٌ كثيرونَ، لا أذكرُ عددَهم بالضبطِ، لكنَّ أصغرَهم كانَ شابّاً متمرِّداً لا يَستطيعُ البقاءَ في القصرِ، وأصرَّ على الخروجِ إلى الدنيا لِيَبحثَ عن حظِّه. وبعدَ إلحاحٍ طويلٍ، سمحَ لهُ الملكُ بالرحيلِ. سافرَ الشابُّ أياماً، حتى بلغَ منزلَ عملاقٍ هائلٍ، فعرضَ عليهِ خدمتَه، فوافَقَ العملاقُ. وفي صباحِ اليومِ التالي، كانَ على العملاقِ أنْ يَخرُجَ لِيَرْعَى ماعِزَهُ، وقَبْلَ أنْ يَغادِرَ، قالَ لهُ العملاقُ: "عليكَ أنْ تُنظِّفَ الإسطبلَ اليومَ، وبعدَها لا عملَ عليكَ، لأنَّكَ أتيتَ إلى سيدٍ كريمٍ، وستَجِدُ ذلك. لكنْ ما أطلُبُهُ منكَ يجبُ أنْ يُنجزَ بشكلٍ جيِّدٍ وشامِلٍ. واحذَرْ! لا تدخُلْ أبداً الغرفَ التي تؤدِّي إليها غرفتُك، وإلاَّ فسأقتُلُك." ابتسمَ الشابُّ في نفسِه وقالَ: "يبدو أنَّ سيدي لطيفٌ!" ثمَّ تجوَّلَ في القصرِ، وفتحَ البابَ الأولَ، فرأى قِدراً ضخماً يَغلي دونَ نارٍ، فغمسَ خصلةً من شعرِه فيها، فتحوَّلَ شعرُه إلى نحاسٍ. وفتحَ البابَ الثاني، فغمسَ خصلةً أخرى في قِدرٍ يغلي، فتحوَّلَ شعرُه إلى فضَّةٍ. وفتحَ البابَ الثالثَ، فغمسَ خصلةً أخرى، فتحوَّلَ شعرُه إلى ذهبٍ لامعٍ.

دهشةٌ عمَّتِ الشابَّ حينَ رأى هذهِ العجائبَ، ففتحَ البابَ الرابعَ، وإذا بفتاةٍ جميلةٍ كالقمرِ، كأنَّها ابنةُ ملكٍ، جالسةٍ على مقعدٍ، هيَ أجملُ مَن رأى في حياتِه. قالتْ لهُ الفتاةُ بلهفةٍ: "ما الذي أتى بكَ إلى هنا؟" قالَ: "أنا خادمٌ جديدٌ عندَ العملاقِ." قالتْ: "لو تعلمُ ما ينتظرُكَ! قد تحصلُ على مكانٍ أفضلَ قريباً. لكنْ سأُعلِّمُكَ كيفَ تُنظِّفُ الإسطبلَ: إذا نظَّفْتَه كما ينظِّفُه الآخرونَ، فلكلِّ عشرةِ شوكاتٍ تُخرجُها، ستدخُلُ عشرةٌ أُخرى. اقلِبِ المذراةَ رأساً على عقبٍ، واعمَلْ بمقبضِها، وستَخرُجُ كلُّ الأوساخِ

وحدَها." شكرَها الشابُّ، وجلسَ معَها يتحدَّثانِ طوالَ اليومِ، وتواعدا على الزواجِ. وعندَ المساءِ، قالَتْ لهُ: "منَ الأفضلِ أنْ تنظِفَ الإسطبلَ الآنَ قبلَ أنْ يعودَ العملاقُ." فذهبَ إلى الإسطبلِ، وحاولَ أولاً التنظيفَ بالطريقةِ التي رآها في إسطبلاتِ والدِه، لكنَّه سرعانَ ما رأى أنَّه لنْ يَستطيعَ، فاستخدمَ طريقةَ الخادمةِ، فصارَ الإسطبلُ أنظفَ منَ المرآةِ. عادَ العملاقُ وقالَ: "لقدْ حدَّثْتَ خادمتي!" تظاهرَ الشابُّ بالجهلِ وقالَ: "خادمةٌ؟ أتُرى أنا أراها!" قالَ العملاقُ: "ستراها قريباً."

حصانٌ كانَ هوَ المطلوبَ في اليومِ الثاني، فقدْ قالَ العملاقُ للشابِّ: "أحضِرْ لي حصاني منَ الجبلِ." ذهبَ الشابُّ إلى الخادمةِ، فقالتْ لهُ: "كيفَ تعتزمُ فعلَ ذلكَ؟" قالَ: "لا أرى صعوبةً في ركوبِ حصانٍ." قالتْ: "ليسَ الأمرُ سهلاً كما تظنُّ. هذا الحصانُ يَلفِظُ النارَ منْ أنفِه كألسنةِ اللهبِ. لكنْ خُذْ هذهِ اللجامَ المعلَّقَ على البابِ، وألقِ القطعةَ مباشرةً في فمِه، وسَيَذِلُّ لكَ حتى تستطيعَ أنْ تفعلَ بهِ ما تشاءُ." قالَ الشابُّ: "سأتذكَّرُ ذلكَ." ثمَّ جلسَ معَها طوالَ اليومِ يتحدَّثانِ، ونسِيَ أمرَ الحصانِ حتى ذكرَتْه بهِ في المساءِ، فقالَتْ: "منَ الأفضلِ أنْ تذهبَ الآنَ لِتُحضِرَ الحصانَ قبلَ أنْ يعودَ العملاقُ." فذهبَ ونفَّذَ نصيحتَها، وأحضرَ الحصانَ مروَّضاً. عادَ العملاقُ وقالَ: "لقدْ حدَّثْتَ خادمتي بالتأكيدِ، لأنَّكَ لمْ تَخطرْ ببالِكَ هذهِ الفكرةُ بنفسِكَ!" تظاهرَ الشابُّ بالجهلِ مرَّةً أخرى.

مغارةٌ كانتْ وجهتَه في اليومِ الثالثِ، حيثُ طلَبَ العملاقُ منَ الشابِّ أنْ يَذهَبَ إلى باطنِ الأرضِ لِيَجلِبَ الضرائبَ المستحقَّةَ. فذهبَ الشابُّ إلى الخادمةِ، فقالَتْ لهُ: "كيفَ ستَفعَلُ ذلكَ؟" قالَ: "لمْ أذهَبْ تحتَ الأرضِ منْ قبلُ، ولا أعرِفُ كمْ يجبُ أنْ أطلُبَ." قالتْ لهُ: "سأُخبِرُكَ. اذهَبْ إلى الصخرةِ تحتَ جبلِ التلالِ، وخُذِ الهراوةَ هناكَ، واقرَعْ على الجدارِ الصخريِّ. سيَخرُجُ لكَ أحدٌ مُشتَعِلاً بالنارِ، فأَخبِرْهُ بمهمَّتِكَ، وعندَما يسأَلُكَ كمْ تُريدُ، قُلْ لهُ: 'أُريدُ بقدرِ ما أستطيعُ حَمْلَهُ'." قالَ الشابُّ: "سأتذكَّرُ ذلكَ." وجلسَ معَها طوالَ اليومِ حتى ذكرَتْه بهِ في المساءِ. فذهبَ ونفَّذَ ما قالَتْ، وأتى بكيسٍ ضخمٍ منَ الذهبِ. فلمَّا عادَ العملاقُ ورأى الكيسَ، قالَ بحنقٍ: "لقدْ حدَّثْتَ خادمتي بالتأكيدِ، وإذا حدَّثْتَها فسأكسرُ عُنقَكَ!" تظاهرَ الشابُّ بالجهلِ مرَّةً أخرى.

هروبٌ كانَ هوَ الحلَّ الوحيدَ، ففي اليومِ التالي، أمرَ العملاقُ الخادمةَ أنْ تَذبحَ الشابَّ وتَطبُخَه في القِدْرِ، ثمَّ استلقى على المقعدِ ليَنامَ. لكنَّ الخادمةَ قطَعَتْ إصبعَ الشابِّ الصغيرةَ، وأسقطَتْ ثلاثَ قطراتٍ منْ دمِه على كرسيٍ خشبيٍّ، ثمَّ وضعَتْ في القِدْرِ خِرَقاً ونفاياتٍ، وقُطَعَ أحذيةٍ قديمةٍ، وكلَّ ما وجَدَتْه منَ القُمامَةِ. وحشَتْ صندوقاً بالغبارِ الذهبيِّ، وأخذَتْ معَها قطعةَ ملحٍ، وقارورةَ ماءٍ كانتْ مُعلَّقةً على البابِ، وتفاحةً ذهبيةً، ودجاجتينِ ذهبيتينِ، ثمَّ هربَتْ معَ الشابِّ إلى البحرِ، وركبا سفينةً (لا أدري من أينَ جاءَتْ بهما). وبينَما كانا يَهربانِ، استيقظَ العملاقُ وسألَ: "هلْ سيَغلي قريباً؟" فأجابَتْهُ القطرةُ الأولى: "لقدْ بدأَ للتوِّ." فنامَ. ثمَّ استيقظَ ثانيةً وسألَ: "هلْ أصبحَ جاهزاً الآنَ؟" فأجابَتْهُ القطرةُ الثانيةُ: "نصفُهُ جاهزٌ." فنامَ. ثمَّ استيقظَ ثالثةً وسألَ: "ألمْ يَنْضَجْ بعدُ؟" فأجابَتْهُ القطرةُ الثالثةُ: "إنَّهُ جاهزٌ تماماً." فنهضَ العملاقُ وجلسَ، لكنَّه لمْ يَجِدْ أحداً، فأخذَ المِغرفةَ وذهبَ إلى القِدْرِ ليَذوقَ الطَّعامَ، فلمْ يَجِدْ فيهِ سوى الخِرَقِ والنفاياتِ، فعَلِمَ بما حدثَ، وانطلقَ يَتبَعُهما.

غضبٌ عارمٌ انتابَ العملاقَ حينَ اكتشفَ الخدعةَ، فطارَ وراءَهما كالريحِ، حتى بلغَ البحرَ، فاستدعى "ماصَّ الماءِ" (river-sucker) لِيَشربَ ماءَ البحرِ. فشربَ الماصُّ ثلاثَ جَرعاتٍ، حتى انخفضَ ماءُ البحرِ كثيراً، ورأى العملاقُ السفينةَ التي تقلُّ العاشقينِ. خافتِ الخادمةُ، فأمرَتِ الشابَّ أنْ يُلقيَ قطعةَ الملحِ في البحرِ، فتحوَّلَ الملحُ إلى جبلٍ شاهقٍ، حالَ دونَ وصولِ العملاقِ، وعَجَزَ الماصُّ عنْ شُربِ المزيدِ. لكنَّ العملاقَ قالَ: "سأَجِدُ حلاً لذلكَ أيضاً!" واستدعى "نقَّابَ الجبالِ" (Hill-borer) لِيَنقُبَ الجبلَ، فشقَّ الجبلَ وبدأَ الماصُّ يَشرَبُ الماءَ مجدَّداً. فعندَما رأتِ الخادمةُ ذلكَ، أسرعَتْ وأمرَتِ الشابَّ أنْ يُلقيَ قطرةً أو قطرتينِ منَ القارورةِ التي معَها، فعادَ البحرُ مملوءاً كما كانَ، وقبلَ أنْ يَستطيعَ الماصُّ أنْ يَشرَبَ، وصلا هما إلى البرِّ بأمانٍ، ونجَا العاشقانِ.

نسيانٌ كانَ هوَ الخطرُ القادمُ، فعندَما وصلا إلى شاطئِ مملكةِ الشابِّ، قالَ لها: "انتظِريني هنا، سآتي بخيولِ أبي السبعِ لأُقلَّكِ إلى القصرِ." قالتْ لهُ: "احذَرْ! لا تأكُلْ شيئاً، ولا تُسلِّمْ على أحدٍ، وإلاَّ ستَنساني." فانطلقَ إلى القصرِ، وعندَ وصولِه، كانَ أحدُ إخوتِه على وشكِ الزواجِ، وكانتِ العروسُ وكلُّ أقاربِها قدْ حضروا. فتجمهروا حولَه، وسألوهُ عنْ هذا وذاكَ، وحاولوا إقناعَه بالدخولِ معَهم، لكنَّهُ تظاهرَ بأنَّهُ لا يراهم، ومضى

مباشرةً إلى الإسطبلِ، وأخرجَ الخيولَ وبدأَ يُسرِّجُها. فلمَّا رأوا أنَّهم لنْ يَستطيعوا إقناعَه، خرجوا إليهِ باللحمِ والخبزِ والشرابِ، وكلِّ ما أعدُّوه للعرسِ، لكنَّ الأميرَ رفضَ أنْ يَلمسَ شيئاً، وظلَّ يُسرِّجُ الخيولَ بأسرعِ ما يستطيعُ. وأخيراً، دحرَجَتْ أختُ العروسِ تفاحةً ذهبيةً ناضجةً عبرَ الفناءِ نحوَه، وقالتْ لهُ بابتسامةٍ: "بما أنَّكَ لنْ تأكُلَ أيَّ شيءٍ آخرَ، قدْ ترغبُ في قَضْمِ هذهِ التفاحةِ، فلابُدَّ أنَّكَ جائعٌ وعطشانٌ بعدَ رحلتِكَ الطويلةِ." فتناولَها الفتى، وقضَمَها قَضْمَةً واحدةً، فما إنْ مَضَغَ لُقْمَتَها الأولى، حتى تَلاشَى كلُّ شيءٍ منْ ذاكرتِه كسَرابٍ في قَيْظٍ، وطارتْ منْ رأسِه صورةُ الخادمةِ، وتاهَتْ في غُبارِ النِّسيانِ، وكأنَّهُ لمْ يَرَها ولمْ يُحِبَّها قَطُّ.

كوخٌ صغيرٌ وجدَتْهُ الخادمةُ في الغابةِ، تسكُنُه عجوزٌ شريرةٌ، استأذنَتْها في البقاءِ، ثمَّ أخرجَتْ صندوقَ الذهبِ، وألقَتْ حفنةً منه في النارِ، فغلى الذهبُ وطلى الكوخَ كلَّه بالذهبِ. فَزِعَتِ العجوزُ فَزَعاً شَديداً، وهَرَبَتْ كَأَنَّ الشَّيْطانَ نَفْسَهُ يَطْرُدُها، وبِسُرْعَتِها العَجْلى، نَسِيَتْ أَنْ تَنْحَنِيَ عِنْدَ المَدْخَلِ، فَاصْطَدَمَ رَأْسُها بِعَتَبَةِ البابِ العُلْيا، وانْشَقَّتْ جُمْجُمَتُها، وسَقَطَتْ مَيِّتَةً في الحالِ.

خُطَّابٌ ثلاثةٌ تقدَّموا لخطبةِ الخادمةِ: قاضي المقاطعةِ، والمحامي، والمأمورُ. استقبلَتْهم بحيلةٍ، فطلَبَتْ منَ الأولِ أنْ يُمسكَ المجرفةَ، فقالَتْ: "أمسِكْها وستُمسِكُكَ، واسكُبِ الجمرَ على رأسِكَ حتى الصباحِ." فقامَ القاضي يَسكُبُ الجمرَ على نفسِه طوالَ الليلِ، وكُلَّما صرخَ وتوسَّلَ لمْ يَبْرُدِ الجمرُ، وفي الصباحِ هربَ كالمجنونِ، وكانَ منظَرُهُ فَظيعاً كأنَّهُ سُلِخَ وجُلِدَ، وكُلُّ مَنْ رآهُ حَدَّقَ فيهِ لكنَّهُ لمْ يَسْتَطِعْ الكلامَ منْ شِدَّةِ الخَجَلِ. وفعلَتْ معَ الثاني أنْ أمسَكَ مقبضَ البابِ، فقالَتْ: "أمسِكْه وسيُمسِكُكَ، وتَعالجْ بينَ الجدرانِ حتى الفجرِ." فرَقَصَ المحامي بينَ الجدارينِ طوالَ الليلِ، وتَعَرَّضَ للضربِ حتى كادَ يَموتُ، وفي الصباحِ نَسِيَ حقيبَتَه وخَطيبَتَه وهَرَبَ كالمجنونِ، وبدا وكأنَّ قَطيعاً منَ الكباشِ نَطَحَهُ طوالَ الليلِ. ومعَ الثالثِ، طلَبَتْ منه أنْ يُمسكَ ذيلَ العجلِ، فقالَتْ: "أمسِكْه وسيُمسِكُكَ، وتَعالجْ معَه حولَ العالمِ حتى الصباحِ." فَرَكَضَ المأمورُ معَ العجلِ فوقَ الحجارةِ والتِلالِ طوالَ الليلِ، وكُلَّما صَرَخَ زادَتْ سُرعةُ العجلِ، وفي الصباحِ كانَ نِصفَ مَيْتٍ، وثِيابُهُ مُمَزَّقَةٌ ومَنْظَرُهُ مُزْرٍ، والجميعُ حَدَّقَ فيهِ. عانى الثلاثةُ طوالَ الليلِ، وهربوا في الصباحِ خائبينَ.

عرسٌ أُقيمَ في القصرِ، حيثُ كانَ الشابُّ سيتزوَّجُ منَ عروسِ أخيهِ، لكنَّ العربةَ تعطَّلَتْ. فعندَما حانَ وقتُ الانطلاقِ إلى الكنيسةِ، انكسرَ محورُ العربةِ (trace-pin)، فحاولوا إصلاحَه مراراً لكنَّ كلَّ محورٍ كانَ ينكسرُ. فقالَ القاضي - الذي كانَ مدعواً -: "في كوخٍ ذهبيٍّ في الغابةِ تعيشُ فتاةٌ، إنِ استعرْتُمْ منها مقبضَ المجرفةِ، فسَيَصْمُدُ." فأرسلوا إليها، فأعارَتْهم إيَّاهُ. ولكنْ عندما همُّوا بالانطلاقِ، انكسرَ قاعُ العربةِ، فقالَ المحامي: "في ذلكَ الكوخِ الذهبيِّ، إنِ استعرْتُمْ نصفَ بابِ الكوخِ، فسَيَصْمُدُ." فأرسلوا إليها، فأعارَتْهم إيَّاهُ. ولكنْ عندما همُّوا بالانطلاقِ مجدداً، لمْ تَستطِعِ الخيولُ جَرَّ العربةِ مهما زادَ عددُها، فقالَ المأمورُ: "إنِ استعرْتُمْ عجلَها، فسيَجُرُّ العربةَ ولوْ كانتْ كالجبلِ." فأرسلوا إليها، فأعارَتْهم العجلَ، فانطلقَ بهمْ مسرعاً فوقَ الحجارةِ والتِلالِ، حتى كانوا تارةً على الأرضِ وتارةً في الهواءِ، وبالكادِ وصلوا إلى الكنيسةِ وعادوا. وعندَ العشاءِ، أخرجَتِ الخادمةُ التفاحةَ الذهبيةَ والدجاجتينِ الذهبيتينِ، ووضَعَتْهما على المائدةِ أمامَها، فتَشاجَرَتِ الدجاجتانِ على التفاحةِ، فقالَ الشابُّ: "انظروا إلى هاتينِ الدجاجتينِ كيفَ تَتَقاتَلانِ على التفاحةِ الذهبيةِ!" قالتِ الخادمةُ: "نعم، هكذا تَشاجَرْنا نحنُ عندما كُنَّا في الجبلِ." وهنا، تذكَّرَ الشابُّ كلَّ شيءٍ، وعرفَ أنَّها حبيبتُه. فأمرَ بِتلكَ العجوزِ الساحرةِ التْروليَّةِ التي دحرَجَتْ لهُ التفاحةَ أنْ تُمَزَّقَ إرْباً إرْباً بينَ أربعةٍ وعشرينَ حصاناً، حتى لمْ يَتبقَّ منها ذَرَّةٌ واحدةٌ، لمْ يَتبقَّ منْها عَظْمٌ على عَظْمٍ، ولا لحمٌ على عُرْقُوبٍ. وأمَّا عجوزُ الكوخِ التي آوَتْه، فقدْ كانَ مصيرُها الموتَ صَدَفَةً بِاصطدامِ رأسِها بالبابِ، فكلٌّ لقيَ جزاءَهُ العادلَ. وتزوَّجَ الشابُّ منَ الخادمةِ، وعاشا في هناءٍ، ولأوَّلِ مَرَّةٍ، انطلَقَ حَفْلُ الزِّفافِ حَقّاً، بِالغِناءِ والرَّقْصِ والمآدِبِ الزَّاهِرَةِ. وأمَّا القاضي والمُحامي والمَأمورُ، فرَغْمَ ما لاقَوْا في لَيْلَتِهِم البائِسَةِ من عَذابٍ وإرهاقٍ، فإنَّهُم لمْ يَستَطيعوا التَّخَلُّفَ عنِ الفَرَحِ، فَرَقَصوا مَعَ الجَميعِ حتَّى كادَتْ أقدامُهُم تَتَقَطَّعُ، وابْتَلَعوا تَعَبَهُم، وصَبَروا على أَوْجاعِهِم، وكأنَّ الحَفْلَةَ كانتْ خَيْرَ بَلْسَمٍ لأَرْواحِهِم المُرْهَقَةِ، ومَصْدَرَ سَعادَةٍ لا تُضاهيها سَعادَةُ الظَّفَرِ بِالعُرُوسِ ذاتِها. بعدَ أنْ علَّمَتْنا الحكايةُ أنَّ الحيلةَ قد تكونُ أبلغَ منَ القوَّةِ، وأنَّ الذاكرةَ قدْ تخونُ، لكنَّ الحبَّ الحقيقيَّ يَظلُّ مُستيقِظاً في الأعماقِ، يَنتظِرُ إشارةً واحدةً لِيَعودَ إلى الحياةِ.

"لماذا البحرُ مالحٌ؟"

أخوانِ كانا يعيشانِ في قديمِ الزمانِ، أحدهُما غنيٌّ ثريٌّ، والآخرُ فقيرٌ معدَمٌ، لا يملكُ منَ الدنيا سوى كوخٍ صغيرٍ وأولادٍ جياعٍ، كلُّهم ذكورٌ، وزوجةٍ منهكةٍ تَنتظرُ منه لقمةَ العيشِ. وفي ليلةِ عيدِ الميلادِ، لم يَجِدِ الفقيرُ في بيتِه لقمةَ خبزٍ، ولا قطعةَ لحمٍ، ولا حتى حفنةَ دقيقٍ ليُعِدَّ لعائلتِه عشاءَ العيدِ. صرخَ الأولادُ جوعاً، وبكَتِ الزوجةُ، وأحسَّ الرجلُ بمرارةِ العجزِ. فما كانَ منه إلاَّ أنْ ذهبَ إلى أخيهِ الغنيِّ، وطرقَ بابَه متوسِّلاً، وهوَ يَخافُ منْ ردِّ فعلِه: "يا أخي، باللهِ عليكَ، أعطني شيئاً لِعَشَاءِ عيدِ الميلادِ، فالأولادُ يَبكونَ جوعاً، والبيتُ فارغٌ، وأنا لا أملكُ إلاَّ دموعَهم."

نظرةٌ باردةٌ ألقاها عليهِ الأخُ الغنيُّ، وقالَ لهُ ببرودٍ وسخريةٍ: "سأُعطيكَ لحمَ خنزيرٍ كاملاً، لكنْ بشرطٍ واحدٍ: أنْ تَذهَبَ بهِ إلى قاعةِ الموتى (Dead Man's Hall) الليلةَ، ولا تَرُدَّ لأحدٍ طلباً، وإلاَّ فستندمُ." ارتعدَ الفقيرُ خوفاً، وارتجَفَتْ فرائصُه، لكنَّه لمْ يَجِدْ بدّاً منَ الموافقةِ، فوافَقَ بصوتٍ مرتعشٍ، وأخذَ لحمَ الخنزيرِ الثقيلَ، وخرجَ في الليلِ الباردِ المُظلِمِ، يَخطو بخوفٍ نحوَ تلكَ القاعةِ المخيفةِ التي كانَ الجميعُ يَخافونَ حتَّى الاقترابَ منها.

قاعةٌ مظلمةٌ موحشةٌ، وصلَ إليها الفقيرُ بعدَ مشقَّةٍ وتعبٍ، وإذا برجُلٍ عجوزٍ ذي لحيةٍ بيضاءَ طويلةٍ، واقفٍ في الخارجِ يَقطَعُ حطباً لعيدِ الميلادِ، وكانَ وجهُهُ مُشرقاً كالقمرِ في ليلةِ تمامِه. قالَ لهُ العجوزُ بلطفٍ: "مساءُ الخيرِ يا رجلُ، أينَ تَذهَبُ في هذهِ الساعةِ المتأخرةِ؟" قالَ الفقيرُ: "أنا ذاهبٌ إلى قاعةِ الموتى، كما وعدْتُ أخي." قالَ العجوزُ: "أحسَنْتَ، لكنِ احذَرْ! حينَ تدخُلُ، سيُحاوِلُ الجميعُ شراءَ لحمِ الخنزيرِ منكَ، لأنَّهم لا يَأكُلونَ اللحمَ كثيراً هناكَ. لا تَبِعْهُ إلاَّ بمقابلِ المطحنةِ اليدويةِ التي خلفَ البابِ. وعندَما تَخرُجُ، سأُعلِّمُكَ كيفَ تُوقِفُها." شكرَهُ الفقيرُ، ودخلَ القاعةَ المرعبةَ، فوجدَ أمواتاً وأشباحاً يَتهافتونَ عليهِ، كلٌّ يَعرِضُ عليهِ ثمناً باهظاً للحمِ الخنزيرِ: ذهباً، فضةً، جواهرَ، لكنَّه تذكَّرَ نصيحةَ العجوزِ، وقالَ بحزمٍ: "لا أبيعُ اللحمَ إلاَّ بالمطحنةِ اليدويةِ التي خلفَ البابِ." تذمَّرَ الأمواتُ، لكنَّهم وافقوا، وأعطوهُ المطحنةَ، فخرجَ مسرعاً يَجرُّها خلفَه.

مطحنةٌ سحريةٌ، حملَها الفقيرُ إلى العجوزِ، الذي علَّمَه كيفَ يُوقِفُها، ثمَّ عادَ بها إلى كوخِه، حيثُ كانتْ زوجتُه وأولادُه يَنتظرونَه بفارغِ الصبرِ. وضعَ

المطحنةَ على الطاولةِ الخشبيةِ القديمةِ، وتنفَّسَ الصعداءَ، وقالَ لها بأملٍ: "يا مطحنةُ، اطحني لي ضوءاً يُنيرُ الكوخَ، ومفرشاً يَسترُ الأرضَ، ولحماً يَشبعُ الجياعَ، وجِعَةً تُروي الظمأَ، وكلَّ ما يَلزَمُ لعشاءِ عيدِ الميلادِ." وفعلَتِ المطحنةُ ما أُمرَتْ بهِ في لحظةٍ، فامتلأَ الكوخُ بالخيراتِ، وأكلَتِ العائلةُ حتى شبعَتْ، وتهادَى الأولادُ فرحينَ، وعاشوا في رغدٍ أياماً. وفي اليومِ الثالثِ، دعا الفقيرُ جيرانهُ وأصدقاءَه إلى وليمةٍ عظيمةٍ، فتعجَّبَ الجميعُ منْ هذا الغنى المفاجئِ، وتساءلوا: "كيفَ أصبحَ هذا الفقيرُ بهذا الثراءِ في ليلةٍ واحدةٍ؟"

حسدٌ عظيمٌ ملأَ قلبَ الأخِ الغنيِّ حينَ رأى ما صارَ إليهِ أخوهُ الفقيرُ منْ ثراءٍ، وتخيَّلَ نفسَه مكانَه. جاءَ إليهِ متظاهراً بالفرحِ وقالَ لهُ: "أخبرني يا أخي، كيفَ أصبحتَ غنيّاً بهذهِ السرعةِ؟ هلْ وجدتَ كنزاً؟ هلْ ورثْتَ مالاً؟" تملَّصَ الفقيرُ في البدايةِ، وقالَ: "من خلفِ البابِ." لكنَّه بعدَ أنْ شربَ قليلاً منَ الخمرِ في نهايةِ الوليمةِ، أفشى السرَّ، وأحضرَ المطحنةَ، وأراها لأخيهِ كيفَ تَطحنُ كلَّ ما يُطلَبُ منها: طحنتْ لهُ طعاماً، وشراباً، وذهباً. عندَها، أصرَّ الأخُ الغنيُّ على شراءِ المطحنةِ، ودفعَ ثلاثَ مئةِ دولارٍ، على أنْ يَحتفظَ بها الفقيرُ حتى موسمِ الحصادِ، لأنَّه أرادَ أنْ يَستخدمَها ليطحنَ طعاماً يكفيهِ لسنواتٍ طويلةٍ. لكنَّ الفقيرَ تعمَّدَ ألَّا يُعلِّمَ أخاهُ كيفَ يُوقِفُها، ولمْ يَذكُرْ لهُ هذهِ المعلومةَ الحيويةَ على الإطلاقِ.

كارثةٌ حلَّتْ ببيتِ الأخِ الغنيِّ في صباحِ اليومِ التالي، فقدْ أرسلَ زوجتَه إلى الحقلِ لِتَنشُرَ التِّبنَ، بينَما بقيَ هوَ في المنزلِ لِيَعتنيَ بالأمرِ بنفسِه. وعندَما حانَ وقتُ الغداءِ، قالَ للمطحنةِ: "اِطحني لي رنجةً وحساءَ حليبٍ، وبسرعةٍ." ففعلَتِ المطحنةُ، لكنَّها استمرَّتْ في الطحنِ، وامتلأَ المطبخُ بالرنجةِ وحساءِ الحليبِ، ثمَّ امتلأَتِ الأواني، ثمَّ غمرَ الحساءُ أرضيةَ المطبخِ. حاولَ الرجلُ إيقافَها بكلِّ الطرقِ: لفَّها، قلبَها، صرخَ فيها، لكنَّها لمْ تَتَوقَّفْ للحظةٍ، وارتفعَ الحساءُ حتى كادَ أنْ يَغرَقَ. ففتحَ بابَ الصالةِ، لكنَّ الحساءَ غمرَها أيضاً، وبالكادِ تَمكَّنَ منَ الوصولِ إلى مزلاجِ البابِ وفتحِه. وفي تلكَ الأثناءِ، كانتْ زوجتُه في الحقلِ، فقالتْ للعمالِ: "رغمَ أنَّ السيدَ لا يَدعونا لتناولِ الطعامِ، فلنَذهَبْ، فقدْ تأخَّرَ الغداءُ." وبينَما همْ يتوجَّهونَ، رأوا الفيضانَ منْ بعيدٍ، والرجلَ يركضُ أمامَهُ وهوَ يصرخُ: "تمنَّيْتُ لوْ أنَّ لكلِّ واحدٍ منكُم مِئَةَ مَعِدَةٍ! احذَروا أنْ تَغرَقوا في الحساءِ!" ثمَّ ركضَ إلى أخيهِ يَستغيثُ، وصرخَ: "خُذْها! خُذْها! وإلاَّ غرِقْنا كلُّنا!" ودفعَ لهُ ثلاثَ

مئةِ دولارٍ أخرى لِيَأخُذَ المطحنةَ. وهكذا عادَتِ المطحنةُ إلى الفقيرِ، وازدادَ ثراءً، غطّى منزله بألواحٍ منَ الذهبِ الخالصِ، وكانَ المنزلُ قريباً منَ الشاطئِ، فصارَ يَلْمَعُ كالشمسِ في عيونِ كلِّ منْ يراهُ منَ البحرِ.

بحّارٌ طمَّاعٌ، كانَ يُبحرُ قريباً منَ الشاطئِ، رأى القصرَ الذهبيَّ يتلألأُ منْ بعيدٍ، فاقتربَ وسألَ عنِ المطحنةِ، فعرفَ أنَّها تَطحنُ الملحَ. فكرَّرَ في نفسِه: "لوْ امتلكتُ هذهِ المطحنةَ، لما احتجْتُ إلى الإبحارِ في تلكَ البحارِ الخطيرةِ لِجلبِ الملحِ منَ البلادِ البعيدةِ." فقرَّرَ شراءَها، ودفعَ للفقيرِ آلافَ الدولاراتِ، وحملَ المطحنةَ على ظهرِ سفينتِه، وأبحرَ بها مسرعاً، خوفاً منْ أنْ يَتراجعَ البائعُ. وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ وَقْتٌ لِيَسْأَلَ كَيْفَ يُوقِفُ طَحْنَها، فَأَبْحَرَ بِهَا مُسْرِعاً قَبْلَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْبَائِعُ. فِي مُنْتَصَفِ الْبَحْرِ، طَلَبَ مِنَ الْمَطْحَنَةِ أَنْ تَطْحَنَ لَهُ مِلْحاً، فَفَعَلَتْ، وَامْتَلَأَتِ السَّفِينَةُ بِالْمِلْحِ فِي لَحْظَةٍ، وَحَاوَلَ إِيقَافَهَا لَكِنَّهُ عَجَزَ، وَظَلَّتْ تَطْحَنُ حَتَّى غَرِقَتِ السَّفِينَةُ وَالْمِلْحُ فِي قَاعِ الْبَحْرِ، وَغَرِقَ الْبَحَّارُ الطَّمَّاعُ مَعَ كُلِّ مَا كَانَ يَمْلِكُ.

بقاءٌ المطحنةُ في قاعِ البحرِ، تَطحنُ الملحَ إلى يومِنا هذا، وهذا هوَ سببُ ملوحةِ ماءِ البحرِ الأبديةِ. هكذا عَلِمَتِ البشريةُ أنَّ الجشعَ قدْ يُغرِقُ صاحبَه، وأنَّ بعضَ الكنوزِ قد تكونُ نقمةً إذا لمْ يُحسَنْ استخدامُها، وأنَّ البحرَ يحتفظُ بأسرارِه، يُذكِّرُنا كلَّ يومٍ بملحِ الحكاياتِ القديمةِ التي لا تموتُ، وتَبقى في الذاكرةِ كما يَبقى ماءُ البحرِ مالحاً إلى آخرِ الزمانِ.

—

"القط الأستاذ"

(Puss in Boots)

—

مطحنةٌ عجوزٌ كانتْ آخرَ ما تركه طحَّانٌ فقيرٌ لأبنائه الثلاثةِ بعدَ وفاتِه، إلى جانبِ حمارٍ وقطٍّ. اقتسمَ الأبناءُ الميراثَ بسرعةٍ، دونَ الحاجةِ إلى كاتبٍ أو محامٍ، فأخذَ الأكبرُ الطاحونةَ، وأخذَ الثاني الحمارَ، وأمَّا الأصغرُ فلمْ ينَلْ سوى ذلكَ القطِّ. جلسَ الشابُّ حزيناً يائساً، وأخذَ يُفكِّرُ في مستقبلِه البائسِ، وقالَ في نفسِه: "إخوتي يستطيعونَ العيشَ كريماً بفضلِ ما ورثوه، أمَّا أنا، فبعدَ أنْ آكلَ لحمَ هذا القطِّ، وأتخذَ منْ جلدِه قفَّازينِ، سأموتُ جوعاً لا محالةَ."

دهشةٌ أصابتِ الشابَّ حينَ سمعَ القطَّ يتحدَّثُ إليهِ بوقارٍ وثقةٍ، فقدْ قالَ لهُ: "لا تحزنْ يا سيدي، ولا تيأسْ منْ رحمةِ اللهِ. أعطني كيساً منَ القماشِ، واصنعْ لي حذاءً أَمْشِي بهِ بينَ الأشواكِ والوحلِ، وسَترى أنَّكَ لمْ تَخسرْ كثيراً بهذا الميراثِ، بلْ سَتَجِدُ فيهِ كنزاً لا يُقدَّرُ بثمنٍ." كانَ الشابُّ قدْ شاهدَ من قبلُ هذا القطَّ يَحتالُ على الفئرانِ بدهاءٍ، ويتظاهرُ بالموتِ ليصطادَها، فلمْ يَتَردَّدْ كثيراً في تصديقِ كلامِه، وأعطاهُ ما طلبَ، وصنعَ لهُ حذاءً أنيقاً منَ الجلدِ الناعمِ.

انطلقَ القطُّ بحذائِه الجديدِ، حاملاً كيسَه الفارغَ، ومضى إلى غابةٍ كثيرةِ الأرانبِ، حيثُ وضعَ في الكيسِ بعضَ النُّخَالَةِ وأوراقِ اللَّبِينِ، ثمَّ استلقى على الأرضِ كالميتِ، مادّاً رجلَيهِ وذيلَهُ ببرودٍ، ينتظرُ أرنباً ساذجاً يَقتربُ. وما هي إلا لحظاتٌ حتى قفزَ أرنبٌ صغيرٌ، لمْ يَختبرْ مكرَ الدنيا بعدُ، فرأى الكيسَ المفتوحَ وما فيهِ منْ طعامٍ، فاندفعَ إليهِ بلهفةٍ، وما إنْ دخلَ حتى أمسكَ القطُّ بحبلِ الكيسِ وأغلقهُ بسرعةٍ. فرِحَ القطُّ بفريستِه، وحملَ الكيسَ إلى قصرِ الملكِ، وطلبَ مقابلةَ جلالتِه.

قصرٌ عظيمٌ دخلَهُ القطُّ بانحناءةٍ مهيبةٍ، وقدَّمَ الأرنبَ للملكِ وقالَ بصوتٍ واثقٍ: "يا مولايَ الملكُ، إنَّ سيدي، الماركيزَ دي كاراباس (وهو اللقبُ الذي اختارَهُ القطُّ لسيدِه)، يَهديكَ هذا الأرنبَ النفيسَ منْ صيدِه، راجياً منْ جلالتِك قبولَهُ." سرَّ الملكُ بهذِهِ الهديةِ، وأمرَ بأنْ يُعطَى القطُّ مالاً وفيراً، وأثنى على كرمِ الماركيزِ المجهولِ. وفي الأيامِ التاليةِ، كرَّرَ القطُّ حيلتَه، فاصطادَ حَجَلَاتٍ وطيوراً برِّيَّةً، وقدَّمَها للملكِ باسمِ سيدِه، حتى أصبحَ الملكُ يَذكُرُ "الماركيزَ دي كاراباس" بالخيرِ والثناءِ.

يَوْمٌ عَلِمَ فيهِ القطُّ أنَّ الملكَ سَيَمُرُّ بجانبِ النهرِ معَ ابنَتِه، أجملِ أميراتِ المملكةِ، فهرعَ إلى سيدهِ وقالَ لهُ: "يا سيدي، إنْ أردتَ أنْ تَصنعَ ثروتَكَ وتُحقِّقَ حلمَكَ، فافعَلْ ما أقولُه لكَ الآنَ: اذهبْ إلى النهرِ واغتسِلْ في المكانِ الذي سأُريكَ إياهُ، ودعِ الباقيَ عليَّ." ذهبَ الشابُّ إلى النهرِ، ونزعَ ثيابَه واغتسلَ، وبينما هوَ في الماءِ، وكانَ القطُّ الماكِرُ قدْ سبَقَ أنْ خبَّأَ ثيابَ سيدِه تحتَ صخرةٍ كبيرةٍ على ضفَّةِ النهرِ. عندَما رأى عربةَ الملكِ تقتربُ، بدأَ يصرخُ بأعلى صوتِه مذعوراً: 'النجدةَ! النجدةَ! سيدي الماركيزُ دي كاراباس يَغرَقُ! ساعدوني يا ناسُ!' فسمعَ الملكُ الصراخَ منْ بعيدٍ، أمرَ حراسَه

بالنزولِ إلى النهرِ لإخراجِ الشابِّ. وبينَما كانَ الحراسُ يُخرجونَ الماركيزَ منَ الماءِ، تقدَّمَ القطُّ إلى العربةِ الملكيةِ، وقالَ بصوتٍ مَملوءٍ بالذُّعرِ والغضبِ: 'يا مولايَ، بينما كانَ سيدي الماركيزُ يَغتسِلُ، هجمَ عليهِ لصوصٌ وأخذوا ثيابَه، رغمَ أنَّه صرخَ بأعلى صوتِه: لصوص! لصوص! مراراً، لكنَّهم لمْ يَرْحموه!' وأشارَ القطُّ بمخلبهِ إلى الصخرةِ التي أخفى تحتها الثيابَ، كأنَّهُ يُشيرُ إلى مكانِ الحادثةِ.

ثيابٌ فاخرةٌ منْ حريرٍ وديباجٍ، أمرَ بها الملكُ لـ"الماركيزِ" الذي أنقذوهُ منَ الغرقِ، وما إنِ ارتدى الشابُّ تلكَ الثيابَ حتى بدا كأحدِ أمراءِ الدنيا، وسيمَ الطلعةِ، أنيقَ الهندامِ، فوقعتْ فيهِ الأميرةُ منَ النظرةِ الأولى، وأحسَّ قلبُها بخفقانٍ لمْ تَعهدْه من قبلُ. ركبَ الشابُّ معَ الملكِ وابنَتِه في عربتِهما الملكيةِ، بينما ركضَ القطُّ أمامَ العربةِ، يَخططُ لمكيدتِه التاليةِ بذكاءٍ مُخيفٍ.

مكرٌ جديدٌ، فقدْ وصلَ القطُّ إلى حقلٍ واسعٍ يَحصدُ فيهِ الفلاحونَ القمحَ، فقالَ لهمْ بلهجةٍ آمرةٍ: "أيها الناسُ، إنْ سألكمُ الملكُ عمَّنْ تَملِكونَ هذهِ الأرضَ، فقولوا لهُ: 'إنَّها للماركيزِ دي كاراباس'، وإلاَّ فسأُقطِّعُكم إرباً إرباً." خافَ الفلاحونَ منْ تهديدِ القطِّ، ووافقوا على ما طلبَ. وعندَما مرَّتِ العربةُ الملكيةُ، توقَّفَ الملكُ وسألَ الفلاحينَ: "لمنْ هذهِ الحقولُ الخضراءُ؟" فأجابوا بخوفٍ وارتعاشٍ: "إنَّها للماركيزِ دي كاراباس يا مولايَ." ابتسمَ الملكُ، وازدادَ إعجابُه بالشابِّ.

استمرَّ القطُّ في سباقِه أمامَ العربةِ، ووصلَ إلى حقولِ القمحِ والحنطةِ، وقالَ للحصَّادينَ ما قالَ للفلاحينَ، فأجابوا الملكَ بالمثلِ: "إنَّها للماركيزِ دي كاراباس." وهكذا، في كلِّ مكانٍ يَمُرُّونَ بهِ، كانَ الفلاحونَ يَشهدونَ بأنَّ كلَّ هذهِ الأراضي تعودُ للماركيزِ المجهولِ، حتى اندهشَ الملكُ منْ حجمِ ثروتِه، وظنَّ أنَّه أحدُ أغنى نبلاءِ المملكةِ.

قلعةٌ عظيمةٌ كانتْ آخرَ محطةٍ في رحلةِ القطِّ، قلعةُ غولٍ شريرٍ هائلٍ، كانَ يمتلكُ كلَّ تلكَ الأراضي التي مرَّ بها الملكُ. طلبَ القطُّ مقابلةَ الغولِ، وقالَ لهُ بدهاءٍ وحيلةٍ: "لقدْ سمعْتُ يا سيدي أنَّ لكَ قدرةً خارقةً على التحوُّلِ إلى أيِّ حيوانٍ تَشاءُ، فهلْ هذا صحيحٌ؟" قالَ الغولُ بفخرٍ: "نعم، إنَّني أستطيعُ أنْ أتحوَّلَ إلى أسدٍ، أو فيلٍ، أو أيِّ مخلوقٍ ترغبُ فيهِ." قالَ القطُّ: "أرني إذن، تحوَّلْ إلى أسدٍ لأَراكَ." تحوَّلَ الغولُ في الحالِ إلى أسدٍ ضخمٍ مخيفٍ، فقفزَ

القطُّ خوفاً على الحائطِ، وارتعدَتْ فرائصُه. وعندَما عادَ الغولُ إلى هيئتِه البشريةِ، قالَ القطُّ مبتسماً: "وهلْ تستطيعُ أنْ تَتحوَّلَ إلى شيءٍ أصغرَ، كالفأرِ مثلاً؟" استهانَ الغولُ بسؤالِ القطِّ، وقالَ بسخريةٍ: "بالطبعْ!" وتحوَّلَ في لحظةٍ إلى فأرٍ صغيرٍ يَجري على الأرضِ. وهنا، انقضَّ القطُّ عليهِ بسرعةِ البرقِ، والتهمَهُ في لحظةٍ، ولمْ يَتركْ لهُ أثراً.

فرحٌ عارمٌ عمَّ القصرَ، فعندَما وصلَ الملكُ إلى القلعةِ المهيبةِ، كانَ القطُّ يَنتظرُه عندَ البوابةِ الذهبيةِ، وقالَ لهُ بانحناءةٍ: "أهلاً بكَ يا مولايَ في قلعةِ الماركيزِ دي كاراباس." دخلَ الملكُ القلعةَ، ورأى فخامتَها وجمالَها، فأُعجِبَ أيَّما إعجابٍ، والتفتَ إلى الشابِّ وقالَ لهُ: "يا ماركيزي العزيزُ، هلْ لي أنْ أَخُطَّ ابنتي هذهِ لكَ زوجةً؟" لمْ يتردَّدِ الشابُّ، وقبِلَ العرضَ بكلِّ سرورٍ، وأُقيمَ حفلُ الزفافِ في ذلكَ اليومِ بعينِه، وكانَ منْ أعظمِ الأفراحِ التي شهدَتْها المملكةُ.

أمَّا القطُّ الأستاذُ، فقدْ أصبحَ نبيلاً كبيراً، يُعاملُ بالاحترامِ والتقديرِ، ولمْ يَعُدْ يَصطادُ الفئرانَ إلاَّ منْ أجلِ المتعةِ والترفيهِ، تاركاً خلفَهُ حكايةً تُروى عنْ مكرِ القططِ، وذكاءِ المخلوقاتِ الصغيرةِ التي تُغيِّرُ مصائرَ البشرِ. وهكذا عَلِمَتِ البشريةُ أنَّ العقلَ المدبَّرَ قد يكونُ أعظمَ منَ السيفِ، وأنَّ الصورةَ الجميلةَ التي نبنيها لأنفسِنا قد تكونُ مفتاحَ نجاحِنا في عيونِ الآخرين، وأنَّ القطَّ، بحذائِه الجديدِ، قدْ يَصنعُ منَ الفقرِ ملكاً، ومنَ اليأسِ أملاً.

—

"فيليسيا" أو "الجنية ذات الأصيص"
(Fortunée).

—

ميراثٌ كانَ كلُّ ما تركه فلاحٌ فقيرٌ لابنته وابنه بعدَ موته: كرسيانِ، وسريرٌ من القشِّ، ودجاجةٌ وكانتْ تلكَ الدجاجةُ في الحقيقةِ زوجةَ الفلاحِ الذي ربَّى فيليسيا، وقدْ حوَّلَتْها الساحرةُ إلى دجاجةٍ لأنَّها أفشَتِ السرَّ. وأصيصُ قرنفلٍ، وخاتمٌ فضيٌّ. كانَ الفلاحُ قدْ أوصى ابنته فيليسيا، التي كانتْ أصغرَ أولادهِ وأجملَهم، أنْ تحتفظَ بالخاتمِ والأصيصِ، وتُقدِّمَ لأخيها برونو ما تبقَّى.

وبعدَ أنْ ودَّعَهُما، غادرَ الفلاحُ الدنيا، وتركَهُما يواجهانِ الحياةَ. وفي صباحِ اليومِ التالي، جلسَ برونو على أحدِ الكرسيينِ، وقالَ بغلظةٍ: "احتفظي بأصيصِ القرنفلِ وخاتمِكِ، ودَعيني وشأني، فأنا أُحبُّ النظامَ في بيتي." جلستْ فيليسيا باكيةً في الزاويةِ، لكنَّها لمْ تتجرَّأْ على الردِّ. وعندَ المساءِ، أكلَ برونو بيضةً، ورمى قشرَتها نحوَها قائلاً: "هذا كلُّ ما لكِ، فإنْ لمْ يعجبْكِ، فاخرجي واصطادي الضفادعَ منَ المستنقعِ."

حزنٌ غمرَ قلبَ فيليسيا، فصعدَتْ إلى غرفتها الصغيرةِ، ورأتْ أصيصَ القرنفلِ يَعبقُ عطراً، فاقتربَتْ منه وقالتْ باكيةً: "يا أزهارِي الجميلةَ، أنتُنَّ عزائي الوحيدُ، سأُرويكُنَّ كلَّ يومٍ، ولنْ أسمحَ لأيِّ يدٍ شريرةٍ أنْ تقتلعَكُنَّ." وانحنَتْ لتَسقيَها، فإذا بالأصيصِ يابسٌ، فحملَتْ إبريقَها وركضَتْ إلى النافورةِ البعيدةِ في الغابةِ. وما إنْ جلستْ على حافَتِها حتى رأتْ موكباً مهيباً، ملكةً جميلةً يحفُّ بها عددٌ منَ الخادماتِ، فاختبأتْ خلفَ شجرةٍ. قالتِ الملكةُ: "أرى راعيةً خلفَ تلكَ الشجرةِ، ادعُها إليَّ." تقدَّمَتْ فيليسيا بخوفٍ، وسجدَتْ للملكةِ، فسألَتْها الملكةُ: "ما الذي تفعلينَه هنا في هذهِ الساعةِ المتأخرةِ يا صغيرتي؟" أجابتْ فيليسيا بتواضعٍ: "جئتُ لأملأَ إبريقي لأزهارِي، يا سيدتي."

عطاءٌ لمْ تَنْسَهُ الملكةُ، فقدْ أعطَتْها الملكةُ إبريقاً، فلَمَّا نظرَتْ إليهِ فيليسيا، إذا هوَ قدْ تحوَّلَ إلى ذهبٍ خالصٍ، يتلألأُ بالماسِ، ويمتلئُ بماءٍ أَعْطَرَ منَ الورودِ، وقالتْ لها الملكةُ: 'هذا الإبريقُ لكِ، وسيَذكِّرُكِ بأنَّ ملكةَ الغابةِ صديقتُكِ.' شكرَتْها فيليسيا، وركضَتْ إلى بيتِها، لكنَّها وجدَتْ أنَّ برونو قدْ سرقَ أصيصَ القرنفلِ ووضَعَ مكانَه ملفوفةً. حزِنَتْ فيليسيا حزناً عميقاً، ورجعتْ إلى الملكةِ باكيةً، وقدَّمَتْ لها خاتمَها الفضِّيَّ قائلةً: "خذيهِ يا سيدتي، إنَّهُ كلُّ ما أملكُ الآنَ." ابتسمتِ الملكةُ وقالتْ: "سأحتفظُ بهِ، وسيكونُ دليلاً على صداقتِنا."

كلمةٌ عجيبةٌ سمعَتْها فيليسيا منَ الملفوفةِ التي ألقَتْها منَ النافذةِ، فقدْ صرختِ الملفوفةُ: "آه! لقدْ كدْتَ تقتليني!" ارتعدَتْ فيليسيا، لكنَّ الملفوفةَ أخبرَتْها أنَّ برونو أخفى أصيصَ القرنفلِ تحتَ سريرِه. أخذَتْ فيليسيا الملفوفةَ برفقٍ، وزرَعَتْها في مكانِها القديمِ في الحديقةِ، وقالتْ لها: 'سأُعاودُ غرسَكِ يا صديقتي، فأنتِ أحقُّ بالترابِ منَ السريرِ.'. عندَما حاولَتْ فيليسيا استعادتَه، هاجمَها جيشٌ منَ الفئرانِ، لكنَّها استخدمَتْ ماءَ الإبريقِ السحريَّ، فرشَّتْهُ

عليهم، ففرَّتِ الفئرانُ مذعورةً. وعندَما لمستِ الأزهارَ، همستْ لها زهرةٌ: "فيليسيا الجميلةُ، لقدْ جاءَ اليومُ الذي أستطيعُ فيهِ أنْ أقولَ لكِ إنَّ الأزهارَ تُحبُّكِ." صعِقَتْ فيليسيا، وغشيَ عليها.

مَلكةُ الغابةِ كانتْ تَنتظرُها عندَما أفاقَتْ، وقالتْ لها: "لديكِ أخٌ شريرٌ، أتريدينَ أنْ أُعاقِبَه؟" قالتْ فيليسيا: "لا، يا سيدتي، لستُ غاضبةً منه." قالتِ الملكةُ: "هلْ تَعلمينَ أنَّكِ أميرةٌ؟ لقدْ أخبرَتْكِ الدجاجةُ بذلكَ." فجأةً، ظهرَ شابٌّ وسيمٌ يرتدي ثوباً أخضرَ، وعلى رأسِه تاجٌ منَ القرنفلِ، وسجدَ للملكةِ، فقالتْ: "ابني، ها هوَ أصيصُ القرنفلِ قدْ عادَ إلى شكلِه الطبيعيِّ بفضلِ فيليسيا." وعندَها عرفَتْ فيليسيا أنَّ الأميرَ كانَ مسحوراً، وأنَّها حرَّرَتْه بحبِّها ورعايَتِها للأزهارِ.

زواجٌ أُقيمَ في القصرِ الجديدِ الذي حوَّلَتْه الملكةُ منَ الكوخِ، وتزوجَتْ فيليسيا الأميرَ، وعاشوا في سعادةٍ، بينما أصبحَ برونو نبيلاً بعدَ أنْ علَّمَتْه الملكةُ التواضعَ. وعادَتِ الدجاجةُ والملفوفةُ إلى شكلهما البشريِّ، أعادَتِ الملكةُ الدجاجةَ إلى هيئتِها الأولى، فإذا هي امرأةٌ طيبةٌ، هيَ زوجةُ الفلاحِ التي ربَّتْ فيليسيا. وأعادَتِ الملفوفاتِ إلى شكلِهم البشريِّ، فإذا هم جنودُ الملكِ الذينَ أرسلوا لقتلِ فيليسيا، لكنَّ الملكةَ حوَّلَتْهم إلى ملفوفاتٍ لحمايتِها. وهكذا عادَ كلُّ شيءٍ إلى نصابِه. عاشَ الجميعُ في سلامٍ. وهكذا عَلِمَتِ البشريةُ أنَّ الطيبةَ تُكافأُ، وأنَّ الجمالَ الحقيقيَّ ينمو في القلوبِ النقيةِ، وأنَّ الأزهارَ تحملُ أسراراً لا تُروى إلاَّ لمنْ يستحقُّها.

—

"القطةُ البيضاءُ"

(The White Cat)

حكايةُ القطةِ البيضاءِ التي تخبئُ تحتَ فرائها ملكةً، وتحتَ مكرِها قلباً عاشقاً.

—

ملكٌ عجوزٌ كانَ لهُ ثلاثةُ أبناءٍ، كلُّهم شُجعانٌ أذكياءُ، فخشيَ الملكُ أنْ يَطمعوا في عرشِه قبلَ أنْ يَموتَ، معَ أنَّه كانَ لا يزالُ قادراً على الحكمِ. ففكَّرَ في حيلةٍ، وجمعَ أبناءَه وقالَ لهمْ: "يا أبنائي، لقدْ كبِرْتُ في السِّنِّ، وأريدُ أنْ أَعتزِلَ الحكمَ، لكنْ قبلَ أنْ أُعيِّنَ أحدَكُم وريثاً، عليكُم أنْ تَذهَبوا

في رحلةٍ وتَجيئوا لي بأجملِ كلبٍ صغيرٍ، ومَن يُحضِرُ الأجملَ فلهُ العرشُ." وافقَ الأبناءُ، وتزوَّدوا بالمالِ، وانطلقوا في رحلتِهم، متَّفقينَ على أنْ يَلتقوا بعدَ عامٍ في نفسِ المكانِ.

سفرٌ بدأَهُ كلُّ أميرٍ في اتِّجاهٍ مختلفٍ، والأصغرُ منهمْ، وكانَ يُدعى الأميرَ، سارَ أياماً في غابةٍ مظلمةٍ عاصفةٍ، حتى ضلَّ الطريقَ، وأوشكَ على الموتِ جوعاً وبرداً. وفجأةً، رأى نوراً يَلمعُ منْ بعيدٍ، فاتَّجهَ نحوَه، وإذا بقصرٍ عجيبٍ، أبوابُه منْ ذهبٍ مُرصَّعٍ بالياقوتِ، وجدرانُه منْ خزفٍ مُلوَّنٍ، وعليهِ صورُ حكاياتِ القططِ المشهورةِ. شدَّ الأميرُ قدَمَ غزالٍ منَ الماسِ معلَّقةً بسلسلةٍ، فإذا بجرسٍ فضّيٍّ يَدُقُّ، انفتحَ البابُ، وإذا بأيادٍ في الهواءِ تحملُ مشاعلَ، تدفعُه إلى داخلِ القصرِ وتُرشِدُه. في قاعةِ العرشِ، وجدَ قطَّةً بيضاءَ صغيرةً، ترتدي حجاباً أسودَ، تجلسُ على كرسيٍّ منَ العاجِ، تُحيطُ بها قططٌ تحملُ السيوفَ تَعزِفُ الموسيقى. بدَتِ القطةُ حزينةً جداً، وفي كفِّها الأيسرِ كانَ يَتَلألأُ سوارٌ منَ الذهبِ، فيهِ صورةُ شابٍّ وسيمٍ، يُشبِهُ الأميرَ إلى حدٍّ كبيرٍ.

قطةٌ بيضاءُ، نطَقَتْ بصوتٍ ناعمٍ حزينٍ: "أهلاً بكَ يا أميرَ، أنا ملكةُ القططِ، وسأُكرِّمُكَ ضيفاً." تعجَّبَ الأميرُ، لكنَّه قبلَ الضيافةَ، جلسَ معَها على مائدةٍ منَ الذهبِ، حيثُ قُدِّمَ لهُ طعامٌ شهيٌّ منْ لحمِ الطيورِ والحلوى، بينما قُدِّمَ للقططِ الموسيقيينَ فئرانٌ محمَّصةٌ، فضحكَ الأميرُ في سرِّه، لكنَّه تذكَّرَ أنَّه في مملكةِ القططِ. فقالتِ القطةُ: "أيها الأمير، أرجوك أن تدع هذه المجاملات، فأنا لست معتادة عليها. الآن ليُقدّم العشاء، ولتسكت الموسيقى، لأن الأمير لا يفهم ما تقوله." وبعدَ أنْ فرغا منَ العشاءِ، قدَّمَتِ القطةُ للأميرِ كأساً منَ الكريستالِ الصافي، كانَ يحتوي على جرعةٍ سحريةٍ، فما إنْ وضَعَها على شفتيهِ حتى طارَ كلُّ شيءٍ منْ ذاكرتِه، ونسِيَ وطنَه وأباهُ ومهمَّتَه، وحتَّى الكلبَ الصغيرَ الذي كانَ يَبحثُ عنه للملكِ، وأصبحَ لا يَعرِفُ سوى القصرِ والقطةِ البيضاءِ، وكأنَّهُ وُلِدَ هناكَ. أقامتِ القطةُ حفلاً موسيقياً، ثمَّ أوصَدَتْ لهُ غرفةَ نومٍ منَ الحريرِ والريشِ. في الصباحِ، صحا الأميرُ على ضجَّةِ قططٍ تَصطادُ، فركِبَ حصاناً خشبيّاً أعطَتْه إيَّاهُ القطةُ، وانطلقَ معَها في رحلةِ صيدٍ عجيبةٍ، حيثُ كانتِ القطةُ تركَبُ قرداً يَتَسَلَّقُ حتَّى أَعشاشِ النُّسورِ، وتَصطادُها بمهارةٍ عجيبةٍ.

أيامٌ مضتْ، وكانَ الأميرُ يَقضي وقتَه معَ القطةِ البيضاءِ، يتحدَّثانِ ويَضحكانِ، وقدْ نَسِيَ تماماً مهمَّتَه في البحثِ عنْ كلبٍ للملكِ. لكنَّ القطةَ، التي كانتْ تعرفُ كلَّ شيءٍ، ذكرَتْه ذاتَ يومٍ بالموعدِ، وقالتْ لهُ: "يا أميرُ، أتعلمُ أنَّهُ لمْ يَتبقَّ لكَ سوى ثلاثةِ أيامٍ للبحثِ عنِ الكلبِ لأبيكَ؟ وإخوتُكَ قدْ وجدوا كلاباً جميلةً." تذكَّرَ الأميرُ فجأةً، وأخذَ يَندبُ حظَّه، وقالَ: "كيفَ لي في مثلِ هذا الوقتِ القصيرِ أنْ أجدَ كلباً جميلاً يكسبني المملكةَ؟ وأينَ أجدُ حصاناً يحملُني كلَّ تلكَ المسافةِ في ثلاثةِ أيامٍ؟" فأجابَتْه القطةُ: "لا تقلَقْ، الحصانُ الخشبيُّ الجيدُ يستطيعُ أنْ يأخذَكَ إلى بلادِكَ في اثنتيْ عشرةَ ساعةً. اِبقَ معي هذا اليومَ، وغداً ترحلُ." فرِحَ الأميرُ، لكنَّهُ سألَها بحسرةٍ: "لكنْ ماذا سأفعلُ إذا عدْتُ ولمْ أجدْ كلباً لأقدِّمَهُ لأبي؟" فضحِكَتِ القطةُ، وأعطَتْهُ جوزةً صغيرةً، وقالتْ لهُ: "في هذهِ الجوزةِ كلبٌ أجملُ منْ كلبِ نجمِ الكلبِ (Dogstar) نفسِه!" فظنَّ الأميرُ أنَّ القطةَ تسخرُ منه، فقالَ: "يا قطتي البيضاءُ العزيزةُ، كيفَ تسخرينَ مني الآنَ؟" فأجابَتْهُ: "اِستَمِعْ" ووضَعَتِ الجوزةَ في أذنِه، فسمعَ منها صوتاً خافتاً يقولُ: "نُباحٌ، نُباحٌ!" ففرِحَ الأميرُ فرحاً شديداً، وأرادَ أنْ يفتَحَ الجوزةَ ليرى الكلبَ، لكنَّ القطةَ منعَتْه، وقالتْ: "منَ الأفضلِ ألَّا تفتَحَها حتى تكونَ أمامَ أبيكَ، خوفاً منْ أنْ يُصابَ الكلبُ بالبردِ في الرحلةِ." فشكرَها الأميرُ، وودَّعَ القطةَ، وركِبَ حصانَه الخشبيَّ الذي نقَلَه في لحظةٍ إلى موعدِ إخوتِه.

منافسةٌ كانتْ بينَ الإخوةِ، فقدْ أحضرَ كلٌّ منهمْ كلباً صغيراً جميلاً، لكنْ عندَما فتَحَ الأميرُ الأصغرُ بندقَتَه (الجوزةَ)، خرجَ منها كلبٌ صغيرٌ جداً، لا يَزيدُ حجمُه عنْ إصبعِ اليدِ، ورقصَ على الأرضِ ببراعةٍ، فأُعجِبَ الملكُ بِهِ أيَّما إعجابٍ، وقالَ إنه من المستحيل أن يوجد كلب أجمل منه. لكنَّ الملكَ، الذي كانَ لا يريدُ التخلِّيَ عنْ عرشِه، طلَبَ منهمْ رحلةً ثانيةً: أنْ يَبحَثوا عنْ قطعةِ قماشٍ رقيقةٍ جداً يمكنُ سحبُها منْ ثقبِ إبرةٍ. عندما حاول الإخوة عرض قطعهم، أحضر الملك إبرة خاصة من الجواهر الملكية، كان ثقبها صغيراً جداً، ولم تنجح قطعهم في المرور منها. أما الأمير، فعادَ إلى القطةِ البيضاءِ، فأعطَتْه جوزةً وقالت له: "خذ هذه، قططي قد نسجتها". أمامَ الملكِ، فتحَ الأميرُ الجوزةَ، فوجدَ فيها بندقةً، فكسرَها فإذا بنواةِ كرزٍ، فكسرَ النواةَ فإذا بحبَّةِ قمحٍ، ففتحَ حبَّةَ القمحِ فإذا بحبَّةِ دخنٍ، فشقَّها فإذا بقطعةِ قماشٍ طولُها أربعُمئةِ ذراعٍ، تمرُّ منْ ثقبِ الإبرةِ الملكيةِ ستَّ مرَّاتٍ! اندهش الملكُ، لكنَّهُ طلَبَ رحلةً ثالثةً: أنْ يُحضِرَ كلٌّ منهمْ أميرةً جميلةً ليتزوَّجَها.

عودةٌ إلى القطةِ، لكنَّ هذهِ المرةَ كانتْ مختلفةً، فقدْ طلَبَتِ القطةُ منَ الأميرِ أنْ يَضرِبَ عُنقَها بسيفِه، فتردَّدَ بشدَّةٍ، لكنَّها أصرَّتْ، فضرَبَها، وإذا بها تَتحوَّلُ إلى أميرةٍ جميلةٍ، هيَ ابنةُ ملكٍ عظيمٍ، كانتْ قدْ سُحِرَتْ منْ قِبلِ جنيةٍ شريرةٍ. فرِحَ الأميرُ، وتزوَّجا في الحالِ.

جلستِ الأميرةُ إلى جوارِ الأميرِ، وأخذَتْ تُحَدِّثُهُ بصوتٍ حزينٍ شفيفٍ: ' يا أميري لستُ مجرَّدَ أميرةٍ عابرةٍ، بلْ قصَّتي طويلةٌ، بدأَتْ حينَ كانتْ أُمِّي الملكةُ تُحِبُّ الأسفارَ، اشتاقَتْ ذاتَ يومٍ إلى جبلٍ عجيبٍ تَروى عنْهُ الأعاجيبُ، فانطلَقَتْ في رحلَتِها، ومَرَّتْ بقصرِ خمسِ جنياتٍ عجائزَ، رأَتْ فيهِ ثماراً كالجواهرِ تَتدَلَّى، فاشتهَتْها، لكنَّ الجنياتِ اشترطْنَ عليها أنْ تَترُكَ ابنتَها – أي أنا – لَتُرَبِّيَها في بُرجٍ عالٍ.

نشأْتُ هناكَ، لمْ يَكُنْ معي سوى ببغاءٍ ونَطَّاطةٍ (كلبة صغيرة) تتكلَّمانِ، وكانتِ الجنياتُ تَزورُني كلَّ يومٍ، وتُعلِّمُني فنوناً شتَّى، لكنَّني كنتُ وحيدةً، لا أَرَى منَ الدنيا سوى السماءِ منْ نافذةِ البُرجِ. وفي أحدِ الأيامِ، رأيْتُ فارساً وسيماً يَمُرُّ منَ الغابةِ، فوقعَ قلبي حُبّاً لهُ، وتواعدْنا على الفرارِ، صنعْتُ حبلاً منَ الكتَّانِ لأنزلَ، لكنَّ الجنياتِ اكتشَفْنَ الأمرَ، لحظةِ هروبي، انقضَّ علينا تِنِّينٌ ضخمٌ وابتلَعَ حبيبي أمامَ عينيَّ. كانَ ذلكَ الفارسُ يُشبِهُكَ إلى حدٍّ كبيرٍ، يا أميري، حتى ظننتُ أنَّكَ هوَ عادَ إليَّ منْ جديدٍ.

رفضْتُ الزواجَ منْ ملكِ الأقزامِ الذي أرادَتْه الجنياتُ، فغضِبْنَ، حوَّلْنَني إلى قطةٍ بيضاءَ، وحوَّلْنَ حاشيتي إلى قططٍ، وأَخْفَيْنَ أيدي خَدَمي، جَعَلْنَ القصرَ كما رأيْتَ. أخبَرْنَني أنَّ السحرَ لنْ يَنفَكَّ عنِّي إلاَّ إذا أحبَّني أميرٌ وتزوَّجَني وأنا على هيئتي تلكَ. أنتَ يا أميري، كُنْتَ ذلكَ الأميرَ، كَسَرْتَ السحرَ بحُبِّكَ.

عودة إلى الملكِ، تقدَّمَتِ الأميرةُ قالتْ: 'يا مولايَ، لمْ آتِ لِأسلُبَكَ عرشَكَ، بلْ لِأُهدِيَكَ مملكةً منْ ممالكي، ولكلِّ ابنٍ منْ أبنائِكَ مملكةً أخرى. لا أطلبُ سوى صداقتِكَ، وموافقتِكَ على زواجي منْ ابنِكَ الأصغرِ.' ففرِحَ الملكُ والوزراءُ، وأُقيمَ حفلُ الزفافِ. حيثُ أُعلِنَ الأميرُ الأصغرُ وريثاً للعرشِ، تزوَّجَ إخوتهُ منْ أميراتٍ أخرياتٍ، عاشَ الجميعُ في سعادةٍ وهناءٍ. وهكذا عَلِمَتِ البشريةُ أنَّ الجمالَ قدْ يَختبئُ تحتَ قناعٍ غريبٍ، وأنَّ الحبَّ الصادقَ

يَكسِرُ كلَّ سحرٍ، وأنَّ القطةَ البيضاءَ ستظلُّ تَذكِّرُنا بأنَّ القلوبَ النقيةَ هيَ وحدَها مَن تَستحقُّ العروشَ.

—

نَاسِجَاتُ الذَّهَبِ
(The Gold-Spinners)

—

كُوخٌ صَغِيرٌ كَانَ مُخْتَبِئًا فِي أَعْمَاقِ غَابَةٍ كَثِيفَةٍ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ ضَوْءُ النَّهَارِ إِلَّا مِنْ خِلَالِ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ الْمُتَشَابِكَةِ. فِي ذَلِكَ الْكُوخِ، كَانَتْ تَعِيشُ عَجُوزٌ شَرِيرَةٌ مَعَ ثَلَاثِ فَتَيَاتٍ جَمِيلَاتٍ، كُلٌّ مِنْهُنَّ أَجْمَلُ مِنَ الْأُخْرَى، لَكِنَّ الصُّغْرَى كَانَتْ تَفُوقُهُنَّ جَمِيعًا جَمَالًا وَبَهَاءً. كَانَتِ الْعَجُوزُ تُشْغِلُ الْفَتَيَاتِ مِنَ الْفَجْرِ حَتَّى الْمَغِيبِ فِي غَزْلِ كَتَّانٍ ذَهَبِيٍّ، وَتَحْوِيلِهِ إِلَى خُيُوطٍ ثَمِينَةٍ نَاعِمَةٍ، وَإِذَا فَرَغَتْ مَغْزِلٌ مِنْ يَدٍ، أُعْطِيَتْ مَغْزِلًا آخَرَ، فَلَا رَاحَةَ وَلَا هُدُوءَ، وَالْعَمَلُ لَا يَتَوَقَّفُ لَحْظَةً. وَكَانَتِ الْخُيُوطُ الذَّهَبِيَّةُ تُخَزَّنُ فِي غُرْفَةٍ سِرِّيَّةٍ، لَا تَدْخُلُهَا الْفَتَيَاتُ وَلَا يَعْرِفْنَ مَا يُصْنَعُ بِهَا. وَكَانَتِ الْعَجُوزُ تَرْحَلُ بَيْنَ الْحِينِ وَالْآخَرِ فِي رِحْلَاتٍ غَامِضَةٍ طَوِيلَةٍ، وَإِذَا عَزَمَتْ عَلَى الرَّحِيلِ، قَسَمَتْ بَيْنَهُنَّ عَمَلَ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ غَيْبَتِهَا، ثُمَّ تَعُودُ فِي اللَّيْلِ لِتُفَاجِئَهُنَّ، وَلَا تُخْبِرُ الْفَتَيَاتِ أَبَدًا مِنْ أَيْنَ تَأْتِي بِالْكَتَّانِ الذَّهَبِيِّ، وَلَا لِمَاذَا يُغْزَلُ، وَلَا إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ فِي رِحْلَاتِهَا الْغَامِضَةِ.

تَحْذِيرٌ كَانَتِ الْعَجُوزُ تُكَرِّرُهُ كُلَّمَا غَادَرَتْ، بِصَوْتٍ حَادٍّ جَادٍّ: "يَا بَنَاتِي، لَا تُطْلِقْنَ أَعْيُنَكُنَّ، وَلَا تُكَلِّمْنَ رَجُلًا أَبَدًا، فَإِنْ فَعَلْتُنَّ ذَلِكَ، فَسَيَفْقِدُ الْكَتَّانُ بَرِيقَهُ، وَسَتَحِلُّ الْمَصَائِبُ وَالْأَهْوَالُ عَلَيْكُنَّ جَمِيعًا." كَانَتِ الْفَتَيَاتُ يَضْحَكْنَ مِنْ هَذَا التَّحْذِيرِ فِي سِرِّهِنَّ، وَيَتَسَاءَلْنَ بِسُخْرِيَةٍ: "وَكَيْفَ نُكَلِّمُ رَجُلًا وَنَحْنُ فِي هَذَا الْكُوخِ الْمُنْعَزِلِ وَسْطَ الْغَابَةِ الْمُظْلِمَةِ؟ لَا يَمُرُّ بِنَا سِوَى الْغِزْلَانِ وَالْعَصَافِيرِ." لَكِنَّ الْقَدَرَ كَانَ لَهُ رَأْيٌ آخَرُ.

ضَيَاعٌ حَلَّ بِالْأَمِيرِ الشَّابِّ الْوَسِيمِ، فَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ غِيَابِ الْعَجُوزِ، بَيْنَمَا كَانَتِ الْفَتَيَاتُ يَغْزِلْنَ فِي صَمْتٍ، ضَلَّ طَرِيقَهُ فِي الْغَابَةِ أَثْنَاءَ رِحْلَةِ صَيْدٍ، وَانْقَطَعَ عَنْ رُفَقَائِهِ وَحَاشِيَتِهِ. أَوْشَكَ عَلَى الْمَوْتِ جُوعًا وَإِعْيَاءً، فَأَلْقَى بِنَفْسِهِ تَحْتَ شَجَرَةٍ عَتِيقَةٍ، وَغَطَّ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ. عِنْدَ الْغُرُوبِ، اسْتَيْقَظَ وَشَرَعَ يَبْحَثُ عَنْ طَرِيقٍ لِلْخُرُوجِ، حَتَّى اهْتَدَى إِلَى دَرْبٍ ضَيِّقٍ قَادَهُ

إِلَى الْكُوخِ. فَرَأَتْهُ الْأُخْتَانِ الْكُبْرَيَانِ، فَارْتَعَدَتَا وَاخْتَبَأَتَا، أَمَّا الصُّغْرَى فَقَالَتْ: "لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، دَعُونِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ." وَجَلَسَتْ عَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ تَنْتَظِرُهُ.

لِقَاءٌ كَانَ بَيْنَ الْأَمِيرِ وَأَصْغَرِ الْفَتَيَاتِ، تِلْكَ الْحَسْنَاءِ الَّتِي كَانَتْ تَجْلِسُ عَلَى بَابِ الْكُوخِ. مَا إِنْ رَأَى جَمَالَهَا حَتَّى سُحِرَ قَلْبُهُ، فَاقْتَرَبَ مِنْهَا يُحَدِّثُهَا بِصَوْتٍ خَافِتٍ، وَقَدْ نَسِيَ جُوعَهُ وَتَعَبَهُ. فَقَدَّمَتْ لَهُ الطَّعَامَ، ثُمَّ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا وَرَفِيقَاتِهَا أَسِيرَاتٌ عِنْدَ عَجُوزٍ شَرِيرَةٍ، وَلَا يَعْرِفْنَ مَتَى يَأْتِي يَوْمُ خَلَاصِهِنَّ. تَحَدَّثَا طَوِيلًا، وَاغْتَرَقَا فِي الْحَدِيثِ حَتَّى خَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّ السَّاعَاتِ لَمْ تَكُنْ سِوَى لَحَظَاتٍ، وَأَنَّ الزَّمَانَ قَدْ تَوَقَّفَ عَنْ جَرَيَانِهِ طَوْعًا لِسِحْرِ صُحْبَتِهَا. نَسِيَتِ الْفَتَاةُ تَحْذِيرَ الْعَجُوزِ، وَاسْتَغْرَقَتْ فِي حَدِيثِهَا مَعَهُ حَتَّى حَلَّ الْمَسَاءُ وَأَرْخَى سُدُولَهُ. عِنْدَمَا عَادَتْ إِلَى مَغْزِلِهَا، تَفَاجَأَتْ بِأَنَّ خُيُوطَهَا الذَّهَبِيَّةَ قَدْ فَقَدَتْ بَرِيقَهَا، وَأَصْبَحَتْ بَاهِتَةً كَالرَّمَادِ، فَأَدْرَكَتْ أَنَّ كَارِثَةً عَظِيمَةً سَتَحُلُّ بِهَا وَبِالْأَمِيرِ، وَبَكَتْ بُكَاءً مَرِيرًا.

غَضَبٌ كَانَ مُفْزِعًا عِنْدَ عَوْدَةِ الْعَجُوزِ فِي اللَّيْلِ، إِذْ رَأَتِ الْخُيُوطَ الْبَاهِتَةَ، وَعَرَفَتْ أَنَّ الْفَتَاةَ قَدْ خَالَفَتْ أَوَامِرَهَا وَتَحَدَّثَتْ مَعَ رَجُلٍ. صَرَخَتْ فِي وَجْهِهَا: "يَا نَاكِرَةَ الْجَمِيلِ، لَقَدْ جَلَبْتِ الشَّقَاءَ عَلَى نَفْسِكِ وَعَلَى الْأَمِيرِ، وَسَتَدْفَعَانِ الثَّمَنَ غَالِيًا." حَزِنَتِ الْفَتَاةُ حُزْنًا شَدِيدًا، وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنَامَ مِنْ شِدَّةِ التَّفْكِيرِ، حَتَّى قَرَّرَتْ أَنْ تَبْحَثَ عَنِ الْأَمِيرِ لِتَسْتَعِينَ بِهِ وَتَنْجُوَ مِنْ قَبْضَةِ الْعَجُوزِ.

غُرَابٌ كَانَ سِلَاحَهَا، إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَتَاةُ قَدْ تَعَلَّمَتْ مُنْذُ صِغَرِهَا فَهْمَ لُغَةِ الطُّيُورِ. فَلَمَّا اشْتَدَّ بِهَا الْكَرْبُ، رَأَتْ غُرَاباً يَنْقُضُ رِيشَهُ عَلَى غُصْنِ صَنَوْبَرٍ، فَنَادَتْهُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ: "أَيُّهَا الطَّائِرُ الْعَزِيزُ، أَذْكَى الطُّيُورِ وَأَسْرَعِهَا جَنَاحاً، هَلْ تُسَاعِدُنِي؟" قَالَ الْغُرَابُ: "كَيْفَ أَسْتَطِيعُ مُسَاعَدَتَكِ؟" قَالَتْ: "طِرْ حَتَّى تَصِلَ إِلَى مَدِينَةٍ رَائِعَةٍ حَيْثُ قَصْرُ الْمَلِكِ، وَابْحَثْ عَنِ ابْنِ الْمَلِكِ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّ مَصِيبَةً عظِيمَةً حَلَّتْ بِي." ثُمَّ أَخْبَرَتْهُ كَيْفَ فَقَدَتْ خُيُوطُهَا بَرِيقَهَا، وَكَيْفَ غَضِبَتِ الْعَجُوزُ غَضَباً شَدِيداً، وَكَيْفَ تَخَافُ مِنْ كَارِثَةٍ كُبْرَى. فَوَعَدَهَا الْغُرَابُ بِالْوَفَاءِ، وَفَرَشَ جَنَاحَيْهِ وَطَارَ. أَمَّا الْفَتَاةُ فَعَادَتْ إِلَى الْكُوخِ، وَعَمِلَتْ طَوَالَ النَّهَارِ فِي لَفِّ الْخُيُوطِ الَّتِي غَزَلَتْهَا أَخَوَاتُهَا الْكُبْرَيَانِ، إِذْ لَمْ تَكُنِ الْعَجُوزُ تَسْمَحُ لَهَا بِالْغَزْلِ بَعْدَ ذَلِكَ. وَفِي الْمَسَاءِ، سَمِعَتْ صَوْتَ الْغُرَابِ "كرا، كرا" مِنْ شَجَرَةِ الصَّنَوْبَرِ، فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ لِتَسْمَعَ الْجَوَابَ. وَبِحَظٍّ عَظِيمٍ، كَانَ الْغُرَابُ قَدْ وَجَدَ فِي حَدِيقَةِ الْقَصْرِ ابْنَ سَاحِرِ الرِّيحِ، الَّذِي

كَانَ يَفْهَمُ لُغَةَ الطُّيُورِ، فَأَوْكَلَ إِلَيْهِ الرِّسَالَةَ. فَلَمَّا سَمِعَ الْأَمِيرُ الْخَبَرَ، حَزِنَ حُزْناً شَدِيداً، وَاسْتَشَارَ أَصْدِقَاءَهُ الْمُقَرَّبِينَ فِي كَيْفِيَّةِ تَحْرِيرِ الْفَتَاةِ. ثُمَّ قَالَ لِابْنِ سَاحِرِ الرِّيحِ: "أُطْلُبْ مِنَ الْغُرَابِ أَنْ يَعُودَ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْفَتَاةِ، وَيُخْبِرَهَا أَنْ تَكُونَ مُسْتَعِدَّةً فِي اللَّيْلَةِ التَّاسِعَةِ، فَسَآتِي لِآخُذَهَا." فَفَعَلَ ابْنُ سَاحِرِ الرِّيحِ ذَلِكَ، وَطَارَ الْغُرَابُ بِسُرْعَةٍ حَتَّى بَلَغَ الْكُوخَ فِي نَفْسِ الْمَسَاءِ. فَشَكَرَتْهُ الْفَتَاةُ مِنْ قَلْبِهَا، وَعَادَتْ إِلَى الْكُوخِ، وَلَمْ تُخْبِرْ أَحَداً بِمَا سَمِعَتْهُ. وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَتِ اللَّيْلَةُ التَّاسِعَةُ، أَصْبَحَتِ الْفَتَاةُ غَيْرَ سَعِيدَةٍ، خَائِفَةً مِنْ أَنْ يَنْشَأَ سُوءُ حَظٍّ وَيُفْسِدَ كُلَّ شَيْءٍ. فَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، زَحَفَتْ بِهُدُوءٍ مِنَ الْكُوخِ، وَانْتَظَرَتْ مُرْتَجِفَةً عَلَى بُعْدٍ قَلِيلٍ. وَسَرْعَانَ مَا سَمِعَتْ وَقْعَ خُيُولٍ خَافِتاً، ثُمَّ ظَهَرَتِ الْقُوَّاتُ الْمُسَلَّحَةُ بِقِيَادَةِ الْأَمِيرِ، الَّذِي كَانَ قَدْ عَلَّمَ الْأَشْجَارَ مَسْبَقاً لِيَعْرِفَ الطَّرِيقَ فِي الظَّلَامِ. فَلَمَّا رَآهَا قَفَزَ مِنْ حِصَانِهِ، وَرَفَعَهَا إِلَى السَّرْجِ، ثُمَّ رَكِبَ خَلْفَهَا وَعَادَا إِلَى قَصْرِهِ.

فِرَارٌ كَانَ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلَامِ الدَّامِسِ، حَيْثُ تَسَلَّلَتِ الْفَتَاةُ مِنَ الْكُوخِ كَالسَّرَابِ، وَقَلْبُهَا يَرْتَجِفُ خَوْفًا، وَأَطْرَافُهَا تَرْتَعِدُ تَرَقُّبًا. هَرَبَتْ مَعَ الْأَمِيرِ، فَرَفَعَهَا عَلَى سَرْجِ فَرَسِهِ، ثُمَّ رَكِبَ خَلْفَهَا وَانْطَلَقَا، وَالْجُنُودُ مِنْ حَوْلِهِمَا كَالسَّحَابِ الَّذِي يَحْفَظُ الْقَمَرَ. وَكَانَ الْقَمَرُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مُنِيراً جِدّاً، يُضِيءُ طَرِيقَهُمْ، فَلَمْ يَجِدُوا صُعُوبَةً فِي رُؤْيَةِ الْأَشْجَارِ الْمُوَسَّمَةِ الَّتِي كَانَ الْأَمِيرُ قَدْ عَلَّمَهَا مَسْبَقاً بِحِكْمَةٍ، لِيَهْتَدِيَ بِهَا فِي الظَّلَامِ. عِنْدَ الْفَجْرِ، أَطْلَقَتِ الطُّيُورُ أَلْسِنَتَهَا بِالتَّغْرِيدِ، فَلَوْ كَانَ الْأَمِيرُ يَعْلَمُ مَا تَقُولُهُ تِلْكَ الطُّيُورُ، أَوْ كَانَتِ الْفَتَاةُ تُصْغِي إِلَيْهَا بَدَلَ أَنْ تَكُونَ غَارِقَةً فِي الْحَدِيثِ مَعَ حَبِيبِهَا، لَعَرَفَا مَا يُخَبِّئُهُ الْقَدَرُ مِنْ حُزْنٍ قَادِمٍ. لَكِنَّهُمَا كَانَا غَارِقَيْنِ فِي نَشْوَةِ الْحُبِّ وَالْخَلَاصِ، حَتَّى إِنَّهُمَا لَمْ يَلْتَفِتَا إِلَى أَصْوَاتِ الطُّيُورِ الْمُحَذِّرَةِ، وَعِنْدَمَا خَرَجَا مِنَ الْغَابَةِ، كَانَتِ الشَّمْسُ قَدِ ارْتَفَعَتْ فِي السَّمَاءِ.

كُرَةٌ كَانَتْ سِلَاحَ الْعَجُوزِ السَّاحِرَةِ، الَّتِي كَانَتْ تُرَاقِبُ كُلَّ شَيْءٍ بِعَيْنِ سِحْرِهَا. جَمَعَتْ تِسْعَةَ أَنْوَاعٍ مِنْ لَقَّاحِ السَّحَرَةِ، وَأَضَافَتْ إِلَيْهَا مِلْحاً سَحَرَتْهُ أَوَّلاً، ثُمَّ وَضَعَتِ الْخَلِيطَةَ فِي قِطْعَةِ قِمَاشٍ عَلَى شَكْلِ كُرَةٍ نَاعِمَةٍ، وَأَرْسَلَتْهَا خَلْفَهُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيحِ، وَقَالَتْ:

"يَا زَوْبَعَةَ الرِّيحِ، يَا أُمَّ الْعَوَاصِفِ،
أَعِيرِينِي مَعُونَتَكِ ضِدَّ مَنْ أَخْطَأَتْ!
اِحْمِلِي مَعَكِ هَذِهِ الْكُرَةَ السِّحْرِيَّةَ،
أَلْقِي بِهَا مِنْ بَيْنِ ذِرَاعَيْهِ إِلَى الْأَبَدِ،

وَادْفِنِيهَا فِي النَّهْرِ الْمُتَدَفِّقِ!"
فَانْطَلَقَتِ الْكُرَةُ خَلْفَهُمْ كَالسَّهْمِ، حَتَّى بَلَغَتْ جِسْراً ضَيِّقاً يَعْبُرُ نَهْراً عَمِيقاً، فَجَفَلَ حِصَانُ الْأَمِيرِ فَجْأَةً وَرَفَعَ نَفْسَهُ، فَأَلْقَى بِالْفَتَاةِ فِي الْمَاءِ الْجَارِفِ. أَرَادَ الْأَمِيرُ أَنْ يَقْفِزَ خَلْفَهَا، لَكِنَّ جُنُودَهُ أَمْسَكُوهُ وَمَنَعُوهُ، وَهُوَ يَصْرُخُ بِاسْمِهَا حَتَّى خَنَقَتْهُ الْعَبْرَةُ.

غِيَابٌ كَانَ مَصِيرَ الْفَتَاةِ، إِذْ غَابَتْ فِي الْمَاءِ، وَتَحَوَّلَتْ إِلَى زَنْبَقَةِ مَاءٍ صَفْرَاءَ جَمِيلَةٍ، تَطْفُو عَلَى سَطْحِ النَّهْرِ وَتُغَنِّي أُغْنِيَةً حَزِينَةً: "آهٍ، لَقَدْ سُحِرْتُ وَهُجِرْتُ، هُنَا أَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ، حَبِيبِي لَمْ يُفَكِّرْ فِيَّ، لِيُحَرِّرَ عَرُوسَهُ الَّتِي كَانَتْ غَالِيَةً عَلَى قَلْبِهِ."

حُزْنٌ عَمِيقٌ أَصَابَ الْأَمِيرَ، فَأَغْلَقَ نَفْسَهُ فِي غُرْفَةٍ سِرِّيَّةٍ مُظْلِمَةٍ فِي قَصْرِهِ لِمُدَّةِ سِتَّةِ أَسَابِيعَ، رَافِضاً الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ، وَأَصْبَحَ الْأَطِبَّاءُ يَئِسُوا مِنْ حَيَاتِهِ. اسْتَدْعَى الْمَلِكُ كُلَّ سَحَرَةِ الْمَمْلَكَةِ وَعَرَّافِيهَا، لَكِنْ لَمْ يَشْفِهِ أَحَدٌ. عِنْدَهَا، تَقَدَّمَ ابْنُ سَاحِرِ الرِّيحِ، وَقَالَ: "أَرْسِلُوا إِلَى السَّاحِرِ الْعَجُوزِ مِنْ فِنْلَنْدَا، فَهُوَ أَعْلَمُ مِنْ جَمِيعِ سَحَرَةِ مَمْلَكَتِكَ مُجْتَمِعِينَ." فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ رَسُولاً إِلَى فِنْلَنْدَا، وَبَعْدَ أُسْبُوعٍ، جَاءَ السَّاحِرُ الْعَجُوزُ نَفْسُهُ عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيحِ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: "الرِّيحُ هِيَ الَّتِي جَلَبَتْ هَذَا الْمَرَضَ عَلَى ابْنِكَ، وَكُرَةٌ سِحْرِيَّةٌ خَطَفَتْ حَبِيبَتَهُ فِي لَحْظَةٍ، وَهَذَا هُوَ سَبَبُ حُزْنِهِ الدَّائِمِ. دَعِ الرِّيحَ تَهُبُّ عَلَيْهِ لِتُزِيلَ حُزْنَهُ." فَأَمَرَ الْمَلِكُ الْأَمِيرَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الرِّيحِ، فَوَقَفَ فِي الْهَوَاءِ، وَبَدَأَ يَتَعَافَى تَدْرِيجِيّاً، ثُمَّ حَدَّثَ وَالِدَهُ بِكُلِّ مَا جَرَى لَهُ.

عَوْدَةٌ كَانَتْ إِلَى الْجِسْرِ بَعْدَ عَامٍ كَامِلٍ. أَلَحَّتْ عَلَيْهِ ذِكْرَيَاتُ الْمَكَانِ، فَعَادَ إِلَيْهِ حَيْثُ سَقَطَتْ حَبِيبَتُهُ، وَكَادَ يُعْطِي كُلَّ مَا يَمْلِكُ لِيُعِيدَهَا إِلَى الْحَيَاةِ. وَبَيْنَمَا هُوَ يَبْكِي بِحَرَارَةٍ، سَمِعَ صَوْتاً يُغَنِي، فَنَظَرَ حَوْلَهُ يَمِيناً وَشِمَالاً، وَبَحَثَ تَحْتَ الْجِسْرِ، لَعَلَّ الْبَاكِيَ مُخْتَبِئاً هُنَاكَ، فَلَمْ يَجِدْ سِوَى صَمْتِ الْمَاءِ وَعَزِيفِ الرِّيحِ بَيْنَ الصُّخُورِ. ثُمَّ سَمِعَ الصَّوْتَ مَرَّةً أُخْرَى، يُرَدِّدُ الْأُغْنِيَةَ الْحَزِينَةَ نَفْسَهَا. انْزَلَقَ مِنْ عَلَى فَرَسِهِ، وَتَحَرَّى حَوْلَهُ بِدِقَّةٍ، فَلَمْ يَجِدْ سِوَى زَنْبَقَةِ مَاءٍ صَفْرَاءَ تَطْفُو عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ، نِصْفُهَا مُخْتَبِئٌ تَحْتَ أَوْرَاقِهَا الْعَرِيضَةِ. فَاسْتَغْرَبَ الْأَمِيرُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: "لَكِنَّ الزُّهُورَ لَا تُغَنِّي!" فَتَرَبَّصَ مُنْتَظِراً، لَعَلَّهُ يَسْمَعُ الْمَزِيدَ. وَعِنْدَمَا عَادَ الصَّوْتُ يُغَنِّي الْمَرَّةَ الثَّالِثَةَ، أَيْقَنَ أَنَّ ثَمَّةَ سِرّاً عَظِيماً، لَكِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ كَيْفَ يُفَسِّرُهُ.

هَدَايَةٌ أَتَتْ مِنَ الطُّيُورِ. فَفِي يَوْمٍ، بَيْنَمَا كَانَ الْأَمِيرُ يَمْشِي فِي الْغَابَةِ، وَقَدْ مَنَحَتْهُ الْكَعْكَةُ السِّحْرِيَّةُ الَّتِي أَكَلَهَا مِنَ الْأُخْتَيْنِ الْكُبْرَيَيْنِ قُدْرَةً عَلَى فَهْمِ لُغَةِ الطُّيُورِ، سَمِعَ سُمْنَةً (thrush) تَقُولُ لِعُقْعُقٍ: "مَا أَغْبَى الْبَشَرَ! لَقَدْ مَرَّ عَامٌ كَامِلٌ وَالْفَتَاةُ لَا تَزَالُ زَنْبَقَةً، وَالْأَمِيرُ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً لِيُحَرِّرَهَا! إِنَّهَا تُغَنِّي عَلَى الْجِسْرِ كُلَّ يَوْمٍ، لَكِنَّ الْحَلَّ عِنْدَ سَاحِرِ فِنْلَنْدَا. وَهُوَ الْمُسَبِّبُ فِي كُلِّ مَصَائِبِهَا." فَتَذَكَّرَ الْأَمِيرُ تَحْذِيرَ الْغُرَابِ، وَأَيْقَنَ أَنَّ طَرِيقَ الْخَلَاصِ يَبْدَأُ مِنْ هُنَاكَ، فَأَصْغَى بِعِنَايَةٍ إِلَى كَلِمَاتِ الطَّيْرِ الْحَكِيمِ، وَعَرَفَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَهُ.

كَعْكَةٌ كَانَتْ مِفْتَاحَ الْفَهْمِ. رَكِبَ الْأَمِيرُ إِلَى كُوخِ الْأُخْتَيْنِ، فَوَجَدَهُمَا عِنْدَ النَّافُورَةِ، فَقَصَّ عَلَيْهِمَا الْخَبَرَ، فَقُلْنَ: "تِلْكَ الزَّنْبَقَةُ هِيَ أُخْتُنَا، وَقَدْ تَحَوَّلَتْ بَعْدَ أَنْ أَلْقَتْهَا الْكُرَةُ السِّحْرِيَّةُ فِي النَّهْرِ." فَصَنَعَتِ الْكُبْرَى كَعْكَةً مِنَ الْأَعْشَابِ السِّحْرِيَّةِ، وَأَطْعَمَتْهَا الْأَمِيرَ. فَنَامَ لَيْلَتَهُ فِي كُوخِهِمَا، فَرَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ يَفْهَمُ لُغَةَ الطُّيُورِ. فَلَمَّا أَصْبَحَ، حَدَّثَهُمَا بِذَلِكَ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ الْكَعْكَةَ هِيَ السَّبَبُ، وَنَصَحَتْهُ بِالْإِنْصَاتِ لِلطُّيُورِ، وَقَالَتْ لَهُ: "اسْتَمِعْ إِلَيْهَا جَيِّداً، فَهِيَ سَتَدُلُّكَ عَلَى طَرِيقِ فَكِّ السِّحْرِ عَنْ أُخْتِنَا، وَالسَّاحِرُ الْعَجُوزُ مِنْ فِنْلَنْدَا هُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى كَشْفِ السِّرِّ." فَعَلِمَ الْأَمِيرُ أَنَّ الْحَلَّ عِنْدَ سَاحِرِ فِنْلَنْدَا، وَوَعَدَ الْأُخْتَيْنِ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِمَا لِيُحَرِّرَهُمَا مِنْ قَبْضَةِ الْعَجُوزِ بَعْدَ أَنْ يُنْقِذَ أُخْتَهُمَا. ثُمَّ تَوَسَّلَتَا إِلَيْهِ بِصَوْتٍ مَخْنُوقٍ: "لَا تَنْسَانَا يَا أَمِيرُ، فَإِنَّا مَا زِلْنَا أَسِيرَتَيْنِ فِي كُوخِ الْعَجُوزِ، وَعَدُكَ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِنَا."

رِسَالَةٌ أَرْسَلَهَا الْأَمِيرُ مَعَ سُنُونُوَيْنِ قَالَ لَهُمَا: "أَتُؤَدِّيَانِ لِي خِدْمَةً؟" فَأَجَابَا بِرَغْبَةٍ: "نَعَمْ، قُلْ مَا تَشَاءُ." فَقَالَ: "احْمِلَا تَحِيَّاتِي إِلَى سَاحِرِ فِنْلَنْدَا، وَاسْأَلَاهُ كَيْفَ أَسْتَطِيعُ تَحْرِيرَ فَتَاةٍ تَحَوَّلَتْ إِلَى زَنْبَقَةٍ." فَطَارَ السُّنُونُوَانِ، وَعَادَ الْأَمِيرُ إِلَى الْجِسْرِ، فَلَمْ يَسْمَعْ سِوَى خَرِيرِ الْمَاءِ، فَجَلَسَ فِي الْحَدِيقَةِ يُفَكِّرُ، وَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْأَسَى. وَبَعْدَ أَيَّامٍ، نَزَلَ عَلَيْهِ نَسْرٌ عَظِيمٌ حَامِلًا رَدَّ السَّاحِرِ: "سَاحِرُ فِنْلَنْدَا يُهْدِي إِلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: اذْهَبْ إِلَى النَّهْرِ، وَادْهَنْ نَفْسَكَ بِالطِّينِ، ثُمَّ قُلْ: 'مِنْ رَجُلٍ إِلَى سَلْطَعُونٍ'، فَتَتَحَوَّلُ إِلَيْهِ. ثُمَّ ازْحَفْ إِلَى جُذُورِ الزَّنْبَقَةِ، وَاقْتَلِعْهَا، وَاطْفُ بِهَا مَعَ التَّيَّارِ حَتَّى تَصِلَ إِلَى شَجَرَةِ رَوَانٍ وَحَجَرٍ عَلَى الضَّفَّةِ الْيُسْرَى، ثُمَّ قُلْ: 'مِنْ سَلْطَعُونٍ إِلَى رَجُلٍ، وَمِنْ زَنْبَقَةٍ إِلَى فَتَاةٍ'، فَتَعُودَانِ إِلَى شَكْلِكُمَا."

تَرَدَّدَ الْأَمِيرُ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ الشَّكُّ وَالرَّهْبَةُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: "لَيْسَ لِي مَا أَخْسَرُهُ سِوَى الْمَوْتِ، وَالْمَوْتُ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا الْحُزْنِ الْأَبَدِيِّ." وَظَلَّ يُفَكِّرُ هَلْ يَصِحُّ الْخَبَرُ أَمْ هُوَ خِدَاعٌ، حَتَّى إِذَا أَلَحَّتْ عَلَيْهِ ذِكْرَيَاتُ حَبِيبَتِهِ، عَادَ إِلَى الْجِسْرِ، فَسَمِعَ الْأُغْنِيَةَ الْحَزِينَةَ مَرَّةً أُخْرَى، فَعَزَمَ عَلَى الْمُخَاطَرَةِ، وَقَالَ: "لَا أُبَالِي بِالْمَوْتِ، فَالْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا الْعَذَابِ." فَخَاضَ الْمَاءَ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، وَتَحَوَّلَ إِلَى سَلْطَعُونٍ، وَبَقِيَ تَحْتَ الْمَاءِ عَشْرَةَ أَيَّامٍ يَقْتَلِعُ الْجُذُورَ مِنَ الطِّينِ وَالْقَصَبِ، حَتَّى إِذَا طَفَا بِالزَّنْبَقَةِ إِلَى الشَّجَرَةِ وَالْحَجَرِ، قَالَ الْكَلِمَاتِ، فَعَادَ إِلَى شَكْلِهِ الْبَشَرِيِّ، وَإِذَا بِالْفَتَاةِ تَعُودُ إِلَيْهِ أَجْمَلَ مَا كَانَتْ، تَرْتَدِي ثَوْباً أَصْفَرَ فَاقِعاً مُرَصَّعاً بِالْجَوَاهِرِ، تَتَلَأْلَأُ كَالنَّجْمَةِ فِي عَيْنَيْهِ.

نَجَاحٌ تَمَّ بِعَزْمِ الْأَمِيرِ. خَرَجَا مِنَ النَّهْرِ، فَلَمْ يَجِدَا فَرَسَهُ الَّذِي تَرَكَهُ عِنْدَ الْجِسْرِ، إِذْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ مَكَثَ تَحْتَ الْمَاءِ بِضْعَ سَاعَاتٍ فَقَطْ، وَإِذَا بِهِ قَدْ مَضَتْ عَشْرَةُ أَيَّامٍ كَامِلَةٍ. لَكِنَّ عَرَبَةً فَخْمَةً جَمِيلَةً تَجُرُّهَا سِتَّةُ خُيُولٍ مُسْرَجَةٍ بِأَغْطِيَةٍ مُزَيَّنَةٍ بِالذَّهَبِ كَانَتْ تَنْتَظِرُهُمَا عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ، فَرَكِبَاهَا وَانْطَلَقَا إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ. وَكَانَ الْمَلِكُ وَالْمَلِكَةُ فِي الْكَنِيسَةِ يَبْكِيَانِ عَلَى ابْنِهِمَا الَّذِي ظَنَّاهُ مَيْتاً، فَلَمَّا رَآهُمَا الْأَمِيرُ أَلْقَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا، وَانْهَمَرَتِ الدُّمُوعُ فَرَحاً، وَعَانَقَاهُ وَهُمَا لَا يَصْدُقَانِ أَنَّهُ حَيٌّ. وَأُقِيمَ حَفْلُ الزِّفَافِ فِي الْحَالِ، وَاسْتَمَرَّ الِاحْتِفَالُ سِتَّةَ أَسَابِيعَ، وَعَمَّتِ الْأَفْرَاحُ الْمَمْلَكَةَ كُلَّهَا.

عَاشَ الْأَمِيرُ وَالْفَتَاةُ فِي سَعَادَةٍ، لَكِنَّ غُرَاباً نَبَّهَ الْأَمِيرَ إِلَى أَنَّ أُخْتَيِ الْفَتَاةِ مَا زَالَتَا فِي كُوخِ الْعَجُوزِ، وَقَالَ لَهُمَا بِتَوْبِيخٍ: "أَيُّهَا الْجَاحِدُونَ! أَنَسِيتُمَا الْأُخْتَيْنِ الْمِسْكِينَتَيْنِ اللَّتَيْنِ سَاعَدَتَاكُمَا فِي شِدَّتِكُمَا؟ إِنَّهُمَا أَمِيرَتَانِ، سَرَقَهُمَا السَّاحِرُ حِينَ كَانَتَا طِفْلَتَيْنِ مَعَ جَمِيعِ الْأَوَانِي الْفِضِّيَّةِ الَّتِي حَوَّلَهَا إِلَى كَتَّانٍ ذَهَبِيٍّ! دَعْهُمَا تَغْزِلَانِ إِلَى الْأَبَدِ، وَانْظُرَا هَلْ تَشْعُرَانِ بِالرَّاحَةِ!" فَخَجِلَ الْأَمِيرُ وَتَذَكَّرَ وَعْدَهُ، فَعَادَ مَعَ الْفَتَاةِ إِلَى كُوخِ الْعَجُوزِ، وَصَنَعَا كَعْكَةً مَسْمُومَةً وَتَرَكَاهَا عَلَى الطَّاوِلَةِ حَيْثُ تَرَاهَا السَّاحِرَةُ. فَلَمَّا جَاءَتْ، رَأَتِ الْكَعْكَةَ فَشَهِيَتْهَا وَأَكَلَتْهَا بِشَرَاهَةٍ، فَمَاتَتْ فِي الْحَالِ. ثُمَّ هَدَمَا الْكُوخَ وَقَلَعَا أُسُسَهُ، وَحَرَّرَا الْأُخْتَيْنِ، وَعَثَرَا عَلَى خَمْسِينَ حُمُولَةَ عَرَبَةٍ مِنَ الْكَتَّانِ الذَّهَبِيِّ الْمَدْفُونِ تَحْتَ الْكُوخِ. وَعَاشَ الْجَمِيعُ فِي سَعَادَةٍ وَهَنَاءٍ. تَنْتَهِي حِكَايَةُ "نَاسِجَاتِ الذَّهَبِ"، وَتَبْقَى فِي الْقَلْبِ عِبْرَةٌ. أَنَّ السَّعْيَ وَالْإِصْرَارَ يَكْسِرَانِ أَقْوَى السُّحُورِ، وَأَنَّ الْوَفَاءَ لِلْعَهْدِ يَفْتَحُ أَبْوَابَ الْفَرَجِ حَيْثُ لَا يُرْجَى.

—

"الرأسُ المُرعِبُ"

(The Terrible Head)

مستلهمةُ منْ أسطورةِ "بيرسيوس" و"ميدوسا".

—

مَلِكٌ كانَتْ وريثَتُه الوحيدةُ ابنةً، فتاقَتْ نفسُه إلى حفيدٍ يَحمِلُ اسمَه منْ بعدِه، لكنَّ عرَّافاً تنبَّأَ لهُ بأنَّ ابنَ ابنتِه سيَقتُلُه. ارتعدَتْ فرائصُ الملكِ، فأمرَ بحفرِ بِئْرٍ عميقةٍ، وبناءِ سجنٍ منْ نُحاسٍ في قاعِها، وسجَنَ ابنتَهُ هناكَ، لا يَصِلُها منَ الدنيا إلاَّ ضوءُ الشمسِ منْ نافذةٍ في سقفِ السجنِ، فلا ترى الحقولَ ولا البحرَ، بلْ تنظرُ إلى السماءِ وتَتساءَلُ هلْ ستَخرُجُ يوماً. وفي يومٍ، انفتَحَتِ السماءُ فوقَها، وهطَلَ عليها مطرٌ منْ ذهبٍ يَتَلألأُ في غرفَتِها، وبعدَ أشهرٍ، وضَعَتْ طفلاً ذكراً. لكنَّ الملكَ، حينَ عَلِمَ بالأمرِ، خافَ وغَضِبَ، لكنَّهُ -وكانَ جباناً- لمْ يَملِكْ قلباً ليَقتُلَ ابنتَه ورضيعَها، فأمرَ بوَضْعِهما في صندوقٍ ضخمٍ مُقيَّدٍ بالنُّحاسِ، وألقى بهما في البحرِ لِيَغرَقا أو يَموتا جوعاً.

صندوقٌ منْ نُحاسٍ طافَ على وجهِ الماءِ، حاملاً الأميرةَ ورضيعَها، يَدفعُهما الموجُ ليلاً ونهاراً. كانَ الطفلُ يَنامُ في هدوءٍ، لا يَخافُ الأمواجَ ولا الرياحَ، بينما كانتْ أمُّه تُغنِّي لهُ أغنيةً:

يا طِفلِي، يا نَوْمَ عَينيَّ،
كيفَ تَنامُ وقلبِي يَخافُ؟
في صندوقِ النُّحاسِ الضيِّقِ،
في الليلِ المُظلِمِ المُوحِشِ،
تَنَمْ ولا تَسمَعْ بُكاءَ أمِّكِ،
ولا صَريرَ الأمواجِ العاتيةِ.

وأخيراً، ألقَى البحرُ بالصندوقِ على شاطئِ جزيرةٍ، فوجَدَه رجُلٌ منْ سُكَّانِها، وفتَحَه، فإذا بأميرةٍ جميلةٍ وطفلٍ صغيرٍ، فأخذهما إلى بيتِه، ورَعَى الطفلَ حتى كبُرَ وشَبَّ.

مَلِكُ الجزيرةِ وقعَ في حبِّ والدةِ الفتى، وأرادَ الزواجَ بها، لكنَّها كانتْ تَرفُضُ مفارقةَ ابنِها. فتآمَرَ الملكُ على التخلُّصِ منهُ، فدعا كلَّ رعاياهُ إلى وليمةٍ، وطلبَ منهمْ أنْ يُحضِروا هدايا لِمَلِكَةٍ مجاورةٍ كانتْ على وشكِ الزواجِ. جلبَ الجميعُ هدايا ثمينةً: كؤوسَ ذهبٍ، وعقودَ لآلئَ، وخيولاً أصيلةً. أمَّا الفتى، فلمْ يَملِكْ شيئاً، فضحِكَ منه الملأُ. فقالَ لهُ الملكُ بسخريةٍ:

"إنْ لمْ تَجِدْ ما تُهديهِ، فاذهَبْ وأحضِرْ لي الرأسَ المُرعِبَ!" اغتاظَ الفتى، وقالَ باندفاعٍ: "أُقسمُ أنْ آتيَ بالرأسِ المُرعِبِ، إنْ كانَ في إمكانِ بشرٍ إحضارُه! لكنْ أخبروني: أيُّ رأسٍ هذا؟" فأخبروهُ عنْ ثلاثِ أخواتٍ مُروِّعاتٍ، لهنَّ أجنحةٌ منْ ذهبٍ، ومخالبُ منْ نُحاسٍ، وفي رؤوسِهنَّ حياتٌ بدلاً منَ الشعرِ. مَن يَرَهُنَّ يَتحجَّرُ في الحالِ. اثنتانِ منهنَّ خالدتانِ لا تُقتَلانِ، أمَّا الصُّغرى، فوجهُها جميلٌ، لكنَّها الوحيدةُ التي يمكنُ قتلُها، ورأسُها هوَ المطلوبُ.

حَزُنَ الفتى على وَعدِه الطائشِ، لكنَّه أصرَّ على الوفاءِ بهِ. خرجَ منَ الوليمةِ، وجلسَ على صخرةٍ على شاطئِ البحرِ، يُفكِّرُ في كيفيَّةِ إنجازِ مهمَّتِه. وإذْ بشابٍّ وسيمٍ، كأنَّه ابنُ مَلِكٍ، وبجانبِه سيدةٌ جميلةٌ، تَلمعُ عيناها كالنجومِ. كانا أطولَ منَ البشرِ، وفي يدِ الشابِّ عَصاً عليها جناحانِ ذهبيَّانِ وحَيَّتانِ منْ ذهبٍ، وعلى قبعَتِه وحذائِه أجنحةٌ. سألَهُ الشابُّ عنْ حُزْنِه، فحكى لهُ قصَّتَه. فقالتِ السيدةُ: "إنَّهُ وَعْدٌ طائشٌ، لكنَّ الشُّجعانَ يَصْنعونَ المستحيلَ." وأخبرتْهُ أنَّهُ يحتاجُ إلى ثلاثِ أدواتٍ: قبعةُ الظلامِ التي تُخفي مَن يرتديها، سيفُ القَطْعِ الذي يَشُقُّ الحديدَ بضربةٍ واحدةٍ، وحذاءُ السُّرعةِ الذي يَحمِلُ صاحبَه في الهواءِ كالطيرِ.

حذاءُ السُّرعةِ كانَ أوَّلَ ما حصَلَ عليهِ الفتى، فقدْ خلعَهُ الشابُّ الغريبُ وأعطاهُ إيَّاهُ، وقالَ لهُ: "سأستردُّهُ منكَ بعدَ أنْ تَقتلَ الرأسَ المُرعِبَ. اذهَبْ بهذا الحذاءِ إلى الأخواتِ الثلاثِ الرماديَّاتِ في أقصى الشمالِ، هنَّ عجائزُ باردات، لا يَملِكْنَ بينَهُنَّ إلاَّ عيناً واحدةً وسنّاً واحدةً، يَتداولْنَها. اختلِسْ العينَ منهنَّ، ولا تُرْجِعْها حتى يُخبِرْنَكَ عنْ طريقِ الجنياتِ الثلاثِ في الحديقةِ." شكرَ الفتى الغريبينِ، لكنَّهُما اختفيا في لحظةٍ. ارتدى حذاءَ السُّرعةِ، فطارَ بهِ فوقَ البحارِ الدافئةِ، وفوقَ سهولِ الشمالِ الجليديةِ، حتى وصلَ إلى مغارةٍ زرقاءَ منَ الجليدِ، حيثُ وجدَ الأخواتِ الرماديَّاتِ، شَعْرُهُنَّ كالثَّلجِ، ولحمُهُنَّ أزرقُ باردٌ، ونَفَسُهُنَّ المُتَجمِّدُ يُحيطُ بهنَّ كالسَّحابِ.

تسلَّلَ الفتى إلى داخلِ المغارةِ، وانتظرَ حتى تَداولَتِ العجائزُ عينَهُنَّ الواحدةَ، فاختلَسَها منْ بينِ أيديهنَّ بخفَّةٍ. صرَخْنَ في ذُعْرٍ: "أينَ العينُ يا أختي؟" قالتِ الأولى: "أنتِ أخذتِها بنفسِكِ يا أختي." قالتِ الثانيةُ: "هلْ فقدْنا العينَ يا أختي؟ هلْ فقدْنا العينَ؟ هلْ لنْ نَجِدَها أبداً، ونرى الأزمنةَ القديمةَ تعودُ إلينا؟" ضَحِكَ الْفَتَى ضَحِكَةً مُدَوِّيَةً، فلما سمعتِ العجائزُ ضحكتَه، أخذْنَ

يَبكِينَ بكاءً مريراً، وتجمَّدَتْ دموعُهُنَّ على وجوهِهنَّ كحَصى الجليدِ. توسَّلْنَ إليهِ أنْ يُعيدَ العينَ، لكنَّهُ اشترطَ أنْ يُخبِرْنَهُ بطريقِ جنياتِ الحديقةِ. فأخبرْنَهُ على مضضٍ: "اسلُكْ نحوَ الجنوبِ، واليابسةُ عنْ يسارِكَ والبحرُ عنْ يمينِكَ، حتى تَصِلَ إلى جزيرةِ جنياتِ الحديقةِ." ردَّ إليهِنَّ العينَ، وانطلقَ طائراً حتى بلغَ الجزيرةَ، حيثُ وجدَ ثلاثَ جنياتٍ جميلاتٍ، إحداهنَّ بالثوبِ الأخضرِ، والثانيةُ بالأبيضِ، والثالثةُ بالأحمرِ، يَرْقُصنَ حولَ شجرةِ تفاحٍ منْ ذهبٍ ويُغنِّينَ:

"دَوْرَةً دَوْرَةً حَوْلَ التُّفَّاحِ الذَّهَبِيِّ،
نَرْقُصُ منْ قِدَمِ الأَزَلِ،
حَوْلَ الشَّجَرَةِ المَسْحُورَةِ،
حتى تَأْتِيَ الأَزْمِنَةُ الجَدِيدَةُ.
نَرْقُصُ حَوْلَ شَجَرَةِ الذَّهَبِ،
نَرْقُصُ وَنَدُورُ،
فَهَكَذَا تَدُورُ الدُّنْيَا الْعَظِيمَةُ مُنْذُ الْقِدَمِ،
بِصَيْفِهَا وَشِتَائِهَا وَنَارِهَا وَبَرْدِهَا،
بِأَغَانِيهَا وَحِكَايَاتِهَا،
كَمَا نَرْقُصُ نَحْنُ، نَنْطَوِي وَنَنْتَشِرُ
حَوْلَ جِذْعِ شَجَرَةِ الْجِنِّيَاتِ!"

أعطَتْ الجنياتُ الفتى قبعةَ الظلامِ وسيفَ القطعِ، ودرعاً لامعاً وكيساً منَ الجلدِ. ووضَعْنَ السيفَ ذا النَّصلِ الماسيِّ في حزامِه، وقبعةَ الظلامِ على رأسِه، وأخبرْنَهُ أنَّهُ حتى هُنَّ لا يَرَيْنَهُ الآنَ. ثُمَّ خَلَعَ الْقُبَّعَةَ، فَقَبَّلَتْهُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ، وَتَمَنَّيْنَ لَهُ حَظّاً سَعِيداً، وَعُدْنَ إِلَى رَقْصِهِنَّ الْأَبَدِيِّ حَوْلَ الشَّجَرَةِ الذَّهَبِيَّةِ. طارَ الفتى فوقَ النهرِ العظيمِ الذي يُحيطُ بالعالَمِ كالحَيَّةِ، وهناكَ، على ضفافِه، وجدَ الأخواتِ المُرعِباتِ الثلاثَ نائماتٍ تحتَ شجرةِ حورٍ، أجنحَتُهُنَّ الذهبيةُ مطويَّةٌ، ومخالِبُهُنَّ النحاسيةُ مُتقاطِعَةٌ، والحياتُ في شَعْرِهِنَّ تَتَلَوَّى. نامَتِ الصُّغرى على ظهرِها، ووجهُها الجميلُ الحزينُ مُتَّجِهٌ نحوَ السماءِ، وعيناها مفتوحتانِ على اتِّساعِهما رغمَ النومِ.

رفَعَ الفتى درعَهُ كالمرآةِ، ونظرَ إلى انعكاسِ المخلوقاتِ المُرعِبةِ فيهِ، دونَ أنْ يَنظُرَ إليها مباشرةً، وإلاَّ لَتحجَّرَ. اقتربَ منَ الصُّغرى حتى صارَ على مَسافةِ ضربةِ سيفٍ، وضربَها ضربةً خلفيةً قاطعةً، فانفصَلَ رأسُها المُرعِبُ

عنْ جسدِها. اندفَعَ الدمُ كالسَّيلِ ليرتدَّ إليهِ كضربةٍ، لكنَّ الفتى أمسَكَ الرأسَ ووضَعَه في كيسِه، وطارَ مسرعاً دونَ أنْ يَلتفِتَ خلفَه. استيقَظَتِ الأختانِ، وطارَتا وراءَهُ كالطيرِ، تَتبَعانِ رائحَتَهُ خلالَ الغيومِ، رغمَ أنَّ قبعةَ الظلامِ كانتْ تُخفيهِ عنْ أعينِهما. سمعَ خَفقَ أجنحَتِهما الذهبيةِ، وصراخَهُما: "هنا! لا، هناكَ! هذا طريقُه!" لكنَّ حذاءَ السُّرعةِ كانَ أسرعَ، فعبرَ النهرَ العظيمَ، وتلاشَتْ أصواتُهُما في البُعدِ.

أثناءَ طيرانِه، رأى منَ الأعلى فتاةً جميلةً مُقيَّدةً بسلسلةٍ منْ حديدٍ إلى وتدٍ على شاطئِ البحرِ، كادَتْ أنْ تَموتَ منَ الخوفِ والإرهاقِ. نزلَ إليها، وأرادَ أنْ يُكلمَها فرفعتْ رأسَها ونظرتْ حولَها لكنها لمْ تَرَه، فتذكرَ أنه يرتدي قبعةَ الظلامِ، فخلعَها، ووقفَ أمامَها، فإذا هو أجملُ شابٍّ رأتهُ في حياتِها، بشعرٍ أصفرَ مجعَّدٍ وعينينِ زرقاوينِ ووجهٍ ضاحكٍ. وقطَعَ السلسلةَ بسيفِه، فشكَرَتْه وأخبرَتْهُ أنَّها ابنةُ ملكِ تلكَ البلادِ، وأنَّهم يَتركونَها هناكَ لتَأْكُلَها وحوشُ البحرِ التي تَأْتي كلَّ يومٍ لتَفتَرِسَ فتاةً. وفجأةً، برزَ رأسُ وحشٍ بحريٍّ ضخمٍ منَ الأمواجِ، وانقضَّ عليها بشراهةٍ، لكنَّهُ أخطأَها في المرةِ الأولى لأنه كانَ طماعاً ومتسرعاً. وقبلَ أنْ يَنهضَ ويَعضَّها مرةً أخرى، أخرَجَ الفتى الرأسَ المُرعِبَ منْ كيسِه ورفَعَه في وجهِ الوحشِ، فتحجَّرَ الوحشُ في الحالِ، وما زالَ ذلكَ الحجرُ على الشاطئِ حتى اليومَ.

تزوَّجَ الفتى منَ الفتاةِ في احتفالاتٍ باذخةٍ، وبعدَ أنْ أمضيا وقتاً في قصرِ أبيها، أبحرا إلى بلادِ الفتى. لكنَّه لمْ يَستطِعْ أنْ يَحمِلَ عروسَه في الهواءِ، فترَكَ حذاءَ السُّرعةِ وقبعةَ الظلامِ وسيفَ القطعِ في مكانٍ منعزلٍ على التلالِ، حيثُ وجَدَها الرجُلُ والمرأةُ اللذانِ ساعَداهُ في بدايةِ رحلتِه. وعندَما وصلا إلى ميناءِ بلادِه، صادَفا أمَّه الفارَّةَ منَ الملكِ الشريرِ الذي أرادَ قتْلَها، فاحتضَنَها، وتصدَّى للملكِ. صرخَ في وجهِه: "لقدْ أقسَمْتُ أنْ آتيَكَ بالرأسِ المُرعِبِ، وها أنا أوفي بوعدي!" وأخرَجَ الرأسَ منْ كيسِه، فنظرَ إليهِ الملكُ، فتحجَّرَ في الحالِ. بَقِيَ الْمَلِكُ وَاقِفاً عَلَى هَيْئَتِهِ، وَسَيْفُهُ مَرْفُوعٌ فِي يَدِهِ كَأَنَّهُ لَا يَزَالُ يَسْتَعِدُّ لِتَوْجِيهِ الضَّرْبَةِ، حَتَّى أَصْبَحَ تِمْثَالاً خَالِداً يَحْكِي صَرْعَةَ الطُّغْيَانِ.

فرِحَ الشعبُ، وعَرَضوا على الفتى التاجَ، لكنَّه رفَضَ، وقرَّرَ أنْ يُعيدَ أمَّه إلى بلادِ أبيها. وفي الطريقِ، مَرُّوا ببلدةٍ تُقيمُ ألعاباً رياضيةً، فاشتركَ الفتى في رميةِ القرصِ، وألقاهُ بقوَّةٍ فائقةٍ، فطارَ القرصُ بعيداً، وأصابَ رجلاً في

الحشدِ فماتَ. وإذْ بهُو جَدُّ الفتى، ذلكَ الملكُ الذي تنبَّأَ العرَّافُ بأنَّ حفيدَه سيَقتُلُه، فكانَ ما كانَ، وتحقَّقَتِ النبوءةُ. لكنَّ الفتى وزوجتَه وأمَّه عادوا إلى مملكتِهم، وعاشوا في سعادةٍ وهناءٍ بعدَ كلِّ تلكَ المحنِ.

تنتهي حكايةُ "الرأسِ المُرعِبِ"، حكايةُ الوعدِ الطائشِ الذي تحوَّلَ إلى ملحمةِ بطولةٍ، وحكايةُ الحبِّ الذي يَكسِرُ القيودَ، والوفاءِ الذي يَصنعُ المعجزاتَ، والرأسِ المقطوعِ الذي يُصبِحُ سلاحاً يَردُّ الشرَّ على أهلهِ، تاركةً في القلبِ عِبرةً خالدةً: أنَّ الشجاعةَ ليستْ في عدمِ الخوفِ، بلْ في مواجهتِه، وأنَّ الأقدارَ قدْ تَختارُ طُرقاً غريبةً لِتُحقِّقَ نفسَها، لكنَّ النوايا الطيبةَ والقلوبَ النقيةَ هيَ وحدَها مَن تَنتصِرُ في النهايةِ.

—

"الذهبيةُ الجميلةُ"
(Pretty Goldilocks)

—

أميرةٌ كانتْ في قديمِ الزمانِ، هيَ أروعُ ما خَلَقَ اللهُ على وجهِ الأرضِ، وقدْ سُمِّيَتْ "الذهبيةَ الجميلةَ" لأنَّ شعرَها كانَ كالذهبِ الخالصِ، يَتموَّجُ في جدائلَ تَكادُ تَلمَسُ الأرضَ، وكانتْ تَرتدي تاجاً منَ الأزهارِ البريةِ، وثيابَها مُطرَّزةٌ بالدُّرِّ والياقوتِ، وكلُّ منْ رآها وقعَ في حبِّها منْ أولِ نظرةٍ، فما بالُكَ بمنْ سمعَ عنها فقطْ؟ وفي جوارِ مملكتِها، كانَ يعيشُ ملكٌ شابٌّ غنيٌّ وسيمٌ، لكنَّه لمْ يَكُنْ قدْ رآها قطُّ، ولمَّا بلغَهُ وصفُ جمالِها، اشتعلَ قلبُه حبّاً لها، حتى إنَّه لمْ يَعُدْ يَستطيعُ الأكلَ ولا الشربَ منْ شدَّةِ الشوقِ، فقرَّرَ أنْ يُرسِلَ إليها سفيراً في موكبٍ فخمٍ لا نظيرَ لهُ، ومعَ السفيرِ مئةُ حصانٍ، ومئةُ خادمٍ، وصناديقُ منَ الذهبِ والجواهرِ، ليَخطُبَها لهُ. وانطلقَ السفيرُ، ولمْ يَكُنْ في البلاطِ حديثٌ سِواهُ، وكانَ الملكُ على يقينٍ منْ أنَّ الأميرةَ ستُوافِقُ، فأمرَ رجالَه بالعملِ على تجهيزِ فساتينَ جميلةٍ وأثاثٍ فخمٍ لتكونَ جاهزةً عندَ عودتِها معَه.

رفضٌ قاطعٌ جاءَ على لسانِ الأميرةِ، إذْ ردَّتِ السفيرَ خائباً، وقالتْ: "أُبلِغْ ملكَكَ أنِّي مُشكورَةٌ على كرمِه، لكنِّي لا أَرغبُ في الزواجِ." وعادَ السفيرُ بالهدايا كلِّها، إلاَّ خمسةً وعشرينَ دبوساً إنكليزيّاً احتفظَتْ بها لئلاَّ يُغضَبَ

الملكُ. ولَمَّا بلغَ الخبرُ الملكَ، بكى بكاءً مريراً، وكادَ أنْ يَمرَضَ منَ الحزنِ، ولمْ يَجِدْ مُعزِّياً. وفي بلاطِ الملكِ، كانَ هناكَ شابٌّ وسيمٌ ذكيٌّ اسمُهُ "شارمينغ" (أي الفاتنُ)، وكانَ الملكُ يُحِبُّه ويُقرِّبُه، لكنَّ الحسَّادَ كانوا يَتربَّصونَ بهِ. وفي مجلسٍ دارَ فيهِ الحديثُ عنْ فشلِ السفيرِ، قالَ شارمينغُ بتهوُّرٍ: "لوْ أرسلَني الملكُ إلى الذهبيةِ الجميلةِ، لَعادَتْ معي بكلِّ سرورٍ." فأسرعَ الحسَّادُ إلى الملكِ، وأخبروهُ بما قالَ، فغضبَ الملكُ غضباً شديداً، وأمرَ بسجنِ شارمينغَ في برجٍ عالٍ ليموتَ جوعاً.

ندمٌ وألمٌ، لكنَّ القدرَ كانَ لهُ رأيٌ آخرُ. فبينما كانَ شارمينغُ في سجنِه، وكانَ قدْ نَسِيَ كلامَهُ المتهورَ، مرَّ الملكُ بالقربِ منَ البرجِ، فسمعَ صوتَهُ يَشكو، فَتَوَقَّفَ لِيَسْمَعَ، رُغْمَ حَسَدَةِ شارْمِينْغَ الَّذِينَ حَاوَلُوا صَرْفَهُ عَنْ ذَلِكَ. فَفَتَحَ الْمَلِكُ بَابَ الْبُرْجِ وَنَادَاهُ، فَجَاءَ شَارْمِينْغُ حَزِيناً وَقَبَّلَ يَدَ الْمَلِكِ، وَقَالَ: "مَاذَا فَعَلْتُ يَا مَوْلَايَ لِأَسْتَحِقَّ هَذَا الْجَفَاءَ؟" فَقَالَ الْمَلِكُ: "اسْتَهْزَأْتَ بِي وَبِسَفِيرِي." فَأَجَابَ شَارْمِينْغُ: "صَحِيحٌ يَا مَوْلَايَ، لَكِنِّي كُنْتُ سَأَصِفُ جَمَالَكَ وَفَضَائِلَكَ بِأُسْلُوبٍ يُقْنِعُ الْأَمِيرَةَ بِأَنَّكَ لَا تُقَاوَمُ، وَلَا أَرَى فِي ذَلِكَ مَا يُغْضِبُكَ." فَلَمْ يَجِدِ الْمَلِكُ سَبَباً لِلْغَضَبِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِ سَرَاحِهِ، وَأَطْعَمَهُ عَشَاءً شَهِيّاً، ثُمَّ قَرَّرَ أَنْ يُرْسِلَهُ فِي مُهِمَّةٍ رَسْمِيَّةٍ إِلَى الذَّهَبِيَّةِ الْجَمِيلَةِ. فَانْطَلَقَ شَارْمِينْغُ فِي صَبَاحِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ، وَحِيداً عَلَى حِصَانٍ، يُفَكِّرُ فِي الْخِطَابِ الْبَلِيغِ، وَكَانَ كُلَّمَا سَنَحَتْ لَهُ فِكْرَةٌ، يَنْزِلُ عَنْ جَوَادِهِ وَيَجْلِسُ تَحْتَ شَجَرَةٍ لِيُدَوِّنَهَا فِي كُرَّاسِهِ.

مغامراتٌ ثلاثٌ اعترضَتْ طريقَ شارمينغَ قبلَ أنْ يَصِلَ إلى قصرِ الذهبيةِ، وكانتْ عجيبةً غريبةً، كأنَّ القدرَ يُعِدُّ لهُ مفاجآتِه. الأولى: أنَّه رأى سمكةً ذهبيةً ضخمةً قدْ قذَفَتْ بنفسِها على ضفَّةِ النهرِ، وهيَ تَلْفَظُ أنفاسَها الأخيرةَ، فرحِمَها، والتقطَها برفقٍ وأعادَها إلى الماءِ. وما إنْ لامسَتِ السمكةُ الماءَ حتى انطلَقَتْ تَسبحُ فرحةً، ثمَّ عادَتْ إليهِ وقالتْ: "شكراً لكَ يا شارمينغَ، لقدْ أنقذْتَ حياتي، وسأُكافِئُكَ يوماً." الثانيةُ: أنَّه رأى غراباً يَفِرُّ منْ نسرٍ ضخمٍ يَكادُ يَفتَرِسُه، فرمى بسهمِه فأصابَ النسرَ في مقتلٍ، فنجا الغرابُ، وقالَ لهُ: "شكراً لكَ، سأُكافِئُكَ." الثالثةُ: أنَّه سمعَ بومةً تَصرخُ في الغابةِ، فوجَدَها عالقةً في شباكِ صيَّادٍ، فقطَعَ الشباكَ وأنقذَها، فقالتْ لهُ البومةُ: "شكراً لكَ، سأُكافِئُكَ."

وصلَ شارمينغُ إلى قصرِ الذهبيةِ الجميلةِ، فانبهرَ بفخامتِه، وارتدى أفخرَ ثيابِه، وحملَ كلباً صغيراً جميلاً اشتراهُ في الطريقِ. وأُعلِنَ عن وصولِه، فَقَالَتِ الأَمِيرَةُ لِجَوَارِيهَا: "شارْمِينْغُ، هَذَا الِاسْمُ يَعِدُ بِالْخَيْرِ، لَا شَكَّ أَنَّهُ وَسِيمٌ وَيَأْسِرُ الْقُلُوبَ." فَأَجَبْنَ: "لَقَدْ رَأَيْنَاهُ مِنْ نَافِذَةِ الْعُلِّيَّةِ، وَلَمْ نَسْتَطِعْ إِلَّا النَّظَرَ إِلَيْهِ طَوَالَ الْوَقْتِ." فَأَمَرَتِ الأَمِيرَةُ بِإِحْضَارِ فُسْتَانِهَا الأَزْرَقِ الْمُطَرَّزِ، وَتَمْشِيطِ شَعْرِهَا الذَّهَبِيِّ، وَتَزْيِينِهِ بِالْأَكَالِيلِ، وَارْتَدَتْ حِذَاءَهَا ذَا الْكَعْبِ الْعَالِي، وَأَخَذَتْ مِرْوَحَتَهَا، وَأَمَرَتْ بِكَنْسِ الْقَاعَةِ وَالْعَرْشِ. ثُمَّ دَخَلَتْ قَاعَةَ الْمَرَايَا، وَجَلَسَتْ عَلَى عَرْشِهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ، وَأَخَذَتِ الْجَوَارِي يَعْزِفْنَ. فَلَمَّا دَخَلَ شَارْمِينْغُ، رَآهَا فَصُعِقَ بِجَمَالِهَا حَتَّى لَمْ يَسْتَطِعْ نُطْقَ كَلِمَةٍ لِلحظاتٍ، ثُمَّ اسْتَجْمَعَ قُوَاهُ، وَأَلْقَى عَلَيْهَا خِطَاباً بَلِيغاً يَصِفُ فِيهِ حُبَّ الْمَلِكِ لَهَا، وَيَطْلُبُ مِنْهَا أَنْ تُرَافِقَهُ إِلَى بِلَادِهِ.

شرطٌ عجيبٌ وضعَتْهُ الأميرةُ، إذْ قالتْ لهُ: "يا شارمينغُ، إنَّ كلامَكَ جميلٌ، لكنِّي لنْ أَذْهَبَ معكَ حتى تُعيدَ إليَّ خاتماً ثميناً لي. فمنذ شهر، بينما كنتُ أمشي على ضفة النهر مع وصيفاتي، خلعتُ قفازي فانزلق الخاتم من إصبعي وسقط في الماء. وهو أعزُّ عندي من مملكتي كلها، وقد تعهدتُ ألا أستمع لأي عرض زواج ما لم يُعد إليَّ الخاتم أولاً. إنْ جئْتني به، وإلاَّ فلنْ أسمعَ كلاماً عنِ الزواجِ أبداً." فَتَعَجَّبَ شَارْمِينْغُ مِنْ هَذَا الشَّرْطِ، لَكِنَّهُ انْحَنَى أَمَامَ الْأَمِيرَةِ وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَقْبَلَ الْوِشَاحَ الْمُطَرَّزَ وَالْكَلْبَ الصَّغِيرَ، لَكِنَّهَا رَفَضَتْ، وَقَالَتْ لَهُ إِنَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَذَكَّرَ مَا قَالَتْهُ. عَادَ شَارْمِينْغُ إِلَى مَبِيتِهِ حَزِيناً، وَذَهَبَ إِلَى الْفِرَاشِ دُونَ عَشَاءٍ، وَأَخَذَ يَتَنَهَّدُ وَيَئِنُّ طَوَالَ اللَّيْلِ. وَصَدَّقَهُ كَلْبُهُ الصَّغِيرُ "فْرِيسْك" فَلَمْ يَأْكُلْ أَيْضاً، بَلْ جَاءَ وَاضْطَجَعَ بِجَانِبِهِ، وَقَالَ لَهُ: "لَا تَيْأَسْ يَا سَيِّدِي، سَنَذْهَبُ إِلَى النَّهْرِ عِنْدَ الْفَجْرِ، وَلَعَلَّ اللهَ يُيَسِّرُ لَنَا أَمْراً."

فجرٌ جديدٌ أيقظَ الأملَ في نفسِ شارمينغَ، فنهضَ باكراً ومضى هوَ وكلبُهُ "فريسك" إلى النهرِ، يتطلَّعانِ إلى السماءِ ويَدْعوانِ اللهَ أنْ يُيَسِّرَ لهُما أمراً. وإذا بالسمكةِ الذهبيةِ التي أنقذَها تَطفو على سطحِ الماءِ، وتحملُ في فمِها الخاتمَ الثمينَ، وقالتْ لهُ: "خُذْ خاتمَ الأميرةِ، ها أنا أوفي بوعدي." فرِحَ شارمينغُ فرحاً شديداً، وأخذَ الخاتمَ، وهرعَ إلى الأميرةِ وقدَّمَه إليها، فاندهشَتْ وقالتْ: "لا بدَّ أنَّ لكَ حظّاً عظيماً يا شارمينغُ، لكنِّي لنْ أَذْهَبَ معكَ حتى تُؤدِّيَ لي خدمةً أخرى: هناكَ عملاقٌ هائلٌ اسمُهُ جاليفرون، يَهدِّدُ مملكتي، ويَقتلُ رعايايَ، إنْ قتَلْتَهُ وأحضرْتَ لي رأسَه، فسأُلبِّي طلبَكَ."

توجَّهَ شارمينغ إلى حيثُ يُقيمُ العملاقُ، ورأى في طريقهِ العظامَ متناثرةً على كلِّ دربٍ يؤدِّي إلى قلعتِه، فازدادَ يقيناً بشرِّ هذا الوحشِ. وفي الطريقِ، سمعَ العملاقَ يُغنِّي بصوتٍ مُرعِبٍ: أَخْرِجُوا إِلَيَّ صِبْيَانَكُمْ وَغِلْمَانَكُمْ،
وَلَا تَتَوَقَّفُوا لِتَسْرِيحِ ضَفَائِرِهِمْ وَتَزْيِينِهَا،
فَسَوْفَ آكُلُ مِنْهُمْ عَدَداً لَا يُحْصَى وَلَا يُعَدُّ،
حَتَّى لَا أَدْرِيَ أَبَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَمْ لَا!"
رَدَّ شَارْمِينْغَ بِنَفْسِ الْقَافِيَةِ وَالْجُرْأَةِ:
"هَاتِ وَتَعَالَ يَا جَالِيفْرُونُ، أَنَا شَارْمِينْغُ الشُّجَاعُ،
لَنْ تُرْعِبَنِي وَلَوْ هَدَّدْتَ بِالْجُرْحِ وَالْقِطَاعِ،
فَلَسْتُ بِطَوِيلِ الْقَامَةِ، لَكِنَّ قَلْبِي أَبَى الضَّيَاعَ،
وَأَنَا بِقَدْرِ مَا يَكْفِي لِأَنْ أُرْدِيَكَ صَرِيعاً وَأَقْطَعَ كُلَّ طِمَاعِ!" فغضبَ العملاقُ، ورفَعَ هِراوتَه لِيَضرِبَه، لكنَّ الغرابَ الذي أنقذَهُ شارمينغُ هجمَ على وجهِ العملاقِ، ونقَرَ عينيهِ بشدةٍ، فأعماهُ، وانتهزَ شارمينغُ الفرصةَ، وطعَنَ العملاقَ في قلبِه فماتَ، وقطَعَ رأسَهُ. وعندَها، نَادَى الغرابُ منْ شجرةٍ قريبةٍ بصوتٍ مبحوحٍ: "ألمْ ترَ أنِّي لَمْ أنسَ الْجَمِيلَ الَّذِي أَسْدَيْتَهُ إِلَيَّ بِقَتْلِ النَّسْرِ؟ الْيَوْمَ أَظُنُّ أَنِّي أَوْفَيْتُ بِوَعْدِي بِمُكَافَأَتِكَ." فَرَدَّ عَلَيْهِ شَارْمِينْغُ: "حَقّاً، أَنَا مَدِينٌ لَكَ بِأَكْثَرَ مِمَّا أَنْتَ مَدِينٌ لِي." ثُمَّ عَادَ بِرَأْسِ الْعِمْلَاقِ إِلَى الأَمِيرَةِ.

دهشةٌ جديدةٌ أصابتِ الذهبيةَ، لكنَّها وضعَتْ شرطاً ثالثاً: "أريدُ ماءً من المغارةِ المُظلِمَةِ، حيثُ يَحرسُها تنينانِ لهُما عينانِ منْ نارٍ، كَانَا يَقِفَانِ عِنْدَ مَدْخَلِ الْمَغَارَةِ، كَأَنَّهُمَا خَادِمَانِ لِلظُّلْمَةِ، يُحرِّكَانِ أَعْيُنَهُمَا الْمُتَّقِدَةَ لِيَرَيَا كُلَّ مَنْ يُحَاوِلُ الاِقْتِرَابَ. وفي قاعِها تَتفجَّرُ ينبوعُ الصحةِ والجمالِ." فَأَجَابَهَا شَارْمِينْغُ بِحُزْنٍ: "يَا أَمِيرَتِي، أَنْتِ عَلَى الْأَقَلِّ لَا تَحْتَاجِينَ أَبَداً إِلَى هَذَا الْمَاءِ، لَكِنَّنِي سَفِيرٌ تَعِيسٌ تَطْلُبِينَ مَوْتِي. سَأَذْهَبُ حَيْثُ تُرْسِلِينَنِي، مَعَ أَنِّي أَعْرِفُ أَنَّنِي لَنْ أَعُودَ أَبَداً."

غَادَرَ شَارْمِينْغُ الْقَصْرَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ نِهَايَتَهُ قَرِيبَةٌ، وَفِي الطَّرِيقِ كَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ لَهُ: "يَا لَلْأَسَفِ! شَابٌّ وَسِيمٌ يُلْقِي بِنَفْسِهِ إِلَى الْمَوْتِ! إِنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى الْمَغَارَةِ وَحْدَهُ، وَلَوْ كَانَ مَعَهُ مِئَةُ رَجُلٍ لَمَا اسْتَطَاعَ النَّجَاحَ. لِمَاذَا تَطْلُبُ الْأَمِيرَةُ الْمُسْتَحِيلَ؟" لَكِنَّ شَارْمِينْغَ لَمْ يَكُنْ يُبَالِي، وَكَانَ قَلْبُهُ مَمْلُوءاً بِالْأَسَى. وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنَ الْمَغَارَةِ، الْتَفَتَ إِلَى كَلْبِهِ الْوَفِيِّ "فْرِيسْك" وَقَالَ لَهُ: "أَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّنِي لَنْ أَعُودَ مِنْ هَذِهِ الرِّحْلَةِ؛ عِنْدَمَا أَمُوتُ، اذْهَبْ إِلَى الْأَمِيرَةِ وَأَخْبِرْهَا

أَنَّ مُهِمَّتَهَا كَلَّفَتْنِي حَيَاتِي. ثُمَّ اذْهَبْ إِلَى الْمَلِكِ سَيِّدِي وَاحْكِ لَهُ كُلَّ مَغَامَرَاتِي."

الْبُومَةَ الَّتِي أَنْقَذَهَا مِنَ الشَّبَكَةِ أَتَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ: "أَنَا أَعْرِفُ طُرُقَ الْمَغَارَةِ، سَآخُذُ الْقَارُورَةَ وَأَمْلَؤُهَا لَكَ." فَطَارَتِ الْبُومَةُ إِلَى الْمَغَارَةِ دُونَ أَنْ يَلْحَظَهَا التِّنِّينُ، وَعَادَتْ بَعْدَ وَقْتٍ وَالْقَارُورَةُ مَمْلُوءَةٌ إِلَى حَافَّتِهَا بِالْمَاءِ الْمُتَلَأْلِئِ. فَشَكَرَهَا شَارْمِينْغ بِقَلْبٍ مُمْتَنٍّ، وَأَسْرَعَ عَائِداً إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَدَّمَ الْقَارُورَةَ إِلَى الْأَمِيرَةِ، فَلَمْ يَبْقَ لَهَا عُذْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ، فَوَافَقَتْ عَلَى مُرَافَقَتِهِ إِلَى الْمَلِكِ.

غدرٌ كانَ يَنتظرُ شارمينغَ عندَ عودتِه، فقدْ حسَدَهُ الحسَّادُ لدى الملكِ، وقالوا لهُ: "إنَّ الأميرةَ تُحِبُّ شارمينغَ أكثرَ منْك، وهوَ يَستحقُّ الموتَ." فأمرَ الملكُ بسجنِ شارمينغ في البرجِ مرَّةً أخرى. لكنَّ الذهبيةَ الجميلةَ، لمَّا عَلِمَتْ بالأمرِ، ذهبَتْ إلى الملكِ وبكَتْ بينَ يديهِ، لكنَّه لمْ يَرْحَمْها. وفي تلكَ الأثناءِ، كانَ الملكُ يَطمعُ في ماءِ الينبوعِ الذي أحضرَهُ شارمينغُ ليُصبِحَ جميلاً، فأمسَكَ بالقارورةِ التي على رفِّ غرفةِ الذهبيةِ، ورشَّ بها وجهَهُ، كَانَتْ إِحْدَى جَوَارِي الذَّهَبِيَّةِ تَطْرُدُ عَنْكَبُوتاً عَلَى الرَّفِّ، فَسَقَطَتِ الْقَارُورَةُ الأَصْلِيَّةُ وَتَحَطَّمَتْ. فَأَسْرَعَتِ الْجَارِيَةُ إِلَى غُرْفَةِ الْمَلِكِ، حَيْثُ كَانَتْ قَارُورَةٌ أُخْرَى تَحْتَوِي عَلَى مَاءِ النَّوْمِ الأَبَدِيِّ، فَأَخَذَتْهَا وَوَضَعَتْهَا مَكَانَ الْقَارُورَةِ الْمَكْسُورَةِ، دُونَ أَنْ تَدْرِيَ الذَّهَبِيَّةُ بِذَلِكَ. لكنَّ هذهِ القارورةَ كانتْ قدِ انكسرَتْ واستُبدِلَتْ بأخرى تحتوي على ماءِ النومِ الأبديِّ، فسقطَ الملكُ ميتاً في الحالِ. بَلْ غَطَّ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ لَا يُفِيقُ مِنْهُ أَبَداً، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ نَفْسَهُ قَدْ لَمَسَ جَفْنَيْهِ بِيَدٍ خَفِيَّةٍ.

خَلاصٌ جاءَ بعدَ موتِ الملكِ، فقدْ هرعَتِ الذهبيةُ إلى البرجِ، وفتحَتْ أقفالَه بيديها، وأخرجَتْ شارمينغَ، ووضَعَتْ تاجَ المملكةِ على رأسِه، وقالتْ لهُ: "أنتَ الآنَ ملكي وزوجي." وتزوَّجا في حفلٍ باذخٍ، وعاشا في سعادةٍ وهناءٍ، بعدَ أنْ علَّمَتْنا الحكايةُ أنَّ الطيبةَ لا تَضيعُ، وأنَّ الإخلاصَ يَفتَحُ كلَّ الأبوابِ، وأنَّ الحبَّ الحقيقيَّ يَنتصِرُ على كلِّ الغدرِ والمكائدِ، وأنَّ الجمالَ الحقيقيَّ ليسَ في الشعرِ الذهبيِّ فقطْ، بلْ في القلوبِ التي تَعرِفُ كيفَ تُحِبُّ وتُضَحِّي.

—

يَتِيمٌ صغيرٌ كانَ ديكُ ويتنغتونَ حينَ ماتَ أبواهُ، فلمْ يَعرِفْهما قطُّ، ولا عرفَ المكانَ الذي وُلِدَ فيهِ. كانَ يَتيهُ في البلادِ كالحيوانِ الضائعِ، ثيابُه باليةٌ، حتى صادفَ سائقَ عربةٍ يَذهَبُ إلى مدينةِ لندنَ، فأذِنَ لهُ بالسَّيرِ بجانبِ عربتِه دونَ أجرٍ. فرِحَ الصغيرُ بهذهِ الفرصةِ، فقدْ سمِعَ أنَّ شوارعَ لندنَ مُرَصَّعَةٌ بالذهبِ، وحلِمَ أنْ يَجمَعَ بُشْراً منهُ. لكنَّ خيبةَ الأملِ كانتْ عظيمةً حينَ وجدَ الشوارعَ مُغَطَّاةً بالوحلِ لا بالذهبِ، ووجدَ نفسَهُ في مدينةٍ غريبةٍ، بلا صديقٍ، بلا طعامٍ، بلا مالٍ. تاهَ في الأزقَّةِ، جائعاً مَرْعُوباً، يتمنَّى لوْ كانَ في مطبخٍ دافئٍ في الريفِ بدلاً منْ هذهِ المدينةِ الباردةِ. طلبَ الصدقةَ منَ الناسِ، فقالَ لهُ أحدُهم: 'اذهَبْ واعمَلْ!'، فردَّ ويتنغتونُ: 'سأعمَلُ بكلِّ قلبي، لوْ وَجَدتُ منْ يُشَغِّلُني!' لكنَّ الرجلَ ظنَّ أنَّ في جوابِه جرأةً، فضربَهُ بعصاً على رأسِه حتى سالَ الدمُ. وفي هذهِ الحالِ، أضناهُ الجوعُ، فسقطَ مغشياً عليهِ على عتبةِ بابِ تاجرٍ ثريٍّ يُدعى السيدَ فيتزوارنَ. وكانَتِ الطبَّاخةُ، امرأةً شريرةً، تَطردُه وتَهْدِدُه بالحرقِ. فخرجَ التاجرُ، وبدأَ يَزجُرُه ويأمرُه بالعملِ، فأجابَهُ الصغيرُ بأنَّه يَشتاقُ للعملِ لوْ وجدَ طعاماً، لأنَّهُ لمْ يأكلْ منذُ ثلاثةِ أيامٍ. وحاولَ النهوضَ، لكنَّهُ سقطَ منْ شدةِ الضعفِ، فأثارَ شفقةَ التاجرِ، فأمرَ خَدَمَه أنْ يُدخِلوهُ ويُطعِموهُ، وأعطاهُ عملاً في المطبخِ.

مِحْنَةٌ اشتدَّتْ على الصغيرِ في بيتِ التاجرِ، فالطبَّاخةُ الشريرةُ كانتْ تَضربُهُ وتُهينُهُ. وكانَ في علِّيَّتِه الضيِّقةِ، يُزعِجُهُ الفئرانُ والجرذانُ التي تَتَسَلَّقُ على وجههِ ليلاً. وفي أحدِ الأيامِ، أعطاهُ رجُلٌ نبيلٌ بنساً واحداً مقابلَ تلميعِ حذائِه، فاشترى بهِ قِطَّةً مِنَ امرأةٍ في الشارعِ، وأخفاها في العليَّةِ. فقَتَلَتِ القطةُ الفئرانَ والجرذانَ، فأراحَتْهُ، وتعلَّقَ قلبُهُ بها. ولمَّا عَلِمَتِ الآنسةُ آليس، ابنةُ التاجرِ، بما يَلقاهُ منَ الطباخةِ، أشْفَقَتْ عليهِ، وأمَرَتِ الخدمَ بِمعاملتِه بلُطفٍ، فخَفَّفَتْ عنْ قلبِه، لكنَّ الطبَّاخةَ كانتْ تَضربُهُ كلَّما غابَتْ آليس.

سَفِينَةٌ كَانَتْ عَلَى وَشْكِ الإِبْحَارِ، وَقَدِ اعْتَادَ التَّاجِرُ فِي كُلِّ رِحْلَةٍ أَنْ يَدْعُوَ خَدَمَهُ لِيُشَارِكُوا فِي الْمُغَامَرَةِ بِإِرْسَالِ بَضَائِعَ، دُونَ رُسُومٍ أَوْ ضَرَائِبَ، ابْتِغَاءَ البَرَكَةِ. حَضَرَ الجَمِيعُ إِلَّا دِيكاً، فَأَرْسَلَتْ آليس فِي طَلَبِهِ، وَعَرَضَتْ أَنْ تُقَدِّمَ شَيْئاً بِاسْمِهِ، لَكِنَّ أَبَاهَا رَفَضَ، وَقَالَ: "لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَالِهِ هُوَ." فَقَالَ دِيكٌ بِحُزْنٍ: "لَا أَمْلِكُ سِوَى هِرَّتِي!" فَأَمَرَهُ التَّاجِرُ: "أَحْضِرْهَا يَا فَتًى." فَحَمَلَ الصَّغِيرُ هِرَّتَهُ إِلَى القُبْطَانِ، وَدُمُوعُهُ تَتَحَدَّرُ عَلَى خَدَّيْهِ، لِعِلْمِهِ أَنَّ

الجِرْذَانَ وَالفِئْرَانَ سَتُزْعِجُهُ مَرَّةً أُخْرَى. فَضَحِكَ الجَمِيعُ مِنْ هَذِهِ المُغَامَرَةِ، لَكِنَّ آليسَ، وَقَدْ أَشْفَقَتْ عَلَيْهِ، أَعْطَتْهُ مَا يَشْتَرِي بِهِ هِرَّةً أُخْرَى.

هَرَبٌ كانَ هوَ القرارُ الذي اتَّخذَهُ ديكٌ بعدَ أنِ اشتدَّتْ عليهِ ضرباتُ الطبَّاخةِ وإهاناتُها، حتى لمْ يَعُدْ يَتحمَّلُ الحياةَ في ذلكَ البيتِ. ففي صباحِ يومِ "عيدِ جميعِ القديسينَ"، حزَمَ رَحْلَه، وخرجَ منَ المنزلِ هارباً، والطبَّاخةُ تركضُ خلفَه تصيحُ: "إليكَ يا أيُّها الكسلانُ، إني سأُحرِقُكَ إذا عدْتَ!" لكنَّ ديكاً لمْ يَلتَفِتْ، وسارَ في الطريقِ حتى بلغَ قريةَ "هولواي"، وهناكَ جلسَ على حجرٍ كبيرٍ على جانبِ الطريقِ، يُفكِّرُ في مستقبلِه البائسِ، ويَندبُ حظَّه العاثرَ، ويَتساءَلُ هلْ سَيَجِدُ ملجأً في مكانٍ آخرَ.

أَجْراسٌ كانتْ هيَ التي غيَّرَتْ مصيرَه، فبينما هوَ جالسٌ على الحجرِ، سمعَ أجراسَ كنيسةِ "باو" القريبةِ (Bow Bells) تَقْرَعُ، وكانتْ سِتَّةَ أجراسٍ فقطْ، لكنَّ صوتَها كانَ عذباً، وبدا لهُ أنَّها تُناغيه بأغنيةٍ عجيبةٍ تقولُ:

"عُدْ يا ويتنغتونُ، عُدْ يا ويتنغتونُ،
ثَلاثَ مَرَّاتٍ عَمْداً لِلَنْدَنِ،
عُدْ يا ويتنغتونُ، عُدْ يا ويتنغتونُ،
ثَلاثَ مَرَّاتٍ عَمْداً لِلَنْدَنِ."

فكَّرَ ديكٌ في نفسِه: "ثلاثَ مرَّاتٍ عمدةً للندنِ! ما الذي لا أَتحمَّلُه لأَصيرَ عمدةً لندنَ، وأَرْكَبَ في تلكَ العرباتِ الفاخرةِ؟ سأعودُ، سأعودُ، وسأَصبِرُ على قسوةِ الطبَّاخةِ." وهكذا، قامَ منْ على حجرِه، وعادَ أدراجَه إلى بيتِ التاجرِ، قبلَ أنْ تَعلمَ الطبَّاخةُ بعودتِه.

بِلَادٌ غَرِيبَةٌ هِيَ مَمْلَكَةُ "الْبَرْبَرِ" عَلَى سَوَاحِلِ أَفْرِيقِيَا، حَيْثُ رَسَتِ السَّفِينَةُ الَّتِي تَحْمِلُ هِرَّةَ وَيْتِنْغْتُونَ. فَأَرْسَلَ الْقُبْطَانُ بَعْضَ بَضَائِعِهِ إِلَى الْمَلِكِ، فَأَعْجَبَتْهُ، وَاسْتَدْعَاهُ إِلَى قَصْرِهِ. فَلَمَّا وَصَلَ، وُضِعَ عَلَى بُسُطٍ مُزَخْرَفَةٍ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَجُلِبَ الطَّعَامُ، لَكِنْ مَا إِنْ وُضِعَ عَلَى الْمَائِدَةِ حَتَّى هَجَمَتْ جَحَافِلُ مِنَ الْفِئْرَانِ وَالْجِرْذَانِ، وَالْتَهَمَتْ كُلَّ مَا عَلَيْهَا فِي لَحْظَةٍ. فَسَأَلَ الْوَكِيلُ النُّبَلَاءَ: "أَلَيْسَتْ هَذِهِ الآفَاتُ مُزْعِجَةً؟" فَقَالُوا: "بَلَى، وَالْمَلِكُ سَيُعْطِي نِصْفَ كَنْزِهِ لِمَنْ يُخَلِّصُنَا مِنْهَا، فَهِيَ تُهَاجِمُنَا فِي الْفِرَاشِ أَيْضاً." فَقَفَزَ الْوَكِيلُ فَرَحاً، وَقَالَ: "عِنْدِي هِرَّةٌ عَلَى السَّفِينَةِ تُبِيدُهَا كُلَّهَا." فَطَارَ قَلْبُ الْمَلِكِ فَرَحاً حَتَّى سَقَطَتْ عِمَامَتُهُ عَنْ رَأْسِهِ، وَقَالَ: "ائْتِنِي بِهَا، وَسَأَمْلَأُ سَفِينَتَكَ ذَهَباً." وَأَضَافَ الْوَكِيلُ: "لَكِنَّ التَّخَلِّيَ عَنْهَا صَعْبٌ، فَقَدْ تُدَمِّرُ الْفِئْرَانُ بَضَائِعَ

السَّفِينَةِ، لَكِنَّنِي سَأُحْضِرُهَا إِكْرَاماً لِجَلاَلَتِكَ." فَأَسْرَعَ وَعَادَ بِالْهِرَّةِ، فَانْقَضَّتْ عَلَى الْفِئْرَانِ وَأَفْنَتْ عَدَداً كَبِيراً مِنْهَا. فَطَلَبَتِ الْمَلِكَةُ رُؤْيَتَهَا، فَلَمَّا قَرَّبَهَا الْوَكِيلُ، خَافَتْ مِنْهَا، لَكِنَّهُ مَسَحَهَا وَنَادَاهَا، فَلَمَسَتْهَا الْمَلِكَةُ وَقَالَتْ "بُتِّي، بُتِّي!" ثُمَّ وَضَعَهَا عَلَى حِجْرِهَا، فَخَرْخَرَتْ وَلَعِبَتْ بِيَدِهَا ثُمَّ نَامَتْ. فَاشْتَرَى الْمَلِكُ كُلَّ بَضَائِعِ السَّفِينَةِ، وَأَعْطَى عَشَرَةَ أَضْعَافِ ثَمَنِ الْهِرَّةِ مَا أَعْطَاهُ لِلْبَضَائِعِ كُلِّهَا.

عَوْدَةٌ كَانَتْ مَيْمُونَةً، فَرَسَتِ السَّفِينَةُ فِي الْمِينَاءِ، وَأَسْرَعَ الْقُبْطَانُ إِلَى التَّاجِرِ يُبَشِّرُهُ، وَرَوَى لَهُ قِصَّةَ الْهِرَّةِ، وَقَدَّمَ لَهُ صُنْدُوقاً مَلِيئاً بِالْجَوَاهِرِ قَالَ إِنَّهَا لِدِيكَ وَيْتِنْغْتُونَ. فَتَعَجَّبَ التَّاجِرُ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الصَّغِيرِ، فَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ (وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَبْيَاتُهُ مِنْ أَفْصَحِ): "اِذْهَبُوا وَأَحْضِرُوهُ، وَأَخْبِرُوهُ بِمَجْدِهِ، وَنَادُوهُ بِاسْمِهِ: السَّيِّدُ وِيتِنْغْتُونَ." لَكِنَّ دِيكاً كَانَ فِي الْمَطْبَخِ يَغْسِلُ الْقُدُورَ، فَلَمْ يُصَدِّقْ أَنَّ أَحَداً يَطْلُبُهُ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ يَسْخَرُونَ مِنْهُ. فَلَمَّا أَلَحُّوا عَلَيْهِ، جَاءَ إِلَى التَّاجِرِ خَائِفاً، فَقَالَ لَهُ: "يَا سَيِّدِي وَيْتِنْغْتُونَ، لَقَدْ جَعَلَتْكَ هِرَّتُكَ أَغْنَى مِنِّي!" فَخَرَّ دِيكٌ بَاكِياً عِنْدَ قَدَمَي التَّاجِرِ، لَكِنَّ التَّاجِرَ رَفَعَهُ وَقَالَ: "وَاللهِ، لَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَحْرِمَهُ مِنْ فَلْسٍ، إِنَّهَا مِلْكُهُ وَلَهُ كُلُّ قِيرَاطٍ مِنْهَا." ثُمَّ أَمَرَ بِأَنْ يُغَسَّلَ وَجْهُهُ وَيُسَرَّحَ شَعْرُهُ، وَيُلْبَسَ ثِيَاباً فَاخِرَةً، فَأَصْبَحَ شَابّاً أَنِيقاً وَاثِقاً، وَخَفَّتْ خَجَلَتُهُ وَصَارَ رَفِيقاً ظَرِيفاً، حَتَّى وَقَعَتْ فِي حُبِّهِ الْآنِسَةُ آلِيسُ، فَوَافَقَ أَبُوهَا عَلَى زَوَاجِهِمَا. وَأَسْدَى وِيتِنْغْتُونَ إِلَى الْقُبْطَانِ وَالْعَامِلِينَ عَلَى السَّفِينَةِ هَدَايَا جَزِيلَةً، وَلَمْ يَنْسَ أَحَداً مِمَّنْ سَاعَدَهُ، وَعَمَّ جَمِيعَ خَدَمِ الْبَيْتِ بِهَدَايَا سَنِيَّةٍ، وَلَمْ يَنْسَ حَتَّى عَدُوَّهُ الْقَدِيمَةَ، الطَّبَّاخَةَ الشِّرِّيرَةَ، رَغْمَ أَنَّهَا كَانَتْ أَقَلَّهُمِ اسْتِحْقَاقاً.

مَجْدٌ كَانَ هُوَ نَصِيبُ دِيكٍ بَعْدَ تِلْكَ الثَّرْوَةِ، فَلَبِسَ ثِيَاباً أَنِيقَةً، وَأَصْبَحَ رَجُلاً وَسِيماً أَنِيقاً، يَثِقُ بِنَفْسِهِ، وَيُحْسِنُ التَّحَدُّثَ، حَتَّى وَقَعَتْ فِي حُبِّهِ آلِيس، وَتَزَوَّجَا فِي حَفْلٍ بَاذِخٍ. ثُمَّ انْتُخِبَ عُمْدَةً لِلَنْدَنَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مُتَتَالِيَةٍ، وَفِي آخِرِ وِلَايَتِهِ، اسْتَقْبَلَ الْمَلِكَ هَنْرِيَ الْخَامِسَ بَعْدَ انْتِصَارِهِ عَلَى فَرَنْسَا، فَقَالَ الْمَلِكُ مُعْجَباً: "مَا رَأَيْتُ أَمِيراً لَهُ رَعِيَّةٌ مِثْلُ هَذِهِ." فَرَدَّ عَلَيْهِ دِيكٌ بِذَكَاءٍ: "وَلَا رَأَيْتُ رَعِيَّةً لَهَا أَمِيرٌ مِثْلُ هَذَا." فَأَعْجَبَ الْمَلِكُ بِحِكْمَتِهِ، وَمَنَحَهُ لَقَبَ "سِير رِيتْشَارْد وَيْتِنْغْتُونَ". وَمِنْ كَرَمِهِ، بَنَى سُجُوناً (وَمِنْهَا سِجْنُ نِيُوجِيت الشَّهِيرُ)، وَمُسْتَشْفَيَاتٍ، وَكَنَائِسَ، وَأَطْعَمَ الْفُقَرَاءَ، حَتَّى صَارَ اسْمُهُ رَمْزاً لِلْكَرَمِ وَالْعَدْلِ فِي تَارِيخِ إِنْجِلْتِرَا، وَدُفِنَ فِي كَنِيسَةِ الْقِدِّيسِ مِيخَائِيلَ الَّتِي كَانَ قَدْ بَنَاهَا بِنَفْسِهِ.

تنتهي حكايةُ ويتنغتونَ، تاركةً في القلبِ عِبرةً خالدةً. أنَّ الفقرَ ليسَ نهايةَ الطريقِ، وأنَّ الطيبةَ معَ المخلوقاتِ الصغيرةِ قدْ تكونُ مفتاحاً للثروةِ الكبيرةِ، وأنَّ الحلمَ، مهما بدا بعيداً، يَبقى حيّاً في قلوبِ الأيتامِ، وأنَّ الأجراسَ قدْ تُغنّي لِمَن يَستمعُ إليها بقلبٍ صادقٍ.

—

"الخرافُ العجيبةُ"

—

مَلِكٌ كانَ لهُ ثلاثُ بناتٍ، كُنَّ جميعاً شابَّاتٍ ذكياتٍ جميلاتٍ، لكنَّ الصُّغرى منهنَّ، التي سُمِّيَتْ "ميراندا"، كانتْ أجمَلَهُنَّ وأحَبَّهُنَّ إلى قلبِه. كانَ الملكُ يُعطيها منَ الثيابِ والجواهرِ في شهرٍ واحدٍ ما يُعطيهِ لأخواتِها في سنةٍ كاملةٍ، لكنَّها كانتْ كريمةً سخيَّةً، تُشارِكُ أخواتِها في كلِّ شيءٍ، فعاشوا في سعادةٍ ووئامٍ. وفي يومٍ، نشبتْ حربٌ بينَ الملكِ وجيرانهِ المُشاكسينَ، فجمعَ جيشاً عرمرماً وخرجَ لِيُقاتِلَهم، تاركاً بناتِه معَ مُربِّيَتِهِنَّ في قلعةٍ، تُنقَلُ إليهنَّ أخبارُ الحربِ كلَّ يومٍ: انتصارٌ هنا، وهزيمةٌ هناك، حتى جاءَ الخبرُ بأنَّ الملكَ قدِ انتصرَ انتصاراً ساحقاً، وهوَ عائدٌ إلى القلعةِ مسرعاً لِيَرَى ميراندا الصغيرةَ التي يُحِبُّها كثيراً.

أثوابٌ منَ الساتانِ ارتَدَتْها الأميراتُ الثلاثُ في يومِ عودةِ الملكِ، إحداهُنَّ باللونِ الأخضرِ، والثانيةُ بالأزرقِ، والثالثةُ بالأبيضِ، وتَزيَّنَّ بالجواهرِ المُناسِبَةِ: الزُّمُرُّدُ للأولى، والفيروزُ للثانيةِ، والألماسُ للصُّغرى. خرَجْنَ لاستقبالِ أبيهنَّ، وهُنَّ يُنشِدْنَ أهازيجَ النصرِ التي ألَّفْنَها بنفسِهنَّ. ضمَّهنَّ الملكُ بحرارةٍ، لكنَّهُ أطالَ العناقَ لميراندا أكثرَ منْ سِواها. ثمَّ أُقيمَتْ وليمةٌ فاخرةٌ، وسألَ الملكُ كلَّ ابنةٍ عنْ سببِ اختيارِها للونِ ثوبِها، فأجابَتِ الكبرى: "يا والدي، اخترتُ الأخض0رَ تعبيراً عنْ فرحتي بانتصاراتِك، وأملاً في عودتِك السريعةِ." وأجابَتِ الوسطى: "اخترتُ الأزرقَ لأُظهرَ أنَّ رؤيَتَكَ عندي كالسماءِ بِنجومِها." أمَّا ميراندا، فقالَتْ ببراءةٍ: "اخترتُ الأبيضَ لأنَّهُ يُناسِبُني أكثرَ." غضبَ الملكُ وقالَ: "أهذا كلُّ ما فكَّرْتِ فيهِ؟"

قالتْ: "ظننتُ أنَّكَ ستُسَرُّ بي." رضِيَ الملكُ عنها، ثمَّ سألَهُنَّ عنْ أحلامِهِنَّ، فقالتِ الكبرى: "حلمتُ أنَّكَ أهدَيْتَني ثوباً مُرصَّعاً بالجواهرِ." وقالتِ الوسطى: "حلمتُ أنَّكَ أهدَيْتَني مغزلاً لأَغزِلَ لكَ قمصاناً." أمَّا ميراندا، فقالَتْ: "حلمتُ أنَّ أختي الوسطى تتزوجُ، وفي يومِ زفافِها، أمسَكْتَ أنتَ إبريقاً منْ ذهبٍ، وقلتَ لي: 'تعالي يا ميراندا، لأَصُبَّ الماءَ على يدَيْكِ'." احمرَّ وجهُ الملكِ غضباً، وقامَ منَ المجلسِ مسرعاً، وهوَ يَقولُ في نفسِه: "أتريدُ هذهِ الفتاةُ المتكبرةُ أنْ تَجعَلَني خادماً لها؟"

أمرٌ ملكيٌّ قاسٍ صدرَ في جنحِ الظلامِ، إذِ استدعى الملكُ قائدَ حرسِه، وقالَ لهُ: "لقدْ سمعْتَ حلمَ ميراندا، وأنا أرى فيهِ تحدِّياً لي. اذهَبْ بها إلى الغابةِ واقْتُلْها، وائْتِني بقلبِها ولسانِها كدليلٍ، وإلاَّ فمَوْتُكَ." ذهبَ القائدُ إلى غرفةِ ميراندا عندَ الفجرِ، وطلبَ منها أنْ تَخرُجَ معَهُ إلى الحديقةِ بحجةِ أنَّ الملكَ يَنتظرُها. خرجَتْ الأميرةُ معَ وصيفتِها السوداءِ "باتاباتا"، وقردِها "غرابوجون"، وكلبِها الصغيرِ "تان تان". وفي الغابةِ، اعترفَ القائدُ للأميرةِ بالأمرِ، فبكَتْ، لكنَّ القائدَ رفضَ قتْلَها، وقالَ: "سأُخاطِرُ بحياتي لأُنقِذَكِ." وتطوَّعَ القردُ والوصيفةُ والكلبُ للتضحيةِ بأنفسِهما. قفزَ القردُ منْ أعلى شجرةٍ فماتَ، لكنَّ لسانَهُ كانَ صغيراً جداً. وقطَعَتِ الوصيفةُ رأسَها، لكنَّ لسانَها كانَ أسودَ. أمَّا الكلبُ، فلمْ يَستطِعْ أحدٌ أنْ يُضَحِّيَ بهِ. دفَنَتْ ميراندا جثثَ حيواناتِها الأليفةِ باكيةً، وكتَبَتْ أسماءَهم على لحاءِ شجرةٍ، ثمَّ انطلَقَتْ في الغابةِ وحدَها، تخافُ منَ الوحوشِ، وتَخافُ منْ جنودِ أبيها.

خروفٌ عجيبٌ كانَ هوَ ما وجدَتْهُ ميراندا بعدَ أنْ سمعَتْ ثغاءً في الغابةِ، فاتَّجهَتْ نحوَ الصوتِ، وإذا بخروفٍ ضخمٍ، صوفُهُ كالثَّلجِ، وقُرونُهُ كالذهبِ، يتوسَّدُ زهورَ البرتقالِ تحتَ مظلَّةٍ منْ قماشِ الذهبِ، ويَحملُ في عُنقِه إكليلاً منَ الأزهارِ، وفي قوائمِه سلاسلَ منَ اللؤلؤِ، وطوقاً منَ الألماسِ. وحولَهُ مئةُ خروفٍ أخرى، لا تَرْعَى العشبَ، بلْ تَشربُ القهوةَ والشرابَ، وتَأْكُلُ المثلجاتِ والفواكِهَ، وتَلعَبُ ألعاباً. تعجَّبَتْ ميراندا، فتقدَّمَ منها الخروفُ الجميلُ وقالَ لها: "اقتربي أيتها الأميرةُ الجميلةُ، لا تخافي من مثل هذه الحيوانات المسالمة." قالتْ: "يا للعجبِ! خروفٌ يتكلَّمُ!" قالَ: "وقردُكِ وكلبُكِ كانا يتكلَّمانِ، أليسَ كذلكَ؟" قالتْ: "نعم، لكنَّ جنيةً منحَتْهما تلكَ القدرةَ." قالَ الخروفُ مبتسماً: "وربَّما حدثَ لي نفسُ الشيءِ أيضاً. لكنْ، ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟" حكَتْ لهُ ميراندا قصَّتَها، فعرضَ عليها مأوىً، وأمرَ بعربةٍ منَ اليقطينِ تجرُّها ستَّةُ ماعزٍ، فركِبَتْ معَهُ وانطلقا.

وعندَما وصلا إلى كهفٍ، لمسَ الخروفُ حجراً كبيراً بقدمِه، فسقطَ الحجرُ وانفتحَ المدخلُ، فدخلَتْ ميراندا الكهفَ رغمَ خوفِها. وإذا بهَا في سهلٍ عجيبٍ، تَفيضُ فيهِ الأزهارُ، وتَجري فيهِ أنهارُ ماءِ الزهرِ، وينهمرُ منَ السماءِ مطرٌ منَ الفطائرِ واللحومِ المشويةِ والذهبِ والجواهرِ. أمَّا القصرُ، فكانَ صفّاً منَ أشجارِ البرتقالِ والياسمينِ، مُزيَّناً بالشُّباكِ الذهبيةِ والمرايا.

قصةٌ حزينةٌ رواها الخروفُ العجيبُ لميراندا، فقدْ كانَ ملكاً عظيماً، وكانتْ هناكَ جنيةٌ بشعةٌ تُدعى "راغوت" عرفها منذ طفولته، وكانت تروعه دائماً. وفي أحد الأيام، بينما كان يصطاد، سقط في حفرة عميقة، فسمع صوتاً يقول: "أيها الأمير الجاحد، حتى هذه النار لا تكفي لتدفئة قلبك البارد!" فسأل: "من يشكو من برودتي في هذا المكان الموحش؟" فأجاب الصوت: "تعيسةٌ تحبك بلا أمل." ثم ظهرت راغوت وعرضت عليه الزواج منها وعشرين مملكة ومئات القلاع المليئة بالذهب والفضة، لكنه رفضها. فغضبت الجنية، وقتلت الجارية الجميلة التي كانت معها أمام عينيه لأنه أعجب بها، ثم حوّلته إلى خروف وأخضعته لخمس سنوات من السجن، مع أمراء آخرين مسحورين على هيئة خراف. كانَ الخروفُ يَخرُجُ أحياناً إلى الغابةِ، وهناكَ رأى ميراندا تَمتطِي جوادَها أو تقودُ عربتَها برشاقةٍ، أو تصطادُ بمهارةٍ، فوقعَ في حبِّها. وعندَما سمِعَ قصَّتَها، طمأنَها وقالَ لها: "أنتِ هنا آمنةٌ، وسأَحميكِ." لكنَّ ميراندا، التي كانتْ تَرَى حولَها أشباحاً لا تَلمسُها، وأرواحاً لا تُحسُّها، شعرَتْ بالخوفِ والوحشةِ، وطلَبَتْ منَ الخروفِ أنْ يُعيدَها إلى العالَمِ العلويِّ. طمأنَها الخروفُ، وطلبَ منها الصبرَ، وأخبرَها أنَّ سِحْرَهُ سينتهي قريباً.

زواجٌ كانَ على الأُفُقِ، فقدْ سمعَتْ ميراندا أنَّ أختَها الكبرى ستَتزوجُ، فطلَبَتْ منَ الخروفِ أنْ تَذهَبَ لحضورِ العرسِ. وافقَ الخروفُ، لكنَّهُ اشترطَ عليها العودةَ. ذهبَتْ ميراندا إلى القصرِ متنكِّرةً، وشهِدَتِ العرسَ، لكنَّها هربَتْ قبلَ انتهائِه، تاركةً وراءَها صندوقاً منَ المرجانِ مملوءاً بالجواهرِ مكتوباً عليهِ: "جواهرُ للعروسِ". فلما وجد الملك الصندوق، تمنى لو عرفت من هي هذه الأميرة الغامضة، وأمرَ بإغلاق الأبواب إن عادت مرة أخرى.

العرسِ الثاني لأختِها الوسطى، كرَّرَتِ الأمرَ، وحاولت الهرب كما فعلت في المرة الأولى، لكنَّها وجدتِ الأبوابَ كلَّها مُغلَقَةً، فلم تستطع الخروج.

فجاءَ الملكُ إليها وأمسَكَ بها، وسألَها عنْ قصَّتِها، فاعترَفَتْ لهُ بأنَّها ابنتُه، وأنَّ حلمَها تحقَّقَ، إذْ صبَّ عليها الماءَ بيدِه كما رأَتْ في منامِها. فرِحَ بها الملكُ وأخواتُها، وأقاموا لها احتفالاً.

موتٌ كانَ هوَ الثمنُ الذي دفعَهُ الخروفُ العجيبُ، فقدْ انتظرَ عودةَ ميراندا طويلاً، فلما طالَ انتظارهُ، خرجَ يَبحَثُ عنها. وعندَ بوابةِ القصرِ، سألَ الحراسَ عنها، لكنَّهم رفَضوا دُخولَه، وهوَ يتوسَّلُ ويَبكي، ويَرجوهم أنْ يُدخِلوهُ إليها. لكنَّ قلوبَهم لمْ تَلِنْ، وظلُّوا صامدينَ أمامَ توسلاتِه، حتى أُصيبَ بالقهرِ والحزنِ، وسقطَ ميتاً عندَ أقدامِهم، وفي تلكَ الأثناءِ، كانَ الملكُ قدْ قرَّرَ أنْ تُطافَ ميراندا في عربتِها في شوارعِ المدينةِ المضاءةِ بالآلافِ منَ المشاعلِ. وعندَما خرجَتْ منَ القصرِ، وإذا بمنظرٍ يُدمي القلبَ: خروفُها العزيزُ ملقىً على الرصيفِ، صامتاً ساكناً، لا حراكَ فيهِ. فأسرعَتْ إليهِ باكيةً، واحتضَنَتْه، وأدركَتْ أنَّ خُلفَها لوعدِها كلَّفَهُ حياتَه. وظلَّتْ حزينةً طويلاً، حتى ظنَّ مَن حولَها أنَّها ستموتُ معَه منَ الأسى.، وتبقى الحكايةُ عِبرةً لكلِّ منْ يَنسى وعْدَه، وتُذَكِّرُنا بأنَّ أعظمَ المصائبِ قدْ تحلُّ بنا في لحظةِ ظنِّنا أنَّنا بلغْنا ما نُريدُ.

—

حكايةِ "الأُصْبَعِ الصَّغِيرِ"
(Little Thumb).

—

عائلةٌ فقيرةٌ كانتْ تسكنُ في كوخٍ صغيرٍ على أطرافِ قريةٍ، ربُّها رجُلٌ يعملُ في قطعِ الحطبِ، وزوجتُه امرأةٌ بائسةٌ، وكانَ لهما سبعةُ أبناءٍ، كلُّهم ذكورٌ، أكبرُهم في العاشرةِ منْ عمرِه، وأصغرُهم في السابعةِ. كانَ الفقرُ مُدقعاً، فالأولادُ لا يَستطيعونَ كسبَ قوتِهم، وكانَ الأصغرُ، الذي سُمِّيَ "الأُصْبَعَ الصَّغِيرَ" لأنَّهُ لمْ يَكُنْ أكبرَ منْ إبهامِ اليدِ عندَ ولادتِه، ضعيفَ البنيةِ، قليلَ الكلامِ، حتَّى ظنَّ أبواهُ أنَّ صمتَهُ دليلُ غباءٍ، معَ أنَّهُ كانَ في الحقيقةِ أذكاهم جميعاً، وأكثرَهُم إصغاءً وتفكيراً، وأعمقَهُم نظراً في الأمورِ. كانَ الأبوانِ يَلومانِه على كلِّ خطأٍ في البيتِ، رغمَ أنَّه لمْ يَكُنْ مُذنباً، وكانَ يَتحمَّلُ الظلمَ بصمتٍ، ويُفكِّرُ أكثرَ مما يتكلَّمُ، ويَسمعُ أكثرَ مما يَقولُ.

سنةٌ عجافٌ حلَّتْ بالقريةِ، فاشتدَّ الجوعُ، وأمسَتِ الحقولُ يابسةً، ولمْ يَجِدِ الحطَّابُ طعاماً لأولادِه، فأمسى يفكِّرُ في الليلِ كيفَ يُطعمُهم، وقلبُهُ يتفتَّتُ ألماً. وفي إحدى الليالي، جلسَ الحطَّابُ معَ زوجتِه على النارِ، وقدْ غلبَهُ الحزنُ، وقالَ لها بصوتٍ مبحوحٍ: "نحنُ لا نَستطيعُ إطعامَ أولادِنا، وسأَذْهَبُ بهم غداً إلى الغابةِ، وسأَتْرُكُهم هناكَ، بينما همْ مشغولونَ بربطِ حُزَمِ الحطبِ، وسنَهرُبُ منهمْ دونَ أنْ يَشعروا." صرخَتِ الأمُّ باكيةً، وقالتْ: "أتُريدُ أنْ تَقتلَ أبناءَكَ؟" لكنَّ الفقرَ كانَ أقسى منْ دموعِها، والحاجةُ أبلغَ منْ عطفِها، فوافَقَتْ في النهايةِ بعدَ صراعٍ طويلٍ، وذهبتْ إلى فراشِها وهيَ تَذرفُ الدموعَ على مستقبلِ أطفالِها. كانَ الأُصْبَعُ الصَّغِيرُ قدْ سمِعَ كلَّ كلمةٍ منْ تحتِ كرسيِّ أبيهِ حيثُ كانَ مُختبئاً، فنهضَ هادئاً بعدَ أنْ نامَ الجميعُ، وخرجَ في الصباحِ الباكرِ إلى النهرِ، حيثُ ملأَ جيوبَه بحصىً بيضاءَ لامعةٍ كالدَّررِ، ثمَّ عادَ إلى فراشِه، وفكَّرَ في خطَّتِه طوالَ الليلِ دونَ أنْ يَغلِبَه النومُ.

غابةٌ كثيفةٌ مظلمةٌ، كانَ الحطَّابُ قدْ قادَ أبناءَه إليها في صباحِ اليومِ التالي، وقدْ أعطى كلَّ واحدٍ منهمْ قطعةَ خبزٍ صغيرةً، وطلبَ منهمْ جمعَ الحطبِ، وبينَما همْ مشغولونَ في ربطِ الحُزَمِ، انسلَّ هوَ وزوجتُه بعيداً، وتواريا بينَ الأشجارِ المتشابكةِ، وسارا في طريقٍ جانبيٍّ ضيِّقٍ. صرخَ الأولادُ حينَ شعروا بالوحدةِ، وبكوا بأعلى أصواتِهم، لكنَّ الأُصْبَعَ الصَّغِيرَ هدَّأَهم، وقالَ لهمْ: "لا تخافوا، أنا سأُعيدُكم إلى البيتِ، اتبعوني." وأخذَهُم في طريقِ العودةِ بفضلِ الحصى الأبيضِ الذي كانَ يَزرَعُه خلفَه كلَّ خطوةٍ، فتَلألأَتِ الحصى في ضوءِ القمرِ كالنجومِ، وقادَتْهم طوالَ الليلِ حتى بلغوا الكوخَ عندَ الفجرِ. جلسوا خارجَ البابِ يستمعونَ، فسمعوا أمَّهم تبكي وتندبُ حظَّها، وتَلومُ أباهم على التخلُّصِ منهمْ، وتقولُ: "أينَ أبنائي الآنَ؟ لقدْ أكلَتْهم الذئابُ، ويلَتي!" وهدَّدَ الأبُ زوجتَه بالضربِ إنْ لمْ تكُفَّ عنِ البكاءِ والتذمُّرِ، لكنَّها ظلَّتْ تَنْدُبُ حظَّها. وفجأةً، طرقوا البابَ، ففتحَتِ الأمُّ مسرعةً، واحتضَنَتْهم باكيةً، وأطعمَتْهم عشاءً دسماً، لأنَّ صاحبَ الأرضِ كانَ قدْ دفعَ للحطَّابِ عشرةَ نقودٍ كانَ يَدينُ بها، فاشتروا لحماً كثيراً، وأكلوا حتى شبعوا.

نفادٌ سريعٌ للنقودِ، فما إنْ مضتْ أيامٌ حتى عادَ الجوعُ أشدَّ منْ قبلُ، واشتدَّ القحطُ، فقرَّرَ الوالدانِ التخلُّصَ منَ الأولادِ في غابةٍ أبعدَ وأكثرَ كثافةً، لئلاَّ

يَجِدوا طريقَ العودةِ. تكلَّما في الليلِ، والأُصْبَعُ الصَّغِيرُ يَسمعُ، لكنَّهُ هذهِ المرةَ لمْ يَستطِعْ الخروجَ لجمعِ الحصى، لأنَّ البابَ كانَ مُقفلاً بإحكامٍ. فكَّرَ طويلاً، ثمَّ اهتدى إلى فكرةٍ جديدةٍ: أنْ يَستخدِمَ فتاتَ الخبزِ الذي سيُعطى لهمْ في الصباحِ. وفي صباحِ اليومِ التالي، أخذَ كلُّ ولدٍ قطعةَ خبزٍ، والأُصْبَعُ الصَّغِيرُ فتَّتَ خبزَه على طولِ الطريقِ، وذرَّهُ كالبذورِ خلفَه. لكنَّ الطيورَ، التي كانتْ جائعةً مثلهُم، أكلَتِ الفتاتَ كلَّه، فلمْ يَبقَ أثرٌ واحدٌ، وهنا بدأَتِ المأساةُ: ضاعَ الأولادُ في الغابةِ المظلمةِ، وصاروا يَتَيهونَ بينَ الأشجارِ، كلَّما ساروا ازدادوا ضلالاً، وكثرَ خوفُهم. خافوا منْ عواءِ الذئابِ، وبلَّلَهم المطرُ الغزيرُ، وتوحَّلوا في الوحلِ، وأصبحوا جائعينَ مُرتعشينَ. تسلَّقَ الأُصْبَعُ الصَّغِيرُ شجرةً عاليةً، ونظرَ حولَه، فرأى ضوءاً صغيراً كالنَّجمَةِ يَتَلألأُ منْ بعيدٍ، فقادَ إخوتَه نحوَهُ، ومشوا طويلاً حتى بلغوا كوخاً يُضيءُ منْ داخلهِ شمعةٌ.

كوخُ الغولِ (آكلِ البشرِ) الشهيرِ، حيثُ فتحَتْ لهُم زوجتُه البابَ، وهيَ امرأةٌ طيبةُ القلبِ، لكنَّها خافتْ عليهم وقالتْ لهمْ باكيةً: "أيُّها المساكينُ، أتدرونَ أنَّ هذا البيتَ لِغولٍ شريرٍ يأكلُ الأطفالَ؟" ارتعدَ الأولادُ، لكنَّ الأُصْبَعَ الصَّغِيرَ قالَ لها بذكاءٍ: "يا سيدتي، الذئابُ ستأكُلُنا في الغابةِ، فالأولى أنْ نَموتَ على يدِ زوجِكِ، فلعلَّهُ يَرْحَمُنا." أخفَتْهُم تحتَ السريرِ، ثمَّ سمعوا قَرقعةَ بابٍ عنيفةً، وإذا بالغولِ يدخلُ، وقدْ شمَّ رائحةَ "اللحمِ الطازجِ" بأنفِه الحادِّ، وصرخَ: "أَشُمُّ رائحةَ إنسانٍ!" وفتشَ الغرفةَ حتى وجدَهم، وأخرجَهم منْ تحتِ السريرِ واحداً واحداً، وقرَّرَ أكلَهم معَ ضيوفِه الغولِ الآخرينَ في اليومِ التالي، لكنَّ زوجتَه طلَبَتْ تأجيلَ الأمرِ إلى الغدِ، فوافَقَ، وأعطاهم عشاءً وفيراً منَ اللحمِ، لكنَّهم منَ الخوفِ لمْ يَأكلوا إلاَّ القليلَ، ثمَّ نامَ الغولُ وهوَ ثملٌ منَ الخمرِ.

ليلَةٌ كانتْ هيَ الفارقةَ في مصيرِ الأولادِ، فقدْ كانَ للغولِ سبعُ بناتٍ صغيراتٍ، نِيامٌ في غرفةٍ مجاورةٍ، على رؤوسِهنَّ تيجانٌ منْ ذهبٍ خالصٍ. وكانتْ لهنَّ عيونٌ رماديةٌ صغيرةٌ، وأنوفٌ معقوفةٌ، وأسنانٌ حادةٌ طويلةٌ، وقدْ اعتدنَ عضَّ الأطفالِ الصغارِ لامتصاصِ دمائِهم. وكانَ الأُصْبَعُ الصَّغِيرُ قدْ لاحظَ التيجانَ، وخافَ أنْ يَندمَ الغولُ في منتصفِ الليلِ ويَقتلَهم، فنهضَ هادئاً في الظلامِ، ونزَعَ قبعاتِ إخوتِه الصوفيةَ الخشنةَ، ووضَعَها برفقٍ على رؤوسِ بناتِ الغولِ، وأخذَ التيجانَ الذهبيةَ ووضَعَها على رؤوسِ إخوتِه، ثمَّ عادَ إلى فراشِه مُتَظاهراً بالنومِ. وفي منتصفِ الليلِ، استيقظَ

الغولُ، وتذكَّرَ أنهُ نَسِيَ أنْ يَذبحَ الأولادَ، فأمسكَ سكينَه الكبيرةَ، وقالَ في نفسِه: "لنرى كيفَ حالُ هؤلاءِ الصِّغارِ، ولا نَجْعَلُ منَ الأمرِ عملينِ." وصعدَ إلى الغرفةِ في الظلامِ، يتلمَّسُ طريقَه، ولمسَ رؤوسَ الأولادِ فوجَدَ التيجانَ الذهبيةَ، فقالَ: "لقد كنتُ سأرتكبُ خطأً فادحاً حقاً! يبدو أنني شربتُ كثيراً الليلةَ الماضيةَ." ومضى إلى غرفةِ بناتِه، ولمسَ القبعاتِ الصوفيةَ الخشنةَ، فقالَ: "آه! أيها الأولادُ المرحونَ، هلْ أنتمْ هناكَ؟ فلنعمَلْ كما يجبُ." وذبحَ بناتِه السبعَ في لحظةٍ، دونَ أنْ يُدركَ ما يفعلُ.

هروبٌ كانَ هوَ الخلاصُ، فقدْ أيقَظَ الأُصْبَعُ الصَّغِيرُ إخوتَه في هدوءٍ، وقالَ لهمْ: "البسوا ثيابَكُمْ بسرعةٍ واتبعوني." وأخذَهم يَهرُبونَ عبرَ الحديقةِ، ثمَّ عبرَ الجدرانِ، وساروا طوالَ الليلِ يَركضونَ دونَ أنْ يَعرِفوا إلى أينَ. وفي الصباحِ، استيقظَ الغولُ، وقالَ لزوجتِه: "اذهبي إلى الطابقِ العلويِّ وألبسي هؤلاءِ الأولادَ الصغارَ الذينَ أتوا الليلةَ الماضيةَ." فذهبتِ الزوجةُ، وإذا ببناتِها السبعِ مذبوحاتٍ في بركةٍ منَ الدماءِ، فصرخَتْ وغشيَ عليها. أما الغولُ، فلمَّا رأى ما حدثَ، ارتدى حذاءَ السَّبْعِ فَرَاسخَ (وهو حذاءٌ سحريٌّ منَ الجنياتِ، يتكيفُ معَ أيِّ قدمٍ ترتديهِ، ويَقطَعُ سبعةَ فراسخَ في خطوةٍ واحدةٍ) وانطلقَ يَتبَعُ الأولادَ، وهوَ يَصرخُ: "سأَلحقُ بهم، سأَقْتُلُهم!" ولحقَ بهم بعدَ أنْ قطعَ الجبالَ في خطوةٍ، والأنهارَ كأنَّها خنادقُ ضيقةٌ. لكنَّ الأُصْبَعَ الصَّغِيرَ، وهوَ يَنظُرُ منْ بعيدٍ، رأى الغولَ يقتربُ، فأخبأَ إخوتَه في صخرةٍ مُجوَّفةٍ على جانبِ الطريقِ، واختبأَ هوَ أيضاً بداخلها. تعبَ الغولُ منَ الجري، وجلسَ على الصخرةِ نفسِها ليَستريحَ، وغطَّ في نومٍ عميقٍ، وصارَ يَشخَرُ شخيراً مُرعِباً. هنا، همسَ الأُصْبَعُ الصَّغِيرُ لإخوتِه: "اركضوا إلى البيتِ بسرعةٍ، لا تقلقوا بشأني." ثمَّ اقتربَ منَ الغولِ بهدوءٍ، وخلَعَ حذاءَ السَّبْعِ فَرَاسخَ برفقٍ شديدٍ، وارتداهُ على قدمَيهِ الصغيرتينِ، فانطبقَ عليهِ كأنَّهُ صُنِعَ لهُ.

مكسبٌ عظيمٌ كانَ بانتظارِ الأُصْبَعِ الصَّغِيرِ بعدَ أنِ ارتدى الحذاءَ السحريَّ، فقدِ انطلقَ بهِ إلى كوخِ الغولِ، ودخلَ على زوجتِه وهيَ تبكي على بناتِها، وقالَ لها بثقةٍ: "زوجُكِ في خطرٍ عظيمٍ، فقدْ وقعَ في أيدي لصوصٍ، وطلبَ مني أنْ آخذَ كلَّ كنوزِه وذهبِه لِفدائِه، وإلاَّ فسيَقتلونَه." خافتِ الزوجةُ، وأعطَتْهُ كلَّ ما في البيتِ منْ ذهبٍ وفضةٍ وجواهرَ، دونَ أنْ تَسألَ كثيراً. ثمَّ عادَ الأُصْبَعُ الصَّغِيرُ إلى بيتِ أبيهِ مُسرعاً، حيثُ استقبَلَهُ الجميعُ بفرحٍ عارمٍ، وذرفَتْ أمُّه دموعَ الفرحِ.

حذاءَ السبعةِ فراسخَ لمْ يَكُنْ مجرَّدَ كنزٍ، بلْ مفتاحَ مستقبلٍ جديدٍ. فما إنْ بلغَ البلاطَ الملكيَّ، حتى سمعَ أنَّ الملكَ في قلقٍ شديدٍ على جيشِه البعيدِ على مسافةِ مئتي فرسخٍ، وأنَّ لا أحدَ يَستطيعُ إيصالَ الأخبارِ إليهِ قبلَ أيامٍ. فتقدَّمَ الأُصْبَعُ الصَّغِيرُ إلى الملكِ وعرضَ عليهِ أنْ يحملَ أوامرَه إلى الجيشِ ويعودَ بالأخبارِ قبلَ حلولِ الظلامِ. فدهشَ الملكُ، لكنَّه وافقَ، وانطلقَ الأُصْبَعُ الصَّغِيرُ في رحلتِه، وعادَ قبلَ الغروبِ بأخبارِ النصرِ. وهكذا، صارَ رسولاً للملكِ، يَنقُلُ أخبارَ الجيوشِ في لمحِ البصرِ، وينالُ أجراً وفيراً، حتى صارَ منْ أغنى أغنياءِ المملكةِ، واشترى مناصبَ لأبيهِ وإخوتِه، وأسعدَ عائلتَه كلَّها. وهكذا تنتهي حكايةُ "الأُصْبَعِ الصَّغِيرِ"، تاركةً في القلبِ عِبرةً خالدةً. أنَّ الذكاءَ قدْ يكونُ أعظمَ منَ القوَّةِ، وأنَّ الصِّغَرَ في الجسدِ لا يَعني الصِّغَرَ في العقلِ، وأنَّ الفقرَ قدْ يُنْبِتُ أذكى الحلولِ، وأنَّ المكرَ الحقيقيَّ يُصبحُ سلاحاً يَحمي الضُّعفاءَ، ويُحوِّلُ الخطرَ إلى نعمةٍ، إذا ما صاحَبَه قلبٌ لا يَخافُ، وعقلٌ لا يَهدأُ.

—

"عليُّ بابا والأربعونَ لصّاً"

(the Forty Thieves).

حكايةٍ منْ قلبِ الشرقِ، حيثُ تَختلِطُ المغامرةُ بالدهاءِ، وتَتصارعُ الفِطنةُ معَ الجشعِ، وتَبرزُ عبقريةُ خادمةٍ تُغيِّرُ مصيرَ سيّدِها.

—

أخوانِ كانا يسكنانِ في بلدةٍ منْ بلادِ فارسَ، أحدهُما اسمُه "قاسم" والآخرُ "عليُّ بابا". كانَ قاسمُ قدْ تزوَّجَ منْ امرأةٍ غنيَّةٍ، فعاشَ في رغدٍ ونعيمٍ، أمَّا عليُّ بابا فكانَ رجُلاً فقيراً، يَقطعُ الحطبَ منَ الغابةِ المجاورةِ، ويَحمِلُه على حمارِه إلى المدينةِ ليَبيعَه، ويكفيهِ هوَ وأسرتُه قوتَ يومِهم. وفي يومٍ منَ الأيامِ، بينما كانَ عليُّ بابا في الغابةِ يَقطعُ الحطبَ، رأى منْ بعيدٍ غباراً كثيفاً يَتصاعدُ، ثمَّ انكشَفَ لهُ موكبٌ منَ الفرسانِ، عددُهم أربعونَ فارساً، يقودُهم رجُلٌ أَنْبَلُهُمْ (أو أَحْسَنُهُمْ هَيْئَةً)، يبدو أنَّه رئيسُهم. خافَ عليُّ بابا، وتسلَّقَ شجرةً عاليةً ليَختفيَ عنْ أعينِهم، فنزلَ الفرسانُ عنْ خيولِهم، وربطوها بالأشجارِ، ثمَّ تقدَّمَ رئيسُهم إلى صخرةٍ عاليةٍ، وقالَ بكلماتٍ واضحةٍ: "إفتَحْ يا سمسمُ!" وفي الحالِ، انفتَحَ بابٌ صخريٌّ ضخمٌ، ودخلَ الفرسانُ واحداً تلوَ الآخرَ، ثمَّ أغلَقَ البابُ خلفَهم. انتظرَ عليُّ بابا طويلاً

حتى خرجوا، فقالَ الرئيسُ: "أُغلِقْ يا سمسمُ!" فانطبقَ البابُ، وركَبوا خيولَهم وانطلقوا.

فضولٌ دفَعَ عليَّ بابا إلى النزولِ منَ الشجرةِ، والتوجُّهِ إلى الصخرةِ، وقالَ كما سمعَ: "إفتَحْ يا سمسمُ!" فانفتحَ البابُ، ودخلَ، فإذا بهِ في كهفٍ واسعٍ مضاءٍ بفتحةٍ في سقفِه، وفيهِ أكوامٌ منَ الذهبِ والفضةِ، والحريرِ والديباجِ، والبضائعِ الثمينةِ، والأكياسِ المليئةِ بالنقودِ. لمْ يَلمسِ الفضةَ، بلْ حملَ أكبرَ عددٍ منَ أكياسِ الذهبِ التي تستطيعُ حميرُه حملَها، وأخرجَها، وقالَ: "أُغلِقْ يا سمسمُ!" فانطبقَ البابُ، وعادَ إلى بيتِه مسرعاً. أفرغَ الأكياسَ أمامَ زوجتِه، وأخبَرَها بالسرِّ، وطلبَ منها كتمانَه. لكنَّ الزوجةَ، التي كانتْ تَفضُلُ معرفةَ مقدارِ الذهبِ، ذهبَتْ إلى زوجةِ قاسمَ تستعيرُ مكيالاً، دونَ أنْ تُخبِرَها بالسببِ. وضعَتْ زوجةُ قاسمَ شحمَةً في قاعِ المكيالِ بدافعِ الفضولِ، وعندَما أعادَتْه زوجةُ عليِّ بابا، وجدَتْ قطعةَ ذهبٍ عالقةً بالشحمَةِ، فأخبرَتْ زوجَها قاسِماً.

طمعٌ عظيمٌ ملأَ قلبَ قاسمٍ، فذهبَ إلى أخيهِ متَّهِماً إيَّاهُ بإخفاءِ الثروةِ، وطلبَ منه أنْ يُعلِمَه مكانَ الكنزِ. أخبرَهُ عليُّ بابا بالكهفِ والكلماتِ السحريةِ، فخرجَ قاسمُ في صباحِ اليومِ التالي معَ عشرِ بغالٍ محمَّلةٍ بصناديقَ كبيرةٍ، ووصلَ إلى الكهفِ، وقالَ: "إفتَحْ يا سمسمُ!" فانفتحَ البابُ، ودخلَ، ورأى الكنوزَ، فأخذَ يَجمَعُ ما يستطيعُ منَ الذهبِ، لكنَّه لمَّا أرادَ الخروجَ، نَسِيَ الكلمةَ السحريةَ، فصرخَ: "إفتَحْ يا شَعيرُ!" فلمْ يَفتحْ، وكرَّرَ أسماءَ حبوبٍ مختلفةٍ، لكنَّ البابَ ظلَّ مُغلقاً. خافَ قاسمٌ خوفاً شديداً، وندِمَ على طمعِه، وفي تلكَ الأثناءِ، عادَ اللصوصُ إلى الكهفِ، فوجدوا البغالَ والصندوقَ، وعلموا أنَّ أحداً قدْ اكتشفَ سرَّهم، فدخلوا، ووجدوا قاسِماً، فقتَلوه، وقطَّعوا جسدَه إلى أربعِ قطعٍ، وعلَّقوها داخلَ الكهفِ لِتُرهِبَ أيَّ مُتطفِّلٍ آخرَ.

خوفٌ أصابَ عليَّ بابا حينَ لمْ يَعُدْ أخوهُ، فذهَبَ إلى الكهفِ، ووجدَ جثَّتَه، فحملَها على حمارِه، وأخفاها تحتَ الحطبِ، وعادَ بها إلى منزلِ قاسمٍ. هناكَ، استعانَ بالخادمةِ الذكيَّةِ "مرجانة"، التي كانتْ تُدبِّرُ الأمورَ بحكمةٍ، وقالَ لها: "هذا جسدُ سيِّدِكِ، وقدْ قُتِلَ، لكنْ يجبُ أنْ نَدفِنَه كما لوْ ماتَ في فراشِه." ذهبَتْ مرجانةُ إلى صيدليٍّ، وطلَبَتْ منه أدويةً، وقالتْ: "سيِّدي مريضٌ لا يَستطيعُ الكلامَ." ثمَّ عادَتْ في اليومِ التالي باكيةً، وطلَبَتْ دواءً للموتى، فشاعَ خبرُ موتِ قاسمٍ في الحيِّ. ثمَّ استعانَتْ مرجانةُ بإسكافيٍّ

عجوزٍ، وأعطَتْه قطعةَ ذهبٍ، وربَطَتْ عينَيهِ، وقادَتْه إلى بيتِ قاسمٍ، وطلَبَتْ منه أنْ يَخيطَ الجسدَ المقطَّعَ. بعدَ أنْ خاطَه، أعادَتْ ربطَ عينَيهِ وقادَتْه إلى دكَّانِه، ثمَّ دُفِنَ قاسمٌ في سرِّيَّةٍ.

حقدٌ كانَ في قلوبِ اللصوصِ، فقدْ عادوا إلى الكهفِ فوجدوا الجثَّةَ قدِ اختفتْ، وعلموا أنَّ هناكَ منْ يعرفُ سرَّهم، فقرَّرَ رئيسُهم أنْ يُرسِلَ أحدَ رجالِه إلى المدينةِ لِيَتَجسَّسَ. تنكَّرَ أحدُ اللصوصِ في هيئةِ تاجرٍ، ووصلَ إلى المدينةِ عندَ الفجرِ، فرأى الإسكافيَّ العجوزَ يعملُ في دكَّانِه، فسألَهُ: "كيفَ تستطيعُ أنْ تَخيطَ في هذهِ السنِّ؟" قالَ الإسكافيُّ: "على الرغمِ منْ كِبَرِ سنِّي، فإنَّ عينيَّ لا تزالانِ قويتينِ، وستُصدِّقُني إذا أخبرْتُكَ أنِّي خِطْتُ جثةَ رجلٍ ميتٍ في مكانٍ بهِ ضوءٌ أقلُّ ممَّا لديَّ الآنَ." فرِحَ اللصُّ، وأعطاهُ قطعةَ ذهبٍ، وطلَبَ منه أنْ يَدُلَّهُ على بيتِ الميتِ. لكنَّ الإسكافيَّ قالَ: "كنتُ معصوبَ العينينِ، لكنَّني ربَّما أتذكَّرُ الطريقَ إذا عُصِبتْ عينايَ كما في المرةِ الأولى." فأعطاهُ اللصُّ قطعةً أخرى، فوافَقَ الإسكافيُّ، وربَطَ عينَيهِ، وقادَهُ جزئياً، بينما كانَ الإسكافيُّ يَقودُهُ جزئياً، حتى بلغا بيتَ قاسمٍ، فعلَّمَ اللصُّ البابَ بعلامةٍ منَ الطباشيرِ الأبيضِ. ثمَّ عادَ إلى الكهفِ وأخبرَ رفاقَه، فشكَرَهُ الرئيسُ، لكنَّ مرجانةَ، التي كانتْ تَشعرُ بالخطرِ، رأتِ العلامةَ دونَ أنْ تُخبرَ أحداً، وأسرعَتْ إلى وضْعِ علاماتٍ مماثلةٍ على أبوابِ الجيرانِ، فأُحبطتِ الخطةُ. وعندَما عادَ اللصُّ معَ الرئيسِ ليريَه البيتَ، وجدا خمسةَ أو ستةَ أبوابٍ مُعلَّمةٍ، فتحيَّرَ، وعندَ عودتِه أُعدِمَ لفشلِه. فأرسلَ الرئيسُ لصّاً آخرَ، فعلَّمَ البابَ بعلامةٍ حمراءَ، لكنَّ مرجانةَ كرَّرَتْ حيلتَها، فأُحبطَ الأمرُ مجدَّداً، وقُتِلَ اللصُّ الثاني أيضاً. عندَها، قرَّرَ الرئيسُ أنْ يَذهَبَ بنفسِه، وتذكَّرَ البيتَ دونَ أنْ يُعلِّمَه، وعادَ إلى الكهفِ وأمرَ رجالَه أنْ يَذهَبوا إلى القرى المجاورةِ ويَشتروا تسعةَ عشرَ بغلاً وثمانيةً وثلاثينَ جَرَّةً، كلُّها فارغةٌ ما عدا جَرَّةً واحدةً مملوءةً بالزيتِ. ثمَّ وضعَ كلَّ رجلٍ مسلَّحٍ في جَرَّةٍ، ودلَّكَ ظواهرَ الجرارِ بزيتٍ منَ الجرةِ المملوءةِ لِيُوهِمَ أنَّها كلُّها زيتٌ، وحُمِّلَتِ البغالُ بتلكَ الجرارِ، وانطلقوا نحوَ مدينةِ عليٍّ بابا. وعندَما وصلَ، قالَ لعليٍّ بابا الذي كانَ جالساً في الفناءِ: "أنا تاجرُ زيتٍ، وقدْ حلَّ الليلُ، فهلْ تأذَنُ لي بالمبيتِ عندَكَ؟" رحَّبَ عليٌّ بابا، وأمرَ مرجانةَ بإعدادِ العشاءِ، ودخلَ بهِ إلى قاعةِ البيتِ. وفي الفناءِ، كانَتِ البغالُ قدْ رُبِطَتْ، والجرارُ مُرتَّبةٌ. وعندَما خرجَ الرئيسُ بحجةِ تفقُّدِ بغالِه، همسَ لكلِّ رجلٍ في جَرَّتِه: "عندَما أُلقي حصىً منْ نافذةِ الغرفةِ التي أنامُ فيها، اقطعوا الجرارَ

بسكاكينِكم واخرجوا، وسأكونُ معَكم في لحظةٍ." ثمَّ عادَ إلى البيتِ، وأكملَ عشاءَه معَ عليٍّ بابا.

ذكاءُ مرجانةَ كانَ هوَ البطلَ الحقيقيَّ، فقدْ نَفِدَ زيتُ المصباحِ في المطبخِ، فقالَ لها زميلُها عبدُ اللهِ: "ضَعِي الْقِدْرَ عَلَى النَّارِ وَاصْنَعِي بَعْضَ الْحَسَاءِ لِسَيِّدِي." فَقَالَتْ لَهُ: "لَيْسَ لَدَيَّ زَيْتٌ." فَقَالَ: "اذْهَبِي إِلَى الْفِنَاءِ وَخُذِي زَيْتاً مِنَ الْجِرَارِ." فَذَهَبَتْ مَرْجَانَةُ إِلَى الْجَرَّةِ الْأُولَى، فَسَمِعَتْ صَوْتاً يَهْمِسُ: "هَلْ حَانَ الْوَقْتُ؟" أَدْرَكَتْ مَرْجَانَةُ الْخَطَرَ فِي الْحَالِ، لَكِنَّهَا تَمَالَكَتْ نَفْسَهَا وَقَالَتْ بِهُدُوءٍ: "لَيْسَ بَعْدُ." وَكَرَّرَتْ ذَلِكَ مَعَ كُلِّ الْجِرَارِ، حَتَّى بَلَغَتِ الْجَرَّةَ الْأَخِيرَةَ الَّتِي كَانَتْ مَمْلُوءَةً بِالزَّيْتِ الْحَقِيقِيِّ. فَمَلَأَتْ قِدْراً كَبِيراً بِالزَّيْتِ، وَأَشْعَلَتِ النَّارَ تَحْتَهُ حَتَّى غَلَى، ثُمَّ صَبَّتِ الزَّيْتَ الْمُغْلِيَّ فِي كُلِّ جَرَّةٍ، فَمَاتَ اللُّصُوصُ جَمِيعاً دُونَ أَنْ يُصْدِرُوا صَوْتاً. ثُمَّ عَادَتْ إِلَى الْمَطْبَخِ، وَأَطْفَأَتِ النَّارَ وَالْمِصْبَاحَ، وَانْتَظَرَتْ لِتَرَى مَا سَيَحْدُثُ، وَبَعْدَ رُبْعِ سَاعَةٍ، اسْتَيْقَظَ الرَّئِيسُ، وَفَتَحَ النَّافِذَةَ، وَرَمَى بَعْضَ الْحَصَى كَإِشَارَةٍ، لَكِنْ لَمْ يُحَرِّكْ أَحَدٌ سَاكِناً. فَشَعَرَ بِالْقَلَقِ، وَنَزَلَ إِلَى الْفِنَاءِ، وَاقْتَرَبَ مِنَ الْجَرَّةِ الْأُولَى وَقَالَ: "هَلْ أَنْتَ نَائِمٌ؟" فَشَمَّ رَائِحَةَ الزَّيْتِ الْمُغْلِي، وَعَلِمَ أَنَّ خُطَّتَهُ قَدِ انْكَشَفَتْ، فَهَرَبَ عَبْرَ الْحَدِيقَةِ وَتَسَلَّقَ الْجُدْرَانَ. وَفِي الصَّبَاحِ، نَهَضَ عَلِيٌّ بَابَا فَرَأَى الْجِرَارَ مَا زَالَتْ فِي الْفِنَاءِ، فَسَأَلَ عَنِ التَّاجِرِ وَبِغَالِهِ. فَأَمَرَتْهُ مَرْجَانَةُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْجَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا رَأَى فِيهَا رَجُلاً مَيِّتاً، ارْتَاعَ وَخَافَ. فَقَالَتْ لَهُ: "لا تَخَفْ، فَالرَّجُلُ لَا يَضُرُّكَ الآنَ." وَلَمَّا سَأَلَهَا عَنِ التَّاجِرِ، قَالَتْ: "إِنَّهُ لَيْسَ تَاجِراً، بَلْ هُوَ رَئِيسُ اللُّصُوصِ، وَقَدْ كِدْتُمْ تَهْلِكُونَ جَمِيعاً لَوْلَا تَدْبِيرِي." وَأَخْبَرَتْهُ بِالْقِصَّةِ كَامِلَةً.

مكافأةٌ كانتْ منَ عليٍّ بابا، فقدْ حرَّرَ مرجانةَ وأعطاها حريَّتَها، ودفَنَ الجثثَ في حديقتِه، وباعَ البغالَ في السوقِ. لكنَّ الرئيسَ لمْ ييأسْ، وعادَ إلى المدينةِ متنكِّراً في هيئةِ تاجرٍ يُدعى "كوجيا حسن"، وفتحَ دكَّاناً مقابلَ دكَّانِ ابنِ عليٍّ بابا، وتقرَّبَ منه حتى دُعِيَ إلى بيتِ عليٍّ بابا. لكنَّ مرجانةَ عرَفَتْه بمجردِ أنْ رأتْهُ، فعلمَتْ أنَّه الرئيسُ. فأعدَّتْ خُطَّةً: ارتدَتْ ثيابَ راقصةٍ، وحزَمَتْ على خصرِها حزاماً يَتدلَّى منه خنجرٌ فضيٌّ، وقالتْ لعبدِ اللهِ: "خُذْ طبلَتَكَ، ودعْنا نَذهَبْ لِنُسلِّيَ سيدَنا وضيفَه." فخرجا إلى القاعةِ، وبدأتْ مرجانةُ تَرْقُصُ رقصاتٍ عدةً، وهيَ تُحرِّكُ الخنجرَ أحياناً نحوَ صدرِها وأحياناً نحوَ سيدِها كأنَّهُ جزءٌ منَ الرقصةِ. وكانَ الرئيسُ غيرَ مسرورٍ برقصِها، لأنَّهُ خافَ أنْ تفوتهُ فرصةُ قتلِ عليٍّ بابا، لكنَّهُ تظاهرَ بالحماسِ. وفجأةً، انتهَتْ رقصتُها، وتقدَّمَتْ نحوَ الرئيسِ لتأخذَ هديَّتَه، وعندَما مدَّ يدهُ

إلى محفظتِه، انقضَّتْ عليهِ وطعنَتْه في قلبِه بالخنجرِ، فماتَ في الحالِ. وهكذا انتهَى خطرُ اللصوصِ، وأصبحَ عليُّ بابا سيّدَ الكنزِ، وعلَّمَ أولادَه سرَّ الكهفِ، فعاشوا في غِنًى وهناءٍ، وعلَّمَتْنا الحكايةُ أنَّ الذكاءَ والفطنةَ قدْ يَنتصرانِ على القوَّةِ والعددِ، وأنَّ الطمعَ يُهلِكُ صاحبَه، وأنَّ الخادمةَ المخلصةَ قدْ تكونُ أعظمَ منْ جيشٍ بأكملِهِ.

—

"هانسيلُ وغريتيلُ"

—

أخوةٌ كانَا اثنينِ، هانسيلُ وغريتيلُ، يعيشانِ معَ أبيهما الحطَّابِ وزوجتِه الثانيةِ (زوجةِ الأبِ) على حافةِ غابةٍ كبيرةٍ. كانَ الفقرُ مُدقعاً، والجوعُ يُنهِكُ الجميعَ، وفي إحدى الليالي، قالَ الحطَّابُ لزوجتِه وهوَ يتقلَّبُ في فراشِه منَ القلقِ: "ماذا سيَحدُثُ لنا؟ كيفَ سَنُطعمُ أولادَنا وقدْ أصبحَ البيتُ خالياً منَ الخبزِ؟" قالتِ الزوجةُ بقسوةٍ: "سأُخبِرُكَ بالحلِّ: باكراً غداً، سنَأخُذُ الأطفالَ إلى أعمقِ الغابةِ، ونُشعِلُ لهمْ ناراً، ونُعطيهمْ كلَّ واحدٍ قطعةَ خبزٍ، ثمَّ نَترُكُهم وحدَهم، ولنْ يَجِدوا طريقَ العودةِ، ونتخلَّصُ منهمْ إلى الأبدِ." قالَ الحطَّابُ: "لا، كيفَ أَترُكُ أطفالي للوحوشِ؟" لكنَّ الزوجةَ أصرَّتْ، وقالتْ: "إمَّا همْ، وإمَّا نموتُ كلُّنا جوعاً." لمْ يَجِدِ الحطَّابُ بدّاً منَ الموافقةِ، لكنَّ قلبَهُ كانَ يتفتَّتُ ألماً، ونامَ وهوَ يَئِنُّ.

سمعَ هانسيلُ وغريتيلُ كلَّ ما دارَ بينَ أبيهما وزوجتِه، فبكَتْ غريتيلُ باكيةً بحرقةٍ، وقالتْ: "ويلَنا! لقدْ هلكْنا!" لكنَّ هانسيلَ هدَّأَها وقالَ: "لا تخافي يا أختي، سأَجِدُ حيلةً نَنجو بها." وعندَما نامَ الجميعُ، نهضَ هانسيلُ بهدوءٍ، وارتدى معطفَه الصغيرَ، وخرجَ منَ البابِ الخلفيِّ إلى الحديقةِ تحتَ ضوءِ القمرِ الساطعِ، حيثُ كانَ الحصى الأبيضُ يَتَلألأُ كقطعِ الفضَّةِ النقيةِ، فملأَ جيوبَه بها حتى امتلأَتْ، ثمَّ عادَ إلى فراشِه وقالَ لِغريتيلَ: "نامي يا أختي، فاللهُ لنْ يَترُكَنا، وسيُعينُنا على ما نُقابِلُ."

غابةٌ كثيفةٌ مظلمةٌ، كانَ الحطَّابُ قدْ قادَ أطفالَه إليها في صباحِ اليومِ التالي، وقدْ أعطتْ زوجةُ الأبِ لكلٍّ منهما قطعةَ خبزٍ صغيرةً، وقالتْ بحدةٍ: "هذا طعامُكُم، لا تأكُلوهُ قبلَ الظهرِ، وإلاَّ فستَجوعونَ." بينَما كانَ هانسيلُ يَمشي في الطريقِ، كانَ يَتوقَّفُ كلَّ لحظةٍ ويَلتفِتُ خلفَه، ويرمي حصاةً بيضاءَ على الأرضِ بخفَّةٍ، كأنَّها بذرةُ نجاةٍ. قالَ لهُ أبوهُ: "ماذا تَنظرُ يا هانسيلُ، وتَتَخَلَّفُ عنَّا؟" قالَ هانسيلُ ببراءةٍ: "أنظرُ إلى قطَّتي البيضاءِ التي تَجلِسُ على السَّطحِ وتُودِّعُني." لكنَّه كانَ في الحقيقةِ يُلقي الحصى لتكونَ دليلاً على طريقِ العودةِ، وهوَ يَضحكُ في سِرِّه منْ دهائِه.

نارٌ أُشعِلَتْ في وسطِ الغابةِ، وطلبَ الأبُ منَ الأطفالِ أنْ يَجمَعوا حطباً كثيراً حتى كوَّموا كومةً كالجبلِ الصغيرِ. أشعلوا النارَ، وقالتْ زوجةُ الأبِ: "اجلِسا هنا يا أطفالُ، ونَناما قليلاً، فنحنُ سنَذهَبُ لِنَقطَعَ حطباً آخرَ، وسنَعودُ لِنَأخُذَكُما عندَ الغروبِ." جلسَ الأطفالُ يَنتظرونَ، وسمعوا صوتَ الفأسِ، فظنُّوا أنَّ أباهُما لا يزالُ قريباً، لكنَّ الصوتَ كانَ غصناً يابساً يَتحرَّكُ بالرِّيحِ. غلبَهُمُ النومُ، وعندَما استيقظوا، كانَ الظلامُ قدْ حلَّ، فبكَتْ غريتيلُ باكيةً، وقالتْ: "كيفَ سَنَجِدُ طريقَ العودةِ؟" فقالَ هانسيلُ: "انتظري حتى يَطلَعَ القمرُ، ثمَّ نَتبَعُ الحصى." وعندَما أشرقَ القمرُ، تَلألأَتِ الحصى البيضاءُ كالنقودِ الفضيةِ على الأرضِ، وقادَتْهُم خطوةً خطوةً حتى بلغا بابَ المنزلِ عندَ الفجرِ. طرقا البابَ، وفتحَتْ لهُم زوجةُ الأبِ بتعجُّبٍ وغضبٍ، وقالتْ: "أيُّ أطفالٍ مُشاغبينَ! ظننَّا أنَّكما لنْ تَعودا!" أمَّا الأبُ ففرِحَ فرحاً شديداً، لأنَّ ضميرَهُ كانَ يُعاتِبُه على ما فعَلَ.

جوعٌ عادَ يشتدُّ في البيتِ بعدَ أيامٍ، ونفِدَ الخبزُ تماماً، وفي ليلةٍ أخرى، سمعَ الأطفالُ زوجةَ الأبِ تقولُ لأبيهِم بصوتٍ حادٍّ: "لقدْ نَفِدَ الخبزُ، ولا شيءَ في البيتِ سوى نصفِ رغيفٍ، سنَذهَبُ بهم إلى غابةٍ أبعدَ وأكثرَ كثافةً، حتى لا يَجِدوا طريقَ العودةِ أبداً." حاولَ الحطَّابُ الاعتراضَ، لكنَّ الزوجةَ صرخَتْ فيهِ حتى أُسكِتَ، فوافَقَ على مضضٍ. حاولَ هانسيلُ أنْ يَخرُجَ لِيَجمَعَ حصىً، لكنَّ زوجةَ الأبِ أغلَقَتِ البابَ بإحكامٍ، فعجَزَ عنِ الخروجِ، فعادَ إلى غريتيلَ وقالَ لها: "لا تحزَني، سأُفتِّتُ خبزي على الطريقِ ليكونَ دليلاً." وفي الصباحِ، أعطَتْهُم زوجةُ الأبِ قطعةَ خبزٍ أصغرَ منَ السَّابقةِ، وانطلقوا إلى الغابةِ. كانَ هانسيلُ يُفتِّتُ خبزَه ويُلقيهِ على الطريقِ كالفتاتِ الذهبيِّ، لكنَّ الطيورَ الجائعةَ التي تَملأ الغابةَ أكلَتِ الفتاتَ كلَّه، ولمْ يَبقَ أثرٌ واحدٌ.

ضَياعٌ تامٌّ في الغابةِ، فقدْ تاهَ الأطفالُ طوالَ الليلِ والنهارِ، ولمْ يَجِدوا طريقاً للخروجِ، وجاعوا جوعاً شديداً، فلمْ يَجِدوا سوى بعضِ التوتِ البريِّ الذي نادراً ما يُشبِعُ. تعبوا حتى سقطوا تحتَ شجرةٍ، وناموا نومةً ثقيلةً. وفي اليومِ الثالثِ، بينَما همْ يَتيهونَ، رأيا طائراً أبيضَ جميلاً كالثلجِ، يُغرِّدُ بأعذبِ الألحانِ على غصنٍ، فاتَّبعاهُ حتى وصلا إلى كوخٍ صغيرٍ، وإذا بهِ مصنوعٌ منَ الخبزِ الطازجِ، وسقفُه منَ الكعكِ الملونِ، ونوافذُه منَ السكَّرِ الشفافِ كالبلورِ. فرِحَ الأطفالُ وقالَ هانسيلُ: "هذهِ وجبةٌ منَ السماءِ! سآكلُ منَ السَّقفِ، وأنتِ يا غريتيلُ كُلي منَ النافذةِ." ومدَّ يدهُ وكسرَ قطعةً منَ السقفِ، وبدأَتْ غريتيلُ تَنهشُ النافذةَ، وإذْ بصوتٍ رقيقٍ يَخرُجُ منَ الداخلِ:

"يا صغيري، يا صغيرتي،
مَن يَأكُلُ بيتي؟"

فأجابا بجرأةٍ:

"الرِّيحُ يا جدَّتي، الرِّيحُ العاتيةُ."

واستمرَّا في الأكلِ دونَ اكتراثٍ، لكنَّ البابَ انفتَحَ فجأةً، وخرجَتْ عجوزٌ هَرِمَةٌ، تَتوكَّأُ على عكَّازٍ منَ العاجِ. ارتعبَ الأطفالُ وأسقطوا ما في أيديهِم، لكنَّ العجوزَ قالَتْ بلطفٍ مُخادِعٍ: "ادخُلا يا أطفالِي، لا تخافا، فلنْ أُؤذِيَكُما." وأدخلَتْهُم، وقدَّمَتْ لهُم طعاماً شهيّاً منَ اللبنِ والفطائرِ والتفاحِ، وأعطَتْهُم سريرينِ ناعمينِ كالحريرِ، فناما وكأنَّهُما في الجنَّةِ.

ساحرةٌ كانتْ تلكَ العجوزُ في الحقيقةِ، ساحرةٌ شريرةٌ خَبيثَةٌ، بنَتِ الكوخَ منَ الخبزِ والحلوى لتَصطادَ الأطفالَ، وتَأكُلَهم بعدَ أنْ تُسَمِّنَهم. كانتْ تَرى بعينينِ حمراوينِ ضعيفتينِ، لكنَّ حاسَّةَ الشمِّ لديها قويةٌ كالوحوشِ، وقدْ شمَّتْ رائحةَ البشرِ منْ بعيدٍ. وفي الصباحِ، بينَما كانَ الأطفالُ نائمينَ، أمسَكَتْ هانسيلَ بيدِها العظميةِ، وسجَنَتْه في حظيرةٍ صغيرةٍ خلفَ الكوخِ، وأغلَقَتِ البابَ عليهِ بإحكامٍ، وقالتْ لِغريتيلَ باستهزاءٍ: "استيقظي يا كسولةُ، اذهبي واطبُخي لِأخيكِ طَعاماً وفيراً حتى يَسمنَ، ثمَّ سآكُلُه." بَكَتْ غريتيلُ باكيةً، لكنَّها أطاعَتْ خوفاً. وكانَتِ الساحرةُ تُطعِمُ هانسيلَ أطيبَ الطعامِ كلَّ يومٍ: اللحمَ، والكعكَ، والحليبَ، أمَّا غريتيلُ فكانَتْ لا تَأكُلُ سوى قشورِ السرطانِ الجافةِ. وكلَّ صباحٍ، كانتِ الساحرةُ تَلمسُ إصبعَ هانسيلَ لتَتَأكَّدَ منْ سِمَنِه، لكنَّ هانسيلَ الذكيَّ كانَ يَمُدُّ لها عظماً صغيراً منَ العظامِ التي تَرميها غريتيلُ، فكانتْ تَظُنُّ أنَّه لا يَزيدُ سِمناً، وتَتعجَّبُ منْ بطءِ سِمَنِه.

صبرٌ طويلٌ، حتى فقدَتِ الساحرةُ صبرَها بعدَ أربعةِ أسابيعَ، فقالتْ لِغريتيلَ بغضبٍ: "هانسيلُ قدْ يَسمنُ أو لا، لكنِّي سآكُلُه غداً، اذهبي واملأي الْقِدْرَ بالماءِ واشعلي النارَ." صرختْ غريتيلُ باكيةً بحرقةٍ: "يا إلهي، ساعدْنا! لوِ افترسَتْنا وحوشُ الغابةِ لكنَّا متنا معاً!" لكنَّ الساحرةَ صرخَتْ فيها بقسوةٍ: "اسكتي، لنْ يُفيدَكِ البكاءُ." وفي الصباحِ الباكرِ، أمَرَتِ الساحرةُ غريتيلَ أنْ تَخرُجَ وتُعلِّقَ الْقِدْرَ المملوءَ ماءً، وتُشعِلَ النارَ، ثمَّ قالتْ لها بدهاءٍ: "سَنَخبِزُ أولاً، لقدْ سخَّنْتُ الفرنَ وعجَنْتُ العجينَ." ودفَعَتْ غريتيلَ نحوَ الفرنِ المشتعلِ، الذي كانتْ ألسنةُ اللهبِ تَندفعُ منهُ كالتنانينِ، وقالتْ لها: "ادخلي وانظري إنْ كانَ ساخناً بما يكفي لِندفعَ الخبزَ فيه." كانتِ الساحرةُ تُريدُ أنْ تُغلِقَ الفرنَ على غريتيلَ وتَخبِزَها، فتأكُلَها هيَ الأخرى، لكنَّ غريتيلَ أدرَكَتْ نِيَّتَها الخبيثةَ، فقالتْ بذكاءٍ مُتَصنِّعٍ: "لا أعرِفُ كيفَ أفعَلُها، كيفَ أدخُلُ؟" فضحِكَتِ الساحرةُ وقالتْ باستهزاءٍ: "أيتها الإوزةُ الغبيَّةُ! الفتحةُ كبيرةٌ بما يكفي، انظري، أستطيعُ الدخولَ بنفسي." وزحفَتْ نحوَ الفرنِ، وأدخلَتْ رأسَها فيهِ كالثعلبِ الذي يَقَعُ في فخِّهِ. عندَها دفعَتْها غريتيلُ دَفعةً قويَّةً جعلَتْها تَطيرُ إلى داخِلِ النارِ، وأغلَقَتِ البابَ الحديديَّ بإحكامٍ، وأسقَطَتِ المزلاجَ الثقيلَ. يا للهولِ! كيفَ صرخَتْ، كانَ الصوتُ مُدَوِّياً ومُرعِباً، كأنَّ الغابةَ كلَّها تَصدَّعَتْ منْ هولِ الصرخةِ؛ لكنَّ غريتيلَ هَرَبَتْ مسرعةً، وتَرَكَتِ العجوزَ البائسةَ تَموتُ في جَحيمِها. طارَتْ غريتيلُ كالريحِ إلى هانسيلَ، وفتحَتْ بابَ الحظيرةِ الصغيرِ، وصرخَتْ باكيةً منَ الفرحِ: "هانسيلُ، نحنُ أحرارٌ، الساحرةُ العجوزُ ماتَتْ!" عندَها قفزَ هانسيلُ كالعصفورِ منَ القفصِ حينَ يُفتَحُ البابُ. كيفَ ابتهَجا، وتَساقَطا في أحضانِ بعضِهما، وقفَزا فرحاً، وتبادَلا القبلاتِ والدموعَ الساخنةَ كأنَّ الحياةَ عادَتْ إليهما منْ جديدٍ.

كنوزٌ عظيمةٌ كانتْ هيَ مكافأةُ الشجاعةِ والذكاءِ، فبعدَ أنْ أغلَقَتْ غريتيلُ بابَ الفرنِ على الساحرةِ الشريرةِ، وسمعا صراخَها يَخبو حتى خَمَدَ، وقفَ الطفلانِ ينظُرانِ إلى بعضِهما في دهشةٍ وفرحٍ، ثمَّ أمسكَتْ غريتيلُ بيدِ هانسيلَ، وقادَتْه إلى داخلِ الكوخِ. كانَ الكوخُ الصغيرُ الذي بدا منَ الخارجِ كوجبةٍ شهيةٍ، يَخفِي في داخلِه ثرواتٍ لا تُحصَى، ففي كلِّ زاويةٍ منْ زواياهُ كانتِ الصناديقُ مملوءةً باللؤلؤِ النَّضيدِ، والجواهرِ البرَّاقةِ، والذهبِ الخالصِ المُصفَّى. قالَ هانسيلُ بفرحٍ غامرٍ: "هذهِ أفضلُ منَ الحصى الذي جمعْتُه أولَ مرةٍ!" وشرعَ يَملأُ جيوبَه حتى تَخَرَّمَتْ، فقالَتْ غريتيلُ: "سأحضِرُ أنا أيضاً شيئاً إلى المنزلِ." وملأَتْ مئزرَها الواسعَ حتى كادَ يَتمزَّقُ منَ الثِّقلِ،

ثمَّ قالَ هانسيلُ بحزمٍ: "والآنَ، لِننهَضْ ونبتَعِدْ عنْ غابةِ الساحرةِ قبلَ أنْ يَعودَ لنا الشرُّ منْ جديدٍ." وكانتْ عيونهما تَلمعُ كالجواهرِ التي يحملانِها، فرحاً بأنَّ الرِّحْلَةَ لمْ تَكُنْ عبثاً، وأنَّ الألمَ كانَ طَريقاً نحوَ هذا النورِ.

بحيرةٌ واسعةٌ كانتْ هيَ العقبةَ الأخيرةَ في طريقِ عودتِهما، فبعدَ أنْ خرجا منَ الغابةِ المسحورةِ، سارا ساعاتٍ تحتَ وهجِ الشمسِ، حتى وصلا إلى ماءٍ رقراقٍ عظيمٍ، لا يَرَوْنَ لهُ نهايةً، ولا يَجِدونَ جسراً يعبرونَ بهِ، ولا قارباً يحملُهُمْ. نظرَ هانسيلُ إلى أختِه وقالَ بحسرةٍ: "لا نَستطيعُ العبورَ، لا أرى جسراً منْ أيِّ نوعٍ كان." فردَّتْ غريتيلُ باكيةً: "ولا قارباً أيضاً، لكنْ انظري! هناكَ بطةٌ بيضاءُ تَسبَحُ. إنْ سألْتُها رُبَّما تُعينُنا على العبورِ."
ونادَتْها غريتيلُ بصوتٍ عذبٍ صادحٍ:

"أيتها البطةُ البيضاءُ،
نحنُ أطفالٌ حزينانِ جداً،
لا جسرَ هنا، ولا قاربَ يَحمِلُنا،
خُذينا على ظهرِكِ النقيِّ،
وأقلينا عبرَ الماءِ، كواكْ كواكْ!"

اقترَبَتِ البطةُ بِهُدوءٍ، وحملَتْ هانسيلَ على ظهرِها، فأشارَ هانسيلُ إلى أختِه أنْ تجلِسَ بجانبِه، لكنَّ غريتيلَ رفَضَتْ وقالتْ بحكمةٍ: "لا، سنكونُ حِملاً ثقيلاً على ظهرِ البطةِ، دعْها تحملُنا واحدةً تلوَ الأخرى." ففعَلَتِ البطةُ الطيبةُ ذلك، وحملَتْ هانسيلَ أولاً، ثمَّ عادَتْ لِتُقلَّ غريتيلَ، حتى أنزلَتْهما على الضفَّةِ الآمنةِ، وكأنَّ القدرَ كانَ يَستعدُّ لهذهِ اللحظةِ بالذاتِ.

عودةٌ إلى جذورِ الحياةِ، فما إنْ وطِئَتْ قدَماهما الأرضَ اليابسةَ حتى عرفا معالمَ الطريقِ، وراحا يَعدوانِ كالغزلانِ التي أفلتَتْ منَ الأفخاخِ. كانتْ أشجارُ الغابةِ التي كانتْ تُخيفُهُما تَبدو الآنَ كأصدقاءَ يَستقبلونَهُما، والطيورُ تُغرِّدُ بفرحٍ كأنَّها تُباركُ لهما النجاةَ. وأخيراً، بدا منزلُ أبيهما في الأفقِ، يتلألأُ بينَ أغصانِ الأشجارِ. اندفعا نحوَ البابِ، ودخلا مسرعينَ، فإذا بأبيهما الحطَّابِ جالسٍ على الأرضِ يَبكي بحُرقةٍ، إذْ لمْ يَمُرَّ عليهِ يومٌ هانئٌ منذُ أنْ ترَكَ أطفالَه في الغابةِ. احتضنَ الأبُ طفلَيهِ باكياً، وقبَّلَ جباهَهُما، وكأنَّ الحياةَ عادَتْ إلى قلبِه النابضِ الذي كادَ أنْ يَتَوقَّفَ. أمَّا زوجةُ الأبِ الشريرةُ، فقدْ ماتَتْ في غيابِهما.

سعادةٌ غمرَتِ الكوخَ الصغيرَ حينَ أفرغَ الطفلانِ جيوبَهُما ومآزِرَهُما على الأرضِ، فتَراصَفَتِ الجواهرُ واللؤلؤُ والذهبُ في كوماتٍ تتلألأُ، وتدحرَجَتْ حباتُ اللؤلؤِ والحجارةُ الكريمةُ في أرجاءِ الغرفةِ كأنَّها نجومٌ تساقطَتْ منَ السماءِ. لمْ يَعُدْ هناكَ جوعٌ، ولمْ يَعُدْ هناكَ خوفٌ، بلْ أصبحَ البيتُ يَفيضُ بالرخاءِ، وعاشَ الأبُ وأبناؤُه في هناءٍ لا ينقطعُ، وأكلوا وشربوا، ونسُوا آلامَ الماضي كأنَّها حلمٌ ثقيلٌ انقشعَ بضوءِ الفجرِ. وهكذا تنتهي الحكايةُ، كما ترويها الجدَّاتُ، بقولِ الراوي الخاتمِ: "انتهتْ حكايتي، ها هوَ فأرٌ صغيرٌ يَمُرُّ، مَن يَستطِعْ أنْ يَمسكَهُ يَصنعْ لنفسِه قُبَّعَةً منْ فَرْوِه."

تظلُّ العبرةُ باقيةً. نعم، تتكررُ الأنماطُ في الحكاياتِ، وتتشابهُ الحبكاتُ كما تشابَهَتْ في "الأُصْبَعِ الصَّغِيرِ" و"هانسيلَ وغريتيلَ". لكنَّ الجوهرَ الذي يَصِلُ إلى القلبِ هوَ ذلكَ النورُ الذي يَشعُّ في عيونِ الأطفالِ حينَ يَنتصرونَ على الخوفِ، وتلكَ القُدْرةُ التي تَمنحُنا إيَّاها الحكاياتُ على تذكُّرِ أنَّ الألمَ قدْ يكونُ طَريقاً نحوَ الكنزِ، وأنَّ الحبَّ بينَ الإخوةِ أقسى منْ سحرِ الساحراتِ، وأنَّ الفقرَ ليسَ نهايةَ الدربِ إذا ما صَحِبَهُ الأملُ. القلبُ يَشعُرُ بالحقيقةِ العميقةِ التي لا تتغيَّرُ: أنَّ الشرَّ يَأكُلُ نفسَه في النهايةِ، وأنَّ الطيبةَ، مهما طالَ بها الطريقُ، تَصِلُ إلى ديارِ الأمانِ.

—

سَنُووايْتُ ورُوزرِيدُ

—

أرملةٌ فقيرةٌ، كانتْ تسكُنُ في كوخٍ صغيرٍ مُتواضِعٍ، يتقدَّمُهُ حديقةٌ، وفي وسَطِ تلكَ الحديقةِ، نَبَتَتْ شَجَرَتا وَرْدٍ عَجيبَتانِ: إحداهُما تَتَفَجَّرُ وَرْداً أبيضَ ناصِعاً، والأُخْرى تَتَفَتَّحُ وَرْداً أحمَرَ قانِياً. وقدْ رَزَقَ اللهُ تِلكَ الأرملةَ بِابْنَتَيْنِ، كانَتا كَشَجَرَتَي الوَرْدِ تَماماً: إحداهُما سُمِّيَتْ "سَنُووايْتَ" (أيِ الثَّلْجِيَّةَ البَيْضاءَ)، وكانَتْ أَكْثَرَ هُدوءاً وَرِقَّةً منْ أختِها، والأُخْرى سُمِّيَتْ "رُوزرِيدَ" (أيِ الوَرْدَةَ الحَمْراءَ)، وكانَتْ أَكْثَرَ مَرَحاً وَنَشاطاً. وكانَتا مِنْ أَلْطَفِ الأَطْفالِ وَأَبَرِّهِمْ في الدُّنيا، دَؤُوبَتَيْنِ، مَرِحَتَيْنِ. أمَّا رُوزرِيدُ، فكانَتْ تُحِبُّ الجَرْيَ في الحُقُولِ والمُروجِ، وتَقْطِفُ الأَزْهارَ وتَصِيدُ الفَراشاتِ؛ وَأَمَّا سَنُووايْتُ، فكانَتْ تَجْلِسُ في البَيْتِ مَعَ أُمِّها، وتُساعِدُها في الأَعْمالِ المَنْزِلِيَّةِ، أَو تَقْرَأُ لَها بِصَوْتٍ عالٍ حينَ لا يَكونُ هُناكَ عَمَلٌ.

رابطةٌ وثيقةٌ كانتْ تَجْمَعُ الأُخْتَيْنِ، فَكُلَّما خَرَجَتا تَمَشَّيْتا يَداً بِيَدٍ، وكُلَّما قالَتْ سَنُووايْتُ: "لَنْ نَتَفارَقَ أَبَداً"، أَجابَتْها رُوزرِيدُ: "أَبَداً، ما حَيِينا". وكانَتْ أُمُّهما تُضيفُ: "وَما تَمْلِكُ واحِدَةٌ، فَلِلْأُخْرَى نَصِيبٌ مِنْهُ". كانَتا تَغُوصانِ في الغاباتِ لِقَطْفِ التُّوتِ، فَلا يُؤْذيهِما حَيَوانٌ، بَلْ كانَتِ الوُحوشُ تَأْتيهِما بِثِقَةٍ: الأَرْنَبُ الصَّغِيرُ يَرْتاحُ في حُجُورِهِما، والغَزالَةُ تَرْعَى بِجِوارِهِما، واليَحْمُورُ يَمُرُّ مُرَحِّباً، والأَطْيارُ تُغَرِّدُ لَهُما على الأَغْصانِ. وإذا ما أَبْطَأَتا حَتَّى حَلَّ الظَّلامُ، كانَتا تَضْطَجِعانِ معاً على طَحْلَبِ الغابَةِ الناعِمِ، وتَنامانِ حَتَّى يُوقِظَهُما ضَوْءُ الصَّباحِ، وأُمُّهما لا تَخافُ عَلَيْهِما، لِعِلْمِها بِطَهارَةِ قُلوبِهِما.

رؤيا عجيبةٌ رأَتاها ذاتَ فَجْرٍ، فَقَدِ اسْتَيْقَظَتا عَلى مَنْظَرِ طِفْلَةٍ بَدِيعَةٍ، تَرْتَدي ثَوْباً أَبْيَضَ كالنُّورِ، تَجْلِسُ بِالقُرْبِ مِنْ مَضْجَعِهِما. نَهَضَتِ الطِّفْلَةُ، وأَلْقَتْ عَلَيْهِما نَظْرَةً حانِيَةً مَلِيئَةً بِالحُبِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ تَخْتَرِقُ أَشْجارَ الغابَةِ حَتَّى تَلاشَتْ كَسَرابٍ. وعِنْدَما نَظَرَتا حَوْلَهُما، وَجَدَتا أَنَّهُما كانَتا نائِمَتَيْنِ عَلى حافَّةِ هاوِيَةٍ سَحِيقَةٍ، لَوْ تَقَدَّمَتا خُطُواتٍ في الظَّلامِ لَسَقَطَتا. فَلَمَّا حَكَتا لِأُمِّهِما ما رَأَتاهُ، قالَتْ لَهُما: "لَقَدْ كانَ ذَلِكَ مَلَكاً مِنَ السَّماءِ يَحْرُسُ الأَطْفالَ الصَّالِحِينَ".

حياةٌ بَسِيطَةٌ وادِعَةٌ كانَتْ تَعيشُها الأُسْرَةُ في كَوْخِها، فَتُنَظِّفانِهِ بِإِتْقانٍ، وتُبْقِيانِهِ أَنْيَقَ ما يَكُونُ، حَتَّى كانَ دُخولُهُ مُتْعَةً لِلنَّفْسِ. وفي الصَّيْفِ، كانَتْ رُوزرِيدُ تَقومُ عَلى شُؤونِ البَيْتِ، وتَضَعُ كُلَّ صَباحٍ بُاقَةَ وَرْدٍ عَلى سَريرِ أُمِّها، مُشْتَمِلَةً عَلى وَرْدَةٍ مِنْ كُلِّ شَجَرَةٍ. وفي الشِّتاءِ، كانَتْ سَنُووايْتُ تُشْعِلُ النَّارَ في المَوْقِدِ، وتَضَعُ الغَلاَّيَةَ النُّحاسِيَّةَ الَّتِي تَلْمَعُ كَالذَّهَبِ مِنْ شِدَّةِ الصَّقْلِ. وفي المَساءِ، حينَ تَتَساقَطُ رُقاقاتُ الثَّلْجِ كَالرِّيشِ الأَبْيَضِ، كانَتِ الأُمُّ تَقُولُ: "سَنُووايْتُ، أَغْلِقِي المَصاريعَ". ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ حَوْلَ المَدْفَأَةِ المُشْتَعِلَةِ، وتَرْتَدِي الأُمُّ نَظَّاراتِها الكَبيرَةَ، وتَقْرَأُ لَهُما مِنْ كِتابٍ ضَخْمٍ، بَيْنَما تَسْتَمِعانِ بِشَغَفٍ وتَغْزِلانِ الخُيُوطَ بِأَيْديهِما الصَّغِيرَتَيْنِ، وإلى جانِبِهِما خَرُوفٌ صَغيرٌ يَثْغُو، وخَلْفَهُما حَمامَةٌ بَيْضاءُ تَخْبِئُ رَأْسَها تَحْتَ جَناحِها.

دبٌّ هائِلٌ أَسْوَدُ كانَ طارِقَ بابِهِنَّ ذاتَ مَساءٍ، إِذْ سَمِعْنَ خَبْطاً عَنيفاً، قالَتِ الأُمُّ: "رُوزرِيدُ، اِفْتَحِي البابَ، فَلَعَلَّهُ مُسافِرٌ يَبْتَغِي المَبِيتَ". فَتَحَتْ رُوزرِيدُ البابَ، وظَنَّتْ في ظَلامِ اللَّيْلِ أَنَّها تَرى رَجُلاً فَقيراً يَقِفُ في الخارِجِ، لكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ سِوَى دُبٍّ ضَخْمٍ، جِسْمُهُ كَالجَبَلِ، يَنْدَفِعُ بِرَأْسِهِ الأَسْوَدِ الكَثيفِ إِلى

الدَّاخِلِ. صَرَخَتْ رُوزرِيدُ وَارْتَدَّتْ إِلى الوَراءِ فَزِعَةً، وثَغا الخَرُوفُ وَرَفْرَفَتِ الحَمامَةُ، واخْتَبَأَتْ سَنُووايْتُ خَلْفَ سَريرِ أُمِّها. لكِنَّ الدُبَّ نَطَقَ بِصَوْتٍ خَشِنٍ حانٍ: "لا تَخَفْنَ، لَنْ أُوذِيَكُنَّ، أَنا مُتَجَمِّدٌ، وأَرْغَبُ في التَّدَفُّئِ قَلِيلاً، فَقَدْ كادَ البَرْدُ يُفْصِمُ عِظامي". فَقالَتِ الأُمُّ: "تَعَالَ يا دُبِّي المَسْكِينُ، اِسْتَلْقِ بِجانِبِ النَّارِ، لكِنِ احْذَرْ أَنْ تَحْرِقَ فَرْوَكَ الثَّمينَ". ثُمَّ نادَتِ الفَتاتَيْنِ: "أُخْرُجا، لَنْ يَضُرَّكُما هذا الدُّبُّ، إِنَّهُ مَخْلوقٌ صالِحٌ".

أُنسٌ غَمَرَ القَلْبَ، فَقَدْ خَرَجَتِ الفَتاتانِ مِنْ مَخْبَأَيْهِما، وَدَنَتْ مِنهُ الحَمامَةُ والخَروفُ أَيْضاً، وتَلاشَى الخَوْفُ كَسَحابَةٍ صَيْفِيَّةٍ. وسُرْعانَ ما ائْتَلَفْتْ مَعَهُ، وصارَ الدُّبُّ صَديقَهُما المُفَضَّلَ، فَأَخَذَتا تَلْعَبانِ مَعَهُ بِشَغَفٍ: تَجْذِبانِ فَرْوَهُ الكَثيفَ، وتَضَعانِ أَقْدامَهُما الصَّغِيرَةَ عَلى ظَهْرِهِ وتَتَدَحْرَجانِ فَوْقَهُ، وتَأْخُذانِ قَضيبَ البُنْدُقِ وتَضْرِبانِهِ بِهِ، وإِنْ هَمْهَمَ مِنَ الأَلَمِ ضَحِكْتا بِمَرَحٍ. وكانَ الدُبُّ يَتَحَمَّلُ كُلَّ ذَلِكَ بِحُسْنِ نِيَّةٍ، حَتَّى إِذا ما أَفْرَطَتا في المَزاحِ، قالَ بِصَوْتٍ شِعْرِيٍّ رَقيقٍ:
"سَنُووايْتُ ورُوزرِيدُ، لا تَضْرِبا حَبِيبَكُما حَتَّى المَماتِ".
وعِنْدَما حانَ وَقْتُ النَّوْمِ، قالَتِ الأُمُّ لَهُ: "اِسْتَلْقِ عَلى مَدْفَأَةِ المَوْقِدِ، فَهِيَ مَأْوىً لَكَ مِنَ البَرْدِ والمَطَرِ". وفي الصَّباحِ، كانَ يَخْرُجُ يَعْدُو في الثُّلُوجِ عائِداً إِلى الغابَةِ، حَتَّى صارَ لا يَأْتِي إِلاَّ عِنْدَ المَساءِ، وتَعَوَّدْنَ عَلى وُجودِهِ، فَما كُنَّ يُغْلِقْنَ البابَ قَبْلَ أَنْ يَحْضُرَ.

ربيعٌ أَزْهَرَتْ فيهِ الأَرْضُ، وذابَ الثَّلْجُ، فَقالَ الدُّبُّ ذاتَ صَباحٍ لِسَنُووايْتَ: "الآنَ يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ، ولَنْ أَعودَ طَوالَ الصَّيْفِ، فَعَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ إِلى الغابَةِ لِأَحْمِيَ كَنْزِي مِنَ الأَقْزامِ الأَشْرارِ، فَفِي الشِّتاءِ يَضْطَرُّونَ للبَقاءِ تَحْتَ الأَرْضِ، أَمَّا الآنَ فَقَدِ انْفَتَحَتِ الأَرْضُ، وسَيَخْرُجُونَ لِيَسْرِقُوا". حَزِنَتْ سَنُووايْتُ، وعِنْدَما فَتَحَتْ لَهُ البابَ لِيَخْرُجَ، عَلِقَ جُزْءٌ مِنْ فَرْوِهِ بِمِقْبَضِ البابِ، فَلَمَحَتْ سَنُووايْتُ لَمْعَةَ ذَهَبٍ تَحْتَهُ، لكِنَّها لَمْ تُولِها اهْتِماماً، وأَسْرَعَ الدُّبُّ في هُرُوبِهِ حَتَّى تَوارَى خَلْفَ الأَشْجارِ.

قزمٌ عَجوزٌ بَشِعُ المَنْظَرِ، لَهُ لِحْيَةٌ طَوِيلَةٌ كَأَنَّها ذِراعُ إِنْسانٍ، كانَ ما وَجَدَتاهُ بَعْدَ أَيَّامٍ حينَ أَرْسَلَتْهُما الأُمُّ لِجَمْعِ الحَطَبِ. رَأَتا شَجَرَةً مَقْطُوعَةً، وعَلى جِذْعِها شَيْءٌ يَقْفِزُ ويَثِبُ كَالكَلْبِ المَرْبُوطِ، فاقْتَرَبَتا، وإِذا بِقَزْمٍ وَجْهُهُ مُتَجَعِّدٌ كَقِشْرِ الجَوْزِ، ولِحْيَتُهُ مَحْشُورَةٌ في شَقِّ الجِذْعِ. حَدَّقَ فيهما بِعَيْنَيْنِ حَمْراوَيْنِ مُلْتَهِبَتَيْنِ، وصاحَ بِغَضَبٍ: "ما ذا تَفْعَلانِ هُناكَ؟ أَلا تُساعِدانِني بِسُرْعَةٍ؟!"

سَأَلَتْهُ رُوزرِيدُ بِوَداعَةٍ: "ما الَّذِي كُنْتَ تَفْعَلُهُ أَيُّها الرَّجُلُ الصَّغِيرُ؟" صَرَخَ بِسُخْرِيَةٍ: "أَيَّتُها الإِوَزَّةُ الغَبِيَّةُ! كُنْتُ أَشُقُّ الجِذْعَ لِأَحْصَلَ عَلى رُقاقاتِ خَشَبٍ لِمَطْبَخِنا، لكِنَّ الخَشَبَ كانَ زَلِقاً، فانْفَلَتَ الإِسْفِينُ، وانْضَمَّ الجِذْعُ، وعَلِقَتْ لِحْيَتِي الجَمِيلَةُ، وأَنْتُما تَقِفانِ وتَضْحَكانَ كَالسُّخَفاءِ! آهٍ، أَيَّتُها الفَتياتُ السَّخِيفاتُ ذَواتُ الوُجوهِ النَّاعِمَةِ المائِيَّةِ اللَّبَنِيَّةِ!" وعِنْدَما حاوَلْنَ تَحْرِيرَهُ، صَرَخَ بِغَضَبٍ أَشَدَّ: "أَيَّتُها الكُتَلُ الغَبِيَّةُ! أَلا يَخْطُرُ بِبالِكُنَّ أَكْثَرُ مِنْ هَذا؟"

مساعدةٌ بادَرَتا بِها الفَتاتانِ، لكِنَّهُما عَجَزَتا عَنْ تَحْرِيرِ اللِّحْيَةِ، فَقالَتْ رُوزرِيدُ: "سَأَذْهَبُ لِأَجْلِبَ أَحَداً يَنْجِدُنا". صَرَخَ القَزْمُ: "أَتُرْسِلِينَ أَحَداً؟ أَنْتُما اثْنَتانِ كَثِيرَتانِ عَلَيَّ!" فَقالَتْ سنُووايْتُ بِرِقَّةٍ: "لا تَضْجَرْ، سَأُساعِدُكَ". وَأَخْرَجَتْ مِقَصَّها الصَّغِيرَ مِنْ جَيْبِها، وقَطَعَتْ بِه طَرَفَ لِحْيَتِهِ بِحَذَرٍ. وما إِنْ شَعَرَ القَزْمُ بِالحُرِّيَّةِ حَتَّى أَمْسَكَ كِيساً مَلِيئاً بِالذَّهَبِ كانَ مَخْبَأً بَيْنَ جُذورِ الشَّجَرَةِ، ووَضَعَهُ عَلى ظَهْرِهِ، وقالَ بِغَضَبٍ مُتَذَمِّراً: "لَعْنَةُ اللهِ عَلى هَذِهِ الوَقاحَةِ! لَقَدْ قَطَعْتُنَّ جُزْءاً مِنْ لِحْيَتِي الرَّائِعَةِ!" ثُمَّ انْطَلَقَ يَجُرُّ رِجْلَيْهِ، وتَوارَى عَنْ أَنْظارِهِما دُونَ أَنْ يُلْقِيَ نَظْرَةً إِلَيْهِما مَرَّةً أُخْرَى.

نهرٌ كانَ مَسْرَحَ المُصادَفَةِ الثَّانِيَةِ، فَبَيْنَما كانَتِ الفَتاتانِ تَصْطادانِ السَّمَكَ، رَأَتا شَيْئاً كَالْجُنْدُبِ العِمْلاقِ يَقْفِزُ نَحْوَ الماءِ، فَعَرَفَتا القَزْمَ. سَأَلَتْهُ رُوزرِيدُ بِدَهْشَةٍ: "أَتُرِيدُ أَنْ تَقْفِزَ في الماءِ؟" صَرَخَ بِخَوْفٍ: "لَسْتُ بِأَحْمَقَ! أَلا تَرَيْنَ أَنَّ السَّمَكَةَ تُحاوِلُ جَرِّي إِلى العُمْقِ؟" كانَتْ لِحْيَتُهُ قَدْ تَشابَكَتْ في خَيْطِ الصَّيْدِ، وعِنْدَما عَضَّتْ سَمَكَةٌ كَبِيرَةٌ الخَيْطَ، جَرَّتْهُ بِقُوَّةٍ نَحْوَ الماءِ، وهوَ يَتَشَبَّثُ بِكُلِّ عُشْبٍ وقَصَبَةٍ عَلى ضِفَّةِ النَّهْرِ، لكِنَّهُ كانَ يَنْجَرُّ لا مَحالَةَ. أَنْقَذَتاهُ مَرَّةً أُخْرَى، لكِنَّهُما اضْطُرَّتا إِلى قَطْعِ جُزْءٍ آخَرَ مِنْ لِحْيَتِهِ لِفَكِّ الاشْتِباكِ. فَغَضِبَ غَضَباً شَدِيداً، وصَرَخَ: "هَلْ هَذِهِ أَخْلاقُكُنَّ؟ أَتُشَوِّهْنَ وَجْهَ رَجُلٍ؟ لَقَدْ قَصَّرْتُنَّ لِحْيَتِي المَرَّتَيْنِ، والآنَ تَقْطَعْنَ أَجْمَلَ جُزْءٍ مِنْها! كَيْفَ سَأَظْهَرُ أَمامَ قَوْمِي بِهَذا المَنْظَرِ المَشِينِ؟ لَيْتَكُنَّ كُنْتُنَّ في أَرِيحا أَوَّلاً!" ثُمَّ حَمَلَ كِيساً مِنَ اللُّؤْلُؤِ كانَ مَخْبَأً بَيْنَ القَصَبِ، وانْطَلَقَ يَشْتِمُ وَهُوَ يَخْتَفِي خَلْفَ الصُّخورِ دُونَ أَنْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ أُخْرَى.

طائِرٌ كبيرٌ هائلُ الجَناحَيْنِ كانَ هُوَ الخَطَرَ الثَّالِثَ، فَبَيْنَما كانَتِ الفَتاتانِ في طَرِيقِهِما إِلى المَدِينَةِ لِشِراءِ الإِبَرِ وَالخُيُوطِ، رَأَتا نَسْراً يَحومُ في السَّماءِ، يَنْزِلُ بِبُطْءٍ حَوْلَهُما، حَتَّى اسْتَقَرَّ عَلى صَخْرَةٍ قَرِيبَةٍ، ثُمَّ انْقَضَّ كالصَّاعِقَةِ لِيَخْطِفَ القَزْمَ. أَمْسَكَتا بِالقَزْمِ بِشَجاعَةٍ، وصارَعَتا النَّسْرَ طَوِيلاً حَتَّى أَفْلَتَهُ

مِنْ مَخالِبِهِ. لكِنَّ القَزْمَ، بَدَلَ أَنْ يَشْكُرَهُما، صَرَخَ بِغَضَبٍ: "لَقَدْ مَزَّقْتُنَّ مِعْطَفِي الرَّقِيقَ الصَّغِيرَ إِرْباً إِرْباً! أَيُّ فَتياتٍ عاجِزاتٍ خِرْقاتٍ أَنْتُنَّ!" ثُمَّ حَمَلَ كِيساً مِنَ الجَواهِرِ الثَّمِينَةِ وانْدَسَّ تَحْتَ الصُّخورِ في كَهْفِهِ، تارِكاً الفَتاتَيْنِ في حَيْرَةٍ مِنْ جُحُودِهِ.

غروبُ الشَّمْسِ كانَ شاهِداً عَلى اللِّقاءِ الأَخِيرِ، فَفِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِما، مَرَّتا بِالقَزْمِ وَهُوَ يَصُبُّ جَواهِرَهُ الثَّمِينَةَ عَلى أَرْضٍ مُكْشَتَفَةٍ، يَظُنُّ أَنَّ لا أَحَدَ سَيَمُرُّ في تِلْكَ السَّاعَةِ المُتَأَخِّرَةِ. تَوَقَّفَتا لِتُعايِنَا تَلأْلُؤَ الجَواهِرِ تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ العَصِيَّةِ، فَصَرَخَ فيهِما بِشِدَّةٍ واحْمَرَّ وَجْهُهُ كَالْقِرْمِزِ مِنَ الغَضَبِ: "ما ذا تَقِفانِ تُحَدِّقانِ؟!" لكِنَّ زَئِيراً مُدَوِّياً قَطَعَ كَلامَهُ، وإِذا بِالدُّبِّ الأَسْوَدِ الضَّخْمِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الأَشْجارِ، يَهُزُّ رَأْسَهُ بِقُوَّةٍ. فَزِعَ القَزْمُ فَزَعاً شَدِيداً، وصَرَخَ مُسْتَغِيثاً بِخَوْفٍ: "أَيُّهَا الدُّبُّ العَظِيمُ، اِرْحَمْنِي! سَأُعْطِيكَ كُلَّ كُنوزِي! أُنْظُرْ إِلى هَذِهِ الجَواهِرِ الثَّمِينَةِ المَكْدُوسَةِ هُنا. ما المَتْعَةُ الَّتِي سَتَحْصُلُ عَلَيْها مِنْ كائِنٍ ضَعِيفٍ حَقِيرٍ مِثْلِي؟ لَنْ تَشْعُرَ بِي بَيْنَ أَسْنانِكَ. هُناكَ، أَمْسِكْ هاتَيْنِ الفَتاتَيْنِ الشِّرِّيرَتَيْنِ، فَهُما لُقْمَةٌ شَهِيَّةٌ لَكَ، سَمِينَتَا كَطَيْرِ السُّمَّانِ الصَّغِيرِ، كُلْهُما في سَبِيلِ اللهِ!" لكِنَّ الدُّبَّ لَمْ يُلْقِ بالاً لِكَلامِهِ، ورَفَعَ مِخْلَبَهُ الهائِلَ، وضَرَبَ القَزْمَ ضَرْبَةً واحِدَةً فَصَرَعَهُ، فَلَمْ يَتَحَرَّكْ بَعْدَها. أَمَّا الفَتاتانِ فَهَرَبَتا خائِفَتَيْنِ، لكِنَّ الدُّبَّ ناداهُما بِصَوْتٍ مَأْلُوفٍ: "سَنُووايْتُ ورُوزرِيدُ، لا تَخافا! اِنْتَظِرا، سَأَلْحَقُ بِكُما."

تحرُّرٌ كانَ هُوَ المَكْسَبَ العَظِيمَ، فَقَدْ تَقَدَّمَ الدُّبُّ نَحْوَ الفَتاتَيْنِ، وإِذْ بِجِلْدِهِ يَنْسَلِخُ كَثَوْبٍ، وإِذا بِأَمِيرٍ وَسِيمٍ يَقِفُ أَمامَهُما، يَرْتَدي ثِياباً مِنَ الذَّهَبِ الخالِصِ، تَتَلأْلأُ كَالنُّجُومِ. قالَ لَهُما بِصَوْتٍ دافِئٍ: "أَنا ابْنُ مَلِكٍ، قَدْ سَحَرَنِي هَذا القَزْمُ الشِّرِّيرُ، وَسَرَقَ كُنوزِي، وأَجْبَرَنِي عَلى التَّجَوُّلِ في الغابَةِ كَدُبٍّ وَحْشِيٍّ، حَتَّى يَمُوتَ فَيَزُولَ السِّحْرُ، والآنَ، لَقَدْ نالَ جَزاءَهُ العادِلَ، وأَنا حُرٌّ بِفَضْلِكُما". تَزَوَّجَتْ سَنُووايْتُ مِنَ الأَمِيرِ، وتَزَوَّجَتْ رُوزرِيدُ مِنْ أَخِيهِ، وقَسَمَا بَيْنَهُما الكَنْزَ العَظِيمَ الَّذِي جَمَعَهُ القَزْمُ في كَهْفِهِ. وعاشَتِ الأُمُّ العَجُوزُ سِنِينَ طَوِيلَةً بِسَلامٍ مَعَ أَبْنائِها، وحَمَلَتْ مَعَها شَجَرَتَي الوَرْدِ، فَكانَتا تَقِفانِ أَمامَ نافِذَتِها، وكُلَّ عامٍ تُزْهِرانِ بِأَجْمَلِ الوُرودِ البَيْضاءِ والحَمْراءِ.

تَنْتَهِي حِكايَةُ "سَنُووايْتَ وَرُوزرِيدَ"، تارِكَةً في القَلْبِ عِبْرَةً. أَنَّ اللُّطْفَ والتَّواضُعَ هُما مِفْتاحُ القُلُوبِ، وأَنَّ الصَّبْرَ على الأَذى يُثْمِرُ خَيْراً، وأَنَّ الشَّرَّ لا بُدَّ أَنْ يَأْكُلَ نَفْسَهُ في النِّهايَةِ، وأَنَّ الحُبَّ بَيْنَ الإِخْوَةِ أَقْوى مِنْ سِحْرِ

الأَقْزامِ، وأَنَّ الوُرودَ، بَيْضاءَ كانَتْ أَمْ حَمْراءَ، تَظَلُّ تُزْهِرُ في حَدائِقِ النُّفوسِ الطَّيِّبَةِ، ما دامَ في الدُّنْيا مَنْ يَرْعاها بِحُبٍّ صادِقٍ، وقَلْبٍ يُؤْمِنُ بِأَنَّ الجَمالَ الحَقِيقِيَّ يَسْكُنُ في الدَّاخِلِ، لا في المَظْهَرِ.

—

فتاة الأوز

—

ملكةٌ عجوزٌ كانتْ قدْ فقدَتْ زوجَها منذُ سنواتٍ، وكانَ لها ابنةٌ وحيدةٌ جميلةٌ، خطَبَها أميرٌ منْ مملكةٍ بعيدةٍ. وحانَ وقتُ رحيلِ الفتاةِ إلى بلادِ زوجِها، فجهَّزَتْها أمُّها بكلِّ ما يَلِيقُ بأميرةٍ: جواهرَ، وثياباً، وذهباً، وفضةً، وكلَّ ما تَحتاجُ إليهِ عروسٌ في رحلَتِها. وأعطَتْها وصيفةً تُرافِقُها، وخَصَّصَتْ لكلٍّ منهما حصاناً. كانَ حصانُ الأميرةِ يُدعى "فالادا" (Falada)، وكانَ يتكلَّمُ.

وحينَ جاءَ وقتُ الوداعِ، أخذَتِ الأمُّ سكيناً صغيرةً، وشقَّتْ إصبعَها حتى نزفَ الدمُ، ثمَّ وضعَتْ قطعةَ قماشٍ بيضاءَ تحتَ الجرحِ، وترَكَتْ ثلاثَ قطراتٍ منَ الدماءِ تسقُطُ عليها، وأعطَتْها لابنتِها وقالتْ: "اِحْفَظي هذهِ القطعةَ يا صغيرتي، فقدْ تكونُ لكِ عوناً في الشدائدِ". ودَّعَتِ الأمُّ ابنتَها وداعاً حزيناً، وغرَّزَتِ الأميرةُ قطعةَ القماشِ في مقدَّمةِ ثوبِها، ثمَّ ركبتْ جوادَها، وانطلَقَتْ معَ وصيفتِها في رحلَتِها الطويلةِ.

عطشٌ ألحَّ على الأميرةِ بعدَ ساعةٍ منَ السيرِ، فقالَتْ لوصيفتِها: "اِنْزِلي يا أختي، وائْتيني بماءٍ منْ هذا النهرِ لأَشربَ في كأسي الذهبيةِ". لكنَّ الوصيفةَ ردَّتْ بوقاحةٍ: "إنْ كُنْتِ عطشى، فاِنْزِلي بنفسِكِ واشربي، فلنْ أَخْدُمَكِ بعدَ اليومِ". نزلَتِ الأميرةُ باكيةً، وانحَنَتْ على النهرِ لتَشربَ، وسقطَتْ قطعةُ القماشِ الملطخةِ بالدماءِ منْ صدرِها، وانجرفَتْ معَ التيارِ، دونَ أنْ تَلحَظَها.
همسَتِ القطراتُ الثلاثُ وهيَ تَغيبُ في الماءِ:
"لَوْ عَلِمَتْ أُمُّكِ بما جَرى،
لانْكَسَرَ قلبُها أَسىً".

خيانةٌ كانتْ هيَ الخطوةَ التاليةَ، فقدْ رأتِ الوصيفةُ سقوطَ القطعةِ، وعلمَتْ أنَّ الأميرةَ فقدَتْ حمايتَها، فصرخَتْ فيها: "اِنْزِلي عنْ حصانِكِ فالادا، وارْكبي حصانيَ الأعرجَ، واخلَعي ثيابَكِ الملكيةَ، والبسي ثيابيَ الرثّةَ". وأجبرَتِ الأميرةَ على أنْ تُقسِمَ ألاَّ تَقولَ لأحدٍ ما حدثَ، وإلاَّ قَتَلَتْها. ركبتِ الوصيفةُ حصانَ "فالادا"، وركبتِ الأميرةُ الحقيقيَّةُ الحصانَ الأعرجَ، وانطلقَتا إلى القصرِ.

بلاطٌ ملكيٌّ، استقبلَ الأميرُ الوصيفةَ وهيَ راكبةٌ على "فالادا"، وظنَّها عروسَه، فأدخلَها إلى القصرِ، بينما تُرِكَتِ الأميرةُ الحقيقيَّةُ واقفةً في الفناءِ. رأى الملكُ العجوزُ، والدُ الأميرِ، الفتاةَ الواقفةَ، فأعجبَهُ جمالُها وحُزْنُها، وسألَ الوصيفةَ عنها، فقالتْ: "إنَّها وصيفَتي، اِمنَحْها عملاً لا يُبقيها عاطلةً". ففكَّرَ الملكُ، وقالَ: "سَتُساعِدُ الفتى الذي يَرْعى الإوزَّ". وكانَ اسمُ الفتى "كوردكن" (Curdken)، فأصبحَتِ الأميرةُ الحقيقيَّةُ راعيةَ إوزٍّ.

خوفٌ كانَ في قلبِ الوصيفةِ منْ أنْ يُفشيَ حصانُ "فالادا" السرَّ، فأمرَتِ الأميرَ بأنْ يَذْبَحَ الحصانَ، بحجةِ أنَّهُ كانَ عَنيداً في الرحلةِ. ذُبِحَ "فالادا"، لكنَّ الأميرةَ الحقيقيَّةَ توسَّلَتْ إلى الجزارِ أنْ يُعلِّقَ رأسَ الحصانِ على البوابةِ الكبيرةِ التي تَمُرُّ منها كلَّ صباحٍ ومساءٍ معَ قطيعِ الإوزِّ. ففعَلَ.

بوابةٌ كبيرةٌ، مرَّتْ منْ تحتها الأميرةُ معَ "كوردكن" في صباحِ اليومِ التالي، فنظرَتْ إلى رأسِ "فالادا" وقالتْ:
"آه، يا فالادا، هلْ أنتَ هناكَ؟"
فأجابَ الرأسُ:
"آه، يا أميرتي، هلْ أنتِ هنا؟
لوْ عَلِمَتْ أُمُّكِ بما جَرى،
لانْكَسَرَ قلبُها أَسىً".

انطلقا إلى المرجِ الأخضرِ حيثُ كانتِ الأميرةُ تَرْعى الإوزَّ، فجلستْ تحلُّ شعرَها الذهبيَّ الذي كانَ يَتَلألأُ كالشمسِ في الضِّياءِ. أحبَّ "كوردكن" منظرَهُ، ورغِبَ بشدةٍ أنْ يَنتزِعَ بعضَ خُصَلِه، لكنَّ الأميرةَ نادَتْ:
"أَيَّتُها الريحُ، هُبِّي بلُطْفٍ،
وخُذي قُبَّعَةَ كوردكنَ بعيداً،

لِيَرْكُضَ وراءَها في الحقولِ،
حتى أُسَرِّحَ شعري الذهبيَّ".
فهبَّتْ ريحٌ، وطارتْ قُبَّعَةُ كوردكنَ، وركضَ وراءَها في الحقولِ، وعادَ وقدْ فرغَتْ منْ تسريحِ شعرِها، فغضِبَ كوردكنُ غضباً شديداً، ورفضَ أنْ يُكلِّمَها طوالَ اليومِ. وفي المساءِ، ذهبَ إلى الملكِ يَشكو ما لاقاهُ منها.

ملكٌ عجوزٌ سمعَ القصَّةَ، فاختبأَ خلفَ البوابةِ في اليومِ التالي، وسمعَ الحوارَ بينَ الأميرةِ ورأسِ الحصانِ، ثمَّ تبعَها إلى المرجِ، ورأى شعرَها الذهبيَّ، وسمعَ دعاءَها للريحِ. فأيقنَ أنَّ هذهِ الفتاةَ ليستْ وصيفةً، بلْ أميرةٌ حقيقيَّةٌ. استدعاها الملكُ في المساءِ، وسألَها عنْ حقيقتِها، لكنَّها رفضَتْ أنْ تَقولَ شيئاً بسببِ القسمِ. فقالَ لها الملكُ: "إنْ كنتِ لا تستطيعينَ البوحَ لي، فابثِي سِرَّكِ لهذا الموقدِ الحديديِّ". فاقتربَتْ منَ الموقدِ، وأجهشَتْ بالبكاءِ، وروتْ قصَّتَها كلَّها، وهيَ تَظُنُّ أنَّ الموقدَ لا يَسمعُها، لكنَّ الملكَ كانَ واقفاً خلفَ المدخنةِ يَسمعُ كلَّ كلمةٍ.

وضعَ الملكُ خُطَّتَه، فدعا الوصيفةَ الخائنةَ إلى وليمةٍ عظيمةٍ، وأجلسَ الأميرَ بجانبِها، والأميرةَ الحقيقيَّةَ إلى الجانبِ الآخرِ. وفي خِضَمِّ الوليمةِ، سألَ الملكُ الوصيفةَ: "ما رأيُكِ في عقوبةِ منْ يَخونُ ويَغْدُرُ بصاحبتِها، ويَسرِقُ مكانَها؟" فأجابَتِ الوصيفةُ بكلِّ جرأةٍ وقسوةٍ: "مثلُ هذهِ الخائنةِ تستحقُّ أنْ تُوضعَ عاريةً في برميلٍ مليءٍ بالمساميرِ الحادَّةِ، وأنْ تُجَرَّ في الشوارعِ حتى تموتَ". فقالَ لها الملكُ: "لقدْ حَكَمْتِ على نفسِكِ، فأنتِ تلكَ الخائنةُ". وأمرَ الجنودَ ففعلوا بها ما قالتْ.

تزوَّجَ الأميرُ الشابُّ منَ الأميرةِ الحقيقيَّةِ، وعاشا معاً في سعادةٍ وهناءٍ، وحكَمَا المملكةَ بالعدلِ والحبِّ. وانتهتِ الحكايةُ، تارِكةً في القلوبِ عِبرةً. أنَّ الشرَّ لا بُدَّ أنْ يَأْكُلَ نفسَه، وأنَّ الحقيقةَ، مهما طالَ كتمانُها، لا بُدَّ أنْ تَظْهَرَ، وأنَّ الأمانةَ والصبرَ هُما طريقُ الخلاصِ، وأنَّ الجزاءَ منْ جنسِ العملِ، فمنْ يَزرَعُ الريحَ يَحْصُدُ العاصفةَ.

—

الضفادعُ والألماسُ

—

أرملةٌ كانتْ في سالفِ الزمانِ، لها ابنتانِ. كانتِ الكبرى شَبيهاً بأمِّها في الوجهِ والطبعِ، حتى إنَّ الناظرَ إليها كانَ يَرى الأمَّ في البنتِ. كانتا كلتاهما بَغيضَتيْنِ مُتَكَبِّرَتيْنِ، لا طاقَةَ لأحدٍ بصُحبتِهما. أمَّا الصُّغرى، فكانتْ صورةَ أبيها البارِّ في اللُّطفِ وحلاوةِ الخُلُقِ، وكانتْ معَ ذلكَ منْ أجمَلِ الفَتَياتِ اللاتي رآهُنَّ أحدٌ. وكما يَطبَعُ الناسُ على حُبِّ منْ يُشبِهُهم، كانتِ الأمُّ تُفرِطُ في حبِّ الكُبرى، وتُبغِضُ الصُغرى بُغضاً شديداً، حتى جعَلَتْها تأكُلُ في المطبخِ، وتَعمَلُ بلا انقطاعٍ.

مشقةٌ عظيمةٌ كانتْ على الفتاةِ المسكينةِ، إذْ كانَ منْ واجبِها مرَّتيْنِ في اليومِ أنْ تَذهَبَ إلى نافورةٍ بعيدةٍ، على بُعدِ ميلٍ ونصفٍ منَ المنزلِ، وتَعودَ بِإبريقٍ مملوءٍ ماءً. وفي يوم منَ الأيامِ، بينما هيَ واقفةٌ عندَ النافورةِ، أقبلَتْ عليها امرأةٌ فقيرةٌ، تَسألُها أنْ تَسقيَها. فقالتِ الفتاةُ بلُطفٍ: "بكلِّ سرورٍ، يا خالتي". وغسَلَتِ الإبريقَ حالاً، وجمَعَتْ بهِ ماءً منْ أصفى موضعٍ في النافورةِ، ورفعَتْهُ لتَشرَبَ منهَا المرأةُ بسهولةٍ. ولمَّا شربَتِ المرأةُ، قالَتْ لها: "أنتِ جميلةٌ جداً يا صغيرتي، وطيبةٌ ومُهذَّبةٌ، فلا بدَّ لي منْ أنْ أُهدِيَكِ هديَّةً". وكانتْ هذهِ المرأةُ في الحقيقةِ جِنِّيَّةً، تَخَفَّتْ في هيئةِ امرأةٍ فقيرةٍ، لتَختبرَ مبلغَ أَدَبِ الفتاةِ وكرمِها. ثمَّ أضافَتِ الجِنِّيَّةُ: "سأَجعلُ هديَّتي لكِ أنَّهُ كلَّما نطَقْتِ بكلمةٍ، يَخرُجُ منْ فمِكِ إمَّا زهرةٌ وإمَّا جوهرةٌ".

دهشةُ الأمِّ حينَ عادتِ الفتاةُ إلى المنزلِ، فقدْ بَدَأَتْ تُعاتِبُها على طولِ غيابِها، لكنَّ الفتاةَ اعتذَرَتْ، وإذا بوردتينِ، ولؤلؤتينِ، وألماسَتينِ تَخرُجانِ منْ فمِها معَ كلماتِها. فتعجَّبَتِ الأمُّ وقالتْ: "ما هذا الذي أرى؟ ألؤلؤٌ وألماسٌ يَخرُجانِ منْ فمِ الفتاةِ؟ كيفَ حدثَ هذا يا بُنَيَّتي؟" وكانتْ هذهِ أوَّلَ مرَّةٍ تُنادِيها فيها "بُنَيَّتي". فحكَتْ لها الفتاةُ القصَّةَ كاملةً، وفي أثناءِ كلامِها، تساقَطَتْ جواهرُ لا تُحصَى. فعجَبَتِ الأمُّ وقالتْ: "حقاً، لا بدَّ أنْ أُرسِلَ ابنتيَ الأُخرى إلى النافورةِ. تعالَيْ يا فاني، انظُري ما يَخرُجُ منْ فمِ أختِكِ حينَ تتكلَّمُ. ألا تُحِبِّينَ أنْ تَحصُلي على مثلِ هذهِ الهبةِ؟ ما عليكِ إلاَّ أنْ تَذهَبي إلى النافورةِ، وعندَما تَطلُبُ منكِ امرأةٌ فقيرةٌ ماءً، تُعطينَها إيَّاهُ بأدَبٍ".

استهزاءٌ منَ الابنةِ الكبرى، فقدْ قالَتْ بوقاحةٍ: "يا لَلرُّؤيةِ الجميلةِ! أتَّصَوَّرينَني أذهَبُ لأجلِبَ الماءَ؟" فأجابَتِ الأمُّ بحَزْمٍ: "ستَذهَبينَ يا وقِحةُ، وفي الحالِ". فانطَلَقَتِ الفتاةُ تَتَذَمَّرُ طوالَ الطريقِ، وحملَتْ معَها أفضَلَ إبريقِ فضَّةٍ في المنزلِ. ولمَّا وصلَتْ إلى النافورةِ، رأَتْ سَيِّدةً تَخرُجُ منَ

الغابةِ، ترتَدي أبهى الثيابِ، تقتربُ منها وتَطلُبُ ماءً. وكانتْ هذهِ هيَ الجِنِّيَّةُ نفسُها التي ظهَرَتْ لأختِها، لكنَّها هذهِ المرَّةَ تَنكَّرَتْ في هيئةِ أميرةٍ، لِترى إلى أيِّ حدٍّ سيَبلُغُ وقاحَةُ هذهِ الفتاةِ.

غطرسةٌ وردَّتْ بها الكبرى، فقالَتْ بفخرٍ: "هلْ جِئْتُ إلى هنا لأَخْدُمَكِ بالماءِ؟ أَظنُّ أنَّ هذا الإبريقَ الفضِّيَّ قدْ أُحضِرَ خصيصاً منْ أجلِ سِيادَتِكِ؟ لكنْ، اِشْرَبي منْهُ إنْ كانَ لكِ رَغبةٌ". فأجابَتِ الجِنِّيَّةُ دونَ غضبٍ: "أنتِ لستِ مُهذَّبةً بما يكفي. حسناً، بما أنَّكِ قليلةُ التربيةِ، فسأَجعلُ هديَّتي لكِ أنَّهُ كلَّما نطَقْتِ بكلمةٍ، يَخرُجُ منْ فمِكِ أفعى أو ضَفْدَعَةٌ".

رعبُ الأمِّ حينَ رأتِ ابنتَها تَعودُ، فصرَخَتْ: "حسناً يا ابنتي؟" فردَّتِ الفتاةُ بوقاحةٍ: "حسناً يا أماه؟" وإذا بأفعيينِ وضَفْدَعَتيْنِ تَخرُجانِ منْ فمِها. فصاحَتِ الأمُّ مذعورةً: "يا للهولِ! ما هذا الذي أرى؟ لا بدَّ أنَّ تلكَ الوغدَ -أختَكِ- هيَ التي سبَّبَتْ هذا كُلَّه، ولكنَّها سَتَدفَعُ الثمنَ". وهَجَمَتْ على الصُّغرى لِتَضْرِبَها، فهَرَبَتِ الفتاةُ المسكينةُ، واختبأَتْ في الغابةِ.

لقاءٌ كانَ معَ ابنِ الملكِ، الذي كانَ عائداً منَ الصيدِ، فرآها وهيَ تبكي، فسألَها عمَّا بها. فأخبَرَتْهُ أنَّ أمَّها قدْ طردَتْها. ورأى ابنُ الملكِ خمسَ أو ستَّ لؤلؤاتٍ، ومثلَهُنَّ منَ الألماسِ، تَخرُجُ منْ فمِها معَ كلماتِها، فسألَها عنِ القصَّةِ. فحكَتْ لهُ كلَّ ما جرى، فوقَعَ في حبِّها، ورأى أنَّ هذهِ الهبةَ أَثمَنُ منْ أيِّ مهرِ زواجٍ. فاصطحَبَها إلى قصرِ الملكِ أبيهِ، وتزوَّجَها.

ألأختُ الكبرى، فأصبَحَتْ مكروهَةً حتى منْ أمِّها، فطردَتْها أيضاً. وظلَّتِ المسكينةُ تَتيهُ في الأرضِ طويلاً، لا يَأْوِيها أحدٌ، حتى لجَأَتْ إلى زاويةٍ منَ الغابةِ، وماتَتْ هناكَ وحدَها.

تَنْتَهِي حكايَةُ "الضَّفادِعِ والأَلْماسِ"، تارِكَةً في القَلبِ عِبْرَةً نَّ الطِّيبَةَ واللُّطْفَ هُما مِفْتاحُ البَرَكَةِ، وأنَّ الكِبْرَ وَالغِلْظَةَ يَجْلِبانِ الخُسْرانَ، وأنَّ الجَزاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، فَمَنْ يَزْرَعْ لُطْفاً يَحْصُدْ جَواهِرَ، وَمَنْ يَزْرَعْ قَسْوَةً يَحْصُدْ أَفَاعِي.

حكايةَ "الأميرِ المحبوبِ".
(Prince Darling).

—

مَلِكٌ كانَ في سالفِ الزمانِ، عادلاً رحيماً، حتَّى لَقَّبَهُ رَعاياهُ بـ "المَلِكِ الطَّيِّبِ". وفي يومٍ منَ الأيامِ، بينما كانَ يَصطادُ في الغابةِ، إذْ بأَرنَبٍ أبيضَ صغيرٍ تَطارَدُهُ كلابُ الصيدِ، فوثبَ الأرنبُ إلى أحضانِ الملكِ مُستجيراً. ضمَّهُ الملكُ بلطفٍ، وقالَ لهُ: "لا تخفْ، فلنْ يُؤذِيَكَ أحدٌ". وأخذهُ إلى قصرِه، وأودعَهُ في بيتٍ لطيفٍ، وأطعمَهُ منْ أطيبِ الطعامِ. وفي تلكَ الليلةِ، بينما كانَ الملكُ وحيداً في غرفتِه، إذْ بامرأةٍ جميلةٍ تظهرُ أمامَهُ فجأةً، ثوبُها أبيضُ كالثلجِ، وعلى رأسِها إكليلٌ منَ الوردِ الأبيضِ. ذُعِرَ الملكُ، لأنَّ بابَهُ كانَ مُغلَقاً بإحكامٍ، ولمْ يدرِ كيفَ دخلَتْ. لكنَّها قالتْ لهُ: "أنا الجِنِّيَّةُ الحَقُّ. مررْتُ بالغابةِ وأنتَ تصطادُ، فأردتُ أنْ أختبرَ طيبتَكَ، فتشكَّلْتُ بهيئةِ أرنبٍ، وجئْتُ إليكَ طلباً للحمايةِ، لأنَّ منْ يرحمُ الحيوانَ يكونُ أرحمَ بالبشرِ. لوْ رفضْتَ مساعدتي، لعلمْتُ أنَّكَ شريرٌ. والآنَ، لأنَّكَ كُنْتَ طيباً، سأكونُ صديقتَكَ إلى الأبدِ. اطلُبْ مني ما تشاءُ".

رَغْبَةٌ كانَتْ في قلبِ الملكِ، فطلبَ منَ الجِنِّيَّةِ أنْ تكونَ صديقةً لابنِه الوحيدِ "الأميرِ المحبوبِ"، الذي كانَ يُحِبُّهُ أكثرَ منْ روحِه. فقالتِ الجِنِّيَّةُ: "سأفعلُ، لكنِّي لا أستطيعُ أنْ أجعلهُ صالحاً إلاَّ بمساعدتِه لنفسِه. سأعطيهِ النصيحةَ، وأُوبِّخُهُ على أخطائِه، وأُعاقِبُهُ إنْ لمْ يُصلِحْ نفسَهُ". فرضيَ الملكُ بذلكَ، وما لبثَ أنْ تُوفِّيَ، فحزنَ الأميرُ حزناً شديداً، وكانَ سيَّانِ عندهُ كلُّ كنوزِ الأرضِ لوْ أنَّها تعيدُ إليهِ أباهُ. وبعدَ يومينِ، ظهرتِ الجِنِّيَّةُ للأميرِ، وأهدتْهُ خاتماً ذهبياً، وقالتْ لهُ: "احتفظْ بهذا الخاتمِ، فهوَ أثمنُ منَ الجواهرِ. كلَّما ارتكَبْتَ سَيِّئَةً، لسَعَكَ هذا الخاتمُ، فإنْ تمادَيْتَ في غَيِّكَ رغمَ لسعتِه، فقدْ فقدْتَ صداقتي، وصرْتَ عدوِّي".

حَيَاةٌ جديدةٌ بدأَها الأميرُ، فتحسَّنَ سلوكُهُ في البدايةِ، حتى لقَّبوهُ "الأميرَ المحبوبَ السعيدَ". لكنَّهُ غضبَ ذاتَ يومٍ لأنَّ الصيدَ لمْ يَكُنْ موفقاً، فركبَ جوادَهُ عائداً، وفي الطريقِ، استقبلَهُ كلبُهُ الصغيرُ "بيبي" بقفزاتِ الفرحِ، فرفسَهُ بقسوةٍ. وفي الحالِ، لسَعَهُ الخاتمُ لسعةً مؤلمةً، فجلسَ في زاويةِ الغرفةِ خجلاً. وهنا، سمعَ صوتاً يُعاتِبُهُ: "لقدْ أخطأْتَ ثلاثَ مراتٍ: أولاً، غضبْتَ لأنَّكَ لمْ تحصلْ على ما تُريدُ. ثانياً، استسلمْتَ للغضبِ نفسِه. ثالثاً، كُنْتَ قاسياً على حيوانٍ صغيرٍ لا يستحقُّ الإيذاءَ. أتدري أنَّ الجِنِّيَّةَ أعظمُ منَ

الإنسانِ، ولوْ كانَ منَ الحقِّ أنْ يُؤذِيَ الكبيرُ الصغيرَ، لكنْتُ سحَقْتُك الآنَ؟ إنَّ الملكَ الحقيقيَّ ليسَ مَنْ يفعلُ الشرَّ، بلْ مَنْ يفعلُ الخيرَ".

ذِكْرَى الطفولةِ، حيثُ ربَّتْهُ مُرَبِّيَةٌ حمقاءُ، كانتْ تُعطيهِ كلَّ ما يطلُبُهُ بالبكاءِ والصراخِ، حتى صارَ عنيداً. وكانتْ تُخبرُهُ كلَّ يومٍ أنَّ الملوكَ سعداءُ لأنَّ الجميعَ يطيعونَهم. وعندَما كبرَ، حاولَ أنْ يتخلَّصَ منْ عاداتِه السيِّئةِ، لكنَّها تحوَّلَتْ إلى طباعٍ راسخةٍ. كانَ الخاتمُ يلسَعُهُ كلَّما أخطأَ، فألقى بهِ في أحدِ الأيامِ، وتحرَّرَ منْ رقابتِه، فأصبحَ يفعلُ ما يشاءُ، حتى صارَ شريراً، ونفرَ منه الناسُ.

عِشْقٌ مفاجئٌ، حينَ رأى الأميرُ راعيةً جميلةً تدعى "سيلْيا". أحبَّها حباً جماً، وطلبَ الزواجَ منها، لكنَّها رفضَتْ بشجاعةٍ، وقالتْ: "أنتَ وسيمٌ، لكنِّي لنْ أتزوَّجَ بكَ لأنَّ أفعالَكَ السيِّئةَ تجعلُني أكرهُكَ". فغضبَ الأميرُ، وأمرَ جنودَه باعتقالِها وسجنِها في القصرِ. وعندَما كانَ حائراً، جاءَهُ أخوهُ منَ الرضاعةِ، وكانَ شريراً، وألقى في أذنِه سمَّ نصائحِه: "أنتَ ملكٌ، وهيَ مجرَّدُ راعيةٍ، احبِسْها وأطعمْها خبزاً وماءً، فإنْ أبتْ فاقطَعْ رأسَها، لتعلَمَ كلُّ النَّاسِ أنَّ إرادتَكَ لا تُردُّ". وأضافَ شريراً آخرَ: "مُعلِّمُكَ سُلَيْمانُ هوَ الذي ساعدَ سيلْيا على الهربِ". فاغتاظَ الأميرُ، وأمرَ باعتقالِ سُلَيْمانَ.

غَضَبٌ إلهيٌّ حلَّ بالأميرِ، إذْ ظهرتِ الجِنِّيَّةُ الحَقُّ فجأةً، وقالتْ لهُ بصوتٍ قاسٍ: "لقدْ خُنْتَ وَعْدَكَ، وصِرْتَ وحشاً، فسأُعاقِبُكَ". وما إنْ أتمَّتْ كلامَها حتى تحوَّلَ الأميرُ: صارَ رأسُهُ رأسَ أسدٍ، وقرونُ ثورٍ تنبتُ منْ جبينِه، وقدَماهُ قدما ذئبٍ، وجسدُهُ جسدُ ثعبانٍ. وأُلقِيَ بهِ في غابةٍ بعيدةٍ، وهناكَ وقعَ في حفرةٍ عميقةٍ كانَ الصيَّادونَ قدْ حفروها للدِّبَبَةِ، فقبضوا عليهِ، وقيَّدوهُ بالسلاسلِ، وساروا بهِ إلى مدينتِه.

مَدِينَةٌ كانتْ تحتفلُ، فقدْ ظنَّ الناسُ أنَّ الأميرَ قدْ ماتَ بصاعقةٍ، وأعدَموا شركاءَهُ الأشرارَ، ونصَّبوا سُلَيْمانَ ملكاً عليهم. صرخَ الأميرُ (الوحشُ) غضباً، لكنَّهُ سمعَ سُلَيْمانَ يقولُ للناسِ: "أنا أحتفظُ بالعرشِ للأميرِ المحبوبِ، لأنَّ الجِنِّيَّةَ أخبرتْني أنَّهُ لمْ يَمُتْ، بلْ سيعودُ صالحاً. فلنْ نكرهْهُ، بلْ نرجو لهُ التوبةَ". فخجلَ الأميرُ، ولانَ قلبُه، واعترفَ بأنَّ عقابَهُ عادلٌ. وفي الحالِ، هدأَ غضبُه، وصارَ مثلَ الحملِ الوديعِ.

حَظِيرَةُ الوحوشِ، حيثُ وُضِعَ الأميرُ، وكانَ حارِسُهُ قاسياً يضربُهُ. وفي يوم، نامَ الحارسُ، فهجمَ نمرٌ على الحظيرةِ ليأكلَهُ. فرِحَ الأميرُ في البدايةِ، وظَنَّ أنَّهُ سيَتَخلَّصُ منْ عذابِه، لكنَّهُ سرعانَ ما غيَّرَ رأيَهُ، وقالَ في نفسِه: "سأُبادِلُ الشرَّ بالخيرِ". وما إنْ تمنَّى ذلكَ حتى انفتحَ قفصُهُ، فانقضَّ على النمرِ وقتلَهُ. فشكرَهُ الحارسُ، وإذْ بالأميرِ يتحوَّلُ إلى كلبٍ صغيرٍ جميلٍ. حمَلَهُ الحارسُ إلى الملكةِ، فأحبَّتْهُ، لكنَّ الطبيبَ نصحَها ألاَّ تُطعِمَهُ إلاَّ الخبزَ، فظلَّ جائعاً.

جُوعٌ شديدٌ دفعَ الكلبَ الأميرَ إلى الخروجِ بقطعةِ خبزٍ إلى الحديقةِ، فوجَدَ أنَّ النافورةَ التي كانَ يعرفُها قدِ اختفَتْ، وحلَّ محلَّها قصرٌ منَ الذهبِ، يخرجُ منهُ أناسٌ هُزَلاءُ ممزَّقو الثيابِ، يموتونَ جوعاً. ونظرَ الكلبُ إلى خبزِه، وقالَ في نفسِه: "أنا جائعٌ، لكنِّي لنْ أموتَ قبلَ العشاءِ، وإذا أعطيتُ خبزي لهذهِ الفقيرةِ، لعلَّهُ يُنقِذُ حياتَها". فرأى فتاةً تأكلُ العشبَ، فأعطاها خبزَه، فشفيتْ. ثمَّ رأى سيلْيا تُساقُ قسراً إلى القصرِ، فحزنَ، لكنَّهُ لمْ يستطعْ إنقاذَها. ثمَّ ألقتْ سيلْيا طعاماً منَ النافذةِ، فحاولَ الكلبُ أكلهُ، لكنَّ الفتاةَ التي أطعمَها صرختْ: "لا تأكلْ! إنَّهُ مسمومٌ". وفي الحالِ، تحوَّلَ الأميرُ إلى حمامةٍ بيضاءَ.

طَيَرَانٌ طويلٌ قامتْ بهِ الحمامةُ البيضاءُ، فعبرَتْ سهولاً وقفاراً، حتى بلغتْ صحراءً قاحلةً، ورأتْ كهفاً منحوتاً في الصخرِ، وإذا بسيلْيا تجلسُ فيهِ، تتقاسمُ معَ ناسكٍ عجوزٍ طعامَ إفطارٍ بسيطٍ. فرحَتْ سيلْيا بالحمامةِ، وضمتْها إلى صدرِها، وقالتْ لها: "أقبلُ هديَّتَكِ، وسأُحبُّكِ دائماً، أيتها الحمامةُ الجميلةُ". وإذْ بالناسكِ يُلقي رداءَهُ، وتظهرُ الجِنِّيَّةُ الحَقُّ في هيئتِها الحقيقيةِ، وقالتْ لسيلْيا: "أنتِ تحبينَ الأميرَ منذُ أنْ رأيتِهِ أولَ مرةٍ، لكنَّكِ رفضتِ أنْ تُخبريهِ بينما كانَ عنيداً وشقياً. والآنَ، لأنَّهُ تابَ وصلَحَ قلبُه، تستحقانِ السعادةَ". والتفتَتْ إلى الأميرِ الذي عادَ إلى هيئتِهِ الطبيعيةِ، وقالتْ لهُ: "لَكَ سيلْيا زوجةً، وعُدْ إلى عرشِكَ ملكاً صالحاً".

عَوْدَةٌ مظفَّرةٌ، عادَ فيها الأميرُ إلى قصرِه، واستقبلَهُ سُلَيْمانُ بالفرحِ والدموعِ، وأرجَعَ إليهِ التاجَ والمملكةَ. وتزوَّجَ الأميرُ منْ سيلْيا، وحكمَ بالعدلِ والرحمةِ، فلمْ يَلْسَعْهُ الخاتمُ الذهبيُّ مرةً أخرى، لأنَّهُ صارَ ملكاً صالحاً، وعاشَ هوَ وسيلْيا في سعادةٍ وهناءٍ.

تَنْتَهِي حِكايَةُ "الأَميرِ الحَبيبِ"، تارِكَةً في القَلبِ عِبْرَةً خالِدَةً: أنَّ السُّلْطَةَ لا تَعني الإِفْسادَ، وَأَنَّ التَّوْبَةَ تَفْتَحُ أَبْوابَ الرَّحْمَةِ، وَأَنَّ الحُبَّ الصَّادِقَ يَمْنَحُ الفُرْصَةَ الثَّانِيَةَ، وَأَنَّ الخَيْرَ يَنتَصِرُ دائِماً عِنْدَما يَصْحَبُهُ النَّدَمُ وَالإِصْرارُ عَلى التَّغْيِيرِ.

—

اللِّحْيَةِ الزَّرْقاءِ

—

رَجُلٌ كانَ في سالفِ الزَّمانِ، يَملِكُ مَنازِلَ فاخِرةً في المَدينَةِ والرِّيفِ، وصُحوناً مِنَ الفِضَّةِ والذَّهَبِ الخالِصِ، وأَثاثاً مُطرَّزاً بِأَغلى الخُيُوطِ، وعَرَباتٍ تُلْمَعُ بِالذَّهَبِ. لكِنَّ حَظَّهُ كانَ عَثِراً؛ إِذْ كانَ لَهُ لِحيَةٌ زَرقاءُ شاحِبَةٌ، جَعَلَتْ مَلامِحَهُ مُخيفَةً حَتَّى إِنَّ النِّساءَ والفَتَياتِ كُنَّ يَفرِرْنَ مِنْهُ كَما يَفرِرْنَ مِنَ الطَّاعُونِ. وكانَ لِجارَتِهِ، وهيَ سَيِّدَةٌ ذاتُ مَنْزِلَةٍ رَفيعَةٍ، ابْنَتانِ غَيداءَتانِ، كُلُّ واحِدَةٍ مِنهُما في قِمَّةِ الجَمالِ. فَطَلَبَ مِنَ السَّيِّدَةِ إِحْدَى ابْنَتَيْها زَوْجَةً لَهُ، تارِكاً لَها وَلِابْنَتَيْها حُرِّيَّةَ الاخْتِيارِ. لكِنَّ الفَتاتَيْنِ رَفَضَتَاهُ رَفْضاً قاطِعاً، وكُلَّما أَتى خاطِبُهُ إِلى إِحْداهُما، أَحالَتْهُ عَلى الأُخْرى، فَيَذْهَبُ إِلَيْها فَتُعيدُهُ إِلى الأُولى، وهَكَذا تَناوَلَتاهُ ذَهاباً وإِياباً، وَلَمْ تَستَطِعا تَحمُّلَ فِكرَةِ الارْتِباطِ بِرَجُلٍ تَكسوهُ تِلكَ اللِّحيَةُ الزَّرْقاءُ، وَما زادَ فِي نُفورِهِما أَنَّ الشَّائِعاتِ كانَتْ تَقولُ إِنَّهُ قَدْ تَزَوَّجَ مِنْ عِدَّةِ نِساءٍ قَبلَهُنَّ، وغابَتْ كُلُّ واحِدَةٍ مِنهُنَّ في ظُروفٍ غامِضَةٍ، ولا أَحَدَ يَعلَمُ ما آلَ إِلَيهِ أَمْرُهُنَّ.

رِحْلَةٌ إِلى الرِّيفِ كانَتْ خُطَّتَهُ الذَّكِيَّةَ لِكَسبِ قُلوبِهِنَّ، فَدَعاهُنَّ، مَعَ أُمِّهِنَّ، وثَلاثٍ أَو أَربَعٍ مِنْ صَواحِبِهِنَّ، والشَّبابِ مِنْ أُسَرِهِنَّ، لِيَقضُوا أُسبوعاً في إِحْدَى ضِياعِهِ الرِّيفِيَّةِ. وَهُناكَ، لَمْ يَكُنْ هُناكَ سِوَى حَفَلاتِ اللَّهوِ، وَمَطارِداتِ الصَّيدِ في الغاباتِ، وصَيدِ السَّمَكِ في الجَداوِلِ، والرَّقْصِ حَتَّى الصَّباحِ، والمَوائِدِ العامِرَةِ بِأَطايِبِ الطَّعامِ. تَطايَرَتِ الأَوْقاتُ في مَرَحٍ وسُرورٍ، حَتَّى إِنَّ أَحَداً لَمْ يَذُقْ طَعْمَ النَّوْمِ، بَلْ قَضَوْا اللَّيالِيَ في المُحادَثاتِ والمُزاحِ. وَفِي خِضَمِّ ذَلِكَ السَّحَرِ، تَغَيَّرَ مَزاجُ الابْنَةِ الصُّغْرى تَدْرِيجِيّاً؛ فَأَخَذَتْ تَرَى في صاحِبِ الدَّارِ رَجُلاً لَطيفاً، ولَمْ تَعُدْ لِحْيَتُهُ الزَّرْقاءُ تَبْدو لَها مُخيفَةً بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ. لَقَدْ كانَ رَجُلاً مُهَذَّباً وكَريماً في نَظَرِها. وَما إِنْ عادَ الجَميعُ إِلى المَدينَةِ، حَتَّى تَمَّ عَقْدُ القِرانِ بَيْنَهُما.

مَفاتِيحُ كانَتْ هِيَ هَدِيَّةَ الزَّوْجِ الجَديدِ لِعَروسِهِ بَعْدَ شَهْرٍ مِنَ الزَّواجِ، إِذْ أَعْلَنَ لَها عَزْمَهُ عَلى السَّفَرِ لِمُدَّةِ سِتَّةِ أَسابِيعَ على الأَقَلِّ لِتَسْوِيَةِ بَعْضِ الأُمورِ العاجِلَةِ في الرِّيفِ. وقالَ لَها بِصَوْتٍ مَزُوجٍ بِاللَّطافَةِ والجِدِّيَّةِ: "تَسَلَّيْ في غِيابِي، وَادْعِي صَديقاتِكِ إِلَى المَنْزِلِ، وَاصْنَعِي ما يَسُرُّكِ". ثُمَّ أَخْرَجَ مَجْمُوعَةً مِنَ المَفاتِيحِ، وَعَرَضَها أَمامَها واحِداً واحِداً: "هَذِهِ مَفاتِيحُ الخَزانَتَيْنِ الكَبيرَتَيْنِ، وَهَذِهِ مَفاتِيحُ صُنادِيقِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، وَهَذِهِ مَفاتِيحُ حُجُراتِ الجَواهِرِ، وَهَذا هُوَ المِفتاحُ الرَّئيسِيُّ الَّذي يَفْتَحُ كُلَّ غُرَفِي. أَمَّا هَذا المِفتاحُ الصَّغيرُ، فَلَهُ أَهَمِّيَّةٌ خاصَّةٌ؛ إِنَّهُ مِفتاحُ المَخْدَعِ الضَّيِّقِ في نِهايَةِ المَمَرِّ الطَّويلِ في الطَّابِقِ الأَرْضِيِّ". ثُمَّ حَدَّقَ في عَيْنَيْها بِجِدِّيَّةٍ قاسِيَةٍ: "اِفْتَحي كُلَّ شَيْءٍ، وَتَجَوَّلِي فِي كُلِّ زاوِيَةٍ، لكِنَّكِ مَمْنوعَةٌ مَنْعاً باتّاً مِنْ فَتْحِ ذَلِكَ المَخْدَعِ. إِنْ فَعَلْتِ، فَسَيَحِلُّ بِكِ غَضَبِي الَّذي لا يُطاقُ". وَعَدَتْهُ بِالطَّاعَةِ، فَوَدَّعَها وَرَكِبَ عَرَبَتَهُ وَغابَ في الأُفُقِ.

فُضُولٌ جارِفٌ لَمْ يُمْهِلِ الزَّوْجَةَ طَوِيلاً، فَما إِنْ غابَ زَوْجُها حَتَّى تَزاحَمَتْ صَديقاتُها وجاراتُها عَلى بابِ قَصْرِها، مُشْتَاقاتٍ لِمُشاهَدَةِ تِلْكَ الفَخامَةِ الَّتي كُنَّ يَسْمَعْنَ عَنْها، وَكُنَّ قَدْ تَرَدَّدْنَ في زِيارَتِها خَوْفاً مِنْ سَيِّدِ البَيْتِ المُرعِبِ. طافَتِ النِّساءُ بِكُلِّ غُرَفِ القَصْرِ ومَخادِعِهِ، وَكُلُّ زاوِيَةٍ كانَتْ تَزْدَهِرُ بِجَمالٍ يَفُوقُ الآخَرَ، حَتَّى بَلَغْنَ الغُرْفَتَيْنِ العُلْوِيَّتَيْنِ حَيْثُ أَفْخَرُ الأَثاثِ؛ سَجَّادٌ حَرِيرِيٌّ، وَأَسِرَّةٌ مُزَخْرَفَةٌ، ومَرايا ضَخْمَةٌ تُعِيدُ الصُّوَرَ مِنَ الرَّأْسِ إِلَى القَدَمِ، بَعْضُها مُطَعَّمٌ بِالفِضَّةِ والآخَرُ بِالذَّهَبِ. اسْتَغْرَقَتِ النِّساءُ في التَّعْجِيبِ، لكِنَّ العَرُوسَ الجَدِيدَةَ لَمْ تَكُنْ مُنْتَبِهَةً لَهُنَّ؛ فَقَدِ اسْتَوْلَتْ عَلَيْها شَهْوَةٌ عارِمَةٌ لِمَعْرِفَةِ سِرِّ المَخْدَعِ المَمْنُوعِ. تَذَكَّرَتِ التَّحْذِيرَ، لكِنَّ الإِغْراءَ كانَ أَقْوى، فَتَرَكَتْ ضُيُوفَها بَغْتَةً، وانْسَلَّتْ مِنْ سُلَّمٍ خَلْفِيٍّ ضَيِّقٍ، وكادَتْ تَسْقُطُ مِراراً مِنْ فَرْطِ عَجَلَتِها. وَعِنْدَما وَقَفَتْ أَمامَ بابِ المَخْدَعِ، تَلَعْثَمَتْ لَحْظاتٍ، وَدارَ في ذِهْنِها صَوْتُ زَوْجِها المُحَذِّرُ، لكِنَّ يَدَها سَبَقَتْ عَقْلَها، فَأَدْخَلَتِ المِفتاحَ في القُفْلِ وَفَتَحتِ البابَ بِرِفْقٍ، فَلَمْ تَرَ شَيْئاً في البِدايَةِ لأَنَّ النَّوافِذَ كانَتْ مُغْلَقَةً، فَتَرَدَّدَتْ بَصَرُها بَيْنَ الظِّلالِ حَتَّى تَكَيَّفَ مَعَ العَتَمَةِ.

مَنْظَرٌ أَطْبَقَ عَلَى قَلْبِها بِالرُّعْبِ؛ فَقَدِ انْكَشَفَ أَمامَها مَخْدَعٌ مُظْلِمٌ، تَتَخَضَّبُ أَرْضِيَّتُهُ بِبُقَعٍ مِنَ الدِّماءِ المُتَخَثِّرَةِ، وَعَلى جِدارِهِ مُصْطَفَّةٌ جُثَثُ عِدَّةِ نِساءٍ، مَلامِحُهُنَّ شاحِبَةٌ. كانَتْ هَؤُلاءِ هُنَّ الزَّوْجاتِ السَّابِقاتِ اللَّواتي سَرَدَ لَها عَنْهُنَّ الأُسْطُورَةُ، قَدْ قَتَلَهُنَّ واحِدَةً تِلْوَ الأُخْرَى وَرَتَّبَهُنَّ هُنا كَتَذْكاراتٍ بائِسَةٍ.

انْفَلَتَ المِفتاحُ مِنْ يَدِها المُرْتَعِشَةِ، وَأَغْلَقَتِ الباب بِسُرْعَةٍ، وَصَعِدَتْ إِلى غُرْفَتِها تَشْعُرُ بِالغَثَيانِ والخَوْفِ. وَعِنْدَما نَظَرَتْ إِلَى المِفتاحِ، فَزِعَتْ أَكْثَرَ؛ لَقَدْ تَلَطَّخَ بِدَمٍ غَامِقٍ لا يُمْحَى. حاوَلَتْ مَسْحَهُ بالماءِ، ثُمَّ بِالصَّابُونِ، ثُمَّ بِالرَّمْلِ، لكِنَّ الدَّمَ كانَ عَنِيداً، يَزُولُ مِنْ جِهَةٍ لِيَعُودَ إِلَيْها مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَكَأَنَّ المِفتاحَ مَسْحُورٌ يَرْفُضُ التَّطْهِيرَ.

عَوْدَةٌ مُفاجِئَةٌ لِلزَّوْجِ في مَساءِ ذَلِكَ اليَوْمِ؛ فَقَدْ تَلَقَّى رِسالةً في الطَّريقِ تُخْبِرُهُ بِنَجاحِ مُهِمَّتِهِ. دَخَلَ القَصْرَ، فَبَذَلَتِ الزَّوْجَةُ جُهْدَها لِتُظْهِرَ الفَرَحَ، لكِنَّ ارْتِعاشَها لَمْ يَفُتْهُ. وَفِي الصَّباحِ التَّالي، طَلَبَ مِنْها المَفاتِيحَ. ناوَلَتْهُ إِيَّاها ويَدُها تَرْتَعِدُ، فَتَفَقَّدَها ثُمَّ سَأَلَ بِبُرُودٍ مُخِيفٍ: "أَيْنَ مِفتاحُ المَخْدَعِ الصَّغيرِ؟". تَلَعْثَمَتْ: "لا بُدَّ أَنَّني تَرَكْتُهُ عَلى الطَّاوِلَةِ في الطَّابِقِ العُلْوِيِّ". أَمَرَها: "أَحْضِرِيهِ حالاً". تَرَدَّدَتْ مِراراً، لكِنَّها أَخِيراً أَحْضَرَتْهُ. نَظَرَ إِلَيْهِ اللِّحْيَةُ الزَّرْقاءُ طَوِيلاً، ثُمَّ رَفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَيْها بِغَضَبٍ مُبَرَّدٍ: "كَيْفَ جَاءَ هَذا الدَّمُ عَلى المِفتاحِ؟". أَنْكَرَتْ بِضَعْفٍ: "لا أَدْرِي". فَزَمْجَرَ: "لا تَدْرِينَ؟ أَنا أَعْرِفُ جَيِّداً. لَقَدْ دَخَلْتِ المَخْدَعَ. حَسَناً، يا سَيِّدَتِي، سَتَدْخُلِينَهُ الآنَ، وَتَأْخُذِينَ مَكانَكِ بَيْنَ السَّيِّداتِ اللَّواتِي رَأَيْتِهِنَّ هُناكَ".

صَلاةٌ كانَتْ هِيَ مَطْلَبَها الأَخِيرَ، فَارْتَمَتْ عَلى رُكْبَتَيْها، تَبْكِي وَتَتَنَحَّبُ، وتَسْتَغْفِرُهُ وَتَعِدُ بِالتَّوْبَةِ. كانَ مَنْظَرُها لَيُذِيبُ الصَّخْرَ، لكِنَّ قَلْبَ اللِّحْيَةِ الزَّرْقاءِ كانَ أَصْلَبَ. صَرَخَ بِها: "لا جَدْوى، يَجِبُ أَنْ تَمُوتِي، وَفي الحالِ". فَاسْتَمْهَلَتْهُ بِلَهْفَةٍ: "إِنْ كانَ المَوْتُ حَتْماً، فَامْنَحْنِي نِصْفَ رُبْعِ ساعَةٍ لأُصَلِّيَ وَأَسْتَعِدَّ". تَرَدَّدَ قَلِيلاً ثُمَّ أَجابَ: "أُعْطِيكِ نِصْفَ رُبْعِ ساعَةٍ، لا أَكْثَرَ". فَصَعِدَتِ الزَّوْجَةُ إِلى غُرْفَتِها، وَنادَتْ أُخْتَها "آن" بِصَوْتٍ مَخْنُوقٍ: "آن، يا أُخْتِي، اِصْعَدِي إِلى أَعْلَى البُرْجِ، وَانْظُرِي إِنْ كانَ أَخَوايَ قادِمَيْنِ، فَقَدْ وَعَدانِي بِالمَجِيءِ اليَوْمَ، وَإِنْ رَأَيْتِيهِما فَأَشِيرِي لِيُسْرِعا". صَعِدَتْ "آن" إِلى قِمَّةِ البُرْجِ، وَكانَتِ الزَّوْجَةُ البائِسَةُ تَصْرُخُ بَيْنَ الحِينِ وَالآخَرِ: "آن، يا أُخْتِي، هَلْ تَرَيْنَ أَحَداً يُقْبِلُ؟". فَكانَتْ "آن" تَرُدُّ: "لا أَرى شَيْئاً سِوَى الشَّمْسِ تُثِيرُ الغُبارَ، وَالعُشْبِ الأَخْضَرِ يَمْتَدُّ". وَكانَ اللِّحْيَةُ الزَّرْقاءُ يَصْرُخُ مِنْ أَسْفَلَ بِصَوْتٍ يُزَلْزِلُ الجِدارانِ: "اِنْزِلِي حالاً، وَإِلَّا صَعِدْتُ إِلَيْكِ". فَكانَتْ تُناجِي أُخْتَها: "لَحْظَةً واحِدَةً، يا آن". ثُمَّ تُنادِي: "آن، هَلْ تَرَيْنَ شَيْئاً؟". فَتَرُدُّ "آن": "لا أَرى سِوَى الشَّمْسِ وَالعُشْبِ الأَخْضَرِ". وَصَرَخَ اللِّحْيَةُ الزَّرْقاءُ: "اِنْزِلِي فَوْراً، أَوْ سَأَقْطَعُ رَأْسَكِ هُنا". فَقالَتْ: "أَنا آتِيَةٌ". ثُمَّ صَرَخَتْ لِلأَخِيرَةِ: "آن، آن، هَلْ تَرَيْنَ شَيْئاً؟". فَصَرَخَتْ "آن" فَرِحَةً: "أَرى غُباراً يَتَصاعَدُ مِنْ تِلْكَ

النَّاحِيَةِ". فَسَأَلَتْ: "أَهُمْ أَخَوايَ؟". فَقالَتْ: "لا، يا أُخْتِي، إِنَّها قَطيعٌ مِنَ الغَنَمِ". فَصَرَخَ الزَّوْجُ: "لَنْ أَنْتَظِرَ أَكْثَرَ". فَنادَتْ: "آن، انْظُرِي مَرَّةً أُخْرَى". فَقالَتْ آن: "أَرى فارِسَيْنِ، لكِنَّهُما لا يَزالانِ بَعِيدَيْنِ جِدّاً". فَصاحَتِ الفَتاةُ فَرِحَةً: "الحَمْدُ لِلَّهِ، إِنَّهُما أَخَوايَ". وَانْحَدَرَتْ مِنَ البُرْجِ لِتُلاقِيَ زَوْجَها الغاضِبَ، وشَعْرُها مُنْتَشِرٌ، وَعَيْناها تَذْرِفانِ الدُّمُوعَ.

خَلاصٌ جاءَ في اللَّحْظَةِ الأَخِيرَةِ، فَبَيْنَما كانَ اللِّحْيَةُ الزَّرْقاءُ يَرْفَعُ سَيْفَهُ لِيَضْرِبَ عُنُقَها، إِذْ بِطَرْقاتٍ عَنِيفَةٍ تَهُزُّ أَبْوابَ القَصْرِ. تَوَقَّفَ الزَّوْجُ مَذْهُولاً، وَانْفَتَحَ البابُ عَنْ فَرَسَيْنِ يَقْتَحِمانِ الفِناءَ، يَسْتَلَّانِ سَيْفَيْهِما. كانَ هُما أَخَوَيْها، أَحَدُهُما فَرَّاسٌ والآخَرُ رامِي رُمْحٍ. انْدَفَعا نَحْوَ اللِّحْيَةِ الزَّرْقاءِ كَالصَّاعِقَةِ، فَفَرَّ هارِباً لِيَنْجُوَ بِنَفْسِهِ، لكِنَّ الأَخَوَيْنِ لَحِقا بِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلى دَرَجاتِ الرُّواقِ، فَطَعَناهُ بِسَيْفَيْهِما فَاخْتَرَقا جِسْمَهُ، وسَقَطَ صَرِيعاً في بِرْكَةٍ مِنْ دِمائِهِ. أَمَّا الزَّوْجَةُ، فَكانَتْ قَدْ أَشْرَفَتْ عَلى المَوْتِ مِثْلَ زَوْجِها، ولَمْ تَسْتَطِعِ النُّهُوضَ لِلِقائِهِما. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لِلِّحْيَةِ الزَّرْقاءِ وَرَثَةٌ، آلَتْ ثَرْوَتُهُ الطَّائِلَةُ إِلَيْها، فَأَنْعَمَتْ عَلى أُخْتِها "آن" بِمَهْرٍ سَنِيٍّ لِتُزَوِّجَها مِنْ فارِسٍ شابٍّ كانَ يُحِبُّها، واشْتَرَتْ رُتَباً عَسْكَرِيَّةً رَفيعَةً لِأَخَوَيْها، ثُمَّ تَزَوَّجَتْ هِيَ نَفْسُها مِنْ رَجُلٍ شَرِيفٍ نَبيلٍ، جَعَلَها تَنْسى كابوسَ اللِّحْيَةِ الزَّرْقاءِ، وعاشَتْ بَقِيَّةَ حَياتِها في أَمْنٍ وسَعادَةٍ.

تَنْقَضِي حِكايَةُ "اللِّحْيَةِ الزَّرْقاءِ"، تارِكَةً فِي النُّفوسِ عِبْرَةً خالِدَةً: أَنَّ الفُضُولَ المُفْرِطَ قَدْ يَقُودُ إِلَى الهَلاكِ، لكِنَّ شَجاعَةَ الإِخْوَةِ وإِخْلاصَ الأُخْتِ هِيَ المِفْتاحُ الحَقِيقِيُّ لِلخَلاصِ، وأَنَّ الظُّلْمَ لا يَدُومُ طَوِيلاً، وأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ يَحْصُدُ ما يَزْرَعُ، وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ.

—

الأمينُ جون

—

شيخوخةٌ أَضْنَتْ مَلِكاً عَجوزاً، حَتَّى أَحَسَّ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ، فَقالَ في نَفْسِهِ: "إِنِّي لَأَرْقُدُ عَلَى فِراشِ المَوْتِ". ثُمَّ نَادَى: "أَرْسِلُوا إِلَيَّ الأَمِينَ جُونَ". وَكانَ الأَمِينُ جُونُ أَخَصَّ خَدَمِ المَلِكِ وَأَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ خَدَمَهُ طُوالَ حَياتِهِ بِإِخْلاصٍ لا يَشُوبُهُ شَكٌّ. فَلَمَّا دَنا مِنْ فِراشِ المَلِكِ، قالَ لَهُ العَجوزُ: "أَيُّها الأَمِينُ جُونُ، إِنِّي لَأُحِسُّ بِاقْتِرابِ نِهايَتِي، وَكُنْتُ لَا أُبالي لَوْلا ابْنِي.

إِنَّهُ لا يَزالُ صَغيراً لِيُقَرِّرَ كُلَّ شَيْءٍ بِنَفْسِهِ، وَإِنْ لَمْ تَعِدْنِي بِأَنْ تُعَلِّمَهُ كُلَّ ما يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَهُ، وَتَكُونَ لَهُ كَأَبٍ، فَلَنْ أُغْمِضَ عَيْنَيَّ في سَلامٍ". فَأَجابَ الأَمِينُ جُونُ: "لَنْ أَتَخَلَّى عَنْهُ أَبَداً، وَسَأَخْدُمُهُ بِأَمانَةٍ، حَتَّى لَوْ كَلَّفَنِي ذَلِكَ حَياتِي". فَقالَ المَلِكُ العَجوزُ: "الآنَ أَمُوتُ مُطْمَئِنّاً في سَلامٍ". ثُمَّ تابَعَ: "بَعْدَ مَوْتِي، يَجِبُ أَنْ تُرِيَهُ القَصْرَ بِأَكْمَلِهِ، جَميعَ الغُرَفِ وَالشُّقَقِ وَالأَقْبِيَةِ، وَجَميعَ الكُنوزِ الَّتي فيها. لكِنْ لا تَعْرِضْ لَهُ الغُرْفَةَ الأَخيرَةَ في المَمَرِّ الطَّويلِ، حَيْثُ صُورَةُ أَميرَةِ السَّقْفِ الذَّهَبِيِّ مَخْبُأَةٌ. فَعِنْدَما يَرَى تِلْكَ الصُّورَةَ، سَيَقَعُ في حُبِّها بِعُنْفٍ، وَيُغْشَى عَلَيْهِ، وَسَيُواجِهُ مِنْ أَجْلِها أَخْطاراً كَثيرَةً؛ عَلَيْكَ أَنْ تَحْمِيَهُ مِنْ ذَلِكَ". وَعِنْدَما جَدَّدَ الأَمِينُ جُونُ عَهْدَهُ لِلْمَلِكِ، سَكَتَ العَجوزُ، وَأَطْبَقَ جَفْنَيْهِ، وَماتَ.

وَعْدٌ وَفَى بِهِ الأَمِينُ جُونُ، فَبَعْدَ أَنْ حُمِلَ المَلِكُ العَجوزُ إِلى قَبْرِهِ، أَخْبَرَ الأَمِينُ جُونُ المَلِكَ الشَّابَّ بِما وَعَدَ بِهِ أَباهُ عَلى فِراشِ مَوْتِهِ، وَأَضافَ: "سَأُوفِي بِوَعْدي بِالتَّأْكيدِ، وَسَأَكونُ أَميناً لَكَ كَما كُنْتُ لَهُ، حَتَّى لَوْ كَلَّفَنِي ذَلِكَ حَياتِي". وَعِنْدَما انْتَهَتْ فَتْرَةُ الحِدادِ، قالَ لَهُ الأَمِينُ جُونُ: "لَقَدْ حانَ الوَقْتُ لِتَرى مِيراثَكَ. سَأُرِيكَ قَلْعَةَ آبائِكَ". فَطافَ بِهِ في كُلِّ شَيْءٍ، وَأَراهُ جَميعَ الكُنوزِ وَالشُّقَقِ الفاخِرَةِ، ما عَدا الغُرْفَةَ الواحِدَةَ حَيْثُ الصُّورَةُ، فَلَمْ يَفْتَحْها. لكِنَّ الصُّورَةَ كانَتْ مَوْضُوعَةً بِحَيْثُ إِنَّ فَتْحَ البابِ يُؤَدِّي إِلى النَّظَرِ إِلَيْها مُباشَرَةً، وَكانَتْ مَرْسُومَةً بِإِتْقانٍ شَديدٍ حَتَّى كَأَنَّها حَيَّةٌ تَتَحَرَّكُ، وَكانَتْ أَجْمَلَ وَأَحَبَّ شَيْءٍ في العالَمِ. لكِنَّ المَلِكَ الشَّابَّ لاحَظَ أَنَّ الأَمِينَ جُونَ يَتَجاوَزُ دائِماً باباً واحِداً، فَقالَ: "لِماذا لا تَفْتَحُ لِي هذا البابَ أَبَداً؟". أَجابَ: "هُناكَ شَيْءٌ في الدَّاخِلِ يُرْعِبُكَ". لكِنَّ المَلِكَ رَدَّ: "لَقَدْ رَأَيْتُ القَلْعَةَ بِأَكْمَلِها، وَسَأَكْتَشِفُ ما في تِلْكَ الغُرْفَةِ". وَبِهَذِهِ الكَلِماتِ، اقْتَرَبَ مِنَ البابِ وَحاوَلَ فَتْحَهُ بِالقُوَّةِ. لكِنَّ الأَمِينَ جُونَ أَمْسَكَهُ وَقالَ: "لَقَدْ وَعَدْتُ أَباكَ قَبْلَ مَوْتِهِ أَنْ لا تَرَى ما تَحْوِيهِ تِلْكَ الغُرْفَةُ. قَدْ يَجْلِبُ ذَلِكَ الحُزْنَ عَلَيْنا كِلَيْنا". أَجابَ المَلِكُ الشَّابُّ: "آه، لا! إِنْ لَمْ أَدْخُلْ، فَسَيَكونُ ذَلِكَ هَلاكِي المُحَقَّقَ؛ لَنْ يَكونَ لِي راحَةٌ لَيْلاً أَو نَهاراً حَتَّى أَرَى بِعَيْنَيَّ ما في تِلْكَ الغُرْفَةِ. لَنْ أَبْرَحَ مَكانِي حَتَّى تَفْتَحَ البابَ". وَعِنْدَئِذٍ رَأَى الأَمِينُ جُونُ أَنَّهُ لا مَفَرَّ مِنَ الأَمْرِ، فَبِقَلْبٍ ثَقيلٍ وَآهاتٍ كَثيرَةٍ، أَخَذَ المِفْتاحَ مِنَ المَجْمُوعَةِ الكَبيرَةِ. وَعِنْدَما فَتَحَ البابَ، دَخَلَ أَوَّلاً لِيَحْجُبَ الصُّورَةَ لِئَلَّا يَراها المَلِكُ، لكِنَّ المَلِكَ وَقَفَ عَلى أَطْرافِ أَصابِعِهِ وَنَظَرَ مِنْ فَوْقِ كَتِفِهِ، وَعِنْدَما رَأى صُورَةَ الفَتاةِ، الجَميلَةِ المُتَلأْلِئَةِ بِالذَّهَبِ وَالجَواهِرِ، سَقَطَ مُغْشىً عَلَيْهِ.

حُبٌّ اسْتَوْلَى عَلى قَلْبِ المَلِكِ، فَرَفَعَهُ الأَمِينُ جُونُ وَحَمَلَهُ إِلى فِراشِهِ، وَقالَ في نَفْسِهِ بِحُزْنٍ: "لَقَدْ حَلَّتْ بِنا اللَّعْنَةُ؛ يا سَماوِيّ، ما ذا سَيَكونُ مَصيرُنا؟". ثُمَّ صَبَّ الخَمْرَ في حَلْقِهِ حَتَّى أَفاقَ. فَكانَ أَوَّلُ ما نَطَقَ بِهِ: "مَنْ هِيَ صاحِبَةُ هذِهِ الصُّورَةِ الجَميلَةِ؟". أَجابَ الأَمِينُ جُونُ: "إِنَّها أَميرَةُ السَّقْفِ الذَّهَبِيِّ". فَتابَعَ المَلِكُ: "حُبِّي لَها عَظيمٌ جِدّاً حَتَّى إِنَّهُ لَوْ كانَ لِجَميعِ أَوْراقِ الأَشْجارِ أَلْسِنَةٌ لَما اسْتَطاعَتْ التَّعْبِيرَ عَنْهُ؛ حَياتِي تَعْتَمِدُ عَلى الفَوْزِ بِها. وَأَنْتَ أَمِينِي جُونُ، عَلَيْكَ أَنْ تَقِفَ بِجانِبِي". ظَلَّ الخادِمُ الأَمِينُ يُفَكِّرُ طَوِيلاً في كَيْفِيَةِ تَدْبِيرِ الأَمْرِ، فَقَدْ قِيلَ إِنَّ الوُصُولَ إِلى حَضْرَةِ الأَميرَةِ كانَ أَمْراً عَسيراً. وَأَخِيراً، اهْتَدَى إِلى خُطَّةٍ، وَقالَ لِلْمَلِكِ: "جَميعُ ما لَدَيْها مِنْ أَثاثٍ وَآنِيَةٍ هُوَ مِنَ الذَّهَبِ. وَعِنْدَكَ في خَزائِنِكَ خَمْسَةُ أَطْنانٍ مِنَ الذَّهَبِ؛ فَلْيَصْنَعْ صُوَّاغُ مَمْلَكَتِكَ مِنْها أَوانِيَ وَأَطْيافَ طُيُورٍ وَصَيْدٍ وَوُحوشٍ رائِعَةٍ؛ فَذَلِكَ سَيُرْضِيها. سَنَذْهَبُ إِلَيْها بِها وَنُجَرِّبُ حَظَّنا". فَاسْتَدْعى المَلِكُ جَميعَ صُوَّاغِ مَمْلَكَتِهِ، وَعَمِلُوا بِاجْتِهادٍ لَيْلاً وَنَهاراً، حَتَّى أُتْمِتْ أَبْهى التُّحَفِ. وَلَمَّا حُمِّلَتْ سَفِينَةٌ بِها، تَنَكَّرَ الأَمِينُ جُونُ في هَيْئَةِ تاجِرٍ، وَأَلْبَسَ المَلِكَ مِثْلَهُ، حَتَّى لا يَتَمَكَّنَ أَحَدٌ مِنْ مَعْرِفَتِهِما. وَعَبَرُوا البِحارَ حَتَّى بَلَغُوا المَدينَةَ الَّتي تُقيمُ فيها أَميرَةُ السَّقْفِ الذَّهَبِيِّ.

تَجْرِبَةٌ خاضَها الأَمِينُ جُونُ، فَأَمَرَ المَلِكَ بِالبَقاءِ في السَّفينَةِ وَانْتِظارِ عَوْدَتِهِ، وَقالَ: "رُبَّما أَعُودُ بِالأَميرَةِ مَعِي، فَتَأَكَّدْ مِنْ أَنْ يَكونَ كُلُّ شَيْءٍ مُنَظَّماً؛ دَعْ زينَةَ الذَّهَبِ تُرَتَّبُ وَتُزَيَّنُ السَّفينَةُ بِأَكْمَلِها". ثُمَّ أَخَذَ بَعْضَ الأَوانِي الذَّهَبِيَّةِ في مِئْزَرِهِ، وَنَزَلَ إِلى البَرِّ وَتَوَجَّهَ مُباشَرَةً إِلى القَصْرِ. وَعِنْدَما وَصَلَ إِلى الفِناءِ، رَأى فَتاةً جَميلَةً واقِفَةً بِجانِبِ البِئْرِ، تَسْتَقِي الماءَ بِدَلْوَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ. وَبَيْنَما كانَتْ تَهِيءُ نَفْسَها لِحَمْلِ الماءِ اللَّامِعِ، الْتَفَتَتْ فَرَأَتِ الغَريبَ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ هُوِيَّتِهِ. فَأَجابَ: "أَنا تاجِرٌ"، وَفَتَحَ مِئْزَرَهُ لِتَنْظُرَ فِيهِ. فَصَرَخَتْ: "آهٍ، ما أَجْمَلَ هذِهِ الأَوانِيَ الذَّهَبِيَّةَ!". وَوَضَعَتْ دَلْوَيْها، وَأَخَذَتْ تَتَأَمَّلُ كُلَّ قِطْعَةٍ عَلى حِدَةٍ. ثُمَّ قالَتْ: "يَجِبُ أَنْ تَرَى الأَميرَةُ هذِهِ البَضائِعَ، فَإِنَّها شَغوفَةٌ بِالذَّهَبِ، وَسَتَشْتَري مِنْكَ كُلَّ ما عِنْدَكَ". وَأَخَذَتْ بِيَدِهِ وَأَدْخَلَتْهُ القَصْرَ، إِذْ كانَتْ جارِيَةَ الأَميرَةِ. وَعِنْدَما رَأَتِ الأَميرَةُ البَضائِعَ، سُحِرَتْ بِها، وَقالَتْ: "إِنَّها مَصْنوعَةٌ بِإِتْقانٍ شَديدٍ، وَسَأَشْتَريها كُلَّها". لكِنَّ الأَمِينَ جُونَ قالَ: "أَنا فَقَطْ خادِمُ تاجِرٍ غَنِيٍّ، وَما عِنْدِي لا يُقارَنُ بِما عِنْدَ سَيِّدِي عَلى السَّفينَةِ؛ فَبَضائِعُهُ أَكْثَرُ إِبْداعاً وَأَغْلى ثَمَناً مِنْ أَيِّ شَيْءٍ صُنِعَ مِنَ الذَّهَبِ قَطُّ". فَرَغِبَتْ في إِحْضارِها كُلِّها، لكِنَّهُ قالَ: "هُناكَ كَمِّيَّةٌ كَبيرَةٌ مِنَ البَضائِعِ، وَسَيَسْتَغْرِقُ إِحْضارُها أَيَّاماً، وَسَتَشْغَلُ غُرَفاً كَثيرَةً لا تَجِدينَ لَها مَكاناً في قَصْرِكِ". فَازْدادَ شَوْقُها

وَفُضولُها، حَتَّى قالَتْ أَخِيراً: "خُذْني إِلى سَفينَتِكَ؛ سَأَذْهَبُ إِلَيْها بِنَفْسي لِأَرى كُنوزَ سَيِّدِكَ". فَفَرِحَ الأَمِينُ جُونُ فَرَحاً شَديداً، وَأَخَذَها إِلى السَّفينَةِ. وَعِنْدَما رَآها المَلِكُ، رَأَى أَنَّها أَجْمَلُ حَتَّى مِنْ صُورَتِها، وَكانَ يَظُنُّ في كُلِّ لَحْظَةٍ أَنَّ قَلْبَهُ سَيَنْفَجِرُ. فَصَعِدَتْ إِلى السَّفينَةِ، وَقادَها المَلِكُ إِلى داخِلِها. وَبَقِيَ الأَمِينُ جُونُ في الخَلْفِ مَعَ رَبَّانِ السَّفينَةِ، وَأَمَرَ بِالإِقْلاعِ. "إِنْشُرُوا كُلَّ الشِّراعِ، لِنُنْطَلِقَ في البَحْرِ كَالطَّائِرِ في الجَوِّ". وَفي أَثْناءِ ذَلِكَ، كانَ المَلِكُ يَعْرِضُ عَلى الأَميرَةِ جَميعَ أَوانِي الذَّهَبِ، كُلَّ قِطْعَةٍ مِنْها: صُحوناً، وَأَكْواباً، وَجَوامِقَ، وَطُيُوراً، وَصَيْداً، وَجَميعَ الوُحوشِ العَجيبَةِ. وَمَضَتْ ساعاتٌ طَويلَةٌ وَهيَ سَعيدَةٌ جِدّاً حَتَّى لَمْ تَلاحِظْ أَنَّ السَّفينَةَ قَدْ أَبْحَرَتْ. وَبَعْدَ أَنْ رَأَتِ آخِرَ قِطْعَةٍ، شَكَرَتِ التَّاجِرَ وَاسْتَعَدَّتْ لِلْعَوْدَةِ إِلى المَنْزِلِ؛ لكِنَّها عِنْدَما جاءَتْ إِلى جانِبِ السَّفينَةِ، رَأَتْ أَنَّها في عَرْضِ البَحْرِ، بَعيدَةً عَنِ البَرِّ، وَأَنَّ السَّفينَةَ تَنْطَلِقُ بِسُرْعَةٍ. فَصَرَخَتْ مَذْعورَةً: "لَقَدْ خُدِعْتُ! حُمِلْتُ وَخُونْتُ وَسُلِّمْتُ لِتَاجِرٍ؛ كُنْتُ لأَمُوتَ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ!". لكِنَّ المَلِكَ أَمْسَكَ بِيَدِها وَقالَ: "لَسْتُ تاجِراً، بَلْ أَنا مَلِكٌ مِنَ النَّسَبِ الرَّفيعِ مِثْلُكِ؛ وَحُبِّي العَظيمُ لَكِ هُوَ الَّذي دَفَعَنِي لِأَخْطِفَكِ بِهذِهِ الحيلَةِ. فَقَدْ سَقَطْتُ مُغْشىً عَلَيَّ أَوَّلَ مَرَّةٍ رَأَيْتُ فيها صُورَتَكِ". وَعِنْدَما سَمِعَتْ أَميرَةُ السَّقْفِ الذَّهَبِيِّ ذَلِكَ، اطْمَأَنَّ قَلْبُها، وَمالَتْ إِلَيْهِ حَتَّى رَضِيَتْ بِأَنْ تَكونَ زَوْجَتَهُ عَنْ طيبِ خاطِرٍ.

غَدْرٌ كانَ يُحِيطُ بِهِما، فَبَيْنَما كانُوا يُبْحِرُونَ في عَرْضِ البَحْرِ، إِذْ بِالأَمِينِ جُونُ جالِسٍ في مُقَدِّمَةِ السَّفينَةِ، يَعْزِفُ عَلى كَمانِهِ، وَرَأَى ثَلاثَةَ غِرْبانٍ تَطيرُ نَحْوَهُ في الجَوِّ. فَتَوَقَّفَ عَنِ العَزْفِ، وَأَصْغى إِلى ما يَتَحَدَّثُونَ بِهِ، إِذْ كانَ يَفْهَمُ لُغَتَهُمْ. فَقالَ أَحَدُها: "آهٍ، إِنَّهُ يَأْتِي بِأَميرَةِ السَّقْفِ الذَّهَبِيِّ إِلى بَيْتِهِ". فَأَجابَ الثَّانِي: "نَعَمْ، لكِنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ عَلَيْها بَعْدُ". فَقالَ الثَّالِثُ: "بَلْ قَدْ حَصَلَ، فَهِيَ جالِسَةٌ بِجانِبِهِ عَلى السَّفينَةِ". ثُمَّ عادَ الأَوَّلُ وَقالَ: "ذَلِكَ لَنْ يُفيدَهُ شَيْئاً! عِنْدَما يَصِلُونَ إِلى البَرِّ، سَيَنْدَفِعُ نَحْوَهُمْ حِصانٌ كَسْتَنائِيٌّ؛ فَيَرْغَبُ المَلِكُ في رُكوبِهِ، وَإِنْ فَعَلَ، فَسَيَنْطَلِقُ بِهِ الْحِصانُ وَيَخْتَفِي في الهَواءِ، وَلَنْ يَرَى عَرُوسَهُ مَرَّةً أُخْرَى". فَسَأَلَ الثَّانِي: "أَلا مَخْرَجَ لَهُ؟". فَأَجابَ الأَوَّلُ: "بَلْ، إِنْ رَكِبَ شَخْصٌ آخَرُ بِسُرْعَةٍ وَأَطْلَقَ النَّارَ عَلَى الْحِصانِ بِالمُسَدَّسِ الَّذي في جِرابِهِ، فَيَنْجُو المَلِكُ الشَّابُّ. لكِنْ مَنْ سَيَفْعَلُ ذَلِكَ؟ وَمَنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ وَيُخْبِرُهُ، سَيَتَحَجَّرُ مِنْ قَدَمَيْهِ إِلى رُكْبَتَيْهِ". ثُمَّ تَكَلَّمَ الثَّانِي: "أَنَا أَعْلَمُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ: حَتَّى لَوْ قُتِلَ الحِصانُ، فَإِنَّ المَلِكَ الشَّابَّ لَنْ يَحْفَظَ عَرُوسَهُ: عِنْدَما يَدْخُلُونَ القَصْرَ مَعاً، سَيَجِدُونَ قَميصَ زَفافٍ مُعَدّاً في خِزانَةٍ، يَبْدو كَأَنَّهُ مَنْسوجٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، لكِنَّهُ في الحَقيقَةِ مَصْنوعٌ مِنَ الكِبْرِيتِ وَالقَطِرانِ: فَعِنْدَما

يَلْبَسُهُ المَلِكُ، سَيَحْرِقُهُ حَتَّى النُّخاعِ وَالعِظامِ". فَسَأَلَ الثَّالِثُ: "أَفَلا مَخْرَجَ مِنْ ذَلِكَ؟". فَأَجابَ الثَّانِي: "بَلْ، إِنْ أَمْسَكَ أَحَدٌ القَميصَ بِقُفّازَيْنِ وَأَلْقاهُ في النَّارِ وَأَحْرَقَهُ، فَيَنْجُو المَلِكُ الشَّابُّ. لكِنْ ما الجَدْوَى؟ فَمَنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ وَيُفْشِيهِ، سَيَتَحَجَّرُ نِصْفُ جَسَدِهِ، مِنْ رُكْبَتَيْهِ إِلى قَلْبِهِ". ثُمَّ تَكَلَّمَ الثَّالِثُ: "وَأَنَا أَعْلَمُ أَيْضاً: فَحَتَّى لَوِ احْتَرَقَ قَميصُ الزَّفافِ، فَإِنَّ المَلِكَ لَمْ يَظْفَرْ بِعَرُوسِهِ بَعْدُ: عِنْدَما يُقامُ الرَّقْصُ بَعْدَ الزَّفافِ، وَتَرْقُصُ المَلِكَةُ الشَّابَّةُ، سَتَشْحَبُ فَجْأَةً، وَتَسْقُطُ كَالمَيِّتَةِ، وَإِلَّا رَفَعَها أَحَدٌ وَاسْتَخْرَجَ ثَلاثَ قَطَراتٍ مِنَ الدَّمِ مِنْ جانِبِها الأَيْمَنِ، وَبَصَقَها، فَسَتَموتُ. لكِنْ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَيُفْشِيهِ، يَتَحَجَّرُ مِنْ قِمَّةِ رَأْسِهِ إِلى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ". وَبَعْدَ أَنْ تَحَدَّثَتِ الغِرْبانُ بِذَلِكَ، طارَتْ مُتَوَجِّهَةً إِلى أَمامِها، لكِنَّ الأَمِينَ جُونَ كانَ قَدْ سَمِعَ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَصْبَحَ حَزيناً مُكْتَئِباً مِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ فَصاعِداً؛ فَإِنْ سَكَتَ عَمَّا سَمِعَ، فَسَيَجْلِبُ الشُّؤْمَ عَلى سَيِّدِهِ؛ وَإِنْ أَخْبَرَهُ، فَسَيَفْقِدُ حَياتَهُ. وَأَخِيراً، قالَ: "سَأَقِفُ بِجانِبِ سَيِّدي، حَتَّى لَوْ كانَ ذَلِكَ هَلاكِي".

خَطَرٌ حَلَّ بِالمَلِكِ عِنْدَ الوُصُولِ، فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنَ البَرِّ، حَدَثَ ما تَنَبَّأَتْ بِهِ الغِرْبانُ، وَانْدَفَعَ الحِصانُ الكَسْتَنائِيُّ نَحْوَهُمْ. فَقالَ المَلِكُ: "رائِعٌ! سَيَحْمِلُنِي هَذا الحَيَوانُ إِلى قَصْرِي". وَكانَ عَلى وَشْكِ أَنْ يَرْكَبَهُ، لكِنَّ الأَمِينَ جُونَ كانَ أَسْرَعَ مِنْهُ، فَوَثَبَ وَأَخْرَجَ المُسَدَّسَ مِنْ جِرابِهِ وَأَطْلَقَ النَّارَ عَلى الحِصانِ فَقَتَلَهُ. فَصَرَخَ خَدَمُ المَلِكِ الآخَرُونَ، الَّذينَ لَمْ يَكُونُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الأَمِينِ جُونَ بِعَيْنِ الرِّضا: "يا لَلْفَظاعَةِ! لَقَدْ قَتَلَ الحِصانَ الجَميلَ الَّذي كانَ سَيَحْمِلُ المَلِكَ إِلى قَصْرِهِ!". لكِنَّ المَلِكَ قالَ: "اصْمُتُوا! دَعُوهُ وَحْدَهُ؛ فَهُوَ أَمِينِي جُونُ الأَوْلى. مَنْ يَدْرِي لِأَيِّ غَرَضٍ صالِحٍ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ؟". فَتابَعُوا طَرِيقَهُمْ وَدَخَلُوا القَصْرَ، وَهُناكَ في القاعَةِ كانَتْ خِزانَةٌ تَحْتَوي عَلى قَميصِ الزَّفافِ الجاهِزِ، يَبْدو كَأَنَّهُ مَنْسوجٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ. فَاقْتَرَبَ المَلِكُ مِنْهُ وَكانَ عَلى وَشْكِ أَنْ يُمْسِكَ بِهِ، لكِنَّ الأَمِينَ جُونَ دَفَعَهُ جانِباً، وَأَمْسَكَ القَميصَ بِقُفّازَيْهِ، وَرَماهُ في النَّارِ وَأَحْرَقَهُ. فَبَدَأَ الخَدَمُ الآخَرُونَ يَتَذَمَّرُونَ ثانِيَةً، وَقالوا: "أُنْظُرُوا! إِنَّهُ يَحْرِقُ قَميصَ زَفافِ المَلِكِ!". لكِنَّ المَلِكَ الشَّابَّ قالَ: "مَنْ يَدْرِي لِأَيِّ غَرَضٍ صالِحٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ؟ دَعُوهُ، فَهُوَ أَمِينِي جُونُ الأَوْلى". ثُمَّ أُقِيمَ حَفْلُ الزَّفافِ، وَبَدَأَ الرَّقْصُ، وَشارَكَتِ العَرُوسُ فيهِ، لكِنَّ الأَمِينَ جُونَ راقَبَها عَنْ كَثَبٍ. وَفَجْأَةً، شَحَبَ لَوْنُها وَسَقَطَتْ كَأَنَّها مَيِّتَةٌ. فَوَثَبَ نَحْوَها حالاً، وَرَفَعَها، وَحَمَلَها إِلى غُرْفَةٍ، وَأَضْجَعَها، وَجَثا بِجانِبِها، وَاسْتَخْرَجَ ثَلاثَ قَطَراتٍ مِنَ الدَّمِ مِنْ جانِبِها الأَيْمَنِ، وَبَصَقَها. فَتَنَفَّسَتْ وَعادَتْ إِلى نَفْسِها. لكِنَّ المَلِكَ الشَّابَّ كانَ قَدْ رَأَى ما فَعَلَهُ، وَإِذْ لَمْ يَعْلَمْ لِماذا

فَعلَ ذَلِكَ، اِشْتَدَّ غَضَبُهُ وَأَمَرَ بِسَجْنِهِ. وَفِي صَباحِ اليَوْمِ التَّالِي، صَدَرَ الحُكْمُ عَلى الأَمِينِ جُونَ بِالإِعْدامِ شَنقاً.

إِنْصَافٌ جاءَ مُتَأَخِّراً، فَفِي صَباحِ اليَوْمِ التَّالي، صَدَرَ الحُكْمُ عَلى الأَمِينِ جُونَ وَقُضِيَ بِإِعْدامِهِ شَنقاً. وَبَيْنَما كانَ واقِفاً عَلى حَبْلِ المَشْنَقَةِ، قالَ: "كُلُّ مَحْكُومٍ عَلى المَوْتِ لَهُ الحَقُّ في أَنْ يَتَكَلَّمَ مَرَّةً قَبْلَ مَوْتِهِ؛ وَهَلْ لِي هَذا الحَقُّ أَيْضاً؟". قالَ المَلِكُ: "نَعَمْ، سَيُعْطى لَكَ". فَقالَ الأَمِينُ جُونُ: "لَقَدْ حُكِمَ عَلَيَّ بِالظُّلْمِ، فَقَدْ كُنْتُ دائِماً أَميناً لَكَ". ثُمَّ شَرَعَ يَرْوِي كَيْفَ سَمِعَ حَديثَ الغِرْبانِ عَلى البَحْرِ، وَكَيْفَ فَعلَ كُلَّ ما فَعلَ لِيُنْقِذَ سَيِّدَهُ. فَصَرَخَ المَلِكُ: "آهٍ! يا أَمِينِي جُونُ، سامِحْنِي، سامِحْنِي! أَنْزِلُوهُ!". لكِنَّهُ بَيْنَما كانَ يَنْطِقُ بِآخِرِ كَلِمَةٍ، كانَ الأَمِينُ جُونُ قَدْ سَقَطَ عَلى الأَرْضِ جُثَّةً هامِدَةً، وَتَحَوَّلَ إِلى حَجَرٍ. وَيَئِسَ المَلِكُ وَالمَلِكَةُ، وَقالَ المَلِكُ: "آهٍ، كَيْفَ جازَيْتُ هَذا الإِخْلاصَ العَظيمَ بِهَذا السُّوءِ!". وَأَمَرَ بِرَفْعِ التِّمْثالِ الحَجَرِيِّ وَوَضْعِهِ في غُرْفَةِ نَوْمِهِ بِجوارِ سَريرِهِ، وَكُلَّما نَظَرَ إِلَيْهِ بَكى وَقالَ: "آهٍ، لَوِ اسْتَطَعْتُ أَنْ أُعِيدَ لَكَ الحَياةَ، يا أَمِينِي جُونُ!". وَبَعْدَ مُدَّةٍ، وَضَعَتِ المَلِكَةُ تَوْأَمَيْنِ، وَلَدَيْنِ صَغيرَيْنِ، نَمَيا وَكَبُرا، وَكانا مَفْخَرَةً لَها. وَفي يَوْمٍ، بَيْنَما كانَتِ المَلِكَةُ في الكَنيسَةِ، وَالوَلَدانِ يَلْعَبانِ مَعَ أَبيهِما، نَظَرَ المَلِكُ بِحُزْنٍ إِلى التِّمْثالِ الحَجَرِيِّ، وَتَنَهَّدَ باكِياً: "آهٍ، لَوِ اسْتَطَعْتُ أَنْ أُعِيدَ لَكَ الحَياةَ، يا أَمِينِي جُونُ!". وَفَجْأَةً، نَطَقَ الحَجَرُ وَقالَ: "نَعَمْ، يُمْكِنُكَ أَنْ تُعِيدَ لِي الحَياةَ إِنْ كُنْتَ مُسْتَعِدّاً لِتَضْحِيَةِ ما هوَ أَعَزُّ شَيْءٍ إِلَيْكَ". فَصَرَخَ المَلِكُ: "كُلُّ ما أَمْلِكُ في هَذِهِ الدُّنْيا سَأُضَحِّي بِهِ مِنْ أَجْلِكَ". فَتابَعَ الحَجَرُ: "إِنْ قَطَعْتَ بِيَدِكَ رَأْسَيْ وَلَدَيْكَ، وَدَهَنْتَني بِدَمِهِما، فَسَأَعُودُ إِلَى الحَياةِ". فَذُعِرَ المَلِكُ حِينَ سَمِعَ أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَ وَلَدَيْهِ بِيَدِهِ؛ لكِنَّهُ لَمَّا تَذَكَّرَ إِخْلاصَ الأَمِينِ جُونَ، وَأَنَّهُ قَدْ ماتَ مِنْ أَجْلِهِ، سَلَّ سَيْفَهُ، وَقَطَعَ بِيَدِهِ رَأْسَيْ وَلَدَيْهِ. وَعِنْدَما دَهَنَ الحَجَرَ بِدَمِهِما، عادَتِ الحَياةُ إِلَيْهِ، وَوَقَفَ الأَمِينُ جُونُ أَمامَهُ سالِماً مُعافىً. فَقالَ لِلْمَلِكِ: "سَيُكافَأُ إِخْلاصُكَ". وَأَخَذَ رَأْسَيِ الوَلَدَيْنِ، وَوَضَعَهُما عَلى جَسَدَيْهِما، وَدَهَنَ الجِراحَ بِدَمِهِما، فَعادا صَحِيحَيْنِ في لَحْظَةٍ، وَأَخَذا يَقْفِزانِ كَأَنْ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ.

سَعادَةٌ عَمَّتِ القَصْرَ، فَغَمَرَ الفَرَحُ المَلِكَ، وَعِنْدَما رَأَى المَلِكَةَ مُقْبِلَةً، أَخْفَى الأَمِينَ جُونَ وَالوَلَدَيْنِ في خِزانَةٍ كَبيرَةٍ. وَعِنْدَما دَخَلَتْ، قالَ لَها: "هَلْ صَلَّيْتِ في الكَنيسَةِ؟". أَجابَتْ: "نَعَمْ، لكِنَّ أَفْكارِي ظَلَّتْ مَشْغولَةً بِالأَمِينِ جُونَ، وَبِما عاناهُ مِنْ أَجْلِنا". فَقالَ لَها: "زَوْجَتِي العَزِيزَةُ، يُمْكِنُنا أَنْ نُعِيدَ لَهُ الحَياةَ، لكِنَّ الثَّمَنَ المَطْلُوبَ هُو وَلَدانا الصَّغيرانِ؛ عَلَيْنا أَنْ نُضَحِّيَ بِهِما".

فَشَحَبَ لَوْنُ المَلِكَةِ، وَخَفَقَ قَلْبُها، لكِنَّها رَدَّتْ: "نَحْنُ مَدِينُونَ لَهُ بِذَلِكَ بِسَبَبِ إِخْلاصِهِ العَظِيمِ". فَفَرِحَ المَلِكُ لِأَنَّها شارَكَتْهُ الرَّأْيَ، وَتَقَدَّمَ وَفَتَحَ الخِزانَةَ، وَأَخْرَجَ الوَلَدَيْنِ وَالأَمِينَ جُونَ، وَقالَ: "لِلَّهِ الحَمْدُ! لَقَدْ عادَ الأَمِينُ جُونُ حُرّاً مَرَّةً أُخْرَى، وَوَلَدانا الصَّغيرانِ مَعَنا". ثُمَّ رَوَى لَها كُلَّ ما جَرى، وَعاشُوا مَعاً في سَعادَةٍ إِلى أَبَدِ الآبِدِينَ.

تَنْتَهِي حِكايَةُ "الأَمِينِ جُونَ"، تَارِكَةً في القَلْبِ عِبْرَةً. إنَّ الوَفاءَ قَدْ يَكُونُ أَغْلى مِنَ الحَياةِ، وَأَنَّ الثِّقَةَ بِالأَمينِ هِيَ أَسَاسُ السَّعادَةِ، وَأَنَّ التَّضْحِيَةَ في سَبيلِ الحَقِّ لا تَضيعُ، بَلْ تُثْمِرُ خَيْراً حَتَّى في أَحْلَكِ اللَّحظاتِ، وَأَنَّ الجَزاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، وَالإِخْلاصَ يَجْلِبُ الإِخْلاصَ، وَالسَّخاءَ يَجْلِبُ السَّخاءَ.

—

حكايَةَ "الخَيَّاطِ الصَّغيرِ الشُّجاعِ"
(The Brave Little Tailor).

—

صَيْفٌ كانَ خَيَّاطاً صَغيراً يَجلِسُ عَلى مائِدَتِهِ بِجانِبِ النَّافِذَةِ، في أَسْعَدِ حالاتِ نَفْسِهِ، وَيَخِيطُ بِكُلِّ جِدٍّ وَاجْتِهَادٍ. وَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ بِامْرَأَةٍ فَلَّاحَةٍ تَمُرُّ في الطَّرِيقِ، وَتُنادِي: "مُرَبَّى جَيِّدٌ لِلْبَيْعِ، مُرَبَّى جَيِّدٌ لِلْبَيْعِ!". فَطابَ ذَلِكَ في مَسامِعِ الخَيَّاطِ، فَأَطْلَعَ رَأْسَهُ الصَّغِيرَ مِنَ النَّافِذَةِ وَصاحَ: "تَعالَيْ إِلَى هُنا أَيَّتُها المَرْأَةُ الطَّيِّبَةُ، فَسَتَجِدِينَ مُشْتَرِياً راغِباً". فَصَعِدَتِ المَرْأَةُ الدَّرَجَ الثَّلاثَةَ بِسَلَّتِها الثَّقِيلَةِ إِلى حُجْرَةِ الخَيَّاطِ، فَأَمَرَها أَنْ تَفْرُشَ لَهُ جَميعَ القُدورِ في صَفٍّ واحِدٍ. فَتَفَحَّصَها كُلَّها، وَرَفَعَها وَشَمَّها، ثُمَّ قالَ في النِّهايَةِ: "هَذا المُرَبَّى يَبْدو جَيِّداً، زِنِي لِي مِنْهُ أَرْبَعَ أَواقٍ، أَيَّتُها المَرْأَةُ الطَّيِّبَةُ، وَحَتَّى لَوْ كانَ رُبْعَ رَطْلٍ فَما عَلَيَّ". فَأَعْطَتْهُ المَرْأَةُ، وَكانَتْ تَأْمُلُ أَنْ تَبِيعَ أَكْثَرَ، فَغادَرَتْ وَهِيَ تَتَذَمَّرُ بِغَضَبٍ.

رَغْبَةٌ تَمَلَّكَتِ الخَيَّاطَ، فَقالَ في نَفْسِهِ: "الآنَ تُبارِكُ السَّماءُ هَذا المُرَبَّى لِي، وَسَيُقَوِّيني وَيُعِينُنِي". وَأَحْضَرَ خُبْزاً مِنَ الخِزانَةِ، وَقَطَعَ مِنَ الرَّغِيفِ قِطْعَةً مُسْتَدِيرَةً، وَدَهَنَ عَلَيْها المُرَبَّى. وَقالَ: "لَنْ يَكُونَ مَذاقُهُ سَيِّئاً، لكِنَّنِي سَأُنْهِي هَذِهِ الصِّدارَةَ أَوَّلاً قَبْلَ أَنْ أَتَناوَلَ لُقْمَةً". وَوَضَعَ الخُبْزَ بِجانِبِهِ، وَعاوَدَ الخِياطَةَ، وَمِنْ طِيبَةِ قَلْبِهِ كانَ يَزِيدُ غُرْزَهُ كِبَراً.

غَزْوٌ شَنَّهُ الذُّبابُ عَلى مُرَبَّى الخَيَّاطِ، فَفِي أَثْناءِ خِياطَتِهِ، صَعِدَتْ رائِحَةُ المُرَبَّى الحُلْوَةُ إِلى سَقْفِ الحُجْرَةِ، حَيْثُ كانَتْ أَسْرابٌ مِنَ الذُّبابِ جالِسَةً، فَاجْتَذَبَتْها إِلَيْها حَتَّى تَزاحَمَتْ عَلَيْها بِأَعْدادٍ كَبيرَةٍ. فَقالَ الخَيَّاطُ: "مَنِ اسْتَدْعاكُنَّ؟". وَطَرَدَ الضُّيوفَ غَيْرَ المَرْغوبِ فيهِمْ. لَكِنَّ الذُّبابَ، وَكانَ لا يَفْهَمُ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ، رَفَضَ أَنْ يَنْصَرِفَ، وَعادَ بِأَعْدادٍ أَكْبَرَ.

ضَرْبَةٌ كانَتْ فاصِلَةً، فَفَقَدَ الخَيَّاطُ صَبْرَهُ، وَتَناوَلَ مِنْ زاوِيَةِ المَدْفَأَةِ مِمْسَحَةً، وَقالَ: "اِنْتَظِرُوا حَتَّى أُعَلِّمَكُنَّ"، وَضَرَبَهُنَّ بِلا رَحْمَةٍ. فَلَمَّا تَوَقَّفَ، عَدَّ القَتْلَى، فَإِذا بِسَبْعَةٍ مِنْهُنَّ قَدْ سَقَطْنَ بِأَرْجُلٍ مَمْدُودَةٍ. فَقالَ مُعْجَباً بِنَفْسِهِ: "ماهَذا الرَّجُلُ اليائِسُ الَّذي أَنا!". وَامْتَلأَ إِعْجاباً بِشَجاعَتِهِ، وَقالَ: "يَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ المَدينَةُ بِأَكْمَلِها بِهَذا".

حِزامٌ صَنَعَهُ الخَيَّاطُ لِيُخَلِّدَ مَجدَهُ، فَفِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، قَطَعَ الخَيَّاطُ حِزاماً، وَخاطَهُ، وَطَرَزَ عَلَيْهِ بِأَحْرُفٍ كَبيرَةٍ: "سَبْعَةٌ في ضَرْبَةٍ واحِدَةٍ". ثُمَّ قالَ: "لِمَ المَدينَةُ فَقَطْ؟ بَلِ العالَمُ بِأَسْرِهِ يَجِبُ أَنْ يَسْمَعَ بِهَذا!". وَارْتَدَى الحِزامَ، وَانْطَلَقَ في رِحْلَتِهِ، إِذْ رَأَى أَنَّ حُجْرَةَ عَمَلِهِ ضَيِّقَةٌ جِدّاً لِشَجاعَتِهِ.

تَجْهِيزٌ لِلرِّحْلَةِ، فَقَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ، نَظَرَ حَوْلَهُ لِيَرَى إِنْ كانَ هُناكَ ما يُمْكِنُهُ أَنْ يَحْمِلَهُ مَعَهُ، فَلَمْ يَجِدْ سِوَى جُبْنَةٍ قَديمَةٍ، فَأَخَذَها. وَعِنْدَ بابِ المَنْزِلِ، رَأَى عُصْفُوراً قَدْ عَلِقَ في الشُّجَيْراتِ، فَأَدْخَلَهُ في كِيْسِهِ إِلَى جَانِبِ الجُبْنَةِ.

لِقَاءٌ كانَ مَعَ عِمْلاقٍ، فَبَيْنَما كانَ الخَيَّاطُ يَسيرُ، بَلَغَ تَلَّةً، وَعلى قِمَّتِها كانَ عِمْلاقٌ قَوِيٌّ جالِساً يَتَأَمَّلُ المَنْظَرَ بِهُدوءٍ. فَصَعِدَ الخَيَّاطُ إِلَيْهِ، وَحَيَّاهُ بِبَشاشَةٍ، وَقالَ: "صَباحُ الخَيْرِ يا صَديقي، هَلْ تُرافِقُنِي في رِحْلَتِي؟". فَنَظَرَ العِمْلاقُ إِلَيْهِ بِاحْتِقارٍ، وَقالَ: "أَيُّها المَخْلوقُ البائِسُ الحَقيرُ!". فَأَجابَ الخَيَّاطُ: "تِلْكَ نُكْتَةٌ طَيِّبَةٌ"، وَفَتَحَ مِعْطَفَهُ لِيُرِيَ العِمْلاقَ حِزامَهُ. وَقالَ: "هَذا سَيُخْبِرُكَ عَنْ نَوْعِي". فَقَرَأَ العِمْلاقُ: "سَبْعَةٌ في ضَرْبَةٍ واحِدَةٍ"، وَظَنَّ أَنَّها بَشَرٌ قَتَلَهُمْ، فَابْتَدَأَ يَحْتَرِمُ الرَّجُلَ الصَّغيرَ. لَكِنَّهُ أَرادَ أَنْ يَخْتَبِرَهُ، فَرَفَعَ حَجَراً وَعَصَرَهُ حَتَّى نَزَلَتْ مِنْهُ قَطَراتُ ماءٍ، وَقالَ: "إِفْعَلْ مِثْلَ ذَلِكَ إِنْ كُنْتَ تَظُنُّ نَفْسَكَ قَوِيّاً".

خُدْعَةٌ كانَتْ سِلاحَ الخَيَّاطِ، فَقالَ: "هَذا فَقَطْ؟ إِنَّهُ لَعِبُ الأَطْفالِ". وَأَخْرَجَ الجُبْنَةَ مِنْ كِيْسِهِ، وَعَصَرَها حَتَّى سالَ مَصْلُها، وَقالَ: "عَصْرَتِي كانَتْ

أَفْضَلَ مِنْ عَصْرَتِكَ". فَلَمْ يَدْرِ العِمْلاقُ ما يَقُولُ، إِذْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَدِّقَ ذَلِكَ مِنْ رَجُلٍ صَغيرٍ. ثُمَّ رَفَعَ العِمْلاقُ حَجَراً آخَرَ وَرَمى بِهِ عالِياً حَتَّى كادَتِ العَيْنُ لا تَتْبَعُهُ، وَقالَ: "هَيَّا أَيُّها القَزَمُ، دَعْنِي أَراكَ تَفْعَلُ ذَلِكَ". فَقالَ الخَيَّاطُ: "رَمْيَةٌ جَيِّدَةٌ، لكِنَّ حَجَرَكَ سَقَطَ في النِّهايَةِ، أَمَّا أَنا فَسَأَرْمي بِحَجَرٍ لَنْ يَسْقُطَ أَبَداً". وَأَخْرَجَ العُصْفُورَ مِنْ كِيْسِهِ وَرَمى بِهِ في الهَواءِ، فَطارَ العُصْفُورُ مُنْطَلِقاً وَلَمْ يَعُدْ.

مُسَابَقَةٌ فَاشِلَةٌ لِلْعِمْلَاقِ، فَقَالَ: "تُحْسِنُ الرَّمْيَ يَا صَدِيقِي، لَكِنْ هَلْ تَسْتَطِيعُ حَمْلَ ثِقْلٍ حَقِيقِيٍّ؟". وَقَادَ الْخَيَّاطَ إِلَى شَجَرَةِ بَلُّوطٍ ضَخْمَةٍ قُطِعَتْ، وَقَالَ: "إِنْ كُنْتَ قَوِيّاً، فَسَاعِدْنِي فِي حَمْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ". فَقَالَ الْخَيَّاطُ: "بِكُلِّ سُرُورٍ، خُذْ أَنْتَ الْجِذْعَ عَلَى كَتِفِكَ، وَأَنَا سَأَحْمِلُ الْأَغْصَانَ، فَهِيَ الْأَثْقَلُ". فَحَمَلَ الْعِمْلَاقُ الْجِذْعَ عَلَى كَتِفِهِ، وَجَلَسَ الْخَيَّاطُ عَلَى الْأَغْصَانِ، وَأَخَذَ يُصَفِّرُ بِلَحْنٍ مُبْتَهِجٍ، كَأَنَّ حَمْلَ الشَّجَرَةِ لَيْسَ سِوَى لَعِبٍ وَمَرَحٍ. فَلَمَّا جَرَّ الْعِمْلَاقُ الثِّقَلَ مَرَّةً، لَمْ يَسْتَطِعِ الْمَضِيَّ، فَصَاحَ: "آهْ! لَا بُدَّ أَنْ أُسْقِطَ الشَّجَرَةَ!". فَقَفَزَ الْخَيَّاطُ، وَأَمْسَكَ الشَّجَرَةَ كَأَنَّهُ حَمَلَهَا طُوَالَ الطَّرِيقِ.

مَدِينَةٌ بَلَغَها الخَيَّاطُ بَعْدَ رِحْلَةٍ طَويلَةٍ، فَشَعَرَ بِالتَّعَبِ فَاضْطَجَعَ عَلى العُشْبِ وَنامَ. وَبَيْنَما هُوَ نائِمٌ، أَتَى النَّاسُ وَقَرَأُوا عَلى حِزامِهِ: "سَبْعَةٌ في ضَرْبَةٍ واحِدَةٍ"، فَقالُوا: "ماذا يُريدُ هَذا البَطَلُ العَظيمُ في بِلادِنا السَّلِمَةِ؟ إِنَّهُ لا بُدَّ أَنَّهُ رَجُلٌ شُجاعٌ جِدّاً". فَذَهَبُوا إِلى المَلِكِ وَأَخْبَرُوهُ، وَقالُوا إِنَّهُ سَيَكونُ رَجُلاً نافِعاً في زَمَنِ الحَرْبِ.

دَعْوَةٌ جاءَتْ مِنَ المَلِكِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَحَدَ حاشِيَتِهِ لِيَعْرِضَ عَلَيْهِ خِدْمَةً في الجَيْشِ. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الخَيَّاطُ، قالَ: "هَذا ما جِئْتُ مِنْ أَجْلِهِ، أَنا عَلى اسْتِعْدادٍ تامٍّ لِدُخولِ خِدْمَةِ المَلِكِ". فَاسْتُقْبِلَ بِكَرامَةٍ، وَأُعْطِيَ مَنْزِلاً خاصّاً.

حَسَدٌ تَملَّكَ الضُّبَّاطَ الآخَرينَ، فَتَمَنَّوْا لَوْ كانَ الخَيَّاطُ في مَكانٍ آخَرَ. وَقالوا: "ما الَّذي سَيَحْدُثُ إِنْ تَشاجَرْنا مَعَهُ؟ سَيَضْرِبُنا وَيَقْتُلُ سَبْعَةً مِنَّا في كُلِّ ضَرْبَةٍ". فَذَهَبوا إِلى المَلِكِ وَطَلَبُوا اسْتِقالَتَهُمْ. فَحَزِنَ المَلِكُ عَلى فَقْدِ خَدَمِهِ، وَتَمَنَّى أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ الخَيَّاطِ، لكِنَّهُ لَمْ يَجْرُؤْ عَلى طَرْدِهِ.

تَحَدٍّ جَديدٌ وَضَعَهُ المَلِكُ، فَاسْتَدْعى الخَيَّاطَ وَقالَ لَهُ: "هُناكَ عِمْلاقانِ في غابَةِ مَمْلَكَتي يُلْحِقانِ أَضْراراً كَثيرَةً، إِنْ قَتَلْتَهُما، سَأُزَوِّجُكَ ابْنَتي وَنِصْفَ

مَمْلَكَتي". فقالَ الخَيَّاطُ: "سَأَقْتُلُهما بِسُهولَةٍ، وَلا حاجَةَ لِي بِالمِئَةِ فارِسٍ". وَانْطَلَقَ إِلَى الغابَةِ.

غَابَةٌ دَخلَهَا الْخَيَّاطُ، فَأَمَرَ الْفُرْسَانَ بِالانْتِظَارِ خَارِجَهَا، وَقَالَ: "اِنْتَظِرُوا هُنَا، سَأَتَوَلَّى الْعِمْلَاقَيْنِ بِنَفْسِي". ثُمَّ تَقَدَّمَ وَحْدَهُ، يَنْظُرُ يَمِيناً وَشِمَالاً بِعَيْنَيْهِ الثَّاقِبَتَيْنِ. فَوَجَدَ الْعِمْلَاقَيْنِ نَائِمَيْنِ تَحْتَ شَجَرَةٍ، يَشْخَرَانِ حَتَّى تَكَادُ الْأَغْصَانُ تَمِيلُ. فَمَلَأَ كِيسَهُ بِالْحِجَارَةِ، وَتَسَلَّقَ الشَّجَرَةَ حَتَّى بَلَغَ مُنْتَصَفَهَا، ثُمَّ انْزَلَقَ عَلَى غُصْنٍ حَتَّى جَلَسَ فَوْقَ النَّائِمَيْنِ مُبَاشَرَةً، وَأَخَذَ يَرْمِي الْحِجَارَةَ وَاحِدَةً تِلْوَ الْأُخْرَى عَلَى أَحَدِ الْعِمْلَاقَيْنِ. فَلَمْ يَشْعُرِ الْعِمْلَاقُ بِشَيْءٍ طَوِيلاً، لَكِنَّهُ اسْتَيْقَظَ وَقَالَ لِلْآخَرِ: "لِمَاذَا ضَرَبْتَنِي؟". فَقَالَ الْآخَرُ: "لَمْ أَضْرِبْكَ، إِنَّكَ تَحْلُمُ". فَنَامَا ثَانِيَةً، فَرَمَاهُ الْخَيَّاطُ بِحَجَرٍ عَلَى الثَّانِي، فَاسْتَيْقَظَ وَقَالَ: "مَا هَذَا؟ لِمَاذَا رَمَيْتَنِي؟". فَقَالَ الْأَوَّلُ بِغَضَبٍ: "لَمْ أَرْمِكَ". فَتَشَاجَرَا قَلِيلاً، ثُمَّ نَامَا. فَرَمَاهُ الْخَيَّاطُ بِأَكْبَرِ حَجَرٍ فِي كِيسِهِ بِكُلِّ قُوَّتِهِ، فَأَصَابَ الْأَوَّلَ فِي صَدْرِهِ، فَقَفَزَ كَالْمَجْنُونِ وَصَرَخَ: "هَذَا أَكْثَرُ مِنَ اللَّازِمِ!"، وَضَرَبَ صَاحِبَهُ حَتَّى ارْتَطَمَ بِالشَّجَرَةِ، فَأَرْجَعَ لَهُ الضَّرْبَةَ بِمِثْلِهَا.

صِرَاعٌ بَيْنَ العِمْلَاقَيْنِ، فَتَشَاجَرَا حَتَّى انْتَزَعَا أَشْجَاراً مِنْ جُذُورِهَا، وَأَخَذَا يَضْرِبَانِ بَعْضَهُمَا بِهَا حَتَّى سَقَطَا مَيِّتَيْنِ مَعاً عَلَى الأَرْضِ. فَقَفَزَ الخَيَّاطُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَالَ: "لَقَدِ انْتَهَيْتُ مِنْهُمَا، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَمْراً هَيِّناً، فَقَدِ اقْتَلَعَا الأَشْجَارَ فِي صِرَاعِهِمَا". ثُمَّ أَخْرَجَ سَيْفَهُ وَوَجَّهَ لِكُلٍّ مِنَ العِمْلَاقَيْنِ طَعْنَتَيْنِ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الفُرْسَانِ وَقَالَ: "لَقَدْ أَنْهَيْتُ عَلَيْهِمَا، وَلَمْ يَمَسَّنِي سُوءٌ". فَسَأَلَهُ الْفُرْسَانُ: "أَلَمْ تُصَبْ؟". فَقَالَ: "لا خَوْفَ، لَمْ يَمَسَّا شَعْرَةً مِنْ رَأْسِي". لَكِنَّ الفُرْسَانَ لَمْ يُصَدِّقُوهُ حَتَّى دَخَلُوا الغَابَةَ وَرَأَوُا العِمْلَاقَيْنِ غَارِقَيْنِ فِي دِمَائِهِمَا، وَالأَشْجَارَ مَقْلُوعَةً مِنْ جُذُورِهَا حَوْلَهُمَا.

وَحِيدُ القَرْنِ كَانَ تَحَدِّياً آخَرَ، فَقَدْ نَدِمَ المَلِكُ عَلَى وَعْدِهِ، وَفَكَّرَ مَرَّةً أُخْرَى فِي كَيْفِيَّةِ التَّخَلُّصِ مِنَ البَطَلِ. فَقَالَ لِلْخَيَّاطِ: "قَبْلَ أَنْ تَحْصُلَ عَلَى ابْنَتِي وَنِصْفِ مَمْلَكَتِي، عَلَيْكَ أَنْ تَقُومَ بِعَمَلٍ آخَرَ مِنَ البَسَالَةِ. هُنَاكَ وَحِيدُ قَرْنٍ يَتَجَوَّلُ فِي الغَابَةِ، وَيُسَبِّبُ أَضْرَاراً كَثِيرَةً، عَلَيْكَ أَنْ تُطِيقَهُ أَوَّلاً". فَقَالَ الخَيَّاطُ: "أَنَا أَقَلُّ خَوْفاً مِنْ وَحِيدِ قَرْنٍ وَاحِدٍ مِنْ عِمْلَاقَيْنِ؛ سَبْعَةٌ فِي ضَرْبَةٍ، تِلْكَ شِعَارِي". فَأَخَذَ حَبْلاً وَفَأْساً، وَانْطَلَقَ إِلَى الغَابَةِ، وَأَمَرَ الْحُرَّاسَ بِالانْتِظَارِ خَارِجَهَا كَمَا فَعَلَ سَابِقاً. وَعِنْدَمَا رَآهُ وَحِيدُ القَرْنِ، انْدَفَعَ نَحْوَهُ كَالصَّاعِقَةِ، لَكِنَّ الخَيَّاطَ وَقَفَ بِثَبَاتٍ، وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنْهُ، قَفَزَ بِخِفَّةٍ خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَطَعَنَ الوَحِيدُ قَرْنَهُ

بِعُنْفٍ فِي جِذْعِهَا حَتَّى عَجزَ عَنْ نَزْعِهِ. فَقَالَ الخَيَّاطُ: "الآنَ أَمْسَكْتُ طَائِرِي". وَرَبَطَ الحَبْلَ حَوْلَ عُنُقِهِ، وَاسْتَخْرَجَ القَرْنَ بِالفَأْسِ، وَقَادَ الوَحِيدَ إِلَى المَلِكِ.

خِنْزِيرٌ بَرِّيٌّ كَانَ التَّحَدِّي الثَّالِثَ، فَطَلَبَ المَلِكُ مِنَ الخَيَّاطِ أَنْ يَصْطَادَ خِنْزِيراً بَرِّيّاً كَانَ يُسَبِّبُ أَضْرَاراً كَبِيرَةً فِي الغَابَةِ، وَقَالَ لَهُ: "يُمْكِنُكَ أَنْ تَأْخُذَ الصَّيَّادِينَ مَعَكَ". فَقَالَ الخَيَّاطُ: "بِكُلِّ سُرُورٍ، ذَلِكَ لَعِبُ الأَطْفَالِ". لَكِنَّهُ رَفَضَ أَنْ يَأْخُذَهُمْ مَعَهُ إِلَى الغَابَةِ، وَكَانُوا سُعَدَاءَ بِذَلِكَ، لأَنَّ الخِنْزِيرَ كَانَ قَدِ اسْتَقْبَلَهُمْ سَابِقاً بِاسْتِقْبَالٍ سَيِّئٍ لَمْ يَجْعَلْهُمْ يَرْغَبُونَ فِي مُعَاوَدَةِ اللِّقَاءِ. فَلَمَّا رَآهُ الخِنْزِيرُ، انْدَفَعَ نَحْوَهُ بِفَمٍ مُزْبِدٍ وَأَنْيَابٍ لامِعَةٍ، لَكِنَّ الخَيَّاطَ الذَّكِيَّ رَكَضَ إِلَى كَنِيسَةٍ قَرِيبَةٍ، وَقَفَزَ مِنَ النَّافِذَةِ بِقَفْزَةٍ وَاحِدَةٍ. فَتَبِعَهُ الخِنْزِيرُ إِلَى دَاخِلِ الكَنِيسَةِ، لَكِنَّ الخَيَّاطَ الْتَفَّ حَوْلَ البَابِ وَأَغْلَقَهُ بِإِحْكَامٍ، فَأُمْسِكَ الوَحْشُ الهَائِجُ الثَّقِيلُ الَّذي لَمْ يَسْتَطِعِ القَفْزَ مِنَ النَّافِذَةِ. وَاسْتَدْعَى الخَيَّاطُ الصَّيَّادِينَ لِيَرَوْا الأَسِيرَ بِأَعْيُنِهِمْ.

زَواجٌ كانَ هُوَ الجَزاءَ، فَتَزَوَّجَ الخَيّاطُ مِنَ الأَميرَةِ، وَأَصْبَحَ مَلِكاً. لكِنَّ الأَميرَةَ سَمِعَتْهُ يَقُولُ في نَوْمِهِ: "يا وَلَدي، إِصْنَعْ تِلْكَ الصِّدارَةَ وَرَقِّعْ تِلْكَ السَّراويلَ، وَإِلّا سَأَصْفَعُكَ". فَعَرَفَتْ أَنَّهُ خَيّاطٌ، فَشَكَتْ إِلى أَبيها، فَخَطَّطَ المَلِكُ لِقَتْلِهِ. وَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَتْرُكَا بَابَ غُرْفَةِ النَّوْمِ مَفْتُوحاً لَيْلَةً، وَيَقِفَ الخَدَمُ خَارِجاً، فَيَدْخُلُونَ إِذَا نَامَ الخَيَّاطُ وَيَرْبِطُونَهُ وَيَحْمِلُونَهُ إِلَى سَفِينَةٍ تُبْعِدُهُ فِي البَحْرِ. لَكِنَّ حَامِلَ السِّلَاحِ، الَّذِي كَانَ مُخْلِصاً لِسَيِّدِهِ، سَمِعَ المُؤَامَرَةَ وَأَخْبَرَ الخَيَّاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ. فَقَالَ الخَيَّاطُ: "سَأَضَعُ حَدّاً لِهَذَا الأَمْرِ قَرِيباً".

عَزْمٌ أَبْدَى الخَيَّاطُ شَجَاعَتَهُ، فَقَدْ سَمِعَ الْخُطَّةَ، وَفِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ، ذَهَبَ إِلَى فِرَاشِهِ كَالْعَادَةِ. فَلَمَّا ظَنَّتِ الأَمِيرَةُ أَنَّهُ قَدْ نَامَ، فَتَحتِ الْبَابَ وَعَادَتْ إِلَى فِرَاشِهَا. أَمَّا الخَيَّاطُ، فَلَمْ يَكُنْ نَائِماً، بَلْ بَدَأَ يَصْرُخُ بِصَوْتٍ عَالٍ: "يَا وَلَدِي، اصْنَعْ تِلْكَ الصِّدَارَةَ وَرَقِّعْ تِلْكَ السَّرَاوِيلَ، وَإِلَّا سَأَصْفَعُكَ! لَقَدْ قَتَلْتُ سَبْعَةً فِي ضَرْبَةٍ، وَعِمْلَاقَيْنِ، وَأَسَرْتُ وَحِيدَ قَرْنٍ، وَصِدْتُ خِنْزِيراً بَرِّيّاً، فَكَيْفَ أَخَافُ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَقِفُونَ خَارِجَ بَابِي؟". فَلَمَّا سَمِعَ الْجُنُودُ ذَلِكَ، فَرُّوا مُذْعُورِينَ كَأَنَّهُمْ يَطْرُدُهُمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ، وَلَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الاقْتِرَابِ مِنْهُ مَرَّةً أُخْرَى. وَهَكَذَا، بَقِيَ الخَيَّاطُ الصَّغِيرُ مَلِكاً طُوَالَ أَيَّامِ حَيَاتِهِ.

تبقى العِبْرَةُ في القَلبِ بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ المَغامَراتِ. نَّ الذَّكاءَ قَدْ يَكُونُ أَقْوى مِنَ القُوَّةِ، وَأَنَّ الثِّقَةَ بِالنَّفسِ تَصْنَعُ المُعْجِزاتِ، وَأَنَّ الشَّجاعَةَ لَيْسَتْ في عَدَمِ الخَوْفِ، بَلْ في مُواجَهَةِ العِمالِقَةِ بِالعَقْلِ قَبْلَ السِّلاحِ، وَأَنَّ الحَذَرَ لا يَمْنَعُ القَدَرَ، بَلْ يُعِينُ عَلى اجْتِيازِهِ.

—

رِحْلَةٍ إِلى لَيْلِيبوت

—

سَفَرٌ كَانَ أَوَّلَ مَغَامَرَاتِ جَالِيفَرَ، فَقَدْ وُلِدَ فِي مَقَاطِعَةِ نُوتِنْغْهَامْشَايْرَ، حَيْثُ كَانَ لِوَالِدِهِ عَقَارٌ صَغِيرٌ، وَهُوَ الثَّالِثُ مِنْ أَرْبَعَةِ إِخْوَةٍ. أَرْسَلَهُ وَالِدُهُ إِلَى كَامْبْرِيدْجَ فِي الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، فَدَرَسَ هُنَاكَ ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ ارْتَبَطَ بِالتِّلْمِذَةِ عِنْدَ السَّيِّدِ بَيْتس، الْجَرَّاحِ الْمَشْهُورِ فِي لَنْدَنَ. وَفِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ، كَانَ وَالِدُهُ يُرْسِلُ إِلَيْهِ بَيْنَ الْحِينِ وَالْآخَرِ مَبالِغَ صَغِيرَةً، فَكَانَ يُنْفِقُهَا فِي تَعَلُّمِ فُنُونِ الْمِلَاحَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي تَنْفَعُ الْمُسَافِرِينَ، إِذْ كَانَ يُؤْمِنُ أَنَّ السَّفَرَ سَيَكُونُ نَصِيبَهُ يَوْماً مَا. ثُمَّ عَمِلَ جَرَّاحاً عَلَى مَتْنِ السَّفِينَةِ "سَالُو" (وَمَعْنَاهَا "سُنُونُو") لِمُدَّةِ ثَلَاثِ سِنِينَ. وَبَعْدَ تِلْكَ الرِّحْلَةِ، اسْتَقَرَّ فِي لَنْدَنَ، وَتَزَوَّجَ مِنَ السَّيِّدَةِ مَارِي بَرْتُونَ، ابْنَةِ السَّيِّدِ إِدْمُنْدَ بَرْتُونَ، بَائِعِ الْجَوَارِبِ. لَكِنَّ مَوْتَ مُعَلِّمِهِ الْحَنُونِ، السَّيِّدِ بَيْتس، بَعْدَ سَنَتَيْنِ مِنْ زَوَاجِهِ، وَقِلَّةَ الْأَصْدِقَاءِ، جَعَلَا عَمَلَهُ يَتَرَاجَعُ، فَعَزَمَ عَلَى الْعَوْدَةِ إِلَى الْبَحْرِ مَرَّةً أُخْرَى.

مَغامَرَةٌ جَديدَةٌ بَدَأَتْ عِنْدَما قَبِلَ عَرْضاً مِنَ القُبْطانِ و. بريتشارد عَلى مَتْنِ سَفينَةِ "الأَنْتِلوبِ" المُتَّجِهَةِ إِلى البَحْرِ الجَنوبِيِّ. أَبْحَرُوا مِنْ بِرِسْتولَ في الرَّابِعِ مِنْ مَايُو عَامِ ١٦٩٩، وَكانَتِ الرِّحْلَةُ في بِدايَتِها مُوَفَّقَةً جِدّاً. لكِنَّ في طَرِيقِهِمْ إِلى جُزُرِ الهِنْدِ الشَّرْقِيَّةِ، اِجْتَاحَتْهُمْ عاصِفَةٌ عَنيفَةٌ دَفَعَتْهُمْ إِلى الشَّمالِ الغَرْبِيِّ مِنْ أَرْضِ فانْديمِنْ. ماتَ اثْنا عَشَرَ مِنْ طاقِمِهِمْ بِسَبَبِ العَمَلِ الشَّاقِّ وَالطَّعامِ السَّيِّئِ، وَكانَ الباقُونَ في حالَةٍ ضَعيفَةٍ جِدّاً.

غَرَقٌ كَانَ مَصِيرَ السَّفِينَةِ، فَفِي الْخَامِسِ مِنْ نُوفَمْبِرَ، وَالْجَوُّ ضَبَابِيٌّ، رَأَى الْبَحَّارَةُ صَخْرَةً عَلَى بُعْدِ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ يَارْدَةً مِنَ السَّفِينَةِ، لَكِنَّ الرِّيَاحَ كَانَتْ عَاتِيَةً جِدّاً، فَاصْطَدَمُوا بِهَا وَتَحَطَّمَتِ السَّفِينَةُ. سِتَّةٌ مِنَ الطَّاقِمِ، وَكَانَ جَالِيفَرُ وَاحِداً مِنْهُمْ، نَزَلُوا إِلَى قَارِبِ النَّجاةِ، وَجَدَّفُوا نَحْوَ ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ (أَيْ نَحْوَ تِسْعَةِ أَمْيَالٍ) حَتَّى أَرْهَقَهُمُ التَّعَبُ، فَتَرَكُوا أَنْفُسَهُمْ لِرَحْمَةِ الْأَمْوَاجِ. وَبَعْدَ

نِصْفِ سَاعَةٍ، انْقَلَبَ الْقَارِبُ بِفِعْلِ هَبَّةِ رِيحٍ مُفَاجِئَةٍ، وَمَا أَدْرِي مَاذَا حَلَّ بِرِفَاقِي فِي الْقَارِبِ، أَوْ بِأُولَئِكَ الَّذِينَ نَجَوْا عَلَى الصَّخْرَةِ، أَوْ تُرِكُوا فِي السَّفِينَةِ، لَكِنِّي أَظُنُّ أَنَّهُمْ جَمِيعاً هَلَكُوا. أَمَّا أَنَا، فَسَبَحْتُ حَيْثُ قَادَنِي الْقَدَرُ، وَدَفَعَتْنِي الرِّيَاحُ وَالْمَدُّ حَتَّى إِذَا لَمْ أَعُدْ أَسْتَطِيعُ النِّضَالَ، وَجَدْتُ نَفْسِي فِي مَاءٍ لَا يُغَطِّي رَأْسِي. وَكَانَتِ الْعَاصِفَةُ قَدْ خَفَّتْ كَثِيراً بِحُلُولِ ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَوَصَلْتُ إِلَى الشَّاطِئِ فِي السَّاعَةِ الثَّامِنَةِ مَسَاءً.

وُحْدَةٌ في أَرْضٍ غَريبَةٍ، فَسارَ نَحْوَ نِصْفِ ميلٍ في الدَّاخِلِ، لكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَثَراً لِسُكَّانٍ. كانَ مُرْهَقاً جِدّاً، وَبِحَرَّةِ الطَّقْسِ، شَعَرَ بِنَوْمٍ عَمِيقٍ يَغْلِبُهُ، فَاسْتَلْقى عَلى عُشْبٍ قَصيرٍ ناعِمٍ، وَنامَ نَوْماً أَعْمَقَ مِنْ أَيِّ نَوْمٍ في حَياتِهِ لِمُدَّةِ تِسْعِ ساعاتٍ. وَعِنْدَما اسْتَيْقَظَ عِنْدَ الفَجْرِ، حاوَلَ النُّهُوضَ، لكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ؛ فَقَدْ كانَ مُسْتَلْقِياً عَلى ظَهْرِهِ، وَوَجَدَ ذِراعَيْهِ وَرِجْلَيْهِ مَرْبُوطَتَيْنِ إِلى الأَرْضِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ، وَشَعْرُهُ الطَّوِيلُ الكَثيفُ مَرْبُوطٌ بِالمِثْلِ. لَمْ يَسْتَطِعْ سِوَى النَّظَرِ إِلى الأَعْلى، وَكانَتِ الشَّمْسُ قَدْ بَدَأَتْ تُحْمَرُّ فَتُؤْلِمُ عَيْنَيْهِ.

كَشْفٌ مُذْهِلٌ، فَسَمِعَ ضَجَّةً حَوْلَهُ، وَشَعَرَ بِشَيْءٍ حَيٍّ يَتَحَرَّكُ عَلَى سَاقِهِ الْيُسْرَى، ثُمَّ صَعِدَ فَوْقَ صَدْرِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى ذَقْنِهِ، فَأَطْبَقَ عَيْنَيْهِ إِلَى أَسْفَلَ، فَرَأَى مَخْلُوقاً بَشَرِيّاً صَغِيراً، لَا يَزِيدُ طُولُهُ عَنْ سِتِّ بُوصَاتٍ، يَحْمِلُ قَوْساً وَسَهْماً فِي يَدَيْهِ، وَجَعْبَةً عَلَى ظَهْرِهِ. وَشَعَرَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ بِمَا لَا يَقِلُّ عَنْ أَرْبَعِينَ آخَرِينَ يَتْبَعُونَ الْأَوَّلَ. فَذُعِرَ جَالِيفَرُ وَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ، فَفَرَّ الْكُلُّ مَذْعُورِينَ، وَقَفَزَ بَعْضُهُمْ مِنْ فَوْقِ جَسَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ، فَأُصِيبُوا بِجُرُوحٍ مِنْ شِدَّةِ السُّقُوطِ.

مُحَاوَلَةٌ لِلْفِرَارِ، فَشَدَّ جَالِيفَرُ بِقُوَّةٍ حَتَّى قَطَعَ الْحِبَالَ الَّتِي تَرْبِطُ ذِرَاعَهُ الْيُسْرَى، ثُمَّ حَاوَلَ بِشَدٍّ عَنِيفٍ أَوْلَمَهُ أَلَماً شَدِيداً أَنْ يُحَرِّرَ شَعْرَهُ، فَتَمَكَّنَ مِنْ ذَلِكَ قَلِيلاً. لَكِنَّ السُّكَّانَ الصِّغَارَ فَرُّوا مَرَّةً ثَانِيَةً قَبْلَ أَنْ يَسْتَطِيعَ الْإِمْسَاكَ بِهِمْ، ثُمَّ أَطْلَقُوا عَلَيْهِ سِهاماً كَثِيفَةً، إِذْ شَعَرَ بِأَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ سَهْمٍ تُصِيبُ يَدَهُ الْيُسْرَى، فَوَخَزَتْهُ كَالْإِبَرِ. وَسَقَطَتْ بَعْضُ السِّهَامِ عَلَى وَجْهِهِ، فَغَطَّى وَجْهَهُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى. وَبَعْدَ أَنْ تَوَقَّفَ وَابِلُ السِّهَامِ، تَأَوَّهَ جَالِيفَرُ مِنَ الْأَلَمِ وَالْحُزْنِ، ثُمَّ حَاوَلَ التَّحَرُّرَ مَرَّةً أُخْرَى، لَكِنَّهُمْ أَطْلَقُوا عَلَيْهِ وَابِلاً آخَرَ مِنَ السِّهَامِ أَكْبَرَ مِنَ الْأَوَّلِ، وَحَاوَلَ بَعْضُهُمْ طَعْنَهُ بِرِمَاحِهِمْ، لَكِنَّهُ كَانَ يَرْتَدِي سُتْرَةً جِلْدِيَّةً لَمْ يَسْتَطِيعُوا اخْتِرَاقَهَا. وَعِنْدَئِذٍ، رَأَى جَالِيفَرُ أَنَّ الْأَحْوَطَ لَهُ أَنْ يَظَلَّ سَاكِناً حَتَّى اللَّيْلِ، حِينَ يَسْتَطِيعُ تَحْرِيرَ نَفْسِهِ بِسُهُولَةٍ.

مُفَاوَضَةٌ غَرِيبَةٌ، فَبَعْدَ سَاعَةٍ مِنَ الصَّمْتِ، أَقَامَ الصِّغَارُ مَنْصَةً عَلَى بُعْدِ أَرْبَعِ يَارْدَاتٍ، وَصَعِدَ عَلَيْهَا رَجُلٌ رَفِيعُ الْمَقَامِ، وَأَلْقَى خِطَاباً طَوِيلاً لَمْ يَفْهَمْ مِنْهُ جَالِيفَرُ كَلِمَةً، لَكِنَّهُ أَدْرَكَ مِنْ حَرَكَاتِهِ أَنَّهُ بَيْنَ الْوَعِيدِ وَالرَّحْمَةِ. فَأَشَارَ جَالِيفَرُ بِأَنَّهُ جَائِعٌ، فَفَهِمَ الرَّجُلُ، وَأَمَرَ بِتَقْدِيمِ سِلَالِ الطَّعَامِ: أَرْجُلٌ وَأَكْتَافٌ كَلَحْمِ الْخَرُوفِ لَكِنَّهَا أَصْغَرُ مِنْ أَجْنِحَةِ الْقُبَّرَةِ، وَخُبْزٌ لَا يَزِيدُ عَنْ حَجْمِ الرَّصَاصَةِ. كَانَ يَأْكُلُ مِنْهَا اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً فِي كُلِّ لُقْمَةٍ. ثُمَّ أَشَارَ بِأَنَّهُ عَطْشَانُ، فَرَفَعُوا أَكْبَرَ بَرَامِيلِهِمْ إِلَيْهِ، وَدَحْرَجُوهُ نَحْوَ يَدِهِ، وَكَسَرُوا رَأْسَهُ، فَشَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً وَاحِدَةً، إِذْ لَا يَحْمِلُ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ بَاينْتٍ. ثُمَّ أَحْضَرُوا لَهُ بَرْمِيلاً ثَانِياً فَشَرِبَهُ، وَأَشَارَ بِأَنَّهُ يُرِيدُ الْمَزِيدَ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ غَيْرُ ذَلِكَ.

رِحْلَةٌ إِلَى الْعَاصِمَةِ. انْهَمَكَ الْخَمْسُمِائَةُ نَجَّارٍ وَمُهَنْدِسٍ فِي صُنْعِ آلَةٍ خَشَبِيَّةٍ هَائِلَةٍ، إِطَارٍ مِنَ الْخَشَبِ، يَرْتَفِعُ عَنِ الْأَرْضِ ثَلَاثَ بُوصَاتٍ، وَيَمْتَدُّ سَبْعَ أَقْدَامٍ فِي الطُّولِ وَأَرْبَعَةً فِي الْعَرْضِ، يَدُورُ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ عَجَلَةً، لِتَحْمِلَهُ إِلَى مَدِينَةِ الْمَلِكِ. غَيْرَ أَنَّ الْعَسِيرَ كَانَ فِي رَفْعِ جِسْمِي الْوَخْمِ عَلَيْهَا، فَنَصَبُوا ثَمَانِينَ عَمُوداً، وَأَحْكَمُوا رَبْطَ حِبَالٍ غَلِيظَةٍ بِضِمَادَاتٍ أَلَفُوهَا حَوْلَ عُنُقِي وَكَفَّيَّ وَجَسَدِي وَسَاقَيَّ، ثُمَّ جَذَبَتْ تِسْعُمِائَةُ رَجُلٍ مِنْ أَقْوَاهُمْ تِلْكَ الْحِبَالَ بِالْبَكَرَاتِ، حَتَّى رَفَعُونِي وَأَرْقَدُونِي عَلَى الْآلَةِ. وَاسْتَعَانُوا بِأَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ حِصَانٍ مِنْ أَكْبَرِ خُيُولِ الْإِمْبَرَاطُورِ، لَا تَزِيدُ أَطْوَالُهَا عَلَى أَرْبَعِ بُوصَاتٍ وَنِصْفٍ، فَجَرَّتْ ذَلِكَ الثِّقْلَ الْهَائِلَ إِلَى الْعَاصِمَةِ. فَلَمَّا وَصَلْنَا، خَرَجَ الْإِمْبَرَاطُورُ وَبَلَاطُهُ لِلِقَائِي، وَأَمَرُوا بِإِيدَاعِي فِي مَعْبَدٍ قَدِيمٍ، يُعْتَقَدُ أَنَّهُ أَوْسَعُ مَعَابِدِ الْمَمْلَكَةِ. وَعَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ بَابِهِ الْعَظِيمِ، شَدُّوا إِحْدَى وَتِسْعِينَ سِلْسِلَةً، كَتِلْكَ السَّلَاسِلِ الَّتِي تُعَلَّقُ بِسَاعَاتِ النِّسَاءِ، وَأَقْفَلُوهَا عَلَى سَاقِيَ الْيُسْرَى بِسِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ قُفْلًا. وَمَنَحَتْنِي هَذِهِ السَّلَاسِلُ، بِطُولِ يَارْدَتَيْنِ تَقْرِيباً، حُرِّيَّةَ التَّرَدُّدِ فِي نِصْفِ دَائِرَةٍ، بَلْ وَسَمَحَتْ لِي بِالزَّحْفِ إِلَى جَوْفِ الْمَعْبَدِ وَالِاسْتِلْقَاءِ بِمُقَدَّمِي فِيهِ.

حَضْرَةُ الْمَلِكِ، خَرَجَ الإِمْبَرَاطُورُ بِنَفْسِهِ مِنْ بَيْنِ حَاشِيَتِهِ، وَهُوَ أَطْوَلُ مِنْ أَيِّ رَجُلٍ فِي بَلَاطِهِ بِقَدْرِ عُرْضِ ظُفْرِي، وَكَانَ ذَلِكَ وَحْدَهُ كَافِياً لِيُلْقِيَ الْهَيْبَةَ فِي نُفُوسِ النَّاظِرِينَ، وَكَانَ مَهِيباً جَلِيلاً. وَقَدْ لَبِسَ خُوذَةً خَفِيفَةً مِنَ الذَّهَبِ، تَزَيَّنَتْ بِالجَوَاهِرِ وَرِيشَةٍ، وَبِيَدِهِ سَيْفٌ مَكْشُوفٌ لِيَحْمِيَ نَفْسَهُ إِنِ انْفَلَتَ مِنْ قَيْدِي، كَانَ طُولُهُ نَحْوَ ثَلَاثِ بُوصَاتٍ، وَمَقْبِضُهُ مِنَ الذَّهَبِ المُرَصَّعِ بِالمَاسِ. تَكَلَّمَ الإِمْبَرَاطُورُ بِصَوْتٍ حَادٍّ، لَكِنَّهُ كَانَ جَلِيًّا، فَأَطَالَ الحَدِيثَ، لَكِنَّ جَالِيفَرَ

لَمْ يَفْهَمْ كَلِمَةً، وَإِنْ رَدَّ بِمِثْلِ مَا قَالَ. وَأَمَرَ الإِمْبَرَاطُورُ عُلَمَاءَهُ بِتَعْلِيمِ جَالِيفَرَ لُغَتَهُمْ، حَتَّى أَصْبَحَ بَعْدَ أَيَّامٍ يَسْتَطِيعُ مُحَاوَرَتَهُمْ بَعْضَ الشَّيْءِ، فَطَلَبَ حُرِّيَّتَهُ كُلَّ يَوْمٍ، لَكِنَّ المَلِكَ اشْتَرَطَ لِذَلِكَ مُعَاهَدَةَ سَلَامٍ، وَتَنْفِيذَ شُرُوطٍ صَارِمَةٍ، مِنْهَا عَدَمُ مُغَادَرَةِ المَمْلَكَةِ إِلَّا بِإِذْنٍ، وَعَدَمُ الوُقُوفِ فِي الحُقُولِ، وَحَمْلُ رُسُلِ المَلِكِ فِي جَيْبِهِ إِذَا دَعَتِ الحَاجَةُ، مَعَ كَفَالَتِهِ بِطَعَامٍ وَشَرَابٍ وَافِرَيْنِ.

حَرْبٌ مَعَ بِليفوسْكو، أَخْبَرَهُ السَّكْرِتيرُ رِلْدْرِسالْ، سَكْرِتيرُ الإِمْبَرَاطُورِ لِلشُّؤُونِ الخَاصَّةِ، بِأَنَّ مَمْلَكَةَ لَيْلِيبُوتَ عَلَى وَشَكِ غَزْوٍ مِنْ بِليفوسْكو، الجَزِيرَةِ المُجاوِرَةِ، وَهِيَ الإِمْبَرَاطُورِيَّةُ الأُخْرَى فِي العَالَمِ، تَكَادُ أَنْ تَكُونَ فِي حَجْمِ مَمْلَكَةِ جَلَالَتِهِ وَفِي قُوَّتِهَا. وَأَمَّا مَا سَمِعَهُ جَالِيفَرُ عَنْ وُجُودِ مَمَالِكَ أُخْرَى فِي العَالَمِ يَسْكُنُهَا بَشَرٌ بِحَجْمِهِ، فَإِنَّ فَلاسِفَتَهُمْ يَشُكُّونَ فِي ذَلِكَ، بَلْ يَرْجِحُونَ أَنَّهُ سَقَطَ مِنَ القَمَرِ أَوْ أَحَدِ النُّجُومِ. وَتَارِيخُهُمْ يَمْتَدُّ لِسِتَّةِ آلَافِ شَهْرٍ، وَلَا يَذْكُرُ غَيْرَ الإِمْبَرَاطُورِيَّتَيْنِ العَظِيمَتَيْنِ: لَيْلِيبُوتَ وَبِليفوسْكو. وَقَدْ نَشَبَتْ بَيْنَهُمَا حَرْبٌ عَنِيفَةٌ سَبَبُهَا خِلَافٌ عَلَى طَرِيقَةِ كَسْرِ البَيْضِ، فَبَيْنَمَا كَانَ جَدُّ الإِمْبَرَاطُورِ الحَالِيِّ يَكْسِرُ البَيْضَةَ مِنْ طَرَفِهَا الكَبِيرِ، قَطَعَ إِصْبَعَهُ، فَأَصْدَرَ الإِمْبَرَاطُورُ وَالِدُهُ أَمْراً بِكَسْرِ البَيْضِ مِنَ الطَّرَفِ الصَّغِيرِ. فَثَارَ الشَّعْبُ عَلَى هَذَا الأَمْرِ، وَقَامَتْ سِتُّ ثَوْرَاتٍ بِسَبَبِهِ، خَسِرَ فِي إِحْدَاهَا إِمْبَرَاطُورٌ حَيَاتَهُ، وَفِي أُخْرَى تَاجَهُ. وَقَدْ عَانَى أَلْفٌ وَمِائَةُ شَخْصٍ فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَفَضَّلُوا المَعَانَاةَ عَلَى كَسْرِ بَيْضِهِمْ مِنَ الطَّرَفِ الصَّغِيرِ. وَقَدْ وَجَدَ هَؤُلَاءِ الثُّوَّارُ، الَّذِينَ سُمُّوا "الكِبَارِيِّينَ"، تَشْجِيعاً وَمَلْجَأً فِي بَلَاطِ إِمْبَرَاطُورِ بِليفوسْكو، مِمَّا أَشْعَلَ نَارَ الحَرْبِ بَيْنَ الإِمْبَرَاطُورِيَّتَيْنِ، وَاسْتَمَرَّتْ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ شَهْراً.

خُطَّةٌ جَرِيئَةٌ، طَلَبَ جَالِيفَرُ مِنَ المَلِكِ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِخَطْفِ الأُسْطُولِ البِليفوسْكِيِّ. فَاسْتَشَارَ أَكْثَرَ البَحَّارَةِ خِبْرَةً فِي عُمقِ المَضِيقِ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ فِي الوَسَطِ عِنْدَ المَدِّ يَبْلُغُ سَبْعِينَ "جْلُومْكِيفْ" (أَيْ نَحْوَ سِتَّةِ أَقْدَامٍ بِالمِقْيَاسِ الأُورُبِّيِّ)، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الشَّاطِئِ، وَاسْتَلْقَى خَلْفَ تَلَّةٍ صَغِيرَةٍ، وَأَخْرَجَ نَظَّارَتَهُ المُكَبِّرَةَ، فَرَأَى أُسْطُولَ العَدُوِّ رَاسِياً، وَفِيهِ نَحْوُ خَمْسِينَ سَفِينَةً حَرْبِيَّةً، إِلَى جَانِبِ سُفُنٍ أُخْرَى. ثُمَّ عَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ كَمِّيَّاتٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الحِبَالِ القَوِيَّةِ وَقُضْبَانِ الحَدِيدِ، فَضَاعَفَ الحِبَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلَوَى ثَلَاثَةَ قُضْبَانٍ مَعاً، وَثَنَى أَطْرَافَهَا عَلَى هَيْئَةِ خَطَّافَاتٍ. ثُمَّ عَبَرَ المَضِيقَ قُبَيْلَ المَدِّ، وَفِي أَقَلَّ مِنْ نِصْفِ سَاعَةٍ وَصَلَ إِلَى الأُسْطُولِ. فَلَمَّا رَآهُ الأَعْدَاءُ فَزِعُوا وَقَفَزُوا إِلَى البَحْرِ، وَكَانُوا لَا يَقِلُّونَ عَنْ ثَلَاثِينَ أَلْفاً. ثُمَّ رَبَطَ

الخَطَّافَاتِ بِثُقُوبِ مَقَادِمِ السُّفُنِ، وَجَمَعَ الحِبَالَ فِي عُقْدَةٍ وَاحِدَةٍ، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ أَطْلَقَ عَلَيْهِ العَدُوُّ آلافَ السِّهَامِ، فَعَلِقَ كَثِيرٌ مِنْهَا بِوَجْهِهِ وَيَدَيْهِ، فَتَذَكَّرَ نَظَّارَتَهُ الَّتِي أَخْفَاهَا عَنِ المُفَتِّشِينَ، فَأَخْرَجَهَا وَوَضَعَهَا عَلَى أَنْفِهِ، ثُمَّ جَرَّ خَمْسِينَ سَفِينَةً حَرْبِيَّةً مِنْ أَكْبَرِ سُفُنِهِمْ نَحْوَ لَيْلِيبُوت، رَغْمَ إِصَابَتِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ مِئَتَيْ سَهْمٍ فِي وَجْهِهِ وَيَدَيْهِ. فَاسْتَقْبَلَهُ المَلِكُ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ، وَمَنَحَهُ أَعْلَى الأَلْقَابِ فِي المَمْلَكَةِ.

عِزَّةُ جالِيفَرَ الأَخْلاقِيَّةُ، فَقَدْ طَلَبَ المَلِكُ مِنْهُ أَنْ يَغْتَنِمَ الفُرْصَةَ لِيَجْلِبَ إِلَى مَوَانِئِهِ بَقِيَّةَ سُفُنِ عَدُوِّهِ، وَكَأَنَّهُ لا يُفَكِّرُ فِي شَيْءٍ أَقَلَّ مِنَ احْتِلَالِ إِمْبَرَاطُورِيَّةِ بِلِيفوسْكو بِأَكْمَلِهَا، وَأَنْ يُصْبِحَ المَلِكَ الأَوْحَدَ لِلْعَالَمِ. لَكِنَّ جَالِيفَرَ اعْتَرَضَ عَلَانِيَةً، وَأَقْسَمَ أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ أَبَداً وَسِيلَةً لِاسْتِعْبَادِ شَعْبٍ حُرٍّ شُجَاعٍ. وَمَعَ أَنَّ أَكْثَرَ الوُزَرَاءِ حِكْمَةً كَانُوا مِنْ رَأْيِهِ، إِلَّا أَنَّ رَفْضَهُ العَلَنِيَّ كَانَ مُعَارِضاً بِشِدَّةٍ لِطُمُوحِ جَلَالَتِهِ، حَتَّى إِنَّ المَلِكَ لَمْ يَغْفِرْ لَهُ ذَلِكَ أَبَداً. وَمِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ، بَدَأَتْ مُؤَامَرَةٌ بَيْنَ المَلِكِ وَأُولَئِكَ الوُزَرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا أَعْدَاءً لِجَالِيفَرَ، كَادَتْ أَنْ تَنْتَهِيَ بِهَلَاكِهِ التَّامِّ.

مُؤامَرَةٌ ضِدَّ جالِيفَرَ، فَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي، جَاءَهُ صَدِيقٌ رَفِيعُ المَقَامِ فِي البَلَاطِ، كَانَ جَالِيفَرُ قَدْ أَسْدَى إِلَيْهِ خِدْمَةً عَظِيمَةً مِنْ قَبْلُ، إِلَى مَنْزِلِهِ فِي سِرِّيَّةٍ تَامَّةٍ، وَاسْتَأْذَنَ فِي الدُّخُولِ. فَوَضَعَهُ جالِيفَرُ فِي جَيْبِ مِعْطَفِهِ، وَأَمَرَ خَادِماً أَمِيناً بِأَلَّا يَأْذَنَ لِأَحَدٍ، ثُمَّ أَغْلَقَ البَابَ، وَوَضَعَ زَائِرَهُ عَلَى المَائِدَةِ. فَأَخْبَرَهُ الصَّدِيقُ بِأَنَّ الأَدْمِيرَالَ سْكَايْرِشْ بُولْغُولَامْ، وَالخَزِينَ، قَدِ اتَّهَمَاهُ بِالخِيَانَةِ، وَعُقِدَتْ مَجَالِسُ عِدَّةٌ لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِهِ. وَكَانَتِ التُّهَمُ ثَلَاثاً: الأُولَى: أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ جَلَبَ الأُسْطُولَ الإِمْبَرَاطُورِيَّ إِلَى المِينَاءِ، أُمِرَ بِالاِسْتِيلَاءِ عَلَى بَقِيَّةِ السُّفُنِ، وَقَتْلِ المَنْفِيِّينَ الكِبَارِيِّينَ، لَكِنَّهُ امْتَنَعَ كَخَائِنٍ. الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ حِينَ وَصَلَ سُفَرَاءُ بِلِيفوسْكو، سَاعَدَهُمْ وَآوَاهُمْ، مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُمْ خُدَّامُ عَدُوٍّ لِلإِمْبَرَاطُورِ. الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ يَسْتَعِدُّ لِلرِّحْلَةِ إِلَى بَلَاطِ بِلِيفوسْكو. فَأَصَرَّ الأَدْمِيرَالُ وَالخَزِينُ عَلَى إِعْدَامِهِ إِعْدَاماً مُخْزِياً. لَكِنَّ صَدِيقَهُ رِلْدْرِسَالْ، سَكْرِتِيرَ الشُّؤُونِ الخَاصَّةِ، اقْتَرَحَ عَلَى المَلِكِ أَنْ يُبْقِيَ عَلَى حَيَاتِهِ وَيَكْتَفِيَ بِفَقْءِ عَيْنَيْهِ، مُشِيراً إِلَى أَنَّ العَدَالَةَ قَدْ تَرْتَضِي بِذَلِكَ. فَغَضِبَ بُولْغُولَامْ غَضَباً شَدِيداً، مُتَعَجِّباً كَيْفَ يَتَجَرَّأُ السَّكْرِتيرُ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الإِبْقَاءِ عَلَى حَيَاةِ خَائِنٍ. وَأَشَارَ الخَزِينُ إِلَى نَفَقَةِ إِطْعَامِ جَالِيفَرَ، فَحَثَّ عَلَى إِعْدَامِهِ. لَكِنَّ المَلِكَ وَافَقَ عَلَى فَقْءِ عَيْنَيْهِ مُؤَقَّتاً، مَعَ إِمْكَانِيَّةِ إِتْبَاعِهَا بِعُقُوبَةٍ أُخْرَى. فَاقْتَرَحَ رِلْدْرِسَالْ تَخْفِيضَ مُؤُونَتِهِ تَدْرِيجِيّاً حَتَّى يَضْعُفَ وَيَمُوتَ فِي بِضْعَةِ أَشْهُرٍ، وَأَنْ يَحْضُرَ عِشْرُونَ جَرَّاحاً

لِيَشْهَدُوا عَمَلِيَّةَ فَقْءِ عَيْنَيْهِ بِإِطْلَاقِ سِهَامٍ حَادَّةٍ فِي مُقْلَتَيْهِ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى الأَرْضِ. فَلَمَّا عَلِمَ جَالِيفَرُ بِذَلِكَ، فَكَّرَ أَوَّلاً فِي المُقَاوَمَةِ العَنِيفَةِ، إِذْ كَانَ بِاسْتِطَاعَتِهِ تَحْطِيمُ العَاصِمَةِ بِالحِجَارَةِ، لَكِنَّهُ رَفَضَ الفِكْرَةَ مُرْتَعِباً، مُتَذَكِّراً القَسَمَ الَّذِي قَطَعَهُ لِلإِمْبَرَاطُورِ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِ. فَكَتَبَ رِسَالَةً إِلَى صَدِيقِهِ السَّكْرِتِيرِ يُعْلِمُهُ فِيهَا بِقَرَارِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى السَّاحِلِ، وَدُونَ انْتِظَارِ الرَّدِّ، عَبَرَ المَضِيقَ وَوَصَلَ إِلَى مِينَاءِ بِليفوسْكو، حَيْثُ اسْتَقْبَلَهُ المَلِكُ بِحَفَاوَةٍ بَالِغَةٍ.

عَوْدَةٌ إِلَى إِنْجِلْترا، فَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ وُصُولِهِ إِلَى بليفوسْكو، خَرَجَ جَالِيفَرُ بِفضُولٍ إِلَى السَّاحِلِ الشَّمَالِيِّ الشَّرْقِيِّ لِلْجَزِيرَةِ، فَرَأَى عَلَى بُعْدٍ فِي البَحْرِ شَيْئاً كَقَارِبٍ مَقْلُوبٍ، فَخَلَعَ حِذَاءَهُ وَجَوَارِبَهُ، وَخَاضَ المَاءَ مِئَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ مِئَةِ يَارْدَةٍ، حَتَّى تَأَكَّدَ أَنَّهُ قَارِبٌ حَقِيقِيٌّ، قَذَفَتْهُ العَوَاصِفُ مِنْ سَفِينَةٍ مَا. فَعَادَ فَوْراً إِلَى المَدِينَةِ يَطْلُبُ المُسَاعَدَةَ، وَبَعْدَ جَهْدٍ هَائِلٍ، تَمَكَّنَ مِنْ إِيصَالِ القَارِبِ إِلَى المِينَاءِ المَلَكِيِّ، فَأَخْبَرَ الإِمْبَرَاطُورَ أَنَّ حَظَّهُ السَّعِيدَ قَدْ أَلْقَى هَذَا القَارِبَ فِي طَرِيقِهِ لِيَحْمِلَهُ إِلَى مَكَانٍ يَعُودُ مِنْهُ إِلَى وَطَنِهِ، وَالْتَمَسَ أَمْرَهُ بِتَوْفِيرِ المَوَادِّ لِتَجْهِيزِهِ، وَالإِذْنِ بِالمُغَادَرَةِ. فَأَذِنَ لَهُ الإِمْبَرَاطُورُ بَعْدَ كَلِمَاتٍ لَطِيفَةٍ كَثِيرَةٍ. وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ، كَانَ إِمْبَرَاطُورُ لَيْلِيبُوتَ قَدْ أَرْسَلَ رَسُولاً إِلَى بليفوسْكو، يُعْلِمُهُ بِمَخْزَاةِ جَالِيفَرَ، وَيَطْلُبُ إِعَادَتَهُ مُقَيَّداً لِيُعَاقَبَ كَخَائِنٍ. لَكِنَّ إِمْبَرَاطُورَ بليفوسْكو رَدَّ بِاعْتِذَارَاتٍ مُهَذَّبَةٍ، مُشِيراً إِلَى اسْتِحَالَةِ إِرْسَالِهِ مُقَيَّداً، وَأَنَّهُ شَكُورٌ لِجَالِيفَرَ عَلَى صُنْعِهِ السَّلَامَ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ أَمَرَ بِتَجْهِيزِ قَارِبِهِ، عَلَى أَمَلِ أَنْ تَتَخَلَّصَ الإِمْبَرَاطُورِيَّتَانِ مِنْهُ قَرِيباً. وَعَرَضَ عَلَيْهِ مَلِكُ بليفوسْكو سِرّاً حِمَايَتَهُ الكَرِيمَةَ إِنْ بَقِيَ فِي خِدْمَتِهِ، لَكِنَّ جَالِيفَرَ عَجَّلَ بِالرَّحِيلِ، عَازِماً عَلَى أَلَّا يَثِقَ بِالمُلُوكِ مَرَّةً أُخْرَى. وَعِنْدَ وَقْتِ المُغَادَرَةِ، قَدَّمَ لَهُ الإِمْبَرَاطُورُ خَمْسِينَ كِيساً مِنْ عُمْلَةِ "سْبْرُوج" الذَّهَبِيَّةِ، وَصُورَتَهُ بِطُولِ قَامَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي قُفَّازِهِ لِتَحْفَظَ مِنَ التَّلَفِ. ثُمَّ خَزَّنَ جَالِيفَرُ فِي القَارِبِ طَعَاماً وَشَرَاباً، وَأَخَذَ مَعَهُ سِتَّ بَقَرَاتٍ وَثَوْرَيْنِ أَحْيَاءَ، وَمِثْلَهَا مِنَ النِّعَاجِ وَالكِبَاشِ، وَحُزْمَةً كَبِيرَةً مِنَ التِّبْنِ وَكِيساً مِنَ الحُبُوبِ لِإِطْعَامِهَا فِي البَحْرِ. وَقَدْ كَانَ يَوَدُّ لَوْ أَخَذَ اثْنَيْ عَشَرَ مِنَ السُّكَّانِ، لَكِنَّ الإِمْبَرَاطُورَ لَمْ يَسْمَحْ بِذَلِكَ، بَلْ أَلْزَمَهُ بِشَرَفِهِ بَعْدَ تَفْتِيشٍ دَقِيقٍ لِجُيُوبِهِ أَلَّا يَحْمِلَ أَحَداً مِنْ رَعَايَاهُ، وَلَوْ بِرِضَاهُمْ.

أَبْحَرَ جَالِيفَرُ فِي السَّادِسِ وَالعِشْرِينَ مِنْ سِبْتِمْبَرَ عَامَ ١٧٠١، وَبَعْدَ أَنْ قَطَعَ أَرْبَعاً وَعِشْرِينَ فَرْسَخاً، رَأَى شِرَاعاً يَتَّجِهُ شِمَالًا شَرْقِيّاً، فَصَفَّرَ عَلَيْهِ لَكِنْ لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، ثُمَّ تَضَاءَلَتِ الرِّيَاحُ فَلَحِقَ بِهَا، حَتَّى إِذَا اقْتَرَبَتْ مِنْهُ السَّفِينَةُ

أَطْلَقَتْ مَدْفعاً، وَالْتَحقَ بِهَا بَيْنَ الخَامِسَةِ وَالسَّادِسَةِ مَساءً. وَمَا أَعْظَمَ فَرحَهُ حِينَ رَأَى أَعْلَامَهَا الإِنْجْلِيزِيَّةَ! فَوضَعَ بَقَرَاتِهِ وَخِرَافَهُ فِي جُيُوبِ مِعْطَفِهِ، وَصَعِدَ عَلَى مَتْنِ السَّفِينَةِ بِحُمُولَتِهِ الصَّغِيرَةِ. اسْتَقْبَلَهُ القُبْطَانُ بِلُطْفٍ، وَسَأَلَهُ عَنْ آخِرِ مَكَانٍ جَاءَ مِنْهُ، فَلَمَّا أَجَابَهُ ظَنَّ القُبْطَانُ أَنَّهُ يَهْذِي، لَكِنَّ جَالِيفَرَ أَخْرَجَ مَوَاشِيَهُ الصَّغِيرَةَ مِنْ جَيْبِهِ، فَأَيْقَنَ القُبْطَانُ بِالحَقِيقَةِ بَعْدَ دَهْشَةٍ عَظِيمَةٍ. وَصَلَ إِلَى إِنْجِلْترا فِي الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ أَبْرِيلَ عَامِ ١٧٠٢، فَمَكَثَ شَهْرَيْنِ مَعَ زَوْجَتِهِ وَعَائِلَتِهِ، وَرَبِحَ مَبْلَغاً كَبِيراً بِعَرْضِ مَوَاشِيهِ عَلَى ذَوِي المَكَانَةِ وَغَيْرِهِمْ، ثُمَّ بَاعَهَا قَبْلَ رِحْلَتِهِ الثَّانِيَةِ بِستِّ مِئَةِ جُنَيْهٍ. وَتَرَكَ لِزَوْجَتِهِ أَلْفاً وَخَمْسَ مِئَةِ جُنَيْهٍ، وَأَسْكَنَهَا فِي مَنْزِلٍ جَيِّدٍ، ثُمَّ أَخَذَ يَوَدِّعُهَا وَوَلَدَهُ وَابْنَتَهُ بِالدُّمُوعِ مِنَ الجَانِبَيْنِ، وَصَعِدَ عَلَى مَتْنِ السَّفِينَةِ "أَدْفِنْتْشَر" لِيَبْدَأَ رِحْلَتَهُ الثَّانِيَةَ.

تَنْتَهِي حِكايَةُ "رِحْلَةٍ إِلى لَيْلِيبوت"، وَتَبْقَى في القَلْبِ عِبْرَةٌ: أَنَّ الصِّغَرَ لا يَنْفِي العَظَمَةَ، وَالكِبَرَ لا يَنْفِي الذَّكاءَ، وَأَنَّ الحُرِّيَّةَ أَغْلى مِنَ السُّلْطانِ، وَأَنَّ الوَفاءَ لِلْمَبادِئِ خَيْرٌ مِنَ الخُضُوعِ لِلطُّغْيانِ، وَأَنَّ العَقْلَ يَصْنَعُ المُعْجِزاتِ، حَتَّى في أَصْغَرِ العَوالِمِ.

—

"الأَمِيرَةِ عَلى التَّلِّ الزُجاجِيِّ"

—

مَرْجٌ كَانَ لِرَجُلٍ فِي جَانِبِ الْجَبَلِ، وَفِيهِ حَظِيرَةٌ بَنَاهَا لِيَخْزِنَ فِيهَا تِبْنَهُ. لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ فِيهَا تِبْناً كَثِيراً طَوَالَ السَّنَتَيْنِ الْمَاضِيَتَيْنِ، فَفِي كُلِّ لَيْلَةِ عِيدِ الْقِدِّيسِ يُوحَنَّا، بَيْنَمَا كَانَ الْمَرْجُ فِي أَوْجِ نَضَارَتِهِ، كَانَ الْعُشْبُ يُؤْكَلُ كُلُّهُ كَنساً، حَتَّى يَصِلَ إِلَى التُّرَابِ، كَأَنَّ قَطِيعاً مِنَ الْأَغْنَامِ قَدِ اجْتَاحَهُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ. حَدَثَ هَذَا مَرَّةً، وَحَدَثَ مَرَّتَيْنِ، حَتَّى ضَجِرَ الرَّجُلُ مِنْ خَسَارَةِ مَحْصُولِهِ، فَقَالَ لِأَبْنَائِهِ، وَكَانُوا ثَلَاثَةً، وَالثَّالِثُ مِنْهُمْ يُدْعَى "سِنْدِرْلَاذْ": إِنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ أَنْ يَذْهَبَ لِيَبِيتَ فِي الْحَظِيرَةِ لَيْلَةَ عِيدِ الْقِدِّيسِ يُوحَنَّا، فَمِنَ السَّخَافَةِ أَنْ نَدَعَ الْعُشْبَ يُؤْكَلُ مَرَّةً أُخْرَى، وَرَقاً وَسَاقاً، كَمَا حَدَثَ فِي الْعَامَيْنِ الْمَاضِيَيْنِ، وَعَلَى الْحَارِسِ أَنْ يَكُونَ مُتَيَقِّظاً.

حِرَاسَةٌ قَامَ بِهَا الِابْنُ الْأَكْبَرُ، فَكَانَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ تَامٍّ لِلذَّهَابِ إِلَى الْمَرْجِ، وَقَالَ إِنَّهُ سَيَرْعَى الْعُشْبَ، وَسَيَفْعَلُ ذَلِكَ بِإِتْقَانٍ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ لَا إِنْسَانٌ وَلَا

حَيَوانٌ وَلَا حَتَّى الشَّيْطَانُ أَنْ يَمَسَّهُ. فَلَمَّا حَلَّ الْمَسَاءُ، ذَهَبَ إِلَى الْحَظِيرَةِ وَاضْطَجَعَ لِيَنَامَ. وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ اللَّيْلُ، حَدَثَتْ قَعْقَعَةٌ وَزَلْزَلَةٌ عَنِيفَةٌ، حَتَّى اهْتَزَّتِ الْجُدْرَانُ وَالسَّقْفُ أَيْضاً. فَقَفَزَ الْفَتَى وَوَلَّى هَارِباً بِأَسْرَعِ مَا تَسْتَطِيعُ رِجْلَاهُ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ خَلْفَهُ أَبَداً. أَمَّا الْحَظِيرَةُ، فَقَدْ بَقِيَتْ فَارِغَةً ذَلِكَ الْعَامِ، كَمَا كَانَتْ فِي الْعَامَيْنِ السَّابِقَيْنِ.

عَزْمٌ تَمَلَّكَ الِابْنَ الثَّانِي فِي الْعَامِ التَّالِي، لَكِنَّ الأَبَ قَالَ مَرَّةً أُخْرَى إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الِاسْتِمْرَارَ فِي خَسَارَةِ الْعُشْبِ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ، وَأَنَّ عَلَى أَحَدِ أَبْنَائِهِ أَنْ يَذْهَبَ وَيَرْعَاهُ، وَيَرْعَاهُ جَيِّداً. فَكَانَ الِابْنُ الأَكْبَرُ الثَّانِي عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِيُرِيَ مَا يَسْتَطِيعُ. فَذَهَبَ إِلَى الْحَظِيرَةِ وَاضْطَجَعَ لِيَنَامَ، كَمَا فَعَلَ أَخُوهُ. لَكِنَّ الزَّلْزَلَةَ وَالْقَعْقَعَةَ كَانَتَا أَشَدَّ مِنْ سَابِقَتِهِمَا، وَعِنْدَمَا سَمِعَهَا الْفَتَى فَزِعَ وَانْطَلَقَ يُولِي هَارِباً كَأَنَّهُ يَتَسَابَقُ عَلَى رِهَانٍ.

صَبْرُ سِنْدِرْلَادْ، أَصْغَرِ الإِخْوَةِ، جَاءَ فِي الْعَامِ الثَّالِثِ. قَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ بِسُخْرِيَةٍ: "أَنْتَ رَجُلٌ مُنَاسِبٌ لِحِرَاسَةِ التِّبْنِ، يَا مَنْ لَمْ تَتَعَلَّمْ شَيْئاً سِوَى الْجُلُوسِ فِي الرَّمَادِ وَالتَّدَفُّئِ بِالنَّارِ!". لَكِنَّ سِنْدِرْلَادْ لَمْ يُبَالِ بِسُخْرِيَتِهِمْ، وَذَهَبَ إِلَى الْمَرْجِ عِنْدَ الْمَسَاءِ. فَلَمَّا وَصَلَ، دَخَلَ الْحَظِيرَةَ وَاضْطَجَعَ، وَبَعْدَ نَحْوِ سَاعَةٍ، بَدَأَتِ الْقَعْقَعَةُ وَالصَّرِيرُ، وَكَانَ صَوْتُهَا مُرْعِباً. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: "إِنْ لَمْ تَزِدْ عَنْ هَذَا، فَأَنَا قَادِرٌ عَلَى تَحَمُّلِهَا". وَبَعْدَ قَلِيلٍ، عَادَ الصَّرِيرُ، وَاهْتَزَّتِ الأَرْضُ حَتَّى تَطَايَرَ التِّبْنُ حَوْلَهُ، فَقَالَ: "إِنْ لَمْ تَزِدْ عَنْ هَذَا، فَأَنَا قَادِرٌ عَلَى تَحَمُّلِهَا". ثُمَّ جَاءَتْ قَعْقَعَةٌ ثَالِثَةٌ وَزَلْزَلَةٌ ثَالِثَةٌ، عَنِيفَةٌ جِدّاً حَتَّى ظَنَّ أَنَّ الْجُدْرَانَ وَالسَّقْفَ قَدِ انْهَارَا، لَكِنْ حِينَ انْتَهَتْ، عَمَّ الصَّمْتُ الْمُطْبِقُ حَوْلَهُ كَالْمَوْتِ. وَظَنَّ أَنَّهَا سَتَعُودُ، لَكِنَّهَا لَمْ تَعُدْ. وَبَعْدَ أَنْ مَكَثَ سَاكِناً وَقْتاً قَصِيراً، سَمِعَ صَوْتَ حِصَانٍ يَقْتَضِمُ الْعُشْبَ خَارِجَ الْحَظِيرَةِ، فَتَسَلَّلَ إِلَى الْبَابِ، وَكَانَ مُفْتَحاً قَلِيلاً، فَرَأَى حِصَاناً ضَخْماً سَمِيناً جَمِيلاً لَمْ يَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، وَعَلَيْهِ سَرْجٌ وَلِجَامٌ، وَدِرْعٌ كَامِلَةٌ لِفَارِسٍ، كُلُّهَا مِنْ نُحَاسٍ يَلْمَعُ حَتَّى أَضَاءَ مَا حَوْلَهُ.

قَبْضٌ عَلَى الْحِصَانِ النُّحَاسِيِّ، فَأَخْرَجَ سِنْدِرْلَادْ عُلْبَةَ الْقَدَّاحَةِ مِنْ جَيْبِهِ، وَرَمَى بِالصَّوَّانِ عَلَى الْحِصَانِ، فَلَمْ يَعُدْ لِلْحِصَانِ قُدْرَةٌ عَلَى الْحَرَكَةِ مِنْ مَكَانِهِ، وَأَصْبَحَ مَرُوضاً حَتَّى اسْتَطَاعَ الْفَتَى أَنْ يَفْعَلَ بِهِ مَا يَشَاءُ. رَكِبَهُ سِنْدِرْلَادْ إِلَى مَكَانٍ سِرِّيٍّ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ سِوَاهُ، وَرَبَطَهُ هُنَاكَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَنْزِلِ. فَضَحِكَ إِخْوَتُهُ وَسَأَلُوهُ كَيْفَ كَانَتْ لَيْلَتُهُ، فَقَالُوا: "لَمْ تَمْكُثْ طَوِيلاً فِي الْحَظِيرَةِ، حَتَّى لَوْ كُنْتَ قَدْ ذَهَبْتَ إِلَى الْحَقْلِ!". فَأَجَابَ: "نِمْتُ مُرْتَاحاً فِي

الْحَظِيرَةِ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَلَمْ أَرَ وَلَمْ أَسْمَعْ شَيْئاً، وَاللهُ أَعْلَمُ مَا الَّذِي أَخَافَكُمَا". وَلَمَّا ذَهَبُوا إِلَى الْمَرْجِ، وَجَدُوا الْعُشْبَ قَائِماً طَوِيلاً كَثِيفاً كَمَا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ.

تَكْرَارٌ حَصَلَ فِي لَيْلَةِ عِيدِ الْقِدِّيسِ يُوحَنَّا التَّالِيَةِ، فَلَمْ يَجْرُؤْ أَحَدُ الأَخَوَيْنِ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى الْحَظِيرَةِ، لَكِنَّ سِنْدِرْلَادْ ذَهَبَ. وَحَدَثَ كُلُّ شَيْءٍ كَسَابِقِهِ: زَلْزَلَةٌ، ثُمَّ أُخْرَى، ثُمَّ ثَالِثَةٌ، وَكَانَتِ الزَّلَازِلُ الثَّلَاثُ أَشَدَّ وَأَعْنَفَ بِكَثِيرٍ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الْعَامِ الْمَاضِي. ثُمَّ عَمَّ الصَّمْتُ كَالْمَوْتِ، وَسَمِعَ الْفَتَى صَوْتَ حِصَانٍ يَقْتَضِمُ الْعُشْبَ، فَتَسَلَّلَ إِلَى الْبَابِ فَرَأَى حِصَاناً آخَرَ، أَكْبَرَ وَأَسْمَنَ مِنَ الْأَوَّلِ، عَلَيْهِ سَرْجٌ وَلِجَامٌ، وَدِرْعٌ كَامِلَةٌ لِفَارِسٍ مِنْ فِضَّةٍ لَامِعَةٍ كَالشَّمْسِ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: "هَاأَنْتَ ذَا تَأْكُلُ تِبْنَنَا فِي اللَّيْلِ، لَكِنِّي سَأَضَعُ حَدّاً لِذَلِكَ". وَأَخْرَجَ عُلْبَةَ الْقَدَّاحَةِ، وَرَمَى بِالصَّوَّانِ عَلَى عُرْفِ الْحِصَانِ، فَوَقَفَ الْحِصَانُ سَاكِناً وَدِيعاً كَالْخَرُوفِ. فَرَكِبَهُ سِنْدِرْلَادْ إِلَى مَكَانِهِ السِّرِّيِّ، وَرَبَطَهُ مَعَ الْأَوَّلِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَنْزِلِ. فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ بِسُخْرِيَةٍ: "أَظُنُّكَ سَتُخْبِرُنَا أَنَّكَ حَرَسْتَ الْعُشْبَ جَيِّداً هَذِهِ الْمَرَّةِ أَيْضاً!"، فَأَجَابَ: "بَلَى، لَقَدْ فَعَلْتُ". وَلَمَّا ذَهَبُوا إِلَى الْمَرْجِ، وَجَدُوا الْعُشْبَ قَائِماً طَوِيلاً كَثِيفاً كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ، لَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْهُمْ لُطْفاً بِسِنْدِرْلَادْ.

ثَالِثَةُ الْأَثَافِيِّ، جَاءَتْ فِي الْعَامِ الثَّالِثِ، فَلَمْ يَجْرُؤْ أَحَدُ الأَخَوَيْنِ الْأَكْبَرَيْنِ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى الْحَظِيرَةِ لِحِرَاسَةِ الْعُشْبِ، لِشِدَّةِ مَا كَانَا قَدْ فَزِعَا فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي نَامَا فِيهَا هُنَاكَ، حَتَّى لَمْ يَسْتَطِيعَا تَجَاوُزَ ذَلِكَ الرُّعْبِ. أَمَّا سِنْدِرْلَادْ، فَتَجَرَّأَ وَذَهَبَ، وَحَدَثَ كُلُّ شَيْءٍ كَمَا حَدَثَ فِي اللَّيْلَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ. فَكَانَتْ هُنَاكَ ثَلَاثُ زَلَازِلَ، كُلُّ وَاحِدَةٍ أَشَدَّ مِنَ الْأُخْرَى، وَكَانَتِ الْأَخِيرَةُ مِنْهَا عَنِيفَةً حَتَّى قَذَفَتْهُ مِنْ جِدَارِ الْحَظِيرَةِ إِلَى الْآخَرِ، ثُمَّ هَدَأَ كُلُّ شَيْءٍ. فَتَسَلَّلَ إِلَى الْبَابِ، وَإِذَا بِحِصَانٍ ثَالِثٍ، أَضْخَمَ وَأَسْمَنَ مِنَ الِاثْنَيْنِ، عَلَيْهِ سَرْجٌ وَلِجَامٌ، وَدِرْعٌ كَامِلَةٌ لِفَارِسٍ مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ، يَلْمَعُ حَتَّى انْعَكَسَ ضَوْؤُهُ حَوْلَهُ. فَقَالَ سِنْدِرْلَادْ فِي نَفْسِهِ: "هَا، هَا! أَأَنْتَ إِذَنْ تَأْكُلُ تِبْنَنَا هَذِهِ الْمَرَّةَ؟ لَكِنِّي سَأَضَعُ حَدّاً لِذَلِكَ". فَأَخْرَجَ عُلْبَةَ الْقَدَّاحَةِ وَرَمَى بِالصَّوَّانِ عَلَى الْحِصَانِ، فَوَقَفَ سَاكِناً كَأَنَّهُ مُسَمَّرٌ فِي الْحَقْلِ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ مَا يَشَاءُ. فَرَكِبَهُ إِلَى مَكَانِهِ السِّرِّيِّ، وَرَبَطَهُ مَعَ الْآخَرَيْنِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَنْزِلِ. فَسَخِرَ مِنْهُ إِخْوَتُهُ كَسَابِقِ عَهْدِهِمْ، وَقَالُوا إِنَّهُ بَدَا كَأَنَّهُ يَمْشِي فِي نَوْمِهِ، لَكِنَّ سِنْدِرْلَادْ لَمْ يُبَالِ بِسُخْرِيَتِهِمْ، بَلْ أَمَرَهُمْ بِالذَّهَابِ إِلَى الْحَقْلِ وَالنَّظَرِ. فَذَهَبُوا، وَوَجَدُوا الْعُشْبَ قَائِماً طَوِيلاً كَثِيفاً كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ.

إِعْلَانٌ مَلَكِيٌّ هَزَّ الْمَمْلَكَةَ، فَقَدْ كَانَ لِلْمَلِكِ ابْنَةٌ جَمِيلَةٌ لَا نَظِيرَ لَهَا فِي الْعَالَمِ، وَكَانَ قَرِيباً مِنْ قَصْرِهِ تَلٌّ زُجَاجِيٌّ عَالٍ، أَمْلَسُ كَالزُّجَاجِ، وَشَدِيدُ الِانْحِدَارِ كَالْجِدَارِ. وَكَانَتِ الأَمِيرَةُ جَمِيلَةً جِدّاً، وَكُلُّ مَنْ رَآهَا وَقَعَ فِي حُبِّهَا بِعُنْفٍ، حَتَّى رَغْماً عَنْ أَنْفُسِهِمْ. وَأَعْلَنَ الْمَلِكُ أَنَّ مَنْ يَصْعَدُ إِلَى قِمَّةِ هَذَا التَّلِّ، حَيْثُ تَجْلِسُ ابْنَتُهُ وَفِي حِجْرِهَا ثَلَاثُ تُفَّاحَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ، سَيَتَزَوَّجُهَا وَيَمْلِكُ نِصْفَ الْمَمْلَكَةِ. فَتَوَافَدَ الأُمَرَاءُ وَالْفُرْسَانُ مِنْ أَقَاصِي الْأَرْضِ، وَقَدْ تَزَيَّنُوا بِأَفْخَرِ الثِّيَابِ الَّتِي تَلْمَعُ فِي الشَّمْسِ، وَرَكِبُوا خُيُولاً كَأَنَّهَا تَرْقُصُ فِي سَيْرِهَا، وَمَا مِنْ أَمِيرٍ إِلَّا وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ سَيَفُوزُ بِالأَمِيرَةِ. وَفِي الْيَوْمِ الْمُحَدَّدِ، تَجَمْهَرَ النَّاسُ تَحْتَ التَّلِّ الزُجَاجِيِّ حَتَّى كَأَنَّهُمْ سَرَابٌ، وَحَضَرَ كُلُّ مَنْ يَسْتَطِيعُ الْمَشْيَ أَوْ حَتَّى الزَّحْفَ لِيَرَى مَنْ سَيَرْبَحُ ابْنَةَ الْمَلِكِ. وَجَاءَ الْأَخَوَانِ الْأَكْبَرَانِ لَكِنَّهُمَا رَفَضَا أَنْ يَأْخُذَا سِنْدِرْلَادْ مَعَهُمَا، وَقَالاَ: "إِنَّهُ قَذِرٌ أَسْوَدُ مِنَ النَّوْمِ وَالتَّقَلُّبِ فِي الرَّمَادِ، وَسَيَضْحَكُ الْجَمِيعُ عَلَيْنَا إِنْ رَأَوْنَا مَعَ مِثْلِ هَذَا الأَحْمَقِ". فَقَالَ سِنْدِرْلَادْ: "حَسَناً، إِذاً سَأَذْهَبُ وَحْدِي".

فَارِسٌ نُحَاسِيٌّ، فَلَمَّا وَصَلَ الأَخَوَانِ إِلَى التَّلِّ الزُجَاجِيِّ، كَانَ جَمِيعُ الأُمَرَاءِ وَالْفُرْسَانِ يُحَاوِلُونَ صُعُودَهُ، وَخُيُولُهُمْ تَرْشَحُ بِالرَّغْوَةِ، لَكِنَّ كُلَّ مَحَاوِلَاتِهِمْ كَانَتْ عَبَثاً، فَمَا إِنْ تَطَأْ خُفُوفُ خُيُولِهِمِ التَّلَّ حَتَّى تَنْزَلِقَ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى صُعُودِ أَكْثَرَ مِنْ بِضْعِ يَارْدَاتٍ. وَمَا كَانَ ذَلِكَ بِعَجَبٍ، فَالْتَّلُّ كَانَ أَمْلَسَ كَزُجَاجِ النَّافِذَةِ، وَشَدِيدَ الانْحِدَارِ كَجِدَارِ الْبَيْتِ. وَإِذْ كَانَ الْجَمِيعُ حَرِيصِينَ عَلَى رِبْحِ ابْنَةِ الْمَلِكِ وَنِصْفِ الْمَمْلَكَةِ، رَكِبُوا وَانْزَلَقُوا، وَظَلَّ الْحَالُ كَذَلِكَ حَتَّى أَرْهَقَتِ الْخُيُولُ وَلَمْ تَعُدْ تَسْتَطِيعُ حَمْلَ فُرْسَانِهَا، وَكَادَ الْمَلِكُ أَنْ يُعْلِنَ إِعَادَةَ الْمُحَاوَلَةِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي، لَعَلَّ الأَمْرَ يَتَيَسَّرُ. وَإِذَا بِفَارِسٍ يَظْهَرُ، يَرْكَبُ حِصَاناً رَائِعاً، وَدِرْعُهُ وَلِجَامُهُ مِنْ نُحَاسٍ لامِعٍ حَتَّى أَضَاءَ مَا حَوْلَهُ. فَصَاحَ بِهِ الْفُرْسَانُ الآخَرُونَ قَائِلِينَ: "مَا عَلَيْكَ إِلاَّ أَنْ تُضَيِّعَ وَقْتَكَ، فَمُحَاوَلَتُكَ غَيْرُ مُجْدِيَةٍ". لَكِنَّهُ لَمْ يَكْتَرِثْ لَهُمْ، وَانْطَلَقَ نَحْوَ التَّلِّ، فَصَعِدَهُ كَأَنَّهُ طَرِيقٌ عَادِيٌّ، حَتَّى بَلَغَ ثُلُثَهُ، ثُمَّ أَدَارَ حِصَانَهُ وَنَزَلَ. وَنَظَرَتِ الْأَمِيرَةُ إِلَيْهِ، وَهِيَ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا: "مَا أَجْمَلَهُ مِنْ فَارِسٍ، لَيْتَهُ يَسْتَطِيعُ الصُّعُودَ إِلَى الْقِمَّةِ!". فَلَمَّا رَأَتْهُ يَنْزِلُ، رَمَتْ إِلَيْهِ تُفَّاحَةً ذَهَبِيَّةً، تَدَحْرَجَتْ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ فِي حِذَائِهِ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ، انْطَلَقَ مُسْرِعاً حَتَّى لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَا حَلَّ بِهِ.

فَارِسٌ فِضِّيٌّ، فَعِنْدَ الْيَوْمِ الثَّانِي، خَرَجَ الأَخَوَانِ مَرَّةً أُخْرَى، وَتَوَافَدَ الْفُرْسَانُ، وَقَدْ أَخَذُوا حِذْرَهُمْ هَذِهِ الْمَرَّةِ بِخَشْنَةِ حَوَافِرِ خُيُولِهِمْ، لَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ

يُجْدِ نَفْعاً، فَرَكِبُوا وَانْزَلَقُوا كَمَا حَدَثَ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ الصُّعُودَ أَكْثَرَ مِنْ يَارْدَةٍ. وَإِذْ كَانَ الْمَلِكُ يُفَكِّرُ فِي إِعْلَانِ الْيَوْمِ الآخِرِ، تَرَبَّصَ لِيَرَى هَلْ يَأْتِي فَارِسُ النُّحَاسِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ. وَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ بِفَارِسٍ يَظْهَرُ عَلَى حِصَانٍ أَفْخَمَ بِكَثِيرٍ مِنْ سَابِقِهِ، لَهُ سَرْجٌ وَلِجَامٌ وَدِرْعٌ مِنْ فِضَّةٍ لَامِعَةٍ، تَلْمَعُ وَتَبْرُقُ مِنْ بُعْدٍ. فَنَادَاهُ الْفُرْسَانُ كَسَابِقِهِ، قَائِلِينَ: "إِنَّ الْمُحَاوَلَةَ عَبَثٌ"، لَكِنَّهُ لَمْ يَكْتَرِثْ، وَانْطَلَقَ نَحْوَ التَّلِّ الزُّجَاجِيِّ، فَصَعِدَ حَتَّى بَلَغَ ثُلُثَيْهِ، ثُمَّ أَدَارَ حِصَانَهُ وَنَزَلَ. وَقَدْ أَعْجَبَتِ الأَمِيرَةُ هَذَا الْفَارِسُ أَكْثَرَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَجَلَسَتْ تَتَمَنَّى أَنْ يَصِلَ إِلَى الْأَعْلَى، فَلَمَّا رَأَتْهُ يَنْعَطِفُ، رَمَتْ إِلَيْهِ التُّفَّاحَةَ الذَّهَبِيَّةَ الثَّانِيَةَ، فَتَدَحْرَجَتْ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ فِي حِذَائِهِ، وَمَا إِنْ وَصَلَ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ حَتَّى انْطَلَقَ مُسْرِعاً، حَتَّى لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مُعَايَنَةَ مَا حَلَّ بِهِ.

فَارِسٌ ذَهَبِيٌّ، فَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، ذَهَبَ الْأَخَوَانِ كَمَا فَعَلَا فِي الْأَيَّامِ السَّابِقَةِ، وَعِنْدَمَا وَصَلَا إِلَى التَّلِّ الزُجَاجِيِّ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ الصُّعُودَ وَلَوْ يَارْدَةً وَاحِدَةً، وَانْتَظَرَ الْجَمِيعُ الْفَارِسَ الْفِضِّيَّ، لَكِنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ وَلَا سُمِعَ عَنْهُ شَيْءٌ. وَبَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ، إِذْ بِفَارِسٍ يَظْهَرُ عَلَى حِصَانٍ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ قَطُّ، وَدِرْعُهُ وَسَرْجُهُ وَلِجَامُهُ مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ، تَلْمَعُ وَتَبْرُقُ حَتَّى أَخْفَتْ أَبْصَارَ النَّاظِرِينَ وَهُوَ بَعِيدٌ. وَكَانَ الْفُرْسَانُ مَبْهُوتِينَ لِهَيْبَتِهِ حَتَّى لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُنَادُوهُ. فَانْطَلَقَ نَحْوَ التَّلِّ، وَصَعِدَ مُسْرِعاً كَأَنَّهُ لَا تَلَّ هُنَاكَ، حَتَّى إِنَّ الْأَمِيرَةَ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهَا وَقْتٌ لِتَتَمَنَّى أَنْ يَصْعَدَ كُلَّ الطَّرِيقِ. فَلَمَّا بَلَغَ الْقِمَّةَ، أَخَذَ التُّفَّاحَةَ الذَّهَبِيَّةَ الثَّالِثَةَ مِنْ حِجْرِهَا، ثُمَّ أَدَارَ حِصَانَهُ وَنَزَلَ، وَاخْتَفَى عَنْ أَبْصَارِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَنْطِقَ أَحَدٌ بِكَلِمَةٍ. وَعِنْدَمَا عَادَ الْأَخَوَانِ إِلَى الْمَنْزِلِ فِي الْمَسَاءِ، رَوَيَا مَا حَدَثَ، وَفِي آخِرِ الْحَدِيثِ حَدَّثَا عَنِ الْفَارِسِ الذَّهَبِيِّ، فَقَالَا: "لَقَدْ كَانَ فَارِساً رَائِعاً، لَا يُوجَدُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَارِسٌ أَنْبَلُ مِنْهُ". فَقَالَ سِنْدِرْلَادْ: "آهٍ، كَمْ أَوَدُّ لَوْ رَأَيْتُهُ أَيْضاً!". فَرَدَّا عَلَيْهِ: "لَقَدْ كَانَ يَلْمَعُ كَأَكْوَامِ الْفَحْمِ الَّتِي تَجْلِسُ بِجَانِبِهَا، أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ الْقَذِرُ الْأَسْوَدُ!".

بَحْثٌ عَنِ الْفَارِسِ الذَّهَبِيِّ، فَفِي الْيَوْمِ التَّالِي، أَمَرَ الْمَلِكُ جَمِيعَ الْفُرْسَانِ وَالأُمَرَاءِ بِالْحُضُورِ إِلَى الْقَصْرِ لِيُظْهِرَ كُلُّ مَنْ صَعِدَ إِلَى التَّلِّ تُفَّاحَتَهُ. فَتَقَدَّمُوا وَاحِداً تِلْوَ الآخَرِ، بَدْءاً بِالأُمَرَاءِ ثُمَّ الْفُرْسَانِ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَ أَحَدٍ مِنْهُمْ تُفَّاحَةٌ. فَقَالَ الْمَلِكُ: "لَا بُدَّ أَنَّ أَحَداً يَمْلِكُهَا، فَلَقَدْ رَأَيْنَا بِأَعْيُنِنَا رَجُلاً يَصْعَدُ وَيَأْخُذُهَا". وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ كُلِّ شَخْصٍ فِي الْمَمْلَكَةِ لِيَرَى إِنْ كَانَ يَمْلِكُ التُّفَّاحَةَ. فَحَضَرُوا وَاحِداً تِلْوَ الآخَرِ، وَكَانَ آخِرُ الْحَاضِرِينَ هُمَا الأَخَوَانِ الأَكْبَرَانِ، فَسَأَلَهُمَا الْمَلِكُ: "هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ فِي الْمَمْلَكَةِ لَمْ يَحْضُرْ؟". فَقَالاَ:

"نَعَمْ، لَنَا أَخٌ، لَكِنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ قَطُّ، وَلَمْ يَتْرُكْ كَوْمَةَ الرَّمَادِ فِي أَيٍّ مِنَ الأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ". فَقَالَ الْمَلِكُ: "لاَ بَأْسَ، لِيَأْتِ كَمَا جَاءَ الْجَمِيعُ". فَلَمَّا حَضَرَ سِنْدِرْلَاْدْ بِثِيَابِهِ الْقَذِرَةِ الْمُمَزَّقَةِ، سَأَلَهُ الْمَلِكُ: "هَلْ مَعَكَ تُفَّاحَةٌ ذَهَبِيَّةٌ؟". فَأَخْرَجَ الثَّلَاثَ تُفَّاحَاتٍ مِنْ جَيْبِهِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ الْقَذِرَةَ، فَإِذَا هُوَ يَظْهَرُ بِدِرْعِهِ الذَّهَبِيِّ اللَّامِعِ. فَقَالَ الْمَلِكُ: "لَكَ ابْنَتِي وَنِصْفُ الْمَمْلَكَةِ، فَقَدِ اسْتَحْقَقْتَهُمَا".

زَفَافٌ كَانَ جَزَاءَ صَبْرِ سِنْدِرْلَاْدْ، فَتَزَوَّجَ الأَمِيرَةَ، وَحَصَلَ عَلَى نِصْفِ الْمَمْلَكَةِ، وَاحْتَفَلَ الْجَمِيعُ فِي الْعُرْسِ، إِذْ كَانَ كُلُّ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ الْمَرَحَ، مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا رُكُوبَ التَّلِّ الزُّجَاجِيِّ، وَإِنْ لَمْ يَتْرُكُوا مَرَحَهُمْ، فَهُمْ لَا يَزَالُونَ فِيهِ.

تَنْتَهِي حِكايَةُ "الأَميرَةِ عَلى التَّلِّ الزُجاجِيِّ"، وَتَبْقَى في القَلْبِ عِبْرَةٌ. أَنَّ الصَّبْرَ وَالشَّجاعَةَ يُثْمِرانِ، وَأَنَّ التَّواضُعَ لا يَمْنَعُ العَظَمَةَ، وَأَنَّ الحُلْمَ يَصِلُ بِصاحِبِهِ إِلى حَيْثُ لا تَصِلُ السُّيوفُ، وَأَنَّ الأَقْدارَ تَنْتَظِرُ مَنْ يَسْتَحِقُّها، وَلَوْ تَأَخَّرَ ظُهُورُهُ.

—

"الأميرُ أحمدُ والجِنِّيَّةُ بارِيبانُو"

—

مُفَارَقَةُ الأَبْنَاءِ، فَكَانَ لِسُلْطَانٍ ثَلَاثَةُ أَبْنَاءٍ: حُسَيْنٌ الأَكْبَرُ، وَعَلِيٌّ، وَأَحْمَدُ الأَصْغَرُ، وَابْنَةُ أَخٍ لَهُ تُدْعَى نُورُونِهَارْ، وَهِيَ يَتِيمَةُ الأَبِ، فَرَبَّاهَا السُّلْطَانُ فِي قَصْرِهِ مَعَ أَبْنَائِهِ، فَنَشَأُوا مَعاً. فَلَمَّا بَلَغَتْ مَبْلَغَ النِّسَاءِ، عَزَمَ السُّلْطَانُ عَلَى تَزْوِيجِهَا مِنْ أَحَدِ الْمُلُوكِ الْمُجَاوِرِينَ، لِيَعْقِدَ بِذَلِكَ حِلْفاً. لَكِنَّهُ لَمَّا رَأَى أَبْنَاءَهُ الثَّلَاثَةَ قَدْ هَوُوا حُبَّهَا بِشِدَّةٍ، وَأَنَّهُمْ يُصِرُّونَ عَلَى رَغْبَتِهِمْ، وَلَا يَرْضَى أَحَدُهُمْ بِالتَّنَازُلِ لِآخَرَ، خَافَ مَا قَدْ يَنْشَبُ بَيْنَهُمْ مِنْ نِزَاعٍ، فَجَمَعَهُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ: "أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ، إِنِّي أَرَى أَنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ وَلِرَاحَتِكُمْ أَنْ تَسْفِرُوا كُلٌّ مِنْكُمْ إِلَى بِلَادٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَلَا يَلْتَقِي أَحَدُكُمْ بِآخَرَ. وَإِذْ تَعْلَمُونَ شِدَّةَ حُبِّي لِلنَّوَادِرِ، فَإِنِّي أَعِدُ بِابْنَةِ أَخِي زَوْجَةً لِمَنْ يَأْتِينِي بِأَنْدَرِ تُحْفَةٍ يَمْلِكُهَا". وَمَا إِنْ وَافَقَ الْأَبْنَاءُ عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى أَعْطَاهُمُ السُّلْطَانُ الْمَالَ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّجْهِيزِ. فَارْتَدَى كُلٌّ وَاحِدٍ زِيَّ التُّجَّارِ، وَاصْطَحَبَ ضَابِطاً مِنْ ثِقَاتِهِ يَتَزَيَّ كَالْعَبْدِ، وَرَكِبُوا خُيُولاً مُجَهَّزَةً. ثُمَّ غَادَرُوا الْبَابَ نَفْسَهُ، وَسَافَرُوا مَعاً فِي أَوَّلِ يَوْمٍ حَتَّى بَلَغُوا خَاناً، تَفَرَّقَتْ عِنْدَهُ الطُّرُقُ ثَلَاثَ شُعَبٍ. وَفِي مَسَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةِ الْعَشَاءِ،

وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ تَكُونَ مُدَّةُ سَفَرِهِمْ عَاماً كَامِلاً، وَأَنْ يَعُودُوا إِلَى ذَلِكَ الْخَانِ، فَمَنْ سَبَقَ مِنْهُمْ يَنْتَظِرُ الْآخَرِينَ، لِيَعُودُوا جَمِيعاً إِلَى السُّلْطَانِ كَمَا غَادَرُوا. ثُمَّ أَصْبَحُوا، فَتَوَدَّعُوا وَتَعَانَقُوا وَتَمَنَّوْا لِبَعْضِهِمُ التَّوْفِيقَ، وَامْتَطَى كُلٌّ مِنْهُمْ حِصَانَهُ وَسَلَكَ طَرِيقاً غَيْرَ طَرِيقِ أَخَوَيْهِ.

سَفَرُ حُسَيْنٍ إِلَى بِسْنَاغَارْ، فَوَصَلَ الْأَمِيرُ حُسَيْنٌ إِلَى مَدِينَةِ بِسْنَاغَارْ، عَاصِمَةِ مَمْلَكَةِ الْهِنْدِ، وَمَقَرِّ مَلِكِهَا، فَنَزَلَ فِي خَانٍ خُصِّصَ لِلتُّجَّارِ الْأَجَانِبِ. وَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ هُنَاكَ أَرْبَعَةَ أَسْوَاقٍ رَئِيسِيَّةٍ، يَعْرِضُ فِيهَا التُّجَّارُ بَضَائِعَهُمْ، وَيَقُومُ فِي وَسَطِهَا الْقَصْرُ الْمَلَكِيُّ، خَرَجَ فِي الْغَدِ لِيَتَجَوَّلَ فِيهَا. فَمَا إِنْ دَخَلَ أَوَّلَ سُوقٍ حَتَّى أَخَذَتْهُ الدَّهْشَةُ، إِذْ رَآهَا فَاسِحَةً، مَقْسُومَةً إِلَى شَوَارِعَ كَثِيرَةٍ، مُقَنْطَرَةٍ مُظَلَّلَةٍ تَقِي حَرَّ الشَّمْسِ، وَمَعَ ذَلِكَ بَاقِيَةً مُنِيرَةً. وَكَانَتِ الْمَحَلَّاتُ عَلَى حَجْمٍ وَاحِدٍ، وَأَهْلُ كُلِّ حِرْفَةٍ يَحْتَلُّونَ شَارِعاً وَاحِداً، وَالصُّنَّاعُ يَحْتَفِظُونَ بِمَحَلَّاتِهِمْ فِي الشَّوَارِعِ الصَّغِيرَةِ. فَرَأَى أَكْدَاساً مِنَ الْكَتَّانِ النَّاعِمِ الْمَصْبُوغِ بِأَزْهَى الْأَلْوَانِ، وَالْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ مِنْ فَارِسَ وَالصِّينِ، وَالْخَزَفِ الْيَابَانِيِّ وَالصِّينِيِّ، وَالْمُنَسَّجَاتِ الثَّمِينَةِ. لَكِنَّ أَكْبَرَ الْإِعْجَابِ أَثَارَتْهُ مَحَالُّ الصَّيَّاغَةِ وَبَائِعِي الْجَوَاهِرِ، حَيْثُ رَأَى كَمِّيَّاتٍ هَائِلَةً مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ الْمَصُوغَةِ، وَتَلَأْلَأَتْ عَيْنَاهُ مِنْ بَرِيقِ اللُّؤْلُؤِ وَالْمَاسِ وَالْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُدِ. كَمَا أَعْجَبَهُ مَنْظَرُ بَائِعِي الْوُرُودِ الَّذِينَ يَزْحَمُونَ الشَّوَارِعَ، إِذْ الْهِنْدُ شَدِيدُو الْوَلَعِ بِالزَّهْرِ، فَلَا يَخْلُو أَحَدٌ مِنْ بَاقَةٍ فِي يَدِهِ أَوْ إِكْلِيلٍ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَحْفَظُ التُّجَّارُ الزُّهُورَ فِي أَصَاصِيصَ دَاخِلَ مَحَالَّاتِهِمْ، حَتَّى يَعْبَقَ الْهَوَاءُ بِرَائِحَتِهَا الذَّكِيَّةِ. وَبَيْنَمَا كَانَ حُسَيْنٌ يَتَجَوَّلُ، أَحَسَّ بِإِعْيَاءٍ شَدِيدٍ، فَدَعَاهُ تَاجِرٌ إِلَى الْجُلُوسِ فِي دُكَّانِهِ، فَقَبِلَ. وَإِذَا بِمُنَادٍ يَمُرُّ وَفِي يَدِهِ سَجَّادَةٌ، طُولُهَا سِتَّةُ أَقْدَامٍ مُرَبَّعَةً، يُنَادِي عَلَيْهَا بِثَلَاثِينَ كِيساً. فَاسْتَغْرَبَ حُسَيْنٌ هَذَا الثَّمَنَ الْبَاهِظَ، وَسَأَلَ الْمُنَادِيَ عَنْ سِرِّهِ، فَقَالَ: "إِنَّ هَذَا الثَّمَنَ يَبْدُو بَاهِظاً، وَلَكِنَّ الْعَجَبَ سَيَزْدَادُ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّنِي مَأْمُورٌ بِأَلَّا أَبِيعَهَا بِأَقَلَّ مِنْ أَرْبَعِينَ كِيساً". فَقَالَ حُسَيْنٌ: "لَا بُدَّ أَنَّ فِيهَا سِرّاً عَجِيباً". فَرَدَّ الْمُنَادِي: "مَنْ يَجْلِسُ عَلَى هَذِهِ السَّجَّادَةِ، يَنْتَقِلُ فِي لَحْظَةٍ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ يَرْغَبُ فِيهِ، دُونَ أَنْ يَعُوقَهُ عَائِقٌ". فَلَمَّا سَمِعَ حُسَيْنٌ ذَلِكَ، أَيْقَنَ أَنَّهُ لَمْ يَعْثُرْ عَلَى تُحْفَةٍ تُضَاهِي هَذِهِ السَّجَّادَةَ، فَاشْتَرَطَ عَلَى الْمُنَادِي أَنْ يُجَرِّبَهَا قَبْلَ الْإِبْرَامِ. فَذَهَبَا إِلَى خَلْفِ الدُّكَّانِ، وَجَلَسَا عَلَيْهَا، وَتَمَنَّى حُسَيْنٌ أَنْ يُنْقَلَا إِلَى غُرْفَتِهِ فِي الْخَانِ، فَإِذَا بِهِمَا هُنَاكَ فَوْراً. فَعَدَّ لَهُ حُسَيْنٌ أَرْبَعِينَ كِيساً مِنَ الذَّهَبِ، وَزَادَهُ عِشْرِينَ كِيساً هَدِيَّةً. وَامْتَلَكَ السَّجَّادَةَ، وَقَرَّرَ أَنْ يَمْكُثَ فِي بِسْنَاغَارْ بَعْضَ الْأَشْهُرِ لِيَسْتَكْشِفَ الْمَدِينَةَ، وَيَتَعَرَّفَ عَلَى الْمَلِكِ وَبَلَاطِهِ،

وَيطَّلِعَ عَلَى قَوَانِينِ الْمَمْلَكَةِ وَعَادَاتِهَا وَدِينِهَا، وَهُوَ وَاثِقٌ مِنْ أَنَّ إِخْوَتَهُ لَنْ يَجِدُوا تُحْفَةً تُضَارِعُ مَا مَلَكَ.

سَفَرُ عَلِيٍّ إِلَى شِيرَازَ، أَمَّا الْأَمِيرُ عَلِيٌّ، فَإِنَّهُ سَلَكَ طَرِيقَ فَارِسَ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ مُفَارَقَتِهِ إِخْوَتَهُ، الْتَحقَ بِقَافِلَةٍ، وَبَعْدَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ وَصَلَ إِلَى مَدِينَةِ شِيرَازَ، عَاصِمَةِ فَارِسَ، وَاتَّخَذَ فِيهَا زِيَّ التُّجَّارِ الْجَوْهَرِيِّينَ. وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي، خَرَجَ يَتَجَوَّلُ فِي "بَيْزَسْتَانَ" – وَهُوَ الْقِسْمُ الَّذِي يُعْرَفُ فِي شِيرَازَ بِسُوقِ التُّجَّارِ – لِيَتَفَرَّجَ عَلَى بَضَائِعِهِ. وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذَا بِمُنَادٍ يَمُرُّ وَفِي يَدِهِ نَظَّارَةٌ عَاجِيَّةٌ، طُولُهَا نَحْوُ قَدَم، وَسِمَاكَتُهَا كَسِمَاكَةِ إِبْهَامِ الرَّجُلِ، يُنَادِي عَلَيْهَا بِثَلَاثِينَ كِيساً مِنَ الذَّهَبِ. فَظَنَّ عَلِيٌّ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ أَنَّ الْمُنَادِيَ مَجْنُونٌ، فَدَخَلَ إِلَى دُكَّانِ تَاجِرٍ قَرِيبٍ، وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِ الرَّجُلِ، فَقَالَ التَّاجِرُ: "إِنَّهُ لَيْسَ مَجْنُوناً، بَلْ هُوَ مِنْ أَمْهَرِ الْمُنَادِينَ، وَإِذَا كَانَ يَطْلُبُ هَذَا الثَّمَنَ، فَلَابُدَّ أَنَّ لِلنَّظَّارَةِ خَاصِّيَّةً عَظِيمَةً". فَدَعَا الْمُنَادِيَ، وَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: "أَخْبِرْنِي عَنْ خَاصِّيَّةِ هَذِهِ النَّظَّارَةِ، فَقَدْ ظَنَنْتُكَ مَجْنُوناً". فَقَالَ الْمُنَادِي: "انْظُرْ مِنْ أَحَدِ طَرَفَيْهَا، فَسَتَرَى كُلَّ مَا تَشَاءُ". فَأَخَذَهَا عَلِيٌّ، وَنَظَرَ مِنْهَا، فَإِذَا هُوَ يَرَى السُّلْطَانَ أَبَاهُ جَالِساً عَلَى عَرْشِهِ فِي صِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ، وَيَرَى نُورُونِهَارْ تُزَيِّنُ نَفْسَهَا وَتَضْحَكُ مَعَ جَوَارِيهَا. فَأَيْقَنَ أَنَّهَا أَغْلَى تُحْفَةٍ يُمْكِنُ أَنْ يَمْلِكَهَا، فَأَخَذَ الْمُنَادِيَ مَعَهُ إِلَى الْخَانِ، وَدَفَعَ لَهُ ثَلَاثِينَ كِيساً مِنَ الذَّهَبِ، وَامْتَلَكَ النَّظَّارَةَ. وَقَرَّرَ أَنْ يَمْكُثَ فِي شِيرَازَ لِيَزُورَ بَلَاطَ فَارِسَ، وَيَطَّلِعَ عَلَى عَجَائِبِ الْمَدِينَةِ، حَتَّى تَعُودَ الْقَافِلَةُ الَّتِي جَاءَ مَعَهَا، فَيَسِيرَ مَعَهَا إِلَى مَوْعِدِ اللِّقَاءِ مَعَ إِخْوَتِهِ.

سَفَرُ أَحْمَدَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ، أَمَّا الْأَمِيرُ أَحْمَدُ، فَإِنَّهُ سَلَكَ طَرِيقَ سَمَرْقَنْدَ، وَحَالَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا فِي الْيَوْمِ التَّالِي، ذَهَبَ إِلَى "بَيْزَسْتَانِ" الْمَدِينَةِ – كَمَا فَعَلَ أَخَوَاهُ – لِيَتَجَوَّلَ فِي أَسْوَاقِهَا. وَمَا إِنْ مَضَى فِيهَا قَلِيلاً حَتَّى سَمِعَ مُنَادِياً يَعْرِضُ تُفَّاحَةً مَصْنُوعَةً، وَيَطْلُبُ فِيهَا خَمْسَةً وَثَلَاثِينَ كِيساً مِنَ الذَّهَبِ. فَاسْتَوْقَفَهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يُرِيَهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا رَآهَا قَالَ: "مَا هَذِهِ التُّفَّاحَةُ الْبَائِسَةُ حَتَّى تُبْلَغَ هَذَا الثَّمَنَ الْبَاهِظَ؟". فَأَجَابَ الْمُنَادِي: "إِنْ كُنْتَ تَنْظُرُ إِلَى ظَاهِرِهَا، فَسَتَجِدُهَا تَافِهَةً، لَكِنْ إِذَا تَأَمَّلْتَ خَوَاصَّهَا وَفَوَائِدَهَا، لَقُلْتَ إِنَّهُ لَا ثَمَنَ لَهَا، وَأَنَّ مَنْ يَمْلِكُهَا يَمْلِكُ كَنْزاً عَظِيماً. فَهِيَ تَشْفِي كُلَّ مَرِيضٍ مِنْ أَخْطَرِ الْأَمْرَاضِ، وَتَرُدُّ إِلَيْهِ صِحَّتَهُ فِي الْحَالِ، وَذَلِكَ بِأَبْسَطِ طَرِيقَةٍ، وَهِيَ أَنْ يَشُمَّ الْمَرِيضُ التُّفَّاحَةَ فَقَطْ". فَقَالَ أَحْمَدُ: "وَكَيْفَ لِي أَنْ أُصَدِّقَ كَلَامَكَ؟". فَأَجَابَ الْمُنَادِي: "إِنَّ الأَمْرَ مَعْرُوفٌ وَمَشْهُورٌ فِي سَمَرْقَنْدَ كُلِّهَا، وَاسْأَلْ هَؤُلَاءِ التُّجَّارَ يَنْعَتُوا لَكَ مَا تَرَى، فَسَتَجِدُ كَثِيراً مِنْهُمْ يُقْسِمُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا أَحْيَاءَ الْيَوْمَ لَوْلَا

اسْتِعْمَالُهُمْ هَذَا التِّرْيَاقَ الْعَجِيبَ. وَهَذِهِ التُّفَّاحَةُ هِيَ ثَمَرَةُ عُمْرِ فَيْلَسُوفٍ شَهِيرٍ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ، أَفْنَى حَيَاتَهُ فِي دِرَاسَةِ خَوَاصِّ النَّبَاتَاتِ وَالْمَعَادِنِ، حَتَّى تَوَصَّلَ إِلَى هَذِهِ الْخَلِيطَةِ، وَأَجْرَى بِهَا عِلَاجَاتٍ مُدْهِشَةً، لَكِنَّهُ مَاتَ فَجْأَةً قَبْلَ أَنْ يُطَبِّقَ تِرْيَاقَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَتَرَكَ زَوْجَتَهُ وَأَوْلَادَهُ فِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، فَهِيَ الْآنَ تَبِيعُ التُّفَّاحَةَ لِتُعِينَهُمْ". وَإِذْ رَأَى أَحْمَدُ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ قَدْ تَجَمْهَرُوا حَوْلَهُمَا وَأَكَّدُوا صِدْقَ كَلَامِ الْمُنَادِي، قَالَ: "هَاتِ نُجَرِّبْهَا عَلَى مَرِيضٍ يَئِسَ مِنْهُ الْأَطِبَّاءُ". فَذَهَبُوا إِلَى مَرِيضٍ مَشْهُورٍ فِي الْمَدِينَةِ، كَانَ الْجَمِيعُ يَظُنُّونَ أَنَّهُ فِي آخِرِ أَنْفَاسِهِ، فَوَضَعَ أَحْمَدُ التُّفَّاحَةَ تَحْتَ أَنْفِهِ، فَمَا إِنْ شَمَّهَا حَتَّى فَتَحَ عَيْنَيْهِ، وَأَخَذَ يَتَنَفَّسُ بِقُوَّةٍ، وَشُفِيَ فِي الْحَالِ. فَلَمَّا رَأَى أَحْمَدُ ذَلِكَ، أَيْقَنَ أَنَّهُ لَنْ يَجِدَ تُحْفَةً تُضَاهِي هَذِهِ التُّفَّاحَةَ، فَدَفَعَ إِلَى الْمُنَادِي خَمْسَةً وَثَلَاثِينَ كِيساً، وَمَلَكَ التُّفَّاحَةَ. ثُمَّ انْتَظَرَ صَبْراً حَتَّى حَانَ مَوْعِدُ عَوْدَةِ الْقَافِلَةِ إِلَى الْهِنْدِ، فَصَحِبَهَا، وَوَصَلَ سَالِماً إِلَى مَوْعِدِ اللِّقَاءِ مَعَ أَخَوَيْهِ، حَيْثُ كَانَا يَنْتَظِرَانِهِ.

اجْتَمَعَ الأَبْنَاءُ فِي الْمَكَانِ الْمَوْعُودِ، فَأَخْرَجَ كُلٌّ مِنْهُمْ تُحْفَتَهُ وَأَرَاهَا لِلْآخَرِينَ، ثُمَّ أَخْرَجَ عَلِيٌّ نَظَّارَتَهُ فَنَظَرُوا مِنْهَا جَمِيعاً، فَرَأَوْا نُورُونِهَارْ تَحْتَضِرُ. فَجَلَسُوا عَلَى السَّجَّادَةِ السِّحْرِيَّةِ، وَتَمَنَّوْا الْوُصُولَ إِلَيْهَا، فَإِذَا بِهِمْ فِي غُرْفَتِهَا فِي لَحْظَةٍ. وَضَعَ أَحْمَدُ التُّفَّاحَةَ تَحْتَ أَنْفِهَا، فَفَتَحَتْ عَيْنَيْهَا وَشُفِيَتْ فِي الْحَالِ. فَرِحَ السُّلْطَانُ، فَلَمَّا عَرَضَ الأَبْنَاءُ تُحَفَهُمْ عَلَى السُّلْطَانِ، تَأَمَّلَ فِيهَا مَلِيّاً، ثُمَّ قَالَ: "أَيُّهَا الأَبْنَاءُ، لَوِ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَحْكُمَ لِأَحَدِكُمْ بِالْعَدْلِ لَفَعَلْتُ، لَكِنْ تَأَمَّلُوا مَعِي: صَحِيحٌ أَنَّ نُورُونِهَارْ مَدِينَةٌ لِتُفَّاحَةِ أَحْمَدَ، لَكِنْ هَلْ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسْعِفَهَا لَوْلَا نَظَّارَةُ عَلِيٍّ الَّتِي أَخْبَرَتْهُ بِخَطَرِهَا؟ وَهَلْ كَانَتِ النَّظَّارَةُ لِتُفِيدَ لَوْلَا سَجَّادَةُ حُسَيْنٍ الَّتِي جَلَبَتْكُمْ فِي لَحْظَةٍ؟ إِذَنْ لَيْسَ لِتُحْفَةٍ فَضْلٌ عَلَى الْأُخْرَى، بَلِ الْجَمِيعُ مُتَكَافِئُونَ، فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُمَيِّزَ أَحَداً. لِذَلِكَ سَأَلْجَأُ إِلَى الْحَظِّ، فَارْمُوا بِالسِّهَامِ، وَمَنْ يَصِلُ سَهْمُهُ إِلَى أَبْعَدِ مَدىً فَلَهُ نُورُونِهَارْ". وَطَلَبَ مِنَ الأَبْنَاءِ أَنْ يَرْمُوا بِالسِّهَامِ لِيَخْتَارَ الزَّوْجَ. فَرَمَى حُسَيْنٌ أَوَّلاً، ثُمَّ رَمَى عَلِيٌّ فَاجْتَازَ سَهْمُهُ سَهْمَ حُسَيْنٍ، ثُمَّ رَمَى أَحْمَدُ فَطَارَ سَهْمُهُ إِلَى أَبْعَدِ مَدىً، لَكِنَّهُ غَابَ عَنِ الْأَنْظَارِ وَلَمْ يَجِدْهُ أَحَدٌ، مَعَ أَنَّ الْجَمِيعَ اعْتَقَدُوا أَنَّهُ الأَبْعَدُ. فَلَمَّا تَعَذَّرَ الْعُثُورُ عَلَيْهِ، حَكَمَ السُّلْطَانُ لِعَلِيٍّ، وَتَزَوَّجَ نُورُونِهَارْ.

غَادَرَ الأَمِيرُ أَحْمَدُ الْقَصْرَ حَزِيناً، لَكِنَّهُ لَمْ يَتَخَلَّ عَنِ الْعَالَمِ كَمَا فَعَلَ أَخُوهُ حُسَيْنٌ، بَلْ قَرَّرَ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ سَهْمِهِ. فَذَهَبَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي جُمِعَتْ فِيهِ سِهَامُ حُسَيْنٍ وَعَلِيٍّ، ثُمَّ تَابَعَ السَّيْرَ إِلَى الْأَمَامِ، يَنْظُرُ يَمِيناً وَشِمَالاً، حَتَّى بَلَغَ صُخُوراً شَاهِقَةً وَعِرَةً، فِي بِلَادٍ قَاحِلَةٍ، تَبْعُدُ نَحْوَ أَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ مِنَ الْمَكَانِ

الَّذِي انْطَلَقَ مِنْهُ. فَرَأَى سَهْماً مَطْرُوحاً عَلَى الْأَرْضِ، فَتَنَاوَلَهُ وَتَأَمَّلَهُ طَوِيلاً، وَذُهِلَ حِينَ تَيَقَّنَ أَنَّهُ سَهْمُهُ الَّذِي رَمَاهُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: "لَا أَنَا وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُطْلِقَ سَهْماً إِلَى هَذَا الْمَدَى". ثُمَّ لَمَّا رَآهُ مُمَدَّداً عَلَى الْأَرْضِ، وَلَيْسَ غَارِزاً فِيهَا، حَسِبَ أَنَّهُ ارْتَدَّ عَنِ الصَّخْرِ. وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: "لَا بُدَّ أَنَّ فِي هَذَا سِرّاً، وَقَدْ يَكُونُ فِي صَالِحِي، فَلَعَلَّ الْحَظَّ قَدِ ادَّخَرَ لِي خَيْراً أَعْظَمَ مِمَّا ضَيَّعْتُهُ". ثُمَّ دَخَلَ إِحْدَى الْكُهُوفِ، فَرَأَى بَاباً حَدِيدِيّاً لَا قُفْلَ لَهُ، فَدَفَعَهُ فَانْفَتَحَ، وَانْحَدَرَ فِي مَمَرٍّ مُظْلِمٍ، لَكِنَّهُ مَا إِنْ مَضَى قَلِيلاً حَتَّى انْقَلَبَ الظَّلَامُ إِلَى نُورٍ آخَرَ، وَإِذَا هُوَ فِي فَضَاءٍ رَحْبٍ، وَعَلَى بُعْدِ خَمْسِينَ أَوْ سِتِّينَ خُطْوَةً، قَصْرٌ بَهِيجٌ. وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَأَمَّلُ، إِذْ بِسَيِّدَةٍ جَمِيلَةٍ، ذَاتِ هَيْبَةٍ وَجَلَالٍ، تَخْرُجُ مِنَ الْقَصْرِ وَحَوْلَهَا حَاشِيَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ النِّسَاءِ. فَلَمَّا رَأَتْهُ، قَالَتْ لَهُ: "اقْتَرِبْ يَا أَمِيرَ أَحْمَدَ، أَهْلاً وَسَهْلاً". فَتَعَجَّبَ كَيْفَ عَرَفَتِ اسْمَهُ فِي مَكَانٍ لَمْ يَزُرْهُ قَطُّ، فَقَالَتْ: "أَنَا ابْنَةُ أَحَدِ أَقْوَى الْجِنِّ وَأَرْفَعِهِمْ مَكَانَةً، وَاسْمِي بَارِيبَانُو. كُنْتُ حَاضِرَةً حِينَ رَمَيْتَ سَهْمَكَ، فَأَخَذْتُهُ فِي الْهَوَاءِ، وَوَجَّهْتُهُ إِلَى الصُّخُورِ لِيَضْرِبَهَا وَيَقَعَ حَيْثُ تَجِدُهُ الْآنَ". ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَيْهِ بِحُبٍّ، وَقَالَتْ: "هَلْ تَقْبَلُ أَنْ تَكُونَ زَوْجِي؟". فَأَجَابَ أَحْمَدُ فَرِحاً: "نَعَمْ، بِكُلِّ سُرُورٍ". فَقَالَتْ: "إِذاً أَنْتَ زَوْجِي، وَأَنَا زَوْجَتُكَ". وَأَقَامَتْ وَلِيمَةَ الْعُرْسِ، وَاسْتَمَرَّ الْحَفْلُ أَيَّاماً مُتَتَابِعَةً، كُلُّهَا فَرَحٌ وَسُرُورٌ.

مَضَتْ سِتَّةُ أَشْهُرٍ، وَأَحْمَدُ سَعِيدٌ مَعَ بَارِيبَانُو فِي قَصْرِهَا، لَكِنَّهُ اشْتَاقَ إِلَى أَبِيهِ السُّلْطَانِ، فَاسْتَأْذَنَهَا أَنْ يَزُورَهُ. فَقَالَتْ: "اذْهَبْ مَتَى شِئْتَ، لَكِنْ لَا تُخْبِرِ السُّلْطَانَ بِزَوَاجِكَ مِنِّي، وَلَا بِمَكَانِي، وَاكْتَفِ بِأَنْ تَقُولَ لَهُ إِنَّكَ سَعِيدٌ، وَلَا تَطْلُبْ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ". ثُمَّ عَيَّنَتْ لَهُ عِشْرِينَ فَارِساً، حَسَنِي الْهَيْئَةِ، مُجَهَّزِينَ بِالْخَيْلِ وَالسِّلَاحِ، لِيَرْكَبُوا مَعَهُ. فَلَمَّا تَمَّ التَّجْهِيزُ، وَدَّعَ أَحْمَدُ بَارِيبَانُو وَعَانَقَهَا، وَجَدَّدَ لَهَا عَهْدَهُ بِالْعَوْدَةِ سَرِيعاً. ثُمَّ رَكِبَ حِصَاناً رَائِعَ الْجَمَالِ، مُزَيَّناً بِأَفْخَرِ الْحُلِيِّ، لَا يُضَارِعُهُ فِي جَمَالِهِ حِصَانٌ فِي إِسْطَبْلَاتِ السُّلْطَانِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْعَاصِمَةِ، اسْتَقْبَلَهُ الشَّعْبُ بِالتَّهْلِيلِ وَالْفَرَحِ، وَتَتَابَعُوا وَرَاءَهُ فِي مَوْكِبٍ حَافِلٍ حَتَّى بَلَغُوا قَاعَةَ السُّلْطَانِ. فَلَمَّا رَآهُ الْأَبُ، فَرِحَ بِهِ فَرَحاً شَدِيداً، وَشَكَا إِلَيْهِ، بِحَنَانِ الْآبَاءِ، مَا أَلَمَّ بِهِ مِنَ الْحُزْنِ فِي غَيْبَتِهِ الطَّوِيلَةِ. وَسَأَلَهُ عَنْ أَحْوَالِهِ وَمَكَانِ إِقَامَتِهِ، فَأَجَابَهُ أَحْمَدُ بِإِجَابَاتٍ مُبْهَمَةٍ، ثُمَّ قَالَ: "يَا أَبَتَاهُ، إِنَّ مَا تَسْأَلُنِي عَنْهُ هُوَ سِرٌّ لَا أَسْتَطِيعُ الْإِفْصَاحَ عَنْهُ، فَأَرْجُوكَ أَلَّا تُلِحَّ عَلَيَّ، وَلَكِنِّي أَعِدُكَ أَنْ أَزُورَكَ كَثِيراً، وَلَا تَخْشَ عَلَيَّ، فَأَنَا فِي خَيْرٍ وَسَعَادَةٍ". فَقَالَ السُّلْطَانُ: "يَا بُنَيَّ، إِنِّي لَا أَنْقُبُ عَنْ أَسْرَارِكَ، وَإِنَّمَا يَكْفِينِي أَنْ تَأْتِيَ فَتُعِيدَ إِلَيَّ فَرَحَ الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ، وَأَنْتَ فِي كُلِّ زِيَارَةٍ مَرْحَبٌ بِكَ".

فَمَكَثَ أَحْمَدُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فِي بَلاطِ أَبِيهِ، ثُمَّ عَادَ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ إِلَى بَارِيبَانُو، وَقَدْ كَانَتْ تَنْتَظِرُهُ، وَلَمْ تَتَوَقَّعْ عَوْدَتَهُ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ، فَفَرِحَتْ لِرُؤْيَتِهِ.

يَزُورُ أَبَاهُ كُلَّ شَهْرٍ، وَكَانَ يَأْتِي كُلَّ مَرَّةٍ بِمَوْكِبٍ أَفْخَمَ وَأَكْثَرَ فَخَامَةً مِنْ سَابِقِهِ. فَأَثَارَ ذَلِكَ حَسَدَ بَعْضِ الْوُزَرَاءِ الْمُقَرَّبِينَ مِنَ السُّلْطَانِ، فَأَوْهَمُوهُ أَنَّ أَحْمَدَ قَدْ يَسْتَمِيلُ قُلُوبَ الرَّعِيَّةِ، وَيَخْلَعُهُ مِنَ الْعَرْشِ. وَمَعَ أَنَّ السُّلْطَانَ كَانَ يَثِقُ بِابْنِهِ، إِلَّا أَنَّهُ تَأَثَّرَ بِكَلامِهِمْ، فَاسْتَدْعَى سَاحِرَةً مِنْ بَابٍ خَلْفِيٍّ، وَقَالَ لَهَا: "اذْهَبِي فَوْراً وَاتَّبِعِي ابْنِي، وَارْقُبِيهِ جَيِّداً حَتَّى تَعْرِفِي مَأْوَاهُ، ثُمَّ عُودِي إِلَيَّ بِالْخَبَرِ". فَذَهَبَتِ السَّاحِرَةُ إِلَى الصُّخُورِ حَيْثُ كَانَ أَحْمَدُ يَخْتَفِي، وَاخْتَبَأَتْ فِي مَكَانٍ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ. وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي، رَأَتْ أَحْمَدَ يُغَادِرُ مَكَانَهُ، لَكِنَّهُ مَا إِنْ بَعُدَ قَلِيلاً حَتَّى اخْتَفَى عَنْ نَظَرِهَا فَجْأَةً. وَلَمَّا كَانَتِ الصُّخُورُ شَاهِقَةً وَعِرَةً، حَاجِزاً لَا يُجْتَازُ، حَسِبَتِ السَّاحِرَةُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنَّ الْأَمِيرَ قَدْ دَخَلَ كَهْفاً، أَوْ أَنَّهُ فِي مَسْكَنٍ لِلْجِنِّ أَوِ الْجَانِ. فَبَحَثَتِ السَّاحِرَةُ طَوِيلاً، لَكِنَّهَا لَمْ تَعْثُرْ عَلَى أَيِّ فَتْحَةٍ، وَلَا حَتَّى عَلَى الْبَابِ الْحَدِيدِيِّ، فَلَمْ تَجِدْ حَتَّى الْبَابَ الْحَدِيدِيَّ الَّذِي كَانَ أَحْمَدُ قَدِ اكْتَشَفَهُ، وَالَّذِي لَا يَرَاهُ وَلَا يَفْتَحُهُ إِلَّا الرِّجَالُ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَرْضَى عَنْهُ الْجِنِّيَّةُ بَارِيبَانُو. فَعَادَتْ إِلَى السُّلْطَانِ، وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا رَأَتْ. فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، وَأَعْطَاهَا أَلْمَاسَةً ثَمِينَةً تَشْجِيعاً لَهَا، وَقَالَ لَهَا: "افْعَلِي مَا تَرَيْنَهُ مُنَاسِباً، وَسَأَنْتَظِرُ نَتِيجَةَ وَعْدِكِ". وَلَمَّا جَاءَ مَوْعِدُ زِيَارَةِ أَحْمَدَ الشَّهْرِيَّةِ التَّالِيَةِ، ذَهَبَتِ السَّاحِرَةُ قَبْلَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ إِلَى سَفْحِ الصَّخْرَةِ، وَانْتَظَرَتْهُ. فَلَمَّا خَرَجَ أَحْمَدُ فِي صَبَاحِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، رَآهَا مُسْتَلْقِيَةً عَلَى الصَّخْرَةِ، وَرَأْسُهَا مُتَّكِئٌ عَلَيْهَا، وَهِيَ تَئِنُّ كَمَنْ يُعَانِي أَلَماً شَدِيداً، فَأَشْفَقَ عَلَيْهَا، وَسَأَلَهَا عَمَّا يُؤْلِمُهَا، وَعَرَضَ عَلَيْهَا مُسَاعَدَتَهَا. فَادَّعَتْ أَنَّهَا مُسَافِرَةٌ إِلَى الْعَاصِمَةِ، لَكِنَّ الْحُمَّى أَخَذَتْهَا فِي الطَّرِيقِ، فَأَضْعَفَتْهَا وَأَلْجَأَتْهَا إِلَى الِاسْتِلْقَاءِ حَيْثُ رَآهَا. فَأَمَرَ أَحْمَدُ اثْنَيْنِ مِنْ مَرَافِقِيهِ بِحَمْلِهَا وَإِجْلَاسِهَا خَلْفَ أَحَدِ الْخُيُولِ، وَأَخَذَهَا إِلَى قَصْرِ بَارِيبَانُو. فَلَمَّا رَآهَا الْجِنِّيَّةُ، قَالَتْ لِأَحْمَدَ فِي أُذُنِهِ: "هَذِهِ الْمَرْأَةُ لَيْسَتْ مَرِيضَةً كَمَا تَدَّعِي، وَإِنِّي لَأَظُنُّهَا مُخَادِعَةً، وَسَتَكُونُ سَبَبَ بَلَاءٍ كَبِيرٍ لَكَ، لَكِنْ لَا تَقْلَقْ، فَسَأُنْقِذُكَ مِنْ جَمِيعِ مَكَائِدِهَا". ثُمَّ أَمَرَتْ بَارِيبَانُو امْرَأَتَيْنِ مِنْ حَاشِيَتِهَا أَنْ تَحْمِلاَ السَّاحِرَةَ إِلَى غُرْفَةٍ فَاخِرَةٍ، وَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا بِقَدَحٍ مِنَ "مَاءِ نَافُورَةِ الْأُسُودِ"، وَهُوَ تِرْيَاقٌ يُعَالِجُ كُلَّ الْحُمَّيَاتِ. فَشَرِبَتْهُ السَّاحِرَةُ تَمْثِيلاً، وَشُفِيَتْ فِي أَقَلَّ مِنْ سَاعَةٍ. ثُمَّ قَامَتْ وَجَالَتْ فِي قَصْرِ بَارِيبَانُو، وَرَأَتْ عَجَائِبَهُ، ثُمَّ عَادَتْ إِلَى السُّلْطَانِ وَأَخْبَرَتْهُ بِكُلِّ مَا شَاهَدَتْ.

عادَتِ السَّاحِرَةُ إِلَى السُّلْطَانِ، وَقَصَّتْ عَلَيْهِ مَا شَاهَدَتْهُ مِنْ فَخَامَةِ قَصْرِ أَحْمَدَ، وَحَذَّرَتْهُ مِنْ ثَرْوَةِ ابْنِهِ الَّتِي قَدْ تَجْعَلُهُ يَطْمَعُ فِي الْعَرْشِ. ثُمَّ نَصَحَتْهُ بِأَنْ يَطْلُبَ مِنْ أَحْمَدَ أُمُوراً مُسْتَحِيلَةً، لِتُرْهِقَ الْجِنِّيَّةَ وَتُبْلِيَهُ، فَقَالَتْ: "اُطْلُبْ مِنْهُ خَيْمَةً تَسَعُ جَيْشَكَ بِأَكْمَلِهِ، وَتَكُونُ صَغِيرَةً لِدَرَجَةِ أَنْ يَحْمِلَهَا رَجُلٌ فِي كَفِّهِ، فَإِنَّ الْجِنِّيَّةَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحْضِرَ مِثْلَهَا بِسُهُولَةٍ". فَلَمَّا فَرَغَتِ السَّاحِرَةُ مِنْ كَلَامِهَا، سَأَلَ السُّلْطَانُ وُزَرَاءَهُ: "هَلْ لَدَيْكُمْ أَيُّ اقْتِرَاحٍ أَفْضَلَ؟" فَلَمَّا وَجَدَهُمْ صَامِتِينَ، قَرَّرَ اتِّبَاعَ نَصِيحَتِهَا، وَاسْتَدْعَى أَحْمَدَ، وَقَالَ لَهُ: "يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَرْغَبُ فِي خَيْمَةٍ تَسَعُ جَيْشِي كُلَّهُ، وَتَكُونُ فِي حَجْمِ كَفِّ رَجُلٍ، لِأَحْمِلَهَا مَعِي فِي أَسْفَارِي". فَتَرَدَّدَ أَحْمَدُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: "هَذَا طَلَبٌ عَسِيرٌ، وَلَعَلَّهُ مُسْتَحِيلٌ"، وَأَجَابَ السُّلْطَانَ: "سَأَسْأَلُ زَوْجَتِي، لَكِنِّي لَا أَضْمَنُ النَّجَاحَ، وَإِنْ لَمْ أَعُدْ إِلَيْكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ فَشَلَ". فَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ: "أَرَى أَنَّكَ لَا تَعْرِفُ قُوَّةَ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ؛ فَزَوْجَتُكَ سَتُظْهِرُ أَنَّ حُبَّهَا لَكَ ضَعِيفٌ إِذَا رَفَضَتْ طَلَباً تَافِهاً مِثْلَ هَذَا." ثُمَّ عَادَ أَحْمَدُ إِلَى بَارِيبَانُو حَزِيناً، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: "مَا الَّذِي أَكْدَرَ صَفْوَكَ يَا أَحْمَدُ؟" فَقَالَ: "إِنَّ السُّلْطَانَ أَبِي يَطْلُبُ خَيْمَةً تَسَعُ جَيْشَهُ، وَتَكُونُ فِي حَجْمِ كَفِّ رَجُلٍ، وَهَذَا مَا أَظُنُّ أَنَّ أَحَداً يَسْتَطِيعُ تَحْقِيقَهُ". فَضَحِكَتْ بَارِيبَانُو، وَقَالَتْ: "أَتَظُنُّ هَذَا صَعْباً؟ إِنَّهُ لَأَمْرٌ يَسِيرٌ. أَنَا آسِفَةٌ لِأَنَّ أَمْراً صَغِيراً يُزْعِجُكَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ." ثُمَّ اسْتَدْعَتْ خَازِنَتَهَا "نُورْجِيهَانَ"، وَقَالَتْ لَهَا: "أَحْضِرِي لِي أَكْبَرَ خَيْمَةٍ فِي خَزَائِنِي". فَجَاءَتْ بِهَا، وَكَانَتْ صَغِيرَةً جِدّاً حَتَّى إِنَّهَا تَكَادُ تَخْتَفِي فِي كَفِّهَا، وَوَضَعَتْهَا فِي يَدِ أَحْمَدَ. فَظَنَّ أَنَّهَا تَمْزَحُ، لَكِنَّهَا قَالَتْ: "أُنْظُرْ إِلَى خَازِنَتِي حِينَ تُنْصِبُهَا". فَأَخَذَتْ نُورْجِيهَانُ الْخَيْمَةَ، وَذَهَبَتْ بِهَا إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ، وَنَصَبَتْهَا، فَإِذَا بِهَا تَمْتَدُّ حَتَّى بَلَغَتْ أَحَدَ طَرَفَيْهَا قَصْرَ بَارِيبَانُو، وَكَانَتْ كَبِيرَةً بِحَيْثُ تَسَعُ ضِعْفَيْ جَيْشِ السُّلْطَانِ. فَأَعْجَبَ ذَلِكَ أَحْمَدَ، وَقَالَ لِبَارِيبَانُو: "لَقَدْ كُنْتُ مُخْطِئاً حِينَ شَكَكْتُ فِي قُدْرَتِكِ". فَقَالَتْ: "أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّهُ أَمْرٌ يَسِيرٌ؟ وَهَذِهِ الْخَيْمَةُ لَهَا خَاصِّيَّةٌ، فَهِيَ تَكْبُرُ أَوْ تَصْغُرُ حَسَبَ حَجْمِ الْجَيْشِ الَّذِي سَتُغَطِّيهِ، وَهِيَ أَكْبَرُ مِمَّا قَدْ يَحْتَاجُهُ أَبُوكَ. اِذْهَبْ بِهَا إِلَيْهِ غَداً". فَفَعَلَ أَحْمَدُ، وَحِينَ رَآهَا السُّلْطَانُ صَغِيرَةً فِي كَفِّهِ، ذُهِلَ مِنْ صِغَرِهَا، وَعِنْدَمَا نُصِبَتْ فِي الْحَقْلِ، رَأَى أَنَّهَا تَسَعُ جَيْشاً أَكْبَرَ مِنْ جَيْشِهِ مِرَاراً، فَازْدَادَ حَيْرَةً وَخَوْفاً مِنْ سُلْطَةِ أَحْمَدَ.

طَلَبَ السُّلْطَانُ مَاءَ "نَافُورَةِ الأُسُودِ"، الَّذِي يَشْفِي كُلَّ دَاءٍ. فَلَمَّا عَادَ أَحْمَدُ إِلَى بَارِيبَانُو، قَالَتْ لَهُ: "فِي هَذَا الطَّلَبِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَكْرِ، لَكِنِّي سَأُعِينُكَ. نَافُورَةُ الأُسُودِ تَقَعُ فِي وَسَطِ فِنَاءِ قَلْعَةٍ عَظِيمَةٍ، مَدْخَلُهَا تَحْرُسُهُ أَرْبَعَةُ أُسُودٍ ضَارِيَةٍ، اثْنَانِ مِنْهَا يَنَامَانِ بِالتَّنَاوُبِ، بَيْنَمَا يَظَلُّ الْآخَرَانِ مُسْتَيْقِظَيْنِ. لَكِنْ لَا تَخَفْ،

سَأُعْطِيكَ سَبِيلاً لِتَجْتَازَهُمَا دُونَ خَطَرٍ." ثُمَّ أَعْطَتْهُ خَيْطاً مِنَ الصُّوفِ، وَقَالَتْ: "خُذْ هَذَا الْخَيْطَ، وَارْكَبْ حِصَاناً وَاقْتَدْ آخَرَ مَحْمُولاً عَلَيْهِ خَرُوفٌ مَذْبُوحٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ، مُقَسَّمٌ إِلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ، وَخُذْ هَذِهِ الْقَارُورَةَ". وَأَمَرَتْهُ أَنْ يُلْقِيَ الْخَيْطَ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ، فَيَتَدَحْرَجَ أَمَامَهُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى بَوَّابَةِ الْقَلْعَةِ، ثُمَّ يُلْقِيَ كُلَّ جُزْءٍ مِنَ الْخَرُوفِ لِأَسَدٍ مِنَ الْأُسُودِ الْأَرْبَعَةِ، وَيَمْلَأَ الْقَارُورَةَ مِنَ النَّافُورَةِ دُونَ أَنْ يَنْزِلَ عَنْ حِصَانِهِ. فَفَعَلَ أَحْمَدُ كَمَا أُمِرَ، وَاجْتَازَ الأُسُودَ، وَمَلَأَ الْقَارُورَةَ، وَعَادَ مُسْرِعاً. وَبَيْنَمَا كَانَ يَرْجِعُ، تَبِعَهُ أَسَدَانِ، فَأَخْرَجَ سَيْفَهُ وَاسْتَعَدَّ لِلدِّفَاعِ، لَكِنَّهُ لَمَّا تَقَدَّمَ رَأَى أَحَدَهُمَا سَارَ أَمَامَهُ كَمَنْ يَحْرُسُهُ، وَالْآخَرُ خَلْفَهُ كَمَنْ يَحْمِيهِ، فَأَعَادَ سَيْفَهُ إِلَى غِمْدِهِ. وَظَلَّ الأَسَدَانِ يُرَافِقَانِهِ حَتَّى أَوْصَلَاهُ إِلَى بَوَّابَةِ قَصْرِ السُّلْطَانِ، ثُمَّ عَادَا مِنْ حَيْثُ أَتَيَا.

مجدداً طَلَبَ السُّلْطَانُ رَجُلاً لَا يَزِيدُ طُولُهُ عَنْ قَدَمٍ وَنِصْفٍ، وَلِحْيَتُهُ ثَلَاثُونَ قَدَماً، يَحْمِلُ عَلَى كَتِفِهِ قَضِيباً مِنْ حَدِيدٍ يَزِنُ خَمْسَمِائَةِ رَطْلٍ، وَيَسْتَعْمِلُهُ كَهَرَاوَةٍ. فَلَمَّا سَمِعَ أَحْمَدُ ذَلِكَ، تَخَوَّفَ مِنَ الطَّلَبِ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: "هَذَا مُسْتَحِيلٌ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ مِثْلُ هَذَا الرَّجُلِ فِي الْعَالَمِ. لَا شَكَّ أَنَّ أَبِي يُرِيدُ أَنْ يَخْتَبِرَ غَبَائِي، أَوْ أَنَّ لَهُ خُطَّةً لِهَلَاكِي." فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَارِيبَانُو، قَالَتْ لَهُ: "لَا تَخَفْ، هَذَا الرَّجُلُ هُوَ أَخِي شَيْبَارْ، لَكِنَّهُ لَيْسَ مِثْلِي، فَهُوَ عَنِيفٌ شَدِيدُ الْغَضَبِ، وَلَا يَتَرَدَّدُ فِي إِيذَاءِ مَنْ يُسِيءُ إِلَيْهِ، لَكِنَّهُ كَرِيمٌ وَيُسَاعِدُ مَنْ يَطْلُبُهُ. سَأُرْسِلُ إِلَيْهِ، لَكِنِ احْرِصْ عَلَى أَلَّا تَفْزَعَ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ." فَقَالَ أَحْمَدُ: "فَلْيَكُنْ قَبِيحاً أَوْ مُشَوَّهاً، فَلَنْ أَخَافَ مِنْ رُؤْيَتِهِ، بَلْ سَأُكْرِمُهُ وَأُحِبُّهُ كَأَخٍ لِي." ثُمَّ أَوْقَدَتْ بَارِيبَانُو نَاراً فِي مِبْخَرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَأَلْقَتْ فِيهَا بَخُوراً، فَارْتَفَعَ دُخَانٌ كَثِيفٌ، وَقَالَتْ: "هَا هُوَ أَخِي قَادِمٌ". فَنَظَرَ أَحْمَدُ، فَرَأَى شَيْبَارْ يَقْتَرِبُ بِهَيْئَةٍ مُرْعِبَةٍ: وَلِحْيَتُهُ الطَّوِيلَةُ يَرْفَعُهَا أَمَامَهُ، وَشَارِبَاهُ الْغَلِيظَانِ يَضَعُهُمَا خَلْفَ أُذُنَيْهِ حَتَّى كَادَا يُغَطِّيَانِ وَجْهَهُ، وَعَيْنَاهُ صَغِيرَتَانِ غَائِرَتَانِ فِي رَأْسِهِ الضَّخْمِ، وَعَلَى رَأْسِهِ قَلَنْسُوَةٌ جُنْدِيٍّ، وَهُوَ أَحْدَبُ الظَّهْرِ. وَنَظَرَ شَيْبَارْ إِلَى أَحْمَدَ نَظْرَةً كَانَتْ لَتُجَمِّدُ الدَّمَ فِي عُرُوقِهِ، ثُمَّ سَأَلَ بَارِيبَانُو: "مَنْ هَذَا الرَّجُلُ يَا أُخْتِي؟" فَقَالَتْ: "هَذَا زَوْجِي يَا أَخِي، وَهُوَ ابْنُ سُلْطَانِ الْهِنْدِ، وَاسْمُهُ أَحْمَدُ. لَمْ أَدْعُكَ إِلَى زَفَافِي لِأَنِّي لَمْ أَرْغَبْ فِي إِزْعَاجِكَ فِي مُهِمَّتِكَ الَّتِي سَمِعْتُ أَنَّكَ عُدْتَ مِنْهَا مُنْتَصِراً، فَاغْتَنَمْتُ هَذِهِ الْفُرْصَةَ لِأَدْعُوكَ." فَنَظَرَ شَيْبَارْ إِلَى أَحْمَدَ بِلُطْفٍ، وَقَالَ: "مَا حَاجَتُكَ يَا أَخِي، فَأَنَا فِي خِدْمَتِكَ. يَكْفِينِي أَنَّكَ زَوْجُ أُخْتِي لِأَفْعَلَ مِنْ أَجْلِكَ مَا تُرِيدُ." فَقَالَتْ بَارِيبَانُو: "إِنَّ السُّلْطَانَ، وَالِدَ زَوْجِي، يَشْتَاقُ إِلَى رُؤْيَتِكَ." فَقَالَ شَيْبَارْ: "دُلَّنِي عَلَى الطَّرِيقِ وَسَأَتْبَعُكَ."

ذَهَبَ شَيْبَارْ مَعَ أَحْمَدَ إِلَى قَصْرِ السُّلْطَانِ، فَلَمَّا رَآهُ النَّاسُ هَرَبُوا، حَتَّى إِنَّ الْبَوَّابِينَ تَرَكُوا أَبْوَابَ الْقَصْرِ وَفَرُّوا أَيْضاً، فَدَخَلَا قَاعَةَ الْمَجْلِسِ دُونَ أَنْ يَعْتَرِضَهُمَا أَحَدٌ. فَصَعِدَ شَيْبَارْ إِلَى الْعَرْشِ بِجُرْأَةٍ وَشَرَاسَةٍ، دُونَ أَنْ يَنْتَظِرَ أَنْ يُقَدِّمَهُ أَحْمَدُ، وَقَالَ لِلسُّلْطَانِ: "لَقَدْ طَلَبْتَنِي، فَهَأَنَذَا أَمَامَكَ، فَمَاذَا تُرِيدُ مِنِّي؟". لَكِنَّ السُّلْطَانَ، مَذْعُوراً مِنْ مَنْظَرِهِ الْمُرْعِبِ، ضَرَبَ بِيَدَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ النُّطْقَ. فَاغْتَاظَ شَيْبَارْ مِنْ هَذَا الِاسْتِقْبَالِ الْفَظِّ، وَرَفَعَ قَضِيبَهُ الْحَدِيدِيَّ وَأَمَرَّهُ عَلَى السُّلْطَانِ فَقَتَلَهُ فَوْراً، قَبْلَ أَنْ يَسْتَطِيعَ أَحْمَدُ أَنْ يَتَدَخَّلَ. ثُمَّ اسْتَدَارَ شَيْبَارْ إِلَى الْوُزَرَاءِ، فَحَاوَلَ أَحْمَدُ أَنْ يَمْنَعَهُ مِنْ قَتْلِ الْوَزِيرِ الْأَكْبَرِ، فَلَمَّا عَرَفَ شَيْبَارْ أَنَّ الْوَزِيرَ الْأَكْبَرَ كَانَ دَائِماً يَنْصَحُ أَحْمَدَ بِالْخَيْرِ، تَرَكَهُ، لَكِنَّهُ قَتَلَ سَائِرَ الْوُزَرَاءِ وَالْمُقَرَّبِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُغْوُونَ السُّلْطَانَ وَيُحَرِّضُونَهُ عَلَى أَحْمَدَ. وَفَرَّ بَعْضُ الْوُزَرَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَشْمَلْهُمُ الْغَضَبُ، وَنَجَوْا بِأَنْفُسِهِمْ. ثُمَّ قَالَ شَيْبَارْ: "هَذَا لَيْسَ كَافِياً، وَسَأُعَاقِبُ الْمَدِينَةَ بِأَسْرِهَا إِنْ لَمْ يُبَايِعُوا الْأَمِيرَ أَحْمَدَ سُلْطَاناً عَلَيْهِمْ". فَرَفَعَ الْحَاضِرُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّهْلِيلِ، وَبَايَعُوا أَحْمَدَ سُلْطَاناً. ثُمَّ أَمَرَ شَيْبَارْ بِإِحْضَارِ السَّاحِرَةِ الْعَجُوزِ، فَلَمَّا جِيءَ بِهَا، ضَرَبَهَا بِقَضِيبِهِ وَقَالَ: "خُذِي جَزَاءَ نَصَائِحِكِ السَّيِّئَةِ، وَتَعَلَّمِي أَنْ تَتَظَاهَرِي بِالْمَرَضِ مَرَّةً أُخْرَى!". ثُمَّ أَلْبَسَ شَيْبَارْ أَحْمَدَ حُلَّةَ الْمُلْكِ، وَأَجْلَسَهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَجَلَبَ أُخْتَهُ بَارِيبَانُو فِي مَوْكِبٍ مَلَكِيٍّ بَهِيجٍ، وَأَعْلَنَهَا سُلْطَانَةً مَعَهُ. وَأَمَّا الْأَمِيرُ عَلِيٌّ وَنُورُونِهَارْ، فَلَمَّا عَلِمَا بِمَا جَرَى، وَأَيْقَنَا أَنَّهُمَا لَمْ يَتَآمَرَا عَلَى أَحْمَدَ، خَصَّصَ لَهُمَا أَحْمَدُ إِقْلِيماً وَاسِعاً بِعَاصِمَتِهِ، فَعَاشَا فِيهِ بَقِيَّةَ حَيَاتِهِمَا. وَأَمَّا الْأَمِيرُ حُسَيْنٌ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ، رَفَضَ الْعَوْدَةَ إِلَى الْبَلَاطِ، وَآثَرَ التَّوَحُّدَ فِي مَكَانِ اعْتِزَالِهِ، وَبَعَثَ إِلَى أَخِيهِ يَشْكُرُهُ وَيَبْتَهِجُ لَهُ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَدَعَهُ يَعِيشُ هَادِئاً حَيْثُ اخْتَارَ، فَوَافَقَهُ أَحْمَدُ عَلَى ذَلِكَ.

تَنْتَهِي حِكَايَةُ "الأَمِيرِ أَحْمَدَ وَالجِنِّيَّةِ بارِيبانُو"، وَتَنبُض في القَلْبِ عِبْرَةٌ. أَنَّ الحُبَّ الصَّادِقَ يَصْنَعُ المُعْجِزاتِ، وَأَنَّ الوَفاءَ يُثْمِرُ خَيْراً، وَأَنَّ السُّلْطَةَ لا تَدُومُ بِالظُّلْمِ، وَأَنَّ الخَيْرَ يَنْتَصِرُ في النِّهايَةِ.

—

حكاية جاك قاتل العمالقة

The History of Jack the Giant-Killer

ملكٌ عظيمٌ كانَ يحكمُ إنجلترا في زمنِ الفُرسانِ، هوَ الملكُ آرثرُ، صاحبُ المائدةِ المستديرةِ الشهيرةِ. وفي مقاطعةِ كورنوالَ، كانَ يعيشُ فتىً شجاعٌ اسمُه "جاك"، وكانَ ذا قلبٍ جريءٍ، يأخذُ لذَّتَه في الاستماعِ إلى حكاياتِ السحرةِ والعمالقةِ والفرسانِ، ويقرأُ بلهفةٍ عنْ مآثرِ أبطالِ المائدةِ المستديرةِ. وفي تلكَ الأيامِ، كانَ على جبلِ "سانت مايكل" قبالةِ سواحلِ كورنوالَ، يُقيمُ عملاقٌ هائلٌ، طولُه ثمانيةَ عشرَ قدماً، ومُحيطُ جسدِه تسعةُ أقدامٍ، وكانتْ ملامحُه الوحشيةُ تُرعبُ كلَّ منْ يراهُ. كانَ يَسكُنُ في كهفٍ مظلمٍ على قمةِ الجبلِ، ويَخوضُ البحرَ إلى البرِّ الرئيسيِّ بحثاً عنْ فريستِه، فيَحمِلُ على ظهرِه ستةَ ثيرانٍ، ويَربطُ حولَ خصرِه ثلاثةَ أضعافِ ذلكَ عدداً منَ الخرافِ والخنازيرِ، ثمَّ يَعودُ إلى مسكنِه. وَظَلَّ هَذَا العِمْلَاقُ يَفْعَلُ ذَلِكَ سَنَوَاتٍ طَوَالاً، حَتَّى عَزَمَ جَاكٌ فِي نَفْسِهِ عَلَى أَنْ يُخَلِّصَ البِلَادَ مِنْ شَرِّهِ.

عزمٌ قويٌّ تَملَّكَ جاكاً حينَ علمَ أنَّ هذا العملاقَ قدْ فعلَ ذلكَ لسنواتٍ طوالٍ، فقرَّرَ أنْ يُخلِّصَ البلادَ منْ شرِّه. أخذَ جاكٌ بوقاً، ومجرفةً، ومعولاً، ودِرْعاً، وفانوساً مظلماً، وفي إحدى ليالي الشتاءِ الباردةِ، انطلقَ إلى الجبلِ، وحفرَ حفرةً عمقُها اثنانِ وعشرونَ قدماً، وعرضُها عشرونَ قدماً، وغطَّاها بالفروعِ والأوراقِ لتَبْدو كأرضٍ صلبةٍ. ثمَّ نفخَ في بوقِه بأعلى صوتِه، فاستيقظَ العملاقُ وخرجَ منْ كهفِه، وهوَ يَصرخُ: "أيُّها الوغدُ الوقحُ! ستَدفعُ ثمنَ هذا! سأَشْوِيكَ على فطوري!" وما إنْ أتمَّ كلامَه حتى خَطا خطوةً أخرى، فسقطَ على رأسِه في الحفرةِ، فضربَهُ جاكٌ على رأسِه بمعولِه فقتلَهُ. ثمَّ عادَ إلى منزلِه ليُبشِّرَ أصدقاءَه بالنصرِ.

عملاقٌ آخرُ، اسمُه "بلندربور" (Blunderbore)، أقسمَ أنْ يَنتقِمَ منْ جاكٍ إنْ وقعَ في يدَيْه. كانَ هذا العملاقُ يَسكُنُ في قلعةٍ مسحورةٍ وسطَ غابةٍ مقفرةٍ. وبعدَ فترةٍ منْ مقتلِ كورمان، كانَ جاكٌ يَمُرُّ بتلكَ الغابةِ، فأعياهُ التعبُ، فجلسَ تحتَ شجرةٍ وغطَّ في نومٍ عميقٍ. مرَّ بهِ العملاقُ، وحمَلَهُ إلى قلعتِه، وسجَنَهُ في غرفةٍ كبيرةٍ، كانتْ أرضُها مُغطَّاةً بجماجمِ وعظامِ الرجالِ والنساءِ الذينَ قتَلَهم. ثمَّ خرجَ العملاقُ ليَجْلِبَ أخاهُ العملاقَ الآخرَ ليأكلا لحمَ جاكٍ معاً. ونظرَ جاكٌ منْ خلفِ قضبانِ سجنِه فرأى العملاقينِ يقتربانِ، فخافَ، لكنَّهُ رأى في زاويةِ الغرفةِ حبلاً قوياً، فصنعَ عُقدةً منزلقةً في كلِّ طرفٍ، وألقاها على رقبتَيِ العملاقينِ، وربطَها بقضبانِ النافذةِ، ثمَّ شدَّ حتى خنقَهما، وطعنَهُما في قلوبِهما حتى ماتا.

مفاتيحُ القلعةِ، وَجَدَ جَاكٌ مَجْمُوعَةً كَبِيرَةً مِنَ المَفَاتِيحِ فِي جَيْبِ بِلُنْدَرْبُور، فَفَتَحَ بِهَا أَبْوَابَ القَلْعَةِ، وَفَتَّشَ كُلَّ الغُرَفِ، حَتَّى وَجَدَ ثَلَاثَ سَيِّدَاتٍ جَمِيلَاتٍ، مَرْبُوطَاتٍ بِشُعُورِهِنَّ، وَكُنَّ عَلَى وَشْكِ المَوْتِ جُوعاً. فَأَخْبَرْنَهُ أَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ قُتِلُوا عَلَى يَدِ العِمْلَاقَيْنِ، وَأَنَّهُمَا حَكَمَا عَلَيْهِنَّ بِالجُوعِ حَتَّى المَوْتِ لِأَنَّهُنَّ رَفَضْنَ أَنْ يَأْكُلْنَ لَحْمَ أَزْوَاجِهِنَّ المَيِّتِ. فَقَالَ لَهُنَّ جَاكٌ: "لَقَدْ أَنْهَيْتُ عَلَى هَذَيْنِ الوَحْشَيْنِ، وَأَنَا أُهْدِيكُنَّ هَذِهِ القَلْعَةَ وَكُلَّ مَا فِيهَا مِنْ كُنُوزٍ، تَعْوِيضاً عَنْ آلَامِكُنَّ". ثُمَّ سَلَّمَهُنَّ المَفَاتِيحَ بِكُلِّ لُطْفٍ، وَمَضَى فِي رِحْلَتِهِ إِلَى وِيلْزَ.

مالٌ قليلٌ كانَ معَ جاكٍ، فسارَ بأسرعِ ما يستطيعُ، حتى بلغَ منزلاً أنيقاً، فطرقَ بابَه، فخرجَ إليهِ عملاقٌ ويلزيٌّ، ورحَّبَ بهِ، وأدخلَهُ غرفةً فيها سريرٌ مريحٌ. خلعَ جاكٌ ثيابَه مسرعاً، لكنَّهُ لمْ يَستطِعْ أنْ يَنامَ، إذْ سمعَ العملاقَ يَمْشِي في الغرفةِ المجاورةِ ويُردِّدُ:

"رغمَ أنَّكَ تَبيتُ الليلةَ عندي،
لنْ تَرَى ضوءَ الصباحِ،
فَهَراوَتي سَتَحْطِمُ رأسَكَ حتماً".

فكَّرَ جاكٌ في نفسِه: "أهذهِ خُطَّتُكَ معَ المسافرينَ؟ لكنَّني سأكونَ أذكى منْكَ". فنهضَ، وفتشَ الغرفةَ، ووجَدَ جذعَ خشبٍ كبيراً، ووضَعَهُ في سريرِه مكانَهُ، واختبأَ في زاويةٍ مظلمةٍ. وفي منتصفِ الليلِ، دخلَ العملاقُ، وضرَبَ الجذعَ بهراوَتِه عدةَ ضرباتٍ، وهوَ يَظُنُّ أنَّهُ يَكسِرُ عظامَ جاكٍ، ثمَّ عادَ إلى غرفتِه.

صباحٌ باكرٌ، خرجَ جاكٌ منْ مخبئِه، ودخلَ على العملاقِ بِوَجهٍ جريءٍ، وشكرَهُ على ضيافتِه. اندهشَ العملاقُ وقالَ: "أهذا أنتَ؟ كيفَ نِمْتَ الليلةَ؟ هلْ سمعْتَ أو رأيْتَ شيئاً؟" قالَ جاكٌ بتَهاوُنٍ: "لا شيءَ يُذكَرُ، سوى أنَّ فأراً ضربَني بذيلِه ثلاثَ أو أربعَ مراتٍ، فأزعجَني قليلاً، لكنِّي عدتُ إلى النومِ". تعجَّبَ العملاقُ أكثرَ، وذهبَ ليُحضِرَ وعاءينِ كبيرينِ منْ عصيدةِ الشوفانِ للإفطارِ. أرادَ جاكٌ أنْ يُوهمَ العملاقَ بأنَّهُ يَأكُلُ مثلَه، فخاطَ كيساً جلدياً داخلَ ثوبِه، وكانَ يَصُبُّ العصيدةَ في الكيسِ بينما يُظهِرُ أنَّهُ يَضَعُها في فمِه.
وعندَما انتهى، قالَ للعملاقِ: "سأُريكَ خدعةً رائعةً: أَستطيعُ أنْ أَشفيَ أيَّ جرحٍ بِلمسةٍ، بلْ أَستطيعُ أنْ أَقطَعَ رأسِي ثمَّ أُعيدَه مكانَه في لحظةٍ. شاهِدْ!" وأمسكَ بالسكينِ، وشقَّ الكيسَ الجلديَّ، فانسكَبَتِ العصيدةُ على الأرضِ. فصرخَ العملاقُ الويلزيُّ، خَجِلاً مِنْ أَنْ يَهْزِمَهُ فَتًى صَغِيرٌ مِثْلُ جَاك،

وَصَاحَ مُتَعَجِّباً: "وَاللَّهِ! إِنَّنِي لَأَسْتَطِيعُ فِعْلَ ذَلِكَ بِنَفْسِي!" فَانْتَزَعَ السِّكِينَ وَطَعَنَ بِهَا نَفْسَهُ فِي بَطْنِهِ، فَسَقَطَ مَيْتاً فِي الْحَالِ.

معداتٌ سحريةٌ، حَصَلَ عليها جاكُ بعدَ هذهِ الانتصاراتِ، فقدْ زوَّدَ نفسَه بِحِصَانٍ، وَقُبَّعَةِ المَعْرِفَةِ، وَسَيْفِ القَطْعِ، وَحِذَاءِ السُّرْعَةِ، وَمِعْطَفٍ يُخْفِي صَاحِبَهُ عَنِ الأَنْظَارِ، لِيَكُونَ عَلَى أَتَمِّ اسْتِعْدَادٍ لِلْمُغَامَرَاتِ القَادِمَةِ. سَارَ عَبْرَ التِّلَالِ، وَفِي اليَوْمِ الثَّالِثِ، دَخَلَ غَابَةً وَاسِعَةً، وَإِذَا بِعِمْلَاقٍ هَائِلٍ يَجُرُّ مِنْ شُعُورِهِمَا فَارِساً وَسَيِّدَتَهُ. نَزَلَ جَاكٌ عَنْ حِصَانِهِ، وَرَبَطَهُ بِشَجَرَةِ بَلُّوطٍ، وَارْتَدَى مِعْطَفَ الخَفَاءِ، وَحَمَلَ سَيْفَ القَطْعِ، وَاقْتَرَبَ مِنَ العِمْلَاقِ، وَوَجَّهَ لَهُ ضَرَبَاتٍ مُتَعَدِّدَةً فِي فَخِذَيْهِ، ثُمَّ قَطَعَ رِجْلَيْهِ، وَوَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ وَطَعَنَهُ فِي جَسَدِهِ فَمَاتَ. شَكَرَ الفَارِسُ وَسَيِّدَتُهُ جَاكاً، وَدَعَوَاهُ إِلَى مَنْزِلِهِمَا لِيُكَافِئَاهُ، لَكِنَّ جَاكاً رَفَضَ، وَقَالَ: "لَا أَسْتَرِيحُ حَتَّى أَجِدَ مَسْكَنَ هَذَا الوَحْشِ". فَدَلَّاهُ عَلَى الطَّرِيقِ، فَانْطَلَقَ حَتَّى بَلَغَ عِمْلَاقاً آخَرَ كَانَ جَالِساً عَلَى جِذْعِ شَجَرَةٍ يَنْتَظِرُ عَوْدَةَ أَخِيهِ. فَنَزَلَ جَاكٌ عَنْ حِصَانِهِ، وَارْتَدَى مِعْطَفَ الخَفَاءِ، وَاقْتَرَبَ مِنَ العِمْلَاقِ، وَأَخْطَأَ رَأْسَهُ، بَلْ قَطَعَ أَنْفَهُ فَقَطْ. فَلَمَّا أَحَسَّ بِالأَلَمِ، انْتَزَعَ العِمْلَاقُ هَرَاوَتَهُ وَضَرَبَ بِهَا يَمِيناً وَشِمَالاً، فَقَفَزَ جَاكٌ عَلَى الجِذْعِ وَطَعَنَهُ فِي ظَهْرِهِ، فَسَقَطَ مَيْتاً.

جبلٌ عالٍ كانَ وجهتَه التاليةَ، فوصلَ إلى كوخِ ناسكٍ عجوزٍ، أخبرَهُ أنَّ على قمةِ الجبلِ قلعةً مسحورةً، يَسكُنُها العملاقُ "غالِيغانتوس" (Galligantus) وساحرٌ خبيثٌ، وقدْ خطَفا ابنةَ دوقٍ وحوَّلاها إلى أيلَةٍ. وعدَ جاكٌ النَّاسكَ بأنَّه سَيَكْسِرُ السحرَ في الصباحِ. ارتدى معطفَ الخفاءِ، وصعِدَ الجبلَ، فوجَدَ غِرْفِينَيْنِ ناريَّيْنِ، لكنَّهُ مرَّ بينَهما دونَ خوفٍ لأنَّهُما لمْ يَرَياهُ. وعندَ بوابةِ القلعةِ، وجدَ بوقاً ذهبياً، مَكتوباً تحتَهُ هذانِ البيتانِ:

"مَن يَنفُخُ في هذا البوقِ،
سَيُسْقِطُ العِمْلاقَ بِحَقٍّ".

فنفخَ جاكٌ فيهِ نفخةً مدويةً، فاهتزَّتِ القلعةُ حَتَّى تَزَعْزَعَتْ أَرْكَانُهَا، وَعَلِمَ العِمْلَاقُ وَالسَّاحِرُ أَنَّ نِهَايَتَهُمَا قَدْ حَانَتْ، فَوَقَفَا يَعَضَّانِ إِبْهَامَيْهِمَا مِنَ الرُّعْبِ وَيَرْتَعِشَانِ خَوْفاً. فَقَتَلَ جَاكٌ العِمْلَاقَ بِسَيْفِهِ، وَحَمَلَتْ عَاصِفَةٌ السَّاحِرَ فَاخْتَفَى، وَعَادَ كُلُّ مَنْ كَانَ مُسَحَّراً إِلَى شَكْلِهِ الطَّبِيعِيِّ، وَاخْتَفَتِ القَلْعَةُ كَالدُّخَانِ، وَأُرْسِلَ رَأْسُ غَالِيغَانْتُوس إِلَى المَلِكِ آرثَرَ.

مجدٌ كانَ جزاءَ جاكٍ، فَبَاتَ الفُرْسَانُ وَالسَّيِّدَاتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي كُوخِ النَّاسِكِ، وَفِي الْغَدِ انْطَلَقُوا إِلَى بَلَاطِ الْمَلِكِ آرثر. فَصَعِدَ جَاكٌ إِلَى الْمَلِكِ، وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ مَعَارِكِهِ الْعَنِيفَةِ، فَانْتَشَرَ صِيتُهُ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ. وَبِرَغْبَةٍ مِنَ الْمَلِكِ، زَوَّجَهُ الدُّوقُ ابْنَتَهُ، وَمَنَحَهُ الْمَلِكُ عَقَاراً وَاسِعاً، فَعَاشَا هُوَ وَزَوْجَتُهُ بَقِيَّةَ حَيَاتِهِمَا فِي سَعَادَةٍ وَهَنَاءٍ.

تنتهي حكايةُ "جاكٍ قاتلِ العمالقةِ"، حكايةُ الفتى الذي واجهَ العمالقةَ بالدهاءِ والقوةِ، وأصبحَ بطلاً في زمنِ الفرسانِ، سفاحاً ربما!. تارِكاً في القلبِ عِبْرَةً خالدةً: أنَّ البطولةَ لا تُقاسُ بحجمِ الجسدِ، بلْ بحجمِ القلبِ، وأنَّ المخاطرةَ منْ أجلِ الآخرينَ هيَ أسمى معاني الشجاعةِ، وأنَّ الذكاءَ قدْ يَصنعُ ما لا تَصنعُهُ السيوفُ، وأنَّ العدلَ لا بُدَّ أنْ يَنتصرَ، ولوْ بعدَ حينٍ.

—

حكاية "الثور الأسود النرويجي".
(The Black Bull of Norroway).

—

فتياتٌ ثلاثٌ كنَّ يعِشْنَ معَ أُمِّهنَّ في كوخٍ صغيرٍ على أطرافِ قريةٍ نرويجيةٍ بعيدةٍ، وقدْ كنَّ جميعاً جميلاتٍ، لكنَّ الصغرى منهنَّ كانتْ أجملَ وأذكى.
وفي أحدِ الأيامِ، قالتِ الكبرى لأمِّها: "يا أماه، اخبزي لي خبزةً، واشوي لي قطعةَ لحمٍ، فإني ذاهبةٌ لأطلبَ حظِّي في الدنيا". فعلتِ الأمُّ ما طلبتْ، وانطلقتِ الفتاةُ إلى كوخِ عجوزٍ ساحرةٍ تُدعى "غاسلةَ الساحرةِ"، وأخبرتها برغبتِها. قالتِ العجوزُ: "اقعدي هنا اليومَ، وانظري من بابي الخلفيِّ ماذا ترين". نظرتِ الفتاةُ في اليومِ الأولِ فلمْ ترَ شيئاً، وفي الثاني فلمْ ترَ شيئاً، أما في الثالثِ، فرأتْ عربةً يجرُّها ستةُ خيولٍ مقبلةً عليها. ركضتْ إلى العجوزِ وأخبرتها، فقالتْ: "حسناً، تلكَ العربةُ لكِ". فركبتْها وانطلقتْ.
ثانيةٌ منَ الفتياتِ قالتْ لأمِّها ذاتَ يومٍ: "يا أماه، اخبزي لي خبزةً، واشوي لي قطعةَ لحمٍ، فإني ذاهبةٌ لأطلبَ حظِّي". فعلتِ الأمُّ، وذهبتِ الفتاةُ إلى العجوزِ الساحرةِ، ونظرتْ منَ البابِ الخلفيِّ ثلاثةَ أيامٍ، حتى رأتْ في اليومِ الثالثِ عربةً يجرُّها أربعةُ خيولٍ، فقالتِ العجوزُ: "تلكَ لكِ". فركبتْها وانطلقتْ.

ثالثةٌ وهيَ الصغرى، قالتْ لأمِّها: "يا أماه، اخبزي لي خبزةً، واشوي لي قطعةَ لحمٍ، فإني ذاهبةٌ لأطلبَ حظِّي". فعلتِ الأمُّ، وذهبتِ الفتاةُ إلى العجوزِ الساحرةِ، ونظرتْ منَ البابِ الخلفيِّ ثلاثةَ أيامٍ، لكنَّها في اليومِ الثالثِ لمْ ترَ سوى ثورٍ أسودَ ضخمٍ يقبلُ منَ الطريقِ بزئيرٍ مرعبٍ. خافتِ الفتاةُ خوفاً شديداً، وقالتْ للعجوزِ: "لمْ أرَ سوى ثورٍ أسودَ مخيفٍ". قالتِ العجوزُ: "حسناً، ذلكَ الثورُ لكِ". وحملتْها ووضعتها على ظهرِ الثورِ، وانطلقا.

رحلةٌ طويلةٌ بدأتْ معَ الثورِ الأسودِ، فسارا أياماً وليالِيَ، حتى أضناها الجوعُ والتعبُ. فقالَ لها الثورُ: "كلي من أذني اليمنى، واشربي من أذني اليسرى، واتركي الباقي لرحلتِنا". ففعلتْ، وإذا بالطعامِ والشرابِ يتدفقانِ من أذنيهِ كالسحرِ، فأكلتْ وشربتْ حتى شبعتْ، ثمَّ واصلوا السيرَ حتى بلغوا قلعةً كبيرةً جميلةً. قالَ الثورُ: "هنا سنبيتُ الليلةَ، فهذهِ قلعةُ أخي الأكبرِ". فأنزلوا الفتاةَ عن ظهرِ الثورِ، وأدخلوها القلعةَ، وأرسلوا الثورَ إلى المرعى ليمكثَ فيه الليلَ. وَلَمَّا أَصْبَحُوا، أَحْضَرُوا الثَّوْرَ إِلَى الْمَنْزِلِ، ثُمَّ أَخَذُوا الْفَتَاةَ إِلَى غُرْفَةٍ فَخْمَةٍ لامِعَةٍ، وَقَدَّمُوا لَهَا تُفَّاحَةً جَمِيلَةً، وَقَالُوا لَهَا: "لَا تَكْسِرِي هَذِهِ التُّفَّاحَةَ إِلَّا فِي أَشَدِّ أَوْقَاتِ الضِّيقِ فِي الْعَالَمِ، فَسَتُعِينُكِ حِينَئِذٍ".

قلعةٌ ثانيةٌ، أَجْمَلُ وَأَبْعَدُ بِكَثِيرٍ مِنَ الأُولَى، وَصَلُوا إِلَيْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ مِنَ السَّيْرِ، فَقَالَ الثَّوْرُ: "هَنَا سَنَبِيتُ اللَّيْلَةَ، فَهَذِهِ قَلْعَةُ أَخِي الثَّانِي". فَأَنْزَلُوا الْفَتَاةَ، وَأَدْخَلُوهَا الدَّاخِلَ، وَأَرْسَلُوا الثَّوْرَ إِلَى الحَقْلِ لِلَّيْلِ. وَفِي الصَّبَاحِ، أَخَذُوهَا إِلَى غُرْفَةٍ فَاخِرَةٍ، وَأَعْطَوْهَا إِجَّاصَةً رَائِعَةً، وَقَالُوا لَهَا: "لَا تَكْسِرِي هَذِهِ الإِجَّاصَةَ إِلَّا فِي أَشَدِّ أَوْقَاتِ الضِّيقِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يَمُرَّ بِهَا بَشَرٌ، فَسَتُخَلِّصُكِ حِينَئِذٍ". ثُمَّ رَكِبَتِ الفَتَاةُ ظَهْرَ الثَّوْرِ، وَانْطَلَقَا يُسَافِرَانِ طَوِيلاً حَتَّى بَلَغَا قَلْعَةً، هِيَ أَعْظَمُ وَأَبْعَدُ مَا رَأَوْهُ حَتَّى الآنَ، فَقَالَ الثَّوْرُ: "هَنَا سَنَبِيتُ اللَّيْلَةَ، فَهَذِهِ قَلْعَةُ أَخِي الأَصْغَرِ". فَأَنْزَلُوا الفَتَاةَ، وَأَدْخَلُوهَا، وَأَرْسَلُوا الثَّوْرَ إِلَى الحَقْلِ لِلَّيْلِ. وَفِي الصَّبَاحِ، أَخَذُوهَا إِلَى أَفْخَرِ الغُرَفِ، وَأَعْطَوْهَا بَرْقُوقَةً، وَأَوْصَوْهَا بِأَنْ لَا تَكْسِرَهَا إِلَّا فِي أَشَدِّ الأَوْقَاتِ.

وادٍ مظلمٌ موحشٌ، كانَ هوَ المحطةَ التاليةَ، حيثُ توقفَ الثورُ وقالَ للفتاةِ: "هنا يجبُ أنْ تنتظري، بينما أذهبُ لأُقاتلَ الشيطانَ. اجلسي على هذهِ الصخرةِ، ولا تُحَرِّكِي يَداً وَلَا قَدَماً حتى أعودَ، وإلاَّ فلنْ أَجِدَكِ أبداً. إنْ رأيتِ كلَّ شيءٍ حولَكِ يتحولُ إلى اللونِ الأزرقِ، فاعلمي أنِّي انتصرتُ، وإنْ رأيتِهِ يتحولُ إلى الأحمرِ، فاعلمي أنِّي هُزمتُ". جلستِ الفتاةُ على

الصخرةِ، وقلبُها يخفقُ بالخوفِ، وبعدَ ساعاتٍ، بدأتِ الأرضُ حولها تتحولُ إلى الأزرقِ الفاتحِ، ففرحتْ فرحاً شديداً، ونسيتْ وصيَّةَ الثورِ، فحرَّكتْ قدمَها اليمنى ووضعتها على اليسرى، وكسرتْ بذلكَ السحرَ. وَإِذَا بِالثَّوْرِ يَعُودُ وَيَبْحَثُ عَنْهَا، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْهَا أَبَداً.

بحثٌ طويلٌ بدأتْهُ الفتاةُ، بعدَ أنْ جلستْ طويلاً تبكي حتى أعياها البكاءُ، ثمَّ نهضتْ ومضتْ في طريقِها، فسارتْ أياماً حتى بلغتْ جبلاً زجاجياً عالياً أملسَ، لا تستطيعُ صعودَه. فَطَافَتْ حَوْلَ قَاعِدَتِهِ، تَبْكِي وَتَبْحَثُ عَنْ مَمَرٍّ يَقُودُهَا إِلَى أَعْلَاهُ، حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى مَنْزِلِ حَدَّادٍ، وَعَدَهَا بِأَنْ يَصْنَعَ لَهَا أَحْذِيَةً مِنَ الْحَدِيدِ تَمْكُنُهَا مِنَ الصُّعُودِ، لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ تَخْدِمَهُ سَبْعَ سَنَوَاتٍ. وَافَقَتِ الْفَتَاةُ، وَخَدَمَتِ الْحَدَّادَ سَبْعَ سَنَوَاتٍ، حَتَّى صَنَعَ لَهَا أَحْذِيَةً حَدِيدِيَّةً، فَارْتَدَتْهَا وَصَعِدَتِ الْجَبَلَ الزُّجَاجِيَّ.

كُوخُ العَجُوزِ الْغَاسِلَةِ، وَجَدَتْهُ الْفَتَاةُ بَعْدَ أَنْ صَعِدَتِ الْجَبَلَ، فَأُخْبِرَتْ هُنَاكَ أَنَّ فَارِساً شَابّاً جَمِيلاً قَدْ أَعطَى بَعْضَ الْقُمْصَانِ الْمُلَطَّخَةِ بِالدِّمَاءِ لِلْغَسْلِ، وَأَنَّ مَنْ تَغْسِلُ تِلْكَ الْقُمْصَانَ تَكُونُ زَوْجَتَهُ. فَبَدَأَتِ الْعَجُوزُ بِالْغَسْلِ حَتَّى أَعْيَتْ، ثُمَّ جَلَبَتِ ابْنَتَهَا، وَغَسَلَتَا طَوَالَ اللَّيْلِ، لَكِنَّهُ لَمْ تَذْهَبْ مِنْهَا بُقْعَةٌ. وَأَخِيراً، جَعَلُوا الْفَتَاةَ الْغَرِيبَةَ تَغْسِلُ، وَمَا إِنْ بَدَأَتْ حَتَّى خَرَجَتِ الْبُقَعُ نَقِيَّةً، وَأَصْبَحَتِ الْقُمْصَانُ بَيْضَاءَ نَاصِعَةً، لَكِنَّ الْعَجُوزَ جَعَلَتِ الْفَارِسَ يَعْتَقِدُ أَنَّ ابْنَتَهَا هِيَ الَّتِي غَسَلَتِ الْقُمْصَانَ.

حيلةٌ لجأتْ إليها الفتاةُ في الليلة الأولى، فقدْ تذكرتْ التفاحةَ الذهبيةَ، فكسرتها، وإذا بها مليئةٌ بالذهبِ والجواهرِ الثمينةِ، أَغْلَى مَا رَأَتْهُ فِي حَيَاتِهَا. فَقَالَتْ لِابْنَةِ العَجُوزِ: "لَكِ هَذِهِ الجَوَاهِرُ، بِشَرْطِ أَنْ تُؤَجِّلِي زَوَاجَكِ يَوْماً وَاحِداً، وَتَسْمَحِي لِي بِالدُّخُولِ إِلَى غُرْفَةِ الفَارِسِ وَحْدِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ". فَوَافَقَتْ. لَكِنَّ العَجُوزَ أَعَدَّتْ شَرَاباً مُنَوِّماً، وَأَعْطَتْهُ لِلْفَارِسِ، فَشَرِبَهُ وَلَمْ يَسْتَيْقِظْ. وَقَضَتِ الفَتَاةُ اللَّيْلَةَ تَبْكِي وَتُغَنِّي: "سَبْعَ سَنَوَاتٍ خَدَمْتُ لِأَجْلِكَ، وَصَعِدْتُ الجَبَلَ الزُّجَاجِيَّ لِأَجْلِكَ، وَغَسَلْتُ القُمْصَانَ المُلَطَّخَةَ لِأَجْلِكَ، فَهَلْ تَسْتَيْقِظُ وَتَلْتَفِتُ إِلَيَّ؟" لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَيْقِظْ.

ليلةٌ ثانيةٌ، كسرتِ الفتاةُ الإجاصةَ الذهبيةَ، فوجدتها مملوءةً بجواهرَ أَغْنَى مِنَ الأُولَى، وَقَدَّمَتِ الجَوَاهِرَ لِابْنَةِ العَجُوزِ لِتَسْمَحَ لَهَا بِقَضَاءِ لَيْلَةٍ أُخْرَى فِي غُرْفَةِ الفَارِسِ. لَكِنَّ العَجُوزَ كَرَّرَتِ الحِيلَةَ، وَأَعْطَتِ الفَارِسَ شَرَاباً مُنَوِّماً،

فَنَامَ وَلَمْ يَسْتَيْقِظْ. وَفِي الصَّبَاحِ، سَأَلَ بَعْضُهُمُ الفَارِسَ عَنِ الضَّجِيجِ وَالنَّحِيبِ الَّذِي سَمِعُوهُ فِي غُرْفَتِهِ طَوَالَ اللَّيْلِ، فَقَالَ إِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئاً.

اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، كَسَرَتِ الفَتَاةُ البَرْقُوقَةَ الذَّهَبِيَّةَ، وَكَانَتْ أَغْنَى الجَوَاهِرِ عَلَى الإِطْلَاقِ، وَاشْتَرَتِ الإِذْنَ كَسَابِقِهَا. لَكِنَّ الفَارِسَ كَانَ قَدْ عَزَمَ أَنْ يَبْقَى مُسْتَيْقِظاً تِلْكَ اللَّيْلَةَ. فَلَمَّا جَاءَتِ العَجُوزُ بِشَرَابِهَا المُنَوِّمِ، قَالَ لَهَا: "لَا أَسْتَطِيعُ شُرْبَهُ اللَّيْلَةَ دُونَ تَحْلِيَةٍ". فَذَهَبَتْ لِتَجْلِبَ العَسَلَ، وَفِي غَيْبَتِهَا، أَفْرَغَ الفَارِسُ الشَّرَابَ، فَظَنَّتِ العَجُوزُ أَنَّهُ قَدْ شَرِبَهُ. وَدَخَلَتِ الفَتَاةُ كَعَادَتِهَا، وَبَدَأَتْ تُغَنِّي: "سَبْعَ سَنَوَاتٍ خَدَمْتُ لِأَجْلِكَ، وَصَعِدْتُ الجَبَلَ الزُّجَاجِيَّ لِأَجْلِكَ، وَغَسَلْتُ القُمْصَانَ المُلَطَّخَةَ لِأَجْلِكَ، فَهَلْ تَسْتَيْقِظُ وَتَلْتَفِتُ إِلَيَّ؟" فَسَمِعَهَا الفَارِسُ وَالْتَفَتَ إِلَيْهَا، وَقَالَ: "أَنْتِ هِيَ الَّتِي غَسَلْتِ القُمْصَانَ، أَنْتِ هِيَ حَبِيبَتِي!" فَأَخْبَرَتْهُ الفَتَاةُ بِكُلِّ مَا جَرَى لَهَا، وَأَخْبَرَهَا بِكُلِّ مَا حَدَثَ لَهُ.

زواجٌ كانَ هوَ الخلاصَ، فأمسكَ الفارسُ بيدِ الفتاةِ، وأمرَ بإحراقِ العجوزِ وابنتِها، وتزوجا، وعاشا في سعادةٍ وهناءٍ، بعدَ أنْ علَّمَتْنا الحكايةُ أنَّ الوفاءَ والصبرَ يَنتصرانِ على كلِّ العقباتِ، وأنَّ الحبَّ الحقيقيَّ يَصبرُ سبعَ سنواتٍ، ويَصعدُ الجبالَ الزجاجيَّةَ، ويَغسِلُ القمصانَ الملطخةَ، ليَظفرَ في النهايةِ بقلبِ حبيبِه.

—

"العملاقُ الأحمرُ"
(The Red Etin)

—

أرملتانِ كانتا تعيشانِ على قطعةِ أرضٍ صغيرةٍ يَستأجرانِها منْ مُزارعٍ، إحداهما لها ابنانِ، والأخرى لها ابنٌ واحدٌ، وحانَ الوقتُ لتُرسِلَ الأمُّ التي لها ابنانِ أبناءَها لِيَطلُبا رزقَهما في الدنيا. فقالتْ لابنِها الأكبرِ ذاتَ يومٍ: "خُذْ هذا الإناءَ واذهَبْ إلى البئرِ وأْتِني بماءٍ لأَخبزَ لكَ كعكةً، وكثرةُ الماءِ أو قِلَّتُه ستَجعلُ الكعكةَ كبيرةً أو صغيرةً بقدرِه، وتلكَ الكعكةُ ستكونُ كلَّ ما أَستطيعُ أنْ أُعطيَكَ لرحلتِك".

ذهبَ الفتى إلى البئرِ وملأَ الإناءَ، لكنَّ الإناءَ كانَ مَشقوقاً، فتسرَّبَ معظمُ الماءِ في طريقِ عودتِه، فصارتْ كعكتُه صغيرةً جداً. ومعَ صِغَرِها، سألَتْه أمُّه: "أَترضى بنصفِها معَ بركتي، أمْ تَأخُذُها كلَّها معَ لعنتي؟" ففكَّرَ الفتى

أنَّه سيَقطعُ طريقاً طويلاً، وقدْ لا يَجِدُ طعاماً آخرَ، فقالَ: "سآخُذُ الكعكةَ كلَّها، مهما كانَ في لعنتِك منْ شرٍّ". فأعطَتْه الكعكةَ كلَّها معَ لعنتِها. ثمَّ أخذَ الفتى أخاهُ جانباً وأعطاهُ سكيناً، وقالَ لهُ: "أنظُرْ إلى هذا السكينِ كلَّ صباحٍ، فما دامَ لامعاً، فاعلَمْ أنّي بخيرٍ، وإذا صَدِئَ، فاعلَمْ أنَّ مكروهاً قدْ أصابَني".

سارَ الفتى يومَهُ كلَّه، واليومَ التالي، وفي اليومِ الثالثِ بعدَ الظهرِ، بلغَ راعياً معَ قطيعِ غنمٍ، فسألَه عمَّنْ تَملِكُ هذهِ الغنمَ، فأجابَ الراعي بأبياتٍ شعريةٍ:

العِمْلاقُ الأَحْمَرُ مِنْ إيرْلَنْدا
أَقامَ بِبَيْلِيغانْ،
وَسَرَقَ ابْنَةَ المَلِكِ مَالْكُولْمْ
مَلِكِ إِسْكُتْلَنْدا الجَمِيلَهْ.
يَضْرِبُها، يَصْفِدُها،
وَيَضَعُها في القُيُودْ،
وَكُلَّ يَوْمٍ يَجْلِدُها
بِقَضِيبٍ مِنْ فِضَّةٍ مَصْقُولْ.
مِثْلُ يُولِيانَ الرُّومَانِيِّ،
لَا يَخَافُ إِنْسَانَا،
وَقِيلَ إِنَّ هُنَاكَ رَجُلاً
سَيَكُونُ عَدُوَّهُ الأَكْبَرَا،
لَكِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ لَمْ يُولَدْ بَعْدُ
وَلَيْتَ الزَّمَانَ يُؤَخِّرُهُ، أَوْ يُبْعِدُهُ زَمَانَا.

مضى الفتى في طريقِه، ولمْ يَبعُدْ كثيراً حتى رأى شيخاً طاعناً في السنِّ يَرْعى قطيعاً منَ الخنازيرِ، فسألَهُ عمَّنْ تَملِكُ هذهِ الخنازيرَ، فأجابَ الشيخُ بنفسِ الأبياتِ. ثمَّ سارَ قليلاً حتى بلغَ شيخاً ثالثاً يَرْعى الماعزَ، فأجابَهُ بنفسِ الأبياتِ، وأضافَ: "احذَرِ الوحوشَ التي ستَلْقاها بعدَ قليلٍ، فهيَ منْ نوعٍ مختلفٍ عمَّا رأيْتَ".

وحوشٌ مفزعةٌ كانتْ تَنتظرُهُ، فمضى الفتى قليلاً، فرأى جمهرةً منَ الوحوشِ المرعبةِ، لكلِّ واحدٍ منها رأسانِ، وعلى كلِّ رأسٍ أربعةُ قرونٍ. خافَ الفتى خوفاً شديداً، وركضَ بأسرعِ ما يستطيعُ حتى بلغَ قلعةً على تَلَّةٍ، بابُها مفتوحٌ على مصراعَيْه، فدخلَها لِيَلجأَ منَ الوحوشِ، وإذا بعجوزٍ تجلسُ بجانبِ نارِ المطبخِ. استأذنَها في المبيتِ، فوافَقَتْ، لكنَّها حذَّرَتْهُ: "هذهِ القلعةُ

ليستْ مكاناً آمناً، إنَّها للعملاقِ الأحمرِ، الوحشِ ذي الرؤوسِ الثلاثةِ، الذي لا يُبقي على أحدٍ". خافَ الفتى، لكنَّ الوحوشَ في الخارجِ كانتْ أشدَّ خطراً، فتَرَجَّى العجوزَ أنْ تُخفيَه، وأخفَتْهُ في حفرةٍ تحتَ الأرضِ.

دخلَ الوحشُ العملاقُ الأحمرُ، وما إنْ وطِئَتْ قدَماهُ عتبةَ القلعةِ حتى صرخَ بأعلى صوتِه:
"أَشُمُّ رائحةَ إنسانٍ منْ هنا ومنْ هناك،
أَشُمُّ رائحةَ إنسانٍ! أَكانَ حياً أمْ ميتاً،
سأَجعلُ قلبَه عشاءً لخبزي".
وبحثَ عنِ الفتى حتى وجدَه، وأخرَجَه منْ مخبئِه، وقالَ لهُ: "سأُعْطيكَ فرصةً للحياةِ، إنْ أَجَبْتَ عنْ ثلاثةِ أسئلةٍ: أيُّ البلادِ سُكِنَتْ أولاً، إيرلندا أمْ اسكتلندا؟ وهلْ خُلِقَ الرجلُ لأجلِ المرأةِ، أمِ المرأةُ لأجلِ الرجلِ؟ وهلْ خُلِقَ البشرُ قبلَ الحيواناتِ، أمِ الحيواناتُ قبلَ البشرِ؟" لمْ يَستطِعِ الفتى الإجابةَ، فضربَهُ الوحشُ بهراوَتِه على رأسِه، وتحوَّلَ إلى عمودٍ منَ الحجرِ.

نظرَ الأخُ الأصغرُ في صباحِ اليومِ التالي إلى السكينِ الذي أعطاهُ لهُ أخوهُ، فوجَدَهُ قدْ صَدِئَ بالكامل، فعلمَ أنَّ أخاهُ قدْ هلَكَ. وقالَ لأمِّه: "حانَ وقتُ رحيلي". وكرَّرَتْ معَهُ أمُّه نفسَ الطقسِ: ذهبَ إلى البئرِ، وعادَ بقليلٍ منَ الماءِ، فصارتْ كعكتُه صغيرةً، واختارَ أنْ يأخذَ الكعكةَ كلَّها معَ لعنتِها، وانطلقَ. وفي الطريقِ، التقى بالراعي، وبالشيخينِ، وبالوحوشِ، ودخلَ القلعةَ، وأخفَتْه العجوزُ، وجاءَ الوحشُ وطرحَ عليهِ الأسئلةَ نفسَها، فلمْ يَستطِعْ إجابتها، فضربَهُ وتحوَّلَ إلى عمودٍ منَ الحجرِ أيضاً.

أمّا الأرملةُ الأخرى وابنُها، فقدْ عَلِما بما حدثَ منْ جنيةٍ، فقرَّرَ الفتى أنْ يَخرُجَ هوَ الآخرُ لِيُحاولَ إنقاذَ أخويهِ. وقالَتْ لهُ أمُّه: "اذهَبْ إلى البئرِ وأْتِني بماءٍ لأَخبِزَ لكَ كعكةً". ذهبَ الفتى، وفي طريقِ عودتِه، سمعَ غراباً يَصرخُ منْ فوقِه: "أُنظُرْ، إنَّ الماءَ يَتَسَرَّبُ منَ الإناءِ!" فالتفتَ الفتى، ورأى الماءَ يَتَسَرَّبُ، فأخذَ طيناً وسدَّ بهِ الشقوقَ، وعادَ إلى أمِّه بماءٍ وافِرٍ، فصارتْ كعكتُه كبيرةً. وعندَما سألَتْه أمُّه: "أتأْخُذُ نصفَ الكعكةِ معَ بركتي، أمِ الكعكةَ كلَّها معَ لعنتي؟" قالَ: "سآخُذُ نصفَ الكعكةِ معَ بركتِكِ". فكانَ نصفُها أكبرَ منَ الكعكةِ الكاملةِ التي أخذَها أخواهُ.

سافرَ الفتى في رحلتِه، وبعدَ أنْ قطعَ شوطاً بعيداً، التقى بعجوزٍ طلَبَتْ منه قطعةً منْ خبزِه، فأعطاها إياها عنْ طيبِ قلبٍ. فكافأَتْه العجوزُ - التي كانتْ جنيةً - بعصا سحريةٍ، وقالتْ لهُ: "قدْ تكونُ هذهِ العصا نافعةً لكَ إنْ أحسَنْتَ استخدامَها". ثمَّ أخبرَتْهُ بكلِّ ما سيَحدُثُ لهُ، وما ينبغي أنْ يفعَلَه في كلِّ موقفٍ، ثمَّ اختفَتْ في لحظةٍ.

مضى الفتى حتى بلغَ الراعيَ الأولَ، فسألَهُ عنِ الغنمِ، فأجابَهُ بنفسِ الأبياتِ، لكنَّه أضافَ في نهايتِها: "لكنَّني الآنَ أخافُ أنَّ نهايتَه قدِ اقترَبَتْ، وأنتَ - كما أرى بوضوحٍ - ستَكونُ وريثَ أرضِه كلِّها". ثمَّ بلغَ شيخَ الخنازيرِ، ثمَّ شيخَ الماعزِ، وردَّدوا نفسَ الأبياتِ معَ هذهِ الإضافةِ.

وحوشٌ مفزعةٌ كانتْ تَنتظرُهُ، لكنَّه هذهِ المرةَ لمْ يَهرُبْ، بلْ سارَ بينَها بثباتٍ، وعندَما انقضَّ عليهِ واحدٌ منها بفمٍ مفتوحٍ ليَبتلِعَه، ضربَهُ بعصاهُ السحريةِ فصرَعَهُ في الحالِ. ثمَّ مضى حتى بلغَ قلعةَ العملاقِ الأحمرِ، وطرقَ البابَ، ففتحَتْ لهُ العجوزُ، وحذَّرَتْهُ، لكنَّه لمْ يَخَفْ.

دخلَ العملاقُ الأحمرُ، وصرخَ بأعلى صوتِه: "أَشُمُّ رائحةَ إنسانٍ! أَكانَ حياً أمْ ميتاً، سأَجعلُ قلبَه عشاءً لخبزي". وأخرَجَ الفتى منْ مخبئِه، وقالَ لهُ: "أَجِبْ عنْ ثلاثةِ أسئلةٍ، وإلاَّ فمَوْتُكَ". وسألَهُ: "أيُّ البلادِ سُكِنَتْ أولاً، إيرلندا أمْ اسكتلندا؟ وهلْ خُلِقَ الرجلُ لأجلِ المرأةِ، أمِ المرأةُ لأجلِ الرجلِ؟ وهلْ خُلِقَ البشرُ قبلَ الحيواناتِ، أمِ الحيواناتُ قبلَ البشرِ؟"

إجاباتٌ حاسمةٌ كانتْ في فمِ الفتى، فقدْ كانَ قدْ تعلَّمَها منَ الجنيةِ، فأجابَ إجاباتٍ صحيحةً. وحينَ سمعَ العملاقُ الأحمرُ الإجاباتِ الصحيحةَ، عرفَ أنَّ قوتَه قدْ زالتْ، وأنَّ نهايتَه قدِ اقترَبَتْ.

تحريرٌ كانَ هوَ نصيبَ الأسرى، فأمسكَ الفتى بالفأسِ وقطَعَ رؤوسَ العملاقِ الثلاثةَ. ثمَّ طلَبَ منَ العجوزِ أنْ تُريَهُ مكانَ بناتِ الملكِ الأسيراتِ. فصعِدَتْ بهِ العجوزُ إلى الطابقِ العلويِّ، وفتحَتْ أبواباً كثيرةً، خرجَ منْ كلِّ بابٍ أميرةٌ جميلةٌ، وكنَّ جميعاً بناتِ الملكِ. وفي غرفةٍ سفليةٍ، رأى عمودينِ حجريينِ، فضربَهُما بعصاهُ السحريةِ، فعادَ أخواهُ إلى الحياةِ، وعادَ كلُّ الأسرى إلى حالتِهم الطبيعيةِ.

خلاصٌ عمَّ القلعةَ، فخرجَ الجميعُ في موكبٍ بهيٍّ إلى بلاطِ الملكِ. وتزوَّجَ الفتى منَ ابنةِ الملكِ، وتزوَّجَ أخواهُ منْ نبيلاتٍ أخرياتٍ، وعاشوا جميعاً في سعادةٍ وهناءٍ.

تنتهي حكايةُ "العملاقِ الأحمرِ"، تاركةً في القلبِ عِبْرَةً خالدةً: أنَّ الذكاءَ والشجاعةَ يَنتصرانِ على الوحوشِ، وأنَّ الإجاباتِ الصحيحةَ قدْ تكونُ مفتاحَ الخلاصِ، وأنَّ الأخوَّةَ الحقيقيةَ هيَ التي تَحمِلُ الفتى على المخاطرةِ بحياتِه لإنقاذِ إخوتِه، وأنَّ العطاءَ للغيرِ قدْ يعودُ على صاحبِه بالخيرِ الجزيلِ.

—

خاتمة كتاب الجنيات الأزرق:

—

بين الشرق والغرب في حكايات أندرو لانج.

نطوي صفحات هذا الكتاب العتيق، بعد أن رحلنا مع أبطاله في مغامراتهم الساحرة، نقف أمام حقيقة مزعجة تتسلل إلى أذهاننا كالخيط الرفيع في نسيج الحكايات: ذلك التناقض الأخلاقي العجيب الذي يطبع شخصيات أبطال أندرو لانج، وبخاصة أولئك الذين نبتوا في تربة الشرق، وكأنهم وُلدوا من رحم مغاير للأخلاق التي تحكم أبطال الغرب. إن المتأمل في سير علاء الدين، وعلي بابا، والأمير أحمد، يجد نفسه محاطاً بأسئلة شائكة حول العدالة، والانتقام، وقيمة الروح الإنسانية، وكيف أن هذه الحكايات، التي نُقلت من منابعها الشرقية، قد طُعِّمت بنظرة غربية تختزل أخلاقيات الشرق في قسوة مفرطة، أو في تساهل مع القتل، أو في استسهال للدماء، وكأن البطل الشرقي لا يتردد في إزاحة خصومه بأي وسيلة، بينما البطل الغربي يظل محاطاً بهالة من الرمزية الأخلاقية النبيلة.

حكاية علاء الدين، نجد الفتى الذي بدأ حياته متسولاً في شوارع الصين، يتحول بفضل المصباح السحري إلى أمير، لكنه لا يتورع عن قتل الساحرين بدم بارد، دون محاكمة أو رحمة، وكأن الدماء التي تُراق في الشرق لا تُحسب بحساب الضمير الغربي. إنه يقتل الساحر المغربي الذي خانه، ويقتل أخاه الآخر بتنكر، بل إنه يستخدم الجني لقتل من يعترض طريقه، وكأن القتل أداة مشروعة في صراعه نحو العرش. هذا التصوير،

الذي قد يبدو للقارئ الغربي بسيطاً ومبرراً في سياق الحكاية، يحمل في طياته نظرة عميقة إلى الشرق كفضاء لا تُقدس فيه الحياة كما تُقدس في الغرب، حيث البطل الغربي في حكايات مشابهة، كالخياط الصغير الشجاع، يكتفي بقتل الذباب، أو بخداع العمالقة دون سفك دماء، أو ينتصر بالذكاء لا بالسيف المسلط على رقاب الخصوم.

حكاية علي بابا والأربعين حرامي، يتجلى التناقض بصورة أوضح، إذ نرى مرجانة، تلك الجارية الذكية، وهي تقتل اللصوص بتدبير محكم، تصب الزيت المغلي في جرارهم فتحرقهم أحياء، ثم تطعن زعيمهم في قلبه بسكين، وتُكافأ على ذلك بالحرية والزواج من ابن سيدها. هذا المشهد، الذي قد يُقرأ في سياق شرقي كدفاع مشروع عن النفس، يتحول تحت عدسة لانج إلى صورة نمطية عن الشرق حيث القتل وسيلة، والحيلة مبررة، والدماء تُراق بلا وجل، بينما البطل الغربي في "الأمير المحبوب" أو "جون الأمين" يُكافأ على صبره وإخلاصه، لا على قدرته على القتل أو الإفناء. الفارق ليس في قيمة العدالة، بل في آليتها، وكأن الشرق يُعاقب أعداءه بالموت، بينما الغرب يُصلحهم أو يُقصيهم، وهذا اختزال لا يليق بحضارة أنجبت قوانين حمورابي ووصايا مصر القديمة وفلسفة الفرس في العدالة الإلهية.

أما حكاية الأمير أحمد والجنية باريبانو، ففيها أبلغ الأمثلة على هذا التناقض الصارخ، حيث نجد أن الجني شيباز، أخو الجنية، يُقدم على قتل السلطان، والد الأمير، والوزير الأكبر، والساحرة الشريرة، في مشهد دموي يُنهي الصراع السياسي، ويُتوج الأمير أحمد ملكاً، دون أن يُثار أي اعتراض أخلاقي من الراوي أو من الشخصيات، وكأن الدماء التي تُراق في الشرق هي ثمن طبيعي للعرش، بينما في الحكايات الغربية كـ "الجمال النائم" أو "سندريلا"، يُعاقب الأشرار بالنفي أو العزلة، أو يُتركون لعذاب ضمائرهم، ونادراً ما يُلجأ إلى القتل المباشر كحل نهائي. هذا التباين في المعالجة الدرامية، يحمل نظرة ضمنية من لانج ومصادره الغربية إلى أن الشرق أقل تمسكاً بحرمة الحياة، أو أن أبطاله يصلون إلى غاياتهم بأدوات أكثر وحشية، وهذا ليس صحيحاً بالمقارنة مع النصوص الشرقية الأصلية، حيث الأخلاق الإسلامية والإيرانية والهندية تضع القدسية على النفس البشرية، وتُحرِّم القتل إلا في أضيق الحدود، وتجعل العدالة الإلهية هي الحاكمة، لا انتقام الأفراد.

الحقيقة التي يتجاهلها هذا التصوير الغربي، أن الشرق في حكاياته الأصلية، سواء في ألف ليلة وليلة، أو في ملحمات الفرس، أو في أساطير الصين القديمة، كان يمتلك منظومة أخلاقية متقدمة، حيث البطل الشرقي لا يقتل بسيفه فقط، بل بحكمته، ولا ينتقم بدمه، بل بعقله. إن علاء الدين في المصادر الشرقية الأصلية، ليس مجرد قاتل للسحرة، بل هو فتى يتعلم الصبر والحكمة، ويستخدم المصباح لخدمة الآخرين قبل نفسه، وليس لإبادة خصومه. وعلي بابا في الروايات الشرقية، لا يُقدَّم كمن يُمجد القتل، بل كرجل فقير يبحث عن لقمة عيش، وتأتي الثروة إليه كاختبار لأخلاقه، وهو يكافأ على كرمه وأمانته، لا على شجاعته في القتل. أما الأمير أحمد، فقصته في المصادر الفارسية القديمة تحمل أبعاداً صوفية وأخلاقية، حيث الحب والوفاء هما المحركان الأساسيان، والنهاية السعيدة لا تأتي بموت السلطان، بل بإدراكه لحكمة ابنه، واعترافه بفضله، وهو ما يُظهر أخلاقيات شرقية تقوم على الاحترام والتقدير، لا على العنف والإقصاء.

التحريف غير المقصود، أو ربما المقصود، في رواية أندرو لانج، يعكس نظرة استشراقية كلاسيكية، نظرت إلى الشرق من خلال عدسة الغرب الأوروبي، ورأت فيه عالماً أكثر وحشية، وأقل تحضراً، وأكثر ميلاً للانتقام، بينما الحقيقة أن الشرق كان ولا يزال منبعاً للقيم الأخلاقية السامية، التي تضع العدل فوق الانتقام، والرحمة فوق القسوة، والحكمة فوق العنف، والإسلام كدين، والحضارات الشرقية العريقة كالصينية والفارسية والمصرية، كلها تنبذ القتل غير المبرر، وتُقدس الحياة، وتجعل من العدل أساساً للحكم، ومن الرحمة سبيلاً للخلود. إن تناقض أبطال لانج ليس تناقضاً في أخلاقيات الشرق، بل هو انعكاس لطريقة قراءة غربية للشرق، تخلط بين الدراما الحكائية والواقع الأخلاقي، وتُسقط على الشخصيات الشرقية ما يريده الغرب أن يراه، لا ما هو موجود في جذور تلك الحكايات.

نقف هنا أمام هذا الكتاب الأزرق، ونحن نعي أن ما قرأناه ليس مجرد حكايات للأطفال، بل هو مرآة لرؤية ثقافية كاملة، تتجلى فيها صراعات الأخلاق، وتناقضات الضمير الجمعي، واختلافات التصورات بين الشرق والغرب. إن أبطال لانج الشرقيين، في تناقضاتهم الأخلاقية، ليسوا أقل شأناً من أبطال الغرب، بل هم أبطال من ثقافة مختلفة، لها منطقها الخاص، وقيمها الخاصة، وعدالتها الخاصة، التي قد لا تفهمها عين الغرب، لكنها

تظل صامدة في عمق التراث الشرقي، حيث الحكمة تغلب القوة، والعدل يسبق الانتقام، والحياة تبقى أغلى ما يملكه الإنسان، بغض النظر عن لونه أو دينه أو أصله. وبهذا تظل الحكايات حية، متجددة، تعبر الحدود، وتتجاوز الزمان والمكان، حاملة معها دروساً في التسامح، والتفاهم، والاعتراف بالآخر، مهما اختلفت به الأقدار، وتنوعت به الأصول.

—

المصدر الأصلي لكلّ حكاية :

—

1 الخاتم البرونزي المصدر Traditions Populaires de l'Asie Mineure Carnoy et Nicolaides Paris 1889
2 الأمير سنبل والأميرة الصغيرة العزيزة المصدر Le Prince Desir et la Princesse Mignonne Madame Leprince de Beaumont
3 شرق الشمس وغرب القمر المصدر Asbjornsen and Moe Norwegian Folktales
4 القزم الأصفر المصدر Madame d'Aulnoy Le Nain jaune 1698
5 ذات الرداء الأحمر المصدر Charles Perrault Le petit chaperon rouge 1697
6 الجمال النائم في الغابة المصدر Charles Perrault La Belle au bois dormant 1697
7 سندريلا المصدر Charles Perrault Cendrillon 1697
8 علاء الدين والمصباح العجيب المصدر The Arabian Nights
9 قصة الشاب الذي انطلق ليتعلم ما هو الخوف المصدر Brothers Grimm KHM 4
10 رامبيلستيلتسكين المصدر Brothers Grimm KHM 55
11 الجميلة والوحش المصدر Madame de Villeneuve 1740
12 الخادمة المدبرة المصدر Asbjornsen and Moe Norwegian Folktales
13 لماذا البحر مالح المصدر Asbjornsen and Moe Norwegian Folktales
14 القط الأستاذ المصدر Charles Perrault Le Maitre chat 1697
15 فيليسيا ووعاء القرنفل المصدر Madame d'Aulnoy Fortune
16 القطة البيضاء المصدر Madame d'Aulnoy La Chatte Blanche 1698
17 ناسجات الذهب المصدر حكاية شعبية إستونية
18 الرأس المرعب المصدر الأسطورة اليونانية ميدوسا وبيرسيوس
19 الذهبية الجميلة المصدر Madame d'Aulnoy La Belle aux cheveux d'or
20 تاريخ ويتنغتون المصدر الأسطورة الإنجليزية عن السير ريتشارد ويتنغتون
21 الخروف العجيب المصدر Madame d'Aulnoy Le Mouton
22 الأصبع الصغير المصدر Charles Perrault Le Petit Poucet 1697
23 الأربعون لصا المصدر The Arabian Nights
24 هانسيل وغريتيل المصدر Brothers Grimm KHM 15
25 سنووايت وروزريد المصدر Brothers Grimm KHM 161
26 فتاة الإوز المصدر Brothers Grimm KHM 89
27 الضفادع والألماس المصدر Charles Perrault Les Fees 1697
28 الأمير المحبوب المصدر Le Cabinet des Fees
29 اللحية الزرقاء المصدر Charles Perrault La Barbe bleue 1697
30 جون الأمين المصدر Brothers Grimm KHM 6
31 الخياط الصغير الشجاع المصدر Brothers Grimm KHM 20
32 رحلة إلى ليليبوت المصدر مستوحاة من Jonathan Swift Gulliver's Travels
33 الأميرة على التل الزجاجي المصدر Asbjornsen and Moe Norwegian Folktales
34 قصة الأمير أحمد والجنية باريبانو المصدر The Arabian Nights
35 تاريخ جاك قاتل العمالقة المصدر الأسطورة الإنجليزية Old Chapbooks
36 الثور الأسود النرويجي المصدر Popular Traditions of Scotland Robert Chambers